فن صناعة الذكريات مع الأبناء

اليوم..
كيف نصنع
مع أبنائنا
ذكريات الغد

الخبير التربوى
عبدالله محمد عبد المعطى

فـــنّ
صناعة الذكريات
مع الأبناء

اليوم.. كيف نصنع مع أبنائنا ذكريات الغد؟

الخبير التربوي
عبدالله محمد عبدالمعطي
E-mail:atfallna@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع / ٢٠١١/٩٦١٨

الترقيم الدولي / I.S.B.N

977-265-811-9

دار التوزيع والنشر

٢٥١ شارع سعيد - السيدة زينب - القاهرة

ت. فاكس ٢٣٩١٧٩٥٦ ت. ٢٣٩١٧٩٥٠

d.elfwzea@gmail.com www.eldaawabookshop.com

إهداء

إلى أمي وأبي.. من صنعا أجمل الذكريات في حياتي،
وخطّا بالمحبة أجمل السطور في قلبي.

إلى زوجتي الحبيبة أم عمر.. نبع البركة والنقاء،
وأجمل هدية أرسلها لي رب السماء.

إلى قُرة العين عمر.. وأنا على يقين أنك ستظل تذكر ما
كتبناه معًا في صفحات قلبك البيضاء.

جمعنا الله - تعالى - في جنان الخلد العالية.
وأجلسنا - بكرمه - نأكل من ثمارها الدانية.
وحينها نتذاكر ما كان بيننا في أيام الدنيا الخالية.

المؤلف

* * *

روى الطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتبع الرجل من الحسنات يوم القيامة أمثال الجبال، فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**»(١)...

وروى ابن ماجة وأحمد (واللفظ له) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله - عز وجل - ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول (تعالى): باستغفار ولدك لك**»(٢)...

إن استغفار الواحد منا لوالديه والدعاء لهما نوعان: الأول يكون دعاء باللسان دون حضور القلب، كأن يقول الواحد في صلاته داعيًا لوالديه: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ أو يؤمن خلف الإمام وعقله سرحان، والنوع الثاني من الدعاء للوالدين والاستغفار لهما يكون بحضور القلب وانتباه العقل، وهذا يحدث عندما يتذكر أحدنا موقفًا جميلا لأحد والديه قد فعله معه منذ سنين، فتجده يقول: لا أنسى ما فعله أبي معي يوم كذا، الله يرحمه... من أين تخرج هذه الرحمة؟ بالتأكيد من أعماق قلبه، إن الدعاء المرتبط بذكرى جميلة يخرج من القلب، وكلما زادت الذكريات الرائعة زادت الدعوات النافعة؛ لذا فالأب الناجح والأم الواعية هما من يحفران في عقول أبنائهم وقلوبهم الكثير من الذكريات الجميلة التي لا تنسى، وليتذكر الجميع أننا اليوم نصنع مع أطفالنا وصغارنا ذكريات الغد...

إن الذكريات الجميلة ما هي إلا بصمات يضعها من نحب في قلوبنا، أو نضعها نحن

---

(١) المعجم الأوسط ٢ / ٢٥١.

(٢) سنن ابن ماجة ج ٢ / ١٢٠٧، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٢ / ٥٠٩، والحديث صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ١٢٩ ح ر ١٥٩٨، وصحيح سنن ابن ماجة باختصار السند ٢ / ٢٩٤ ح ر ٢٩٥٣، وصحيح الجامع ح ر ١٦١٧.

في قلوب من نحب من أبنائنا وبناتنا، وتبقى آثار تلك الذكريات في القلوب والعقول، وبمرور الزمن نسترجع ذكراها، فنشتاق لأصحابها، ونحنّ لقربهم، ونفخر بالعيش بينهم، نذكرها لهم في الدنيا وندعو لهم بسببها، ثم نتذاكرها معهم عندما يجمعنا اللقاء في الجنة إن شاء الله؛ قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة؛ اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان، فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان تدري أي يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا**»[1]، فما أجمل أن تلتقي في الجنة مع زوجك وأبنائك، تتذاكرون ما كان بينكم من أمر الدنيا! ويا لها من ذكريات!

ولأننا اليوم نصنع مع أبنائنا ذكريات الغد، ذكريات الدنيا والآخرة، فقد اجتهدت على مدار ثلاث سنوات أن أغوص في أعماق القلوب لأستخرج روائع تلك الذكريات، في كل المحاضرات والندوات جعلت الكثيرين من الآباء والأمهات والشباب والبنات يكتبون ذكرياتهم مع آبائهم وأمهاتهم، بالإضافة إلى تجاربهم التربوية مع أبنائهم، وتجمع بين يدي أكثر من ٧٠٠٠ تجربة، قرأتها بعناية شديدة، وانتقيت أفضلها، ثم انتقيت مما انتقيت.

وفي هذا الكتاب أقدم للآباء والأمهات خلاصة هذا الجهد في ثلاثة فصول، الفصل الأول (ذكريات صنعها الآباء والأمهات) وفيه أكثر من ٢٥٠ ذكرى عملية وفكرة تربوية معاصرة واقعية ومبدعة، هذه الذكريات حكاها أصحابها ممزوجة بالعبرات مع الدعوات لمن هو حي من آبائهم أو مات، هي تجارب لآباء وأمهات عاشوا في زماننا وأبدعوا في تربية أبنائهم، إنهم فلاحون وعمال وأطباء ومهندسون وفقراء وأثرياء وأساتذة جامعة وأميون من دول عدة وجنسيات مختلفة، لكنهم يجتمعون في شيء واحد هو «قلب الأبوة الحاني».

وفي الفصل الثاني (ذكريات صنعها الأبناء) وفيه ما يقرب من ١٥٠ تجربة عملية

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ١٠ / ٤٢٤، والدور السافرة للسيوطي ح ر ٤٧٦ وقال عنه: إسناده حسن، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح ر ٥٠٢٩.

واقعية، عندما تقرؤها ستضحك أحيانًا وتدمع عيناك في أخرى لكنك ستشعر بجمال الأبوة وحنان الأمومة وستجد في تجارب الآخرين العبرة والنفع.

وفي الفصل الثالث (القواعد الذهبية لصناعة الذكريات الأسرية) خطوات عملية من سار عليها صنع مع أبنائه أجمل الذكريات، ومن خلال هذا الفصل ستحذر من اللقاء الأخير وتعرف سر المكالمة التليفونية التي غيرت حياة الكثيرين، وستفتح حسابًا في بنك العواطف الأسري تودع فيه أكثر من ١٨٠ طريقة، ثم تطبق أكثر من ٢٠ فكرة مبدعة، وفي النهاية تطبق السنن التربوية بحلاوتها ونقائها وعمقها ليحصل أبناؤك على أثرها الطيب وأنت على ثوابها الجزيل.

أيها القارئ الكريم، إن ما كتبته في هذا الكتاب ما هو إلا ذكرى ستذكرني أنت بها يومًا، وأرجو منك ساعتها ألا تنساني من صالح دعائك، وصدق الشاعر إذ يقول:

الخـط يبقـى زمانـًا بعـد كاتبـه ... وكاتـب الخـط تحـت التـرب مـدفون
يـا رب فـاغفر لعبـد كـان كاتبـه ... يـا قـارئ الخـط قـل يـا ربي آمـين

عبدالله محمد عبدالمعطي
السبت ٩ من شوال ١٤٣١ هـ
١٨ من سبتمبر ٢٠١٠ م

* * *

الفصل الأول

ذكريات
صنعها
الآباء والأمهات

تمهيد

على مدار ثلاث سنوات وفي كثير من المحاضرات والندوات كنت أسأل الآباء والأمهات السؤال التالي: ما الموقف الجميل الذي فعله معك والدك (أو والدتك) ولا يمكن أن تنساه، وكلما تذكرت ذلك الموقف تدعو له (أو لها) بالرحمة والمغفرة من قلبك؟

كنت أوزع أوراقًا بيضاء ليكتب فيها الجميع ذكرياتهم مع آبائهم وأمهاتهم. ولقد أبدعوا فيما كتبوا. ولقد لاحظت في تلك الذكريات التي جمعتها (٧٠٠٠ ذكرى وأكثر) أن الطعام والشراب والملبس والمسكن الذي يشغل بال الآباء صباح مساء؛ لا يتحدث عنه الكثيرون كذكرى جميلة، فالجميع يعتبر هذه واجبات على الوالدين توفيرها، فالحاجات المادية يسعى الجميع لتوفيرها كل حسب استطاعته، لكن حاجات الأبناء النفسية والقلبية يغفل عنها الكثيرون، فالأب الغائب عن بيته دومًا لن يتذكره أحد، والأب المشغول بحل مكانه في قلوب الأبناء آخرون، إن الأب صانع الذكريات هو من يعطي أبناءه أوقاتًا أكثر مما يعطيهم أشياء، أما من يختزن ابتسامته الحلوة للغرباء من الزملاء والأصدقاء، فهذا سريعًا ما ينساه الأبناء والبنات، لقد قرأت بعناية كل ما جمعته من ذكريات، وانتقيت أفضل ما فيها، ونقلته لكم خلال هذا الفصل في ٢٥٠ ذكرى أبوية جميلة، عندما تقرؤها لن تستطيع أن تخفي دموعك، وأحيانًا ستضحك فرحًا، وربما تصيح انبهارًا، وأجمل ما في تلك الذكريات أنها واقعية عملية تربوية مبدعة، عند ما تقرؤها لا بد وأن تخرج منها بفائدة، وعندها لا تنسى أصحابها في صالح دعائك، وإياك إياك أن تنسى من كان وسيط خير بينك وبينهم، هذا الكاتب الذي جمعها من قلوب أصحابها، ووضعها بين يديك في صفحات هذا الكتاب، والآن ماذا تنتظر، اقلب الصفحة، واقرأ ما سيجعلك تصنع مع أبنائك أجمل الذكريات.

نقود العائلة.. أكلتها العائلة:

كنا نعيش في بيت العائلة الكبير، ولكل أسرة حجرة خاصة بهم، فنحن مع والدي ووالدتي في حجرة، وأعمامي كل واحد منهم مع أسرته في حجرة، وجدتي - رحمها الله - في حجرة، وكنا نأكل معًا ونعمل معًا في الحقل وغيره، وكان والدي - رحمه الله - أكبر إخوته لذا كان يحتفظ معه بكل أموال العائلة، وذات ليلة سرقت منه جنيهن وتأكدت أنه لم يشعر بي، وانتظرت فترة من الزمن أمثل عليهم جميعًا أنني أعمل وأدخر شيئًا من المال، وذات يوم قلت لأبي: إنني ادخرت وأريد أن أشتري بهما عنزة صغيرة لأربيها في بيت العائلة، فوافق أبي وذهب معي لشرائها من السوق، ولما عدت وفي يدي العنزة سألني الجميع عن مصدر النقود، فقلت لهم: إنني عملت بها وكنت أجمعها في حصالة خاصة بي، وصدقني الجميع وصاروا يهتمون بإطعام العنزة الخاصة بي، فتسمعهم يقولون: أطعموا عنزة محمد، اسقوا عنزة محمد، احتفظوا بهذا البرسيم لعنزة محمد... ومرت شهور وكبرت العنزة، وذات صباح قطعت العنزة الحبل وذهبت فأكلت كثيرًا من الأرز حتى نامت على الأرض متعبة من كثرة ما أكلت، واجتمعت العائلة ورأوا أن العنزة ربما تحتضر من كثرة ما أكلت، فقرروا ذبحها، وبالفعل ذبحوها وفي المساء جلست العائلة كلها يتناولون لحم العنزة وهم يضحكون ويقولون: اصبر يا محمد، عقبال العنزة القادمه، والبعض يواسيني والبعض يضاحكني، وأبي صامت لا يتكلم، وفي اليوم التالي، كنت جالسًا بمفردي حزينًا على فقدان مشروعي الصغير، فجاء والدي مبتسمًا وقال: يا محمد، أريد أن أقول لك شيئًا، يا بني لا تحزن، «فنقود العائلة.. أكلتها العائلة»... فتوقت حينها لحظات عن التنفس من هول المفاجأة، وزاغ بصري وقلت لنفسي: لقد كان يعلم بسرقتي للجنيهين طوال الستة أشهر الماضية ولم يتكلم، وكان يراني أربي العنزة ولم يفضحني، ولم أفق من تلك الحالة إلا عندما قال لي أبي: محمد، خذ هذين الجنيهين الحلال واشترِ بهما عنزة جديدة من نقود حلال... يا لصبرك يا أبي، فطوال شهور كنت تراقبني وتعلم أنني سرقت النقود منك لكنك تتغافل عما فعلت، طوال شهور ترى ابنك السارق يتحرك أمامك فرحًا - بالعنزة

– الناتج عن سرقته ولم تفضحه، كل هذا لأنك تربي إنسانًا لا بهيمة، كل هذا لأنك تريد أن تتملك قلب ابنك لا تتملك جسده، ولقد نجحت يا أبي بامتياز، وجميلك دين في رقبتي إلى يوم القيامة، فهل هذا أب يمكن نسيانه؟

ومن يومها لم أرسب في امتحان:

كان والدي – رحمه الله – رجلًا أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وكنت أشعر أنه شديد جدًّا في تعامله معي، لكن لا أنسى ذلك اليوم الذي رسبت فيه في مادة من المواد، وكان قبلها يتوعدني إن رسبت بالعقاب الشديد، ووعدني إن نجحت بهدية جميلة، لقد عدت يومها من المدرسة خائفة حزينة وخاصة أنني أحمل في يدي شهادة الدرجات شاهدة على استحقاقي للعقاب، لقد كنت أقدم رجلًا وأؤخر أخرى، وطوال الطريق أفكر في غضب أبي، هل سيشتمني؟ هل سيضربني؟ هل سيحرمني من الخروج؟ ولم أفق من أفكاري هذه إلا وأنا على باب البيت، فدخلت وفوجئت بأبي يجلس ينتظرني، ولما رآني تفاجأت به يسرع نحوي، وفجأة أخذني في حضنه وناولني شيئًا كان في يده وقال لي: هذه هديتك، لأنني أعرف أنك مجتهدة وفعلت ما عليك، فعلى الإنسان أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، فهممت أن أقول له: لقد رسبت في مادة.... لكنه قاطعني وقال: لقد عرفت النتيجة من مدرستك، ولا يهمك فأنا أحبك أكثر من حبي لدرجاتك، وأنا على يقين أنك ستعوضين هذا بنجاح كبير، ومن يومها لم أرسب أبدًا في امتحان، ومن يومها أصبحت أنا وأبي أصدقاء، وزادت صداقتنا بعد زواجي وإنجابي للأولاد، اللهم اجعله من أهل الجنة هو وأمي.. آمين.

واتفقت مع أبي في الكويت:

كنت أدرس في مدرسة ثانوية في دولة الكويت، وأخذنا ذات يوم درسًا عن فضيلة الصدق، وكانت معلمتي على خلق ودين ولها تاريخ طويل في الدعوة إلى الله، المهم أنني رجعت إلى البيت وقد عقدت العزم على التزام فضيلة الصدق وترك الكذب، وعاهدت

الله على ذلك، وحكيت لوالدي ما كان؛ فشجعني على ذلك، وكان يسألني عن المصروف فيما أنفقته أو عن أي شيء آخر، فأقول له: يا أبي، لقد عاهدت الله على الصدق، فإن كانت الإجابة سهلة عليّ سأجيبك بقول الحقيقة، وإن كانت صعبة عليّ - وسأضطر للكذب - فسأقول لك أعفني من الإجابة، ومن يومها إذا سألني أبي عن شيء فعلته وصعب عليّ الجواب وخفت أن ألجأ للكذب؛ أقول له: يا أبي، الأفضل ألا أرد، فكان أبي يشجعني ويحترم صمتي، لقد تعلمت في حياتي درسًا جميلا، وهو أن أقول الصدق وإلا أصمت، وكبرت وتعلمت التورية بضوابطها الشرعية، وأستخدمها بمهارة حتى لا أكذب، المهم أنني منذ المرحلة الثانوية وحتى اليوم – قرابة عشرين عامًا – أتذكر أنني بفضل الله لم أكذب يومًا، وثمرات ذلك في حياتي لا تعد ولا تحصى، فأنا لليوم معروفة بقول الصدق وإلا فالصمت، وأولادي يعرفون أن ماما لا تكذب أبدًا مهما كان الموضوع الذي نتحدث عنه تافهًا أو صغيرًا.

ونفعتني نصيحة أبي بعد عشرين سنة:

في طفولتي كنت أرى والدي يحافظ على الصلوات في المسجد، وظل والدي لسنوات يشجعني على الصلاة، حتى إن أكثر شيء كان يردده عندما يراني ويسلم عليّ هو «هل صليت»، حتى لو دخل البيت ليلًا ووجدني نائمًا فإنه كان يوقظني برفق قائلًا: أصليت العشاء، وكنت – للأسف - في كل الحالات أقول له: نعم صليت، وطبعًا كنت في كثير من الأحيان أكذب عليه، لا خوفًا من العصا لأنه كان لا يضربني، بل شفقة من أن يحزن قلبه الطيب بسبب تخلفي عن الصلاة، كنت أشعر حين أكذب عليه أنه يدرك أنني لم أصلِّ، وعلى الرغم من ذلك كان يشجعني قائلًا: بارك الله فيك يا بني، بل كان يخرج ما في جيبه من منتجات مزرعتنا المتنوعة ويعطيه لي مكافأة على صلاتي، والعجيب أنه لم يقل لي يومًا «يا كذاب»، لقد كانت مكافآته لي على كذبي أشد من السياط على جسدي، كم كانت مكافآته تؤلمني كل ليلة... مرت الأيام والشهور وأنا على حالي من الكذب وأبي على حاله من الصبر والتغافل، وفجأة توفي أبي، رحل عن الدنيا وعمري اثنا عشر عامًا، رحل

وتركني وأنا لا أصلي إلا قليلًا، ومرت السنون وأنا في غفلة من أمري، وسافرت إلى اليمن - وعمري ٣٦ سنة - لأعمل مدرسًا، وهناك حدث لي ما لم يكن متوقعًا، فذات يوم دخلت أحد المساجد أريد صديقًا لي، فقال لي: تعالَ فاقرأ معنا القرآن، فأخذت من يده المصحف محرجًا، وجاء على الدور في القراءة، وكانت أول آية قرأتها هي قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، فاهتز قلبي، واقشعر بدني، وسال دمعي، أخذت أردد الآية وأبكي، وكأن هذه الآية قد نزلت من أجلي، لقد تذكرت ما كان يفعله معي والدي منذ أكثر من عشرين سنة، وخفت أن أكون ممن خلف السوء الذي جاء بعد أبيه وضيع الصلاة، وساعتها قررت ألا أضيع صلاة لأكون خير خلف لخير سلف، ومن يومها لي عشرون عامًا أحرص ألا تفوتني تكبيرة الإحرام في جميع الصلوات في المسجد، وأسأل الله تعالى أن يسامحني على ما مضى، رحمك الله يا أبي، كم أشتاق لهداياك البسيطة التي كنت تحضرها لي؛ فأنا اليوم - بصدق - أصلي.

وعاد أبي للبيت عريانًا:

لا أنسى لوالدي يوم كنت معه في الحقل وهطل المطر علينا بشدة، كنت حينها طفلا في المرحلة الابتدائية، ولم تكن هناك أي وسيلة تحميني من المطر، وتحت الأمطار انطلقنا عائدين للبيت الذي يبعد كثيرًا عن الحقل، لم يكن أبي حينها يرتدي على جسده غير قميص أو جلباب واحد؛ فتوجست بأبي يخلع الجلباب ويدفئني به، ويبقي هو عريانًا إلا من شورت يستر عورته، فعل ذلك ليدفئني ويحميني من المطر وظل هو عريانًا يهطل المطر على جسده طوال الطريق، لم يفكر للحظة في نظرات الناس، كل ما فكر فيه كيف يحمي ابنه الحبيب، لقد تأملت جسده كثيرًا ساعتها والمياه تنساب عليه، لقد شعرت كم يفضلني على نفسه ويحميني بروحه، وأخيرًا عدنا للبيت وقد امتلأت ملابسي كلها بالمياه وقلبي بالمحبة لأبي، ومن يومها لم أستطع أن أقول له «لا» في أي شيء يطلبه مني، إذ كيف أرفض طلبًا لأب محب مثله؟ رحمك الله يا أبي، فرغم مرور أكثر من ثلاثين عامًا على موقفك

الجميل؛ إلا أنني لا أستطيع نسيانه مهما مرت السنين.

قلب الأبّ.. ودعاء الربّ:

فتحت عيني في تلك الحياة ورأيت أبًا محبًا عطوفًا، فمنذ طفولتي تعودت أن أسمع والدي يكثر الدعاء لنا بصوت مسموع بعد كل وضوء وعقب كل صلاة، كان يدعو لنا فتطمئن قلوبنا ونشعر بالسكينة والرضا، منذ أربعين سنة هي عمري في تلك الحياة أرى أبي – حفظه الله – يدعو لنا دون توقف، يدعو لنا مع كل وضوء دون نسيان، وبعد كل صلاة دون تكاسل، يدعو لنا جميعًا ثم يدعو لكل واحد باسمه، يدعو لكل ابن بما يحب وكأنه يعلم ما يدور في خواطرنا، وبسبب دعائه الجميل الدائم؛ وفقنا الله تعالى في كثير من أمور حياتنا، ولقد ورثنا من أبي تلك العادة الطيبة نطبقها اليوم مع أبنائنا وبناتنا، بل إن أبي اليوم يدعو لأحفاده كما يدعو لأبنائه، فجمع أبنائي بين خيرين: بين دعاء أبيهم ودعاء جدهم.

أبي.. كيف كان يودع ابنته؟

عشت طفولتي مع أبي في حب ولعب ومرح، كنت ابنته الحبيبة التي يتلطف معها بحزم ويؤدبها برفق، كان أبي يعطيني الثقة في نفسي وحرية الحركة مع الاستئذان الدائم والمتابعة الشديدة، هكذا عشت مع أبي حتى أنهيت الثانوية العامة، كل هذه الفترة كنت تحت ناظريه وقريبة من يديه، وتقدمت للدراسة الجامعية، والتحقت بكلية تحتاج إلى سفر يومي، فكان والدي – رحمه الله – يودعني كل صباح قائلا: «الله معك، يسمعك ويراك، فاحذريه»، قالها لي يوميًا لمدة أربع سنوات بلا توقف، ومرت السنوات وتخرجت من الجامعة وتزوجت وأنجبت، و كلما خرجت من بيتي كأنني أسمع صوت أبي يناديني: الله معك، يسمعك ويراك، فاحذريه، وصارت هذه الكلمات في بيتنا اليوم سنة حسنة أقولها لأبنائي وبناتي كلما ودعوني وهم خارجون من البيت.

أبي.. كيف ربّى رجلا؟

كان والدي يربيني على الجرأة والشجاعة ويزرع فيّ الثقة في النفس، حتى إنه في نهاية طفولتي وبداية المراهقة كان يرسلني إلى حقلنا ويتركني أتعامل مع الجيران، ويسمح لي بأخذ القرارات في غيابه وربما في حضوره، وكنت إذا أخذت قرارًا مع أحد أمامه يوافق على الفور، لا أتذكر أنه عارضني يومًا أمام الناس، وإذا كان ما قلته أو قررته خطأ؛ لم يكن يحرجني أمام أحد، وينفذ كلامي رغم رؤيته أن العكس هو الصحيح، وعندما نعود للبيت كان يبين لي خطئي ويوضح لي الصواب، ويقول: أنا لم أعارضك في الحقل لكي لا تحرج أمام أحد، وحتى لا تبدو صغيرًا في عين الناس، لكن فكّر جيدًا قبل أن تأخذ قرارك في المرة القادمة، وقل لهم أعطوني فرصة لأفكر، فهذا لن يعيبك، ولكن الذي يعيبك هو أن تأخذ قرارًا وتتفق معهم على اتفاق، ثم ترجع فيه، هكذا ربّى أبي رجلًا وعلمه كيف يفكر ويقرر، فهل هذا أب يمكن نسيانه؟

وعدت راكبًا الحمار مثل الفاتحين:

أعطاني أبي - منذ ثلاثين سنة - أربعين جنيهًا لأشتري حمارًا، وكنت يومها في الصف الثاني الثانوي، قال لي يومها: اذهب إلى سوق البهائم في البلدة المجاورة فاشترِ لنا حمارًا، والحقّ يقال لم يكن لي حينها خبرة ببيع وشراء البهائم، فذهبت مستعينًا بالله تعالى، وجعلت أراقب حركة السوق والأسعار، وهناك تعرفت على تاجر من بلدنا، فقلت له: أنا ابن فلان وأريد حمارًا، ولقد ساعدني الرجل بإخلاص وصدق، واشتريت الحمار وعدت لبلدتنا راكبًا إياه، شاعرًا بالفرحة والسعادة وكأنني عائد منتصر من موقعة عسكرية، وعند بيتنا استقبلني أبي استقبال الفاتحين، وجعل هذا اليوم عيدًا، ولشد انتباهي ساعتها أن أبي لم يعلق على شكل الحمار أو حجمه أو لونه، ولم يحدثني عن عيوبه أو سعره، كل الذي كان يهمه حينها - رغم فقره - أن ابنه صار رجلًا واشترى حمارًا بمفرده.

كان أبي يراني.. أجمل عروسة:

منذ ما يزيد على ثلاثين سنة كنت في المرحلة الابتدائية، أذكر أنني ذات يوم ذهبت إلى المدرسة وتركت الجورب (الشراب) في البيت، لأنني لم أجد إلا فردة واحدة فقط من زوج الجورب (الشراب)، ورغم أننا كنا في فصل الشتاء إلا أنني اضطررت لأن أرتدي الحذاء دون جورب (شراب) وأنطلقت نحو المدرسة حتى لا أتأخر، وفي الحصة الأولى فوجئت بإحدى المدرسات تنادي عليّ لأكلم ولي أمري عند باب المدرسة، فاهتز جسدي وتسارعت ضربات قلبي وتوقعت حينها أن هناك مشكلة ما؛ فخرجت نحو باب المدرسة خائفة، وعلى عكس ما توقعت فقد كانت هناك مفاجأة، إذ استقبلني والدي بابتسامة حانية، وربَّت على كتفي، وأخرج الجورب من جيبه قائلًا: البسي وأدفئي نفسك يا أجمل عروسة في هذه الحياة، وتركني أبي وانصرف، لكن هذا الموقف لم يترك ذاكرتي يومًا، لقد عدت حينها للفصل ودموع الفرح تنساب على خدي، الحمد لله الذي جعل هذا الرجل الطيب هو أبي، رحمك الله يا بابا، يا أجمل أب عرفته في الحياة.

يا بنتي داري دموع العين:

تحكي لنا إحدى الأمهات قصتها مع أبيها، فتقول والدموع على خديها: كان والدي - رحمه الله - عندما يراني حزينة أو أبكي يغني لي أغنية، يقول فيها:

يـــا ورد داري دمـــوع العـــين
دا العمـــر كلـــه يـــومين اثنـــين
يـــا ورد ليـــه عـــايش في عـــذاب
دا العمـــر كلـــه نعـــيم وشـــباب

ويظل يؤنسني ويواسيني حتى أبتسم ويذهب عني الحزن، واليوم بعد أن فارق أبي الحياة، كلما أصابني هم أو غم أتذكر كلمات والدي، وتنحدر الدموع من عيني، وأشعر بالراحة والتفاؤل، وأدعو لوالدي بالرحمة والمغفرة.

سامحني يا بني فلا أملك أجرة التاكسي:

عندما كان عمري حوالي ١٢ سنة مرضت مرضًا شديدًا، وكنا أسرة متوسطة الدخل، فلما اشتد عليّ المرض لم يكن والدي يملك من المال غير ثمن كشف الطبيب، ومع ذلك ذهب بي إليه، وهناك قرر الطبيب ضرورة أن يذهب بي والدي إلى المستشفى، فقال والدي منكسرًا: ألا يمكن أن ننتظر للغد؟ فقال الطبيب: أخشى أن يموت منك، فشكره والدي وانصرف حزينًا يفكر في حالي، كنا في فصل الشتاء وكانت الساعة ١٢ مساء، وحينها قرر والدي أن يذهب بي إلى المستشفى، وكانت المسافة بينها وبين عيادة الطبيب حوالي ٥ كيلومترات، فقال لي والدي وأنا أعاني من شدة الألم: سامحني يا بنيّ ليس معي أجرة التاكسي، وحملني على كتفه، وكلما تعب أنزلني وهو يقول لي والدموع تنهمر من عينيه: «سامحني يا ولدي، فلا أملك أجرة التاكسي»، كررها يومها مرات كثيرة، كنت أشعر حينها بأنفاسه الحزينة، لدرجة أنني نسيت مرضي من إشفاقي على أبي وحزني على حاله، ما أصعب أن يشعر الأب أنه قليل الحيلة ولا يستطيع أن ينقذ ابنه من مرض ألمّ به! ما أقسى أن يجد الأب نفسه مقيدًا بقيد الفقر أمام ابن مريض! واليوم بعد مرور السنين تحسنت أحوالنا، وتلك الأيام نداوها بين الناس، ولكن هل أستطيع أن أرد جميل أبي؟

جاكت أبي.. دليل محبة:

كان والدي في طفولتي يأخذني معه ونمشي على الكوبري فوق النيل، وفي أيام الشتاء كان والدي يلبس جاكت طويلًا، ويقوم بتغطيتي بطرف ذلك الجاكت ليحميني من البرد، كم كنت سعيدة بتلك الجولات الأبوية، لقد مشيناها معًا مرات كثيرة في سنين عديدة، ومرت الأيام وتزوجت ورزقني الله بالبنين والبنات، ولكبر سن والدي أذهب بداية كل شهر لأقبض له راتب المعاش، وعندما أطلب من بطاقة تحقيق الشخصية يقول لي: بطاقتي عندك في جيب الجاكت، إنه الجاكت نفسه الذي طالما غطّاني بطرفه، لذا أتوقف أمام (الجاكت) وأمسح عليه بيدي وأقوم بتقبيله، وقد تنساب دموعي، إنه يذكرني بأيام جميلة

ليتها تعود، إنها الأيام التي شربت فيها من نبع حنان أبي الصافي، ليته يستطيع المشي ليأخذني معه في رحلة من رحلات الماضي الجميل، حفظك الله يا أبي، وشكرًا لك على لمسات (الجاكت) الحانية.

هل للكلمات طعم؟

وأنا صغيرة كنت ثرثارة كثيرة الكلام، وكانت كلماتي قاسية إلى حد كبير، وكان لساني يسبب لي الكثير من المشاكل مع زميلاتي وصديقاتي، فقال لي أبي يومًا: «يا بنيتي، تذوقي طعم الكلمة قبل ما تنطقيها، فإن كانت جميلة فستجدين لها طعمًا حلوًا، وإن كانت سيئة وضارة فستجدين لها طعمًا مرًّا»، وبدأت أجرب نصيحة أبي، وهو يتابعني بدقة، فإذا حدث وتكلمت بسوء؛ يجعلني أكرر ما قلت لأتذوق طعمه، وكم كافأني على شيء جميل قلته، وكم جعلني أشعر بحلاوة الكلام ومرارته، واليوم بعد مرور ثلاثين سنة؛ لا زلت كلما تسرعت في لفظ كلمة سيئة تخزيني أو تسيء لغيري؛ تذكرت كلمة والدي «تذوقي الكلمة قبل ما تنطيقها»؛ فلا أنطق بسوء ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

مشروع الأرانب من أجل الحبايب:

نحن من صعيد مصر، والطبيعي عندنا أن يرحل الشباب للعمل بعيدًا عن والديهم، كأن يذهبون للعمل في القاهرة أو خارج مصر، وكانت هذه نيتي طوال طفولتي ومراهقتي، إلى أن حدث موقف جعلني لا أفكر في مغادرة أبي وأمي لحظة واحدة، كنت في بداية المرحلة الجامعية، وكان لي ٧ إخوة وأخوات غيري، وحالة البيت الاقتصادية لا تسمح بدخولي الجامعة، وأصر أبي على دخولي الجامعة، وجلس يفكر مع أمي في مشروع اقتصادي بسيط لمساعدتي في الدراسة الجامعية، فاشتروا بعض الأرانب ليربوها وتتناسل ويبيعان منها، وهذا المشروع نجح بصورة غريبة، ومن خلاله حصلت على مصاريف دراستي الجامعية طوال أربع سنوات، وكان والديّ يذهبان إلى السوق على الأقدام ليبيعوا هذه الأرانب حتى لا يضيعوا قرشًا واحدًا من ثمن هذه الأرانب في أجرة المواصلات،

رغم أن السوق كان يبعد عن بلدتنا حوالي ٤ كيلومترات، فكلما تذكرت هذا الموقف أود أن أقبل رءوسهم اعترافًا لهما بالفضل، وكرد للجميل رفضت الذهاب إلى القاهرة للعيش هناك، وآثرت أن أظل معهما في قريتنا الصغيرة بيتًا بسيطًا ومردًا لجميلهما، فهل يمكن أن اجازي من تعب معي بالرحيل بعيدا عنه؟ ولقد وجدت من سعة الرزق – بجوار أبي وأمي – ما لا يمكن وصفه.

جاموسة أبي.. ولبن أطفالي:

ذكرياتي مع والدي – رحمه الله – كثيرة جدًا، وكلما تذكرته بكيت ودعوت له بالرحمة، لأنه كان يعاملني كأخ له، وأذكر أنه كان يصطحبني معه إلى الحقول والمزارع، وكنت أبيت معه في حراسة محصول السمسم والفول والعدس... وعندما كبرت وتزوجت اشترى لي ذات يوم جاموسة، فقلت له: يا أبي، ما شأن هذه الجاموسة وأنت قد كبرت سنك، وهذه الجاموسة تحتاج إلى رعاية؟! فقال: يا بني، رأيتك تشتري اللبن لأطفالك، فكرهت نفسي أن أراك تشتريه لهم؛ فقررت أن أريحك وأوفر عليك، إن قلب أبي لم يتوقف عن محبتي يومًا، ولساني وقلبي لم يتوقفا عن الدعاء له يومًا.

والد صديقي.. ليته والدي:

ونحن أطفال، كنا نلعب يوميًا بالكرة في الشارع، وكان كثير من الآباء يعارضوننا، وأبي كان واحدًا من المعارضين، لدرجة أنه كان يصرخ في وجهي وربما يضربني كلما علم بأنني ذهبت وارتكبت خطأ «اللعب بالكرة»، وذلك بدعوى أن هناك ما هو أهم من اللعب كالمذاكرة وأداء مهام البيت وغيرها، مع العلم أنني لم أكن أحاول التقصير في شيء من ذلك كله، وعلى عكس حالنا جميعًا كان صديقنا «حسن»، إذ والده متفاهم جدًا، لدرجة أننا ذات يوم ونحن نلعب فوجئنا بوالد حسن يحضر للملعب، فتوقعنا أن يناله من أبيه شر، وبالفعل خلع أبوه حذاءه؛ فانتظرنا أن يضربه به، لكننا فوجئنا بوالده يعطي حذاءه لابنه ليلعب به بدلا من النعل (الشبشب) الذي كان يلبسه، فقلت في نفسي

ساعتها: يا ليته كان والدي أنا، فأبي لو جاء الآن سيضربني بالحذاء الذي يلبسه.

لا تخش المرض.. فطعامنا حلال:

كنت في طفولتي أرى أبي يعمل أجيرًا لدى الناس، فكان ذلك يصيبني ببعض الضيق والحزن، لكن في الوقت نفسه كنت أشعر في والدي بالعزة والرضا، وذات يوم مرضت مرضًا شديدًا، فخفت جدًّا من الموت، وطلبت من والدي أن يدعو لي بالشفاء، فقال لي: «لا تقلق أو تنشغل، ففرج الله قريب، أنا متأكد - بإذن الله - أنك ستتعافى ولن يمسك سوء، وسأقول لك السبب في تأكدي من ذلك يا بني؛ إنني طوال سنين أعمل أجيرًا عند غيري، لكنني لم أقترب يومًا من حرام، يا بني لم أطعمكم يومًا حرامًا، ولم آخذ جنيهًا بغير وجه حق، لذا فلا تخشَ المرض، فهو مغفرة لذنبك، وزيادة لحسناتك»... والله لقد طمأنتني كلماته، وأراحتني نظراته، تلك الثقة الإيمانية في الإله الكريم جعلتني بفضل الله أتغلب على مرضي وأشفى سريعًا بفضل الله، ومن يومها وقلبي أكثر طمأنينة، إذ كيف أخشى ضياعًا وقد رباني أبي من حلال؟

أنا وأبي.. وشيخ المسجد:

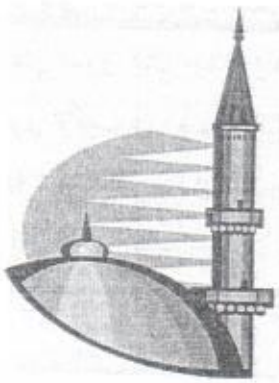

كان والدي من أصحاب الرأي وذا مكانة في العائلة، وفي أيام طفولتي كان دائمًا كل جمعة يأخذني معه للصلاة، وكان يجمع التبرعات لإعمار المسجد عقب صلاة الجمعة مباشرة، وبعد خروج المصلين من المسجد، كان والدي يجلس مع إمام المسجد لكي يحصي المبلغ ويعد التبرعات، وكنت حينها في السابعة أو الثامنة من عمري، فقلت له يومًا وهو يعد ما جمعوه: هات شلن (خمسة قروش)، فرفض أبي، وقال بحزم: عندما نخرج من المسجد، فقال إمام المسجد: أعطه يا أخي إنه طفل صغير، فرفض أبي، ولكن الإمام مد يده وأعطاني من مال التبرعات، فأخرج والدي محفظة نقوده ووضع مثل ما أعطاني الإمام من النقود، وقال أبي

للإمام: لا تدخلنا النار يا أخي... والآن بعد مرور السنين أنا عضو في جمعية خيرية ببلدتنا، وأحمل دائمًا معي نقود التبرعات، وعندما أمر بضائقة مالية أنظر لأموال التبرعات وأتذكر والدي وموقفه معي في المسجد، ثم أدعو له بالرحمة والمغفرة من كل قلبي، فلولاه لكنت مددت يدي على حرام.

المدرسة خير من حقل أبي:

تكاسلت يومًا عن الذهاب للمدرسة، فلم يكلمني والدي ولم يسترضني حتى أذهب، وبدلًا من ذلك أخذني معه إلى الحقل، وهناك شد علي في العمل جدًّا جدًّا حتى أتعبني، وفي اليوم التالي قال لي صباحًا: هيا نذهب إلى الحقل، فقلت له: إني ذاهب إلى المدرسة، فابتسم أبي ابتسامة المنتصر، ومن يومها لم أتكاسل حتى تخرجت من الجامعة...

كيس الرمل.. وشتائم زميلي:

قبيل دخولي المدرسة لأول مرة، كنت فرحًا مسرورًا مستعدًّا بحقيبتي وملابسي الجديدة، لكن في أول يوم للدراسة حدث شجار بيني وبين أحد التلاميذ، فقام بشتمي ولم أستطع الرد عليه لأنني لا أعرف الشتيمة، فأحسست بظلم يقع عليّ؛ فبكيت، وعدت قائلًا لأبي: يا بابا كان ينبغي أن أرد عليه، فأخذني والدي إلى النادي المجاور لبيتنا، وكان للنادي سور عالٍ جدًّا، وهناك أعطاني أبي كيسًا مملوءًا بالرمل، وقال لي: سألتف حول السور لأقف في الجهة المقابلة من السور، وعندما أصل سأنادي عليك لتقذف لي كيس الرمل، وبالفعل نادى عليّ من الجهة الأخرى أن اقذف كيس الرمل، وحاولت بكل قوة، فما كان من الكيس إلا أن انقطع وسقط الرمل عليّ، واتسخت ملابسي، وسمع أبي بما حدث فجاءني مسرعًا مبتسمًا وقال لي: إن كيس الرمل مثل شتائم زميلك، من حقك أن ترد عليه الكلمة بمثلها وأنت تقدر على ذلك، ولكن إن الذي يشتم يسئ إلى نفسه ويوسخ نفسه، والذي أمامه نظيف إذا لم يرد عليه، كما رأيتني أمامك نظيف الملابس، ومن يومها كلما شتمني أحد؛ ابتسمت ورأيته أمامي يوسخ نفسه «بكيس الرمل» وأنا نظيف من كل سوء، رحمك الله يا أبي فقد طهرت قلبي ولساني بفكرتك العملية المبدعة.

أبي.. وبناته التسع:

من يرزقه الله تعالى بتسع بنات، يا ترى كيف يتعامل معهن؟ هل يتذكر أسماءهن؟ هل يتمنى ولدا؟ والدي - رحمه الله - كان واحدًا ممن رزقه الله بنات تسعًا، ومع ذلك كان - رحمه الله - يحبنا كثيرًا، وكان يجد وقتًا ليسمع كل واحدة منا تحكي له ما شاءت، وأتذكر أنه كان يسرح (يصفف) بنفسه شعر أختي الصغيرة، وأتذكر ذات يوم أنني اختلفت مع أختي التي هي أكبر مني بسنة على من سيغسل أطباق الطعام، كل واحدة منا تطلب من أختها أن تغسل لتستريح هي، أنا أقول لها: أنت اغسلي فأنا متعبة، وهي تقول: لا، اغسلي أنت فأنا سأذاكر، وهنا تدخل أبي قائلا: لا مشكلة دعوها وأنا سأغسلها، وشمر عن ساعديه ليغسلها هو، فبكينا وطلبنا منه السماح، وكنا بعد ذلك نتسارع في من يغسل تلك الأطباق قبل أختها، هذا بعض ما فعله أبي مع بناته التسعة، واليوم مات أبي وترك خلفه تسع بنات، تزوجن كلهن وأنجبن بنين وبنات، والبيوت التسعة تدعو لهذا الرجل ذي القلب الكبير بالرحمة والمغفرة.

وصية أبي في أول يوم بالكلية:

بعد أن انتهيت من الثانوية العامة، وفي أول يوم للدراسة بالجامعة، كنت على وشك الخروج من البيت والسفر للكلية فقال لي أبي: يا بنيتي، أنت مسافرة وحدك، فالله رقيبك وهو الذي يراك، فاعملي على هذا الوضع من اليوم، فالله رقيبك وليس والدك، حدث هذا منذ أكثر من عشر سنوات، والله تغيرت أحوالي، ولا زلت أعمل بكلمات أبي حتى بعد رحيله عن الدنيا.

أبي.. والبيوت الأربعة:

أذكر أنه كانت بين أبي وعمي مشكلة كبيرة، وكان أبي فقيرًا بينما كان عمي غنيًّا، وذات يوم قال عمي لأبي متحديًا: أنت لن تستطيع أن تنفق على أولادك، ولن تستطيع

حتى أن تبني لهم بيتًا، فقال أبي بثقة: إنني أبني بهم أربع بيوت، يقصد أن عنده أربعة أبناء سيربيهم جيدًا وكل منهم سيبني بيتًا في المستقبل إن شاء الله، والدي كان فلاحًا بسيطًا، وقد تحقق ما قاله رحمه الله... فقد اجتهد في بناء البيوت البشرية (أبناءه الأربعة) عن طريق تربيتنا جيدًا، ونحن بدورنا بنينا تلك البيوت الحجرية الأربعة...

تليفون بابا هذا موعده:

توفي والدي منذ عامين رحمه الله وغفر له وعفا عنه، وأقسم بالله العظيم ما من موقف فعله معي والدي إلا وهو ذكرى جميلة معه، ومن تلك الذكريات أنني كنت أعمل - فترة من الزمن - مُدرسة بمدرسة بعيدة عن حيّنا، وكنت حينها أترك ابني وابنتي الصغيرين في الصباح عند والدتي، وفي اليوم الذي أعود فيه متأخرة من مدرستي. كنت أحمل هم إعداد الطعام في بيتي لزوجي وأبنائي، لكنني كنت أجد في بيت والدي وجبة كاملة جاهزة بانتظاري (الأرز والخضار والسمك والسلطة)، وهناك تقول لي أمي: لقد أعطاني والدك نقودًا لأجهز لك هذا الطعام، فآخذ أولادي والطعام شاكرة وأعود لبيتي، وبعد قليل يرن الهاتف، فأذهب ناحيته مبتسمة وأنا أعلم من يتصل، إنه والدي يتصل كعادته من العمل قائلا: هل أعجبك السمك؟ ما رأيك في الأكل؟ فعل ذلك معي لسنين، رحمه الله فقد غمرني بحنانه طول العمر.

ورحلت أمي قبل الفجر:

كنت في الثانوية العامة سنة ١٩٨٩ م، وذات ليلة كنت أذاكر في آخر الليل الساعة ١٢ أو ١ صباحًا، ودخلت عليّ والدتي - رحمها الله - وقالت لي: قم استحم وغير ملابسك حتى أغسلها لك، وبالفعل نفذتُ أمرها، وتركت لها ملابسي ونمت، وبقيت هي تغسل الملابس، وكانت ستصبح صائمة آخر يوم لها في الستة أيام البيض بعد رمضان، وعند الفجر فوجئت بوالدي يوقظني من النوم، والدموع تنساب على خديه، فقلت: ما الخبر؟ فأشار نحو حجرة أمي، فقلت: هل هي مريضة؟ فقال: لا، لقد رحلت عن الحياة،

لقد ماتت رحمها الله بعد أن غسلت ملابسي، الحمد لله أنني أطعت أمي قبل وفاتها ولم أتعبها كعادتي، ولقد بقيت تلك الملابس التي غسلتها أمي وكانت آخر الأشياء عهدًا بيديها موضوعة بجواري على السرير، أستأنس بها من الوحشة بعد رحيل أمي، فيا من كانت أمه حيّة لم ترحل، اغتنم الفرصة وأحسن صحبة أمك، قبل أن تتفاجأ بفقدانها كما حدث معي.

بنت الخامسة والأربعين هل تشعر بقبلة أمها؟

عشت أيام طفولتي وشبابي مع أم عطوفة حنونة، ثم تزوجت والتحقت ببيت زوجي، لكن حنان أمي لم ينقطع، وبمرور السنين أصبح حنان أمي عادة، وذات يوم كنت في بيت والدي أثناء النهار وغلبتني عيني فنمت، ودخلت عليّ أمي فوجدتني نائمة دون غطاء، فغطتني وقبّلتني، هذه المرة بالذات شعرت بحلاوة قبلة أمي وشعرت بصفاء حنانها، وتعجبت كيف يحلو لي – وأنا بنت الخامسة والأربعين – أن أسعد بتلك القبلة وأستمتع بهذا الشعور، لقد اكتشفت أن قبلة الأم على الرأس والجبين جميلة جدًا، وسيشعر بحلاوتها الأبناء مهما كان عمرهم.

وعد أمي متى يتحقق؟

كان أكثر ما يميز أمي أنها حازمة في كلامها، صادقة في وعدها، وعندما كنت في الثانوية العامة؛ وعدتني أمي إن أنا نجحت بساعة غالية الثمن، وكم اجتهدت رغبة في تلك الساعة، وكنت مغرمًا بالماركات العالمية، لدرجة أنني كنت أقف أمام محلات بيع الساعات وأتأمل فيها كثيرًا وأتابع أحدث الماركات، لكن بعد الامتحانات وقبيل ظهور النتيجة حدث ما لم أكن أتوقعه، لقد ماتت أمي، رحلت وما زال وعدها لي في أذنيّ، لقد رحلت عن الدنيا قبل أن تنفذ وعدها الذي لم تخلفه معي يومًا، وكم كان يوم ظهور النتيجة صعبًا جدًا، ولأنني نجحت بتفوق كما وعدتها، فقد زرتها في قبرها يوم ظهور النتيجة لأنقل لها الخبر فتسعد في قبرها، اللهم أسعد أمي فإنها كانت حريصة على

سعادتي... أما أبي، فقد أكمل مسيرة الحنان بعد أمي، وكأنه شعر أنني بعد فقدانها بحاجة إلى ركن حنون آوي إليه، فكان - رحمه الله - كلما سافرت إلى الجامعة يدعو لي بالتوفيق، ومن أجمل أدعيته لي: «وزادك الله علمًا يا ولدي».

وباعت أمي ثوبها من أجلي:

كنت طالبًا في المرحلة الجامعية، وكانت حالتنا المادية صعبة للغاية، وذات يوم كنت أريد السفر لكليتي التي تقع في محافظة أخرى، وطلبت نقودًا من والدي فسكت، لقد سكت لأنه لا يملك نقودًا يعطيها لي، سكت والغصة في حلقه والدمع يكاد يفر من عينيه، وما كان من والدتي إلا أن قالت لي: انتظر لعل الله يفرجها، وغابت عن البيت نصف ساعة عادت بعدها بالنقود ووجهها متهلل يملؤه البشر، فقلت لها: من أين النقود؟ فقالت: لقد أفرجها الله تعالى، لا تحمل همًا، وفوجئت بعدها أن والدتي قد باعت ثوبها الجديد الذي لم تلبسه والذي أحضره لها ابن عمي من الكويت، ومع أن الزمان قد دار دورته وتحسنت حالتنا المادية جدًا، لكنني لم أنسَ لأمي موقفها هذا أبدًا، أعانني الله على برها وتعويضها عن سنين الصبر تلك.

أمي.. والبطة الحرام:

في المرحلة الابتدائية كنت مهتمًا بإسعاد أهلي وخاصة أمي، وكنت كثيرًا ما أفكر في كيفية إسعاد أمي،وذات يوم قررت أن آخذ لها شيئًا كهدية لتفرح بها، فأخذت بطة كانت على ترعة صغيرة قريبة من بيتنا، وعدت إليها قائلا: لقد وجدتها في البحر الكبير، وكان تيار الماء أيامها يحمل طيورًا من قرى مجاورة لنا لا نعلم أصحابها، وإن تركناها في الماء تموت، لذلك كان الناس يأخذونها ويعتبرونها حلالا، ولكن أمي لم تقبل مفاجأتي، وأصرت على أن أعود بها حيث وجدتها وأتركها هناك، لأنه لا يمكنها أن تترك في بيتنا شيئًا حرامًا، فأقسمت لها أنها حلال، لكنها أمرتني بإرجاعها حيث وجدتها، وتكاسلت في إعادتها حتى جاء الليل وعم الظلام ونام الجميع، وفي الصباح استيقظنا على خبر

حزين، لقد ماتت الجاموسة التي نملكها، فقالت والدتي على الفور: كل هذا بذنب البطة الحرام التي تركناها تبيت في بيتنا، وهبت واقفة وحملت البطه «الحرام» لتعيدها إلى مكانها بعيدًا عن بيتنا، ومن يومها تعلمت معنى طهارة البيت من الحرام، ومن يومها لم يدخل حياتي شيئًا فيه شبهة حرام، رحمك الله يا أمي فقد علمتني درسًا لن أنساه.

وظل الباب مفتوحًا من أجلي:

كنت في فترة المراهقة، وكنت كعادة كثير من الشباب غضوبًا ناقمًا على الأوضاع قليل الاحترام لوالديه، وذات يوم تشاجرت مع أبي لسبب تافه، لكنني أسأت الأدب معه، ولم أكتفِ بذلك بل قررت أن أترك له البيت وأرحل، وبالفعل أخذت ملابسي وغبت عن البيت شهورًا، وخلال تلك الفترة كان يخطر ببالي بيتنا وأبي وأمي وإخوتي، لقد ظننت أنهم استراحوا برحيلي ويعيشون الآن في سلام وأمان بدوني، وذات يوم تفاجأت بإعلان معلق في المدينة التي رحلت إليها، والإعلان يحمل صورتي ومكتوب تحتها، هذا ابننا ونحبه، فإن رأيتموه نرجوكم أبلغوه أننا نحبه ونرجو أن يعود لبيته، وإن كان قد حدث له شيء فهذا رقم تليفوننا فاتصلوا بنا، حينما قرأت تلك الكلمات شعرت كم كنت قاسيًا مع من أحب، إن أبي وأمي وإخوتي يحبونني هذا الحب ويكون جزاؤهم مني الهجر ونكران الجميل، وساعتها قررت العودة للبيت، وحملت حقيبتي وسافرت عائدًا لبيتي، ووصلت هناك ليلا، وفوجئت بباب البيت مفتوح،فظننت أن هناك مصيبة وأن هناك حدثًا غريبًا، فدخلت البيت، وتوجهت نحو غرفة أبي وأمي، فوجدتهما هناك نائمين، فأيقظتهما وكم فرحا بلقائي، فسألتهما عن سر هذا الباب المفتوح، فقالوا: هذا الباب لم يغلق من يوم أن رحلت، لقد خفنا أن ترجع يومًا فتجده مغلقًا فتظن أننا لا نريدك، لقد خفنا أن تأتي وترجع فتركناه مفتوحًا من أجلك، لقد تركناه مفتوحًا من يوم أن رحلت، ومن يومها وأنا أعرف معنى حب الأب ورفق الأم، وسأكون مجنونًا إن تركتهما ثانية ورحلت، ومرت السنون، ومات أبي وأمي، وأغلق بابهما، ولما فكرت في المسألة، وجدت أن هناك بابًا واحدًا لا يغلق، وهو باب الله تعالى.

حلوى أبي.. تحت الوسادة:

عندما كنت طفلة صغيرة - أي ٧ سنوات - كان والدي - رحمه الله - دائمًا يعود من عمله متأخرًا بالليل بعدما أنام أنا وأخوتي، وعندما نستيقظ صباحًا كان أول شيء نفعله هو أن نبحث عن الحلوى تحت الوسادة، فقد كان من عادة أبي أن يحضر لنا الحلوى البسيطة معه من عمله، وعندما يجدنا نائمين يضع لكل واحد منا الحلوى الخاصة به تحت وسادته، واستمر أبي يفعل تلك العادة الطيبة سنين، ومرت السنون وكبر الصغار وانطلق كل منهم يبني بيتًا جديدًا مع شريك حياته، وبعدما انتقلت لبيت زوجي كلما أرفع الوسادة لأنظفها؛ أتذكر حلوى أبي، ولا أنساه من صالح الدعاء.

أمي.. كيف ربت يتيمًا؟

والدي توفي ونحن صغار، فتكفلت والدتي بتربيتنا، وأتذكر لها - حفظها الله - عندما كنت بالمرحلة الابتدائية، وكنت أملك قلمي رصاص وأمي لا تعلم بذلك، وذات يوم تركت أحدهما في البيت وأخذت الآخر معي في حقيبة المدرسة، فرأته والدتي بارك الله فيها، حينها ظنت أنني نسيت قلمي، فما كان منها إلا أن أخذت القلم وجاءت به إلى المدرسة لتعطيني إياه، لقد قطعت مسافة كبيرة سيرًا على الأقدام لكي تعطيني القلم، ووقتها لم تكن هناك مواصلات، وكنا نذهب للمدرسة سيرًا على الأقدام مع التلاميذ الكبار في السن، لقد حملت أمي القلم وسارت ما يقارب الساعة لتعطيني إياه، فأشفقت على أمي كثيرًا وسألتها: لماذا سرت كل هذه المسافة وأتعبت نفسك لتحضري لي القلم؟ فقالت: «فعلت ذلك حتى لا تتعرض للمذلة وأنت تطلب قلمًا من زميلك، لم أرد يا بني أن تكون كسيرًا أمام أحد»، لقد جاءت أمي وأعطتني القلم حتى لا أكون اليد السفلى، وأعطتني مع القلم درسًا في الحب والاعتزاز بالأم، بارك الله فيك يا أمي ورفع قدرك في الدنيا والآخرة.

أب ٦٥ سنة.. يا ترى كيف يصالح ابنته الطبيبة؟

ذات يوم عندما كنت في الفرقة الثالثة بكلية الطب بشري كنت جالسة أذاكر، وحدث موقف من أحد إخوتي ضايقني بشدة، فتركت المكان حزينة وذهبت إلى الطابق الثاني من منزلنا، وأخذت أصلي ركعتين بنية الحاجة ولعل الله تعالى يفرج همي، ففوجئت بوالدي - رحمه الله وكان في سن الـ ٦٥ من عمره - ومع مرضه الشديد يصعد خلفي ويقف ينتظرني حتى أنهي صلاتي، ولما سلمت وجدته متعبًا جدًّا لدرجة أنه لم يستطع الوقوف فجلس خشية أن يقع، ولما وقعت عينه في عيني؛ ابتسم وقال لي: ابنتي حبيبتي لا تحزني (متزعليش)، هدئي أعصابك بهذا الآيس كريم، وناولني إياه، وهنا فوجئت بما فعله أبي، لقد خرج إلى السوبر ماركت رغم سنه الكبير ومرضه الشديد ليشتري لي الآيس كريم الذي أحبه؛ حتى يفرج عني همي ويزيل عني غمي، لقد هزني ما فعله أبي وأنساني ما كنت فيه، فحب الأب ولمسته الحانية كفيلة بإزالة أصعب الهموم.

والدي.. والكوفيّة الصوف:

كنت في المرحلة الابتدائية، وكان البرد في مدينتنا شديدًا جدًّا، ومع بداية العام الدراسي فوجئت بمعظم زملائي يرتدون الكوفيّة الصوف، يلفونها حول رقابهم لتحميهم من البرد، فعدت وطلبت من والدي «كوفيّة» مثل زملائي حتى تحميني من البرد، فوعدني أبي بشراء واحدة عندما يمرّ بالمحلات التي تبيعها، وقضيت بقية هذا اليوم في اللعب مخلوطًا ببعض المذاكرة، ونمت باكرًا، وعندما فتحت عينيّ صباحًا فوجئت بشيء قد وُضع عند رأسي، إنها الكوفية التي طلبتها من أبي وباللون الذي أحبه، فقمت مسرورًا جدًّا وأسرعت نحو أبي لأقبّله وأشكره، فابتسم لما رآني وقال: لقد ذهبت لشرائها دون أن

تعلم لتكون مفاجأة، لكنني لما رجعت وجدتك قد نمت، فوقفت بجوارك محتارًا في أمري، فأنا لا أريد أن أوقظك من نومك فأزعجك، وفي الوقت نفسه أريد أن أسعدك بإعطائك الكوفية التي طلبتها، فاخترت أن أضعها عند رأسك لتكون أول شيء تراه عندما تفتح عينيك في الصباح، ثم قال: يا بني، عندما تطلب مني شيئًا - أستطيع فعله - لا يمكن لقلبي أن يتأخر عنك، فقلبي يحبك... لقد كان أبي فعلًا يشتري لي كل ما أحتاجه دونما تأخير وبلا إسراف، لم يكن من نوع الآباء الذين يؤخرون الواجبات حتى تصبح ملحات، ولم يكن من نوع الآباء الذين يضعون أبناءهم في مرتبة ثالثة أو رابعة في حياتهم، ومع ذلك فإنني لم أحتفظ بشيء مما اشتراه لي أبي من ملابس وأشياء، فقد كان شراؤها كليها في نظري طبيعيًا جدًا، فهذا أب يشتري لابنه وواجب عليه أن يفعل ذلك، غير أن الكوفية كان لها شأن آخر، لقد احتفظت بها سنين، واستمتعت بلبسها طويلا، وكلما لبستها شعرت بيد أبي الحانية تحوطني بالحنان، ودعوت له بالمغفرة.

أبي.. وطريق المعهد الأزهري:

فكر والدي يومًا أن يحولني من التعليم العام إلى التعليم الأزهري، وذلك في المرحلة الابتدائية، فأخذني ليشاور مشايخ قريتنا، وكان يأخذني في كل مشورة، وذلك حتى أسمع الآراء بنفسي وأشاركه في اتخاذ القرار، ولما قررنا التحويل من المدرسة إلى المعهد الأزهري، أخذني معه قبل الدراسة بأيام إلى المعهد، وكانت المسافة بين بيتنا والمعهد حوالي ٢ كيلو ونصف، وجعل أبي لا يمر بوجيه في الشارع أو صاحب محل تجاري أو أحد يعرفه؛ إلا وقف معه وعرّفه بي وقال: سيمر عليك ابني هذا في طريقه إلى المعهد الأزهري يوميًا، فاستوصِ به خيرًا، وبعد انتهائنا من هذه الجولة قال لي أبي: أتدري لم أفعل ذلك؟ فقلت: لا، فقال: لتستأنس في الطريق ولا تستوحش، ولكي تشعر أن كل من تلقاه في الطريق معارف وأصدقاء، وهذا بالفعل ما حدث، فكنت أمر على الناس الذين عرفني أبي بهم وأسلم عليهم جميعًا ويسلمون عليّ بحب، وهذا ما جعلني سعيدًا جدًا بالذهاب والعودة من المعهد الزهري، ومرت السنون، وأصبحت بفضل الله من شيوخ الأزهر المرموقين، كل

هذا لأن لي أبًا أحبني بصدق، وفكر في مصلحتي وشاورني وشاركني في التخطيط لمستقبلي بحكمة، رحمك الله يا أبي.

حفلة منزلية.. ونحن الضيوف:

لما أنهيت دراستي في الكلية وحصلت على الشهادة الجامعية، فرح أبي بشدة وقال: هيا جهزوا عشاء فاخرًا جدًّا، لأنني سأعزم أناسًا مهمين جدًّا عددهم سبعة، وذلك بمناسبة حصول ابنتنا على الشهادة الجامعية، كم كنت سعيدة أن أبي سيحتفل بنجاحي، وبالفعل جلسنا جميعًا نصنع الطعام ونجهز الحلويات وننظم البيت، وبعد صلاة العشاء عاد والدي ليجد المائدة جاهزة ونحن نلبس أجمل ملابسنا لاستقبال الضيوف، لكننا وجدناه قد عاد بمفرده وأغلق الباب، فقلنا: أين الضيوف؟ فقال: أنتم عددكم سبعة، وأنتم ضيوفي الليلة، ألا تستحقون ذلك؟

نجاح.. وأبوه.. واللبس الجديد:

كنا في الصف الرابع الابتدائي، وكنت من المتفوقين في مدرسة قريتنا، فتقرر أن يزور عدد من تلاميذ مدرستنا تلاميذ مدرسة أخرى في المدينة، فبدأ المدرس يختار من سيشرّفونه في تلك الزيارة، وتوقعت طبعًا أن يختارني، لأنني كنت من المتفوقين، لكنه لم يفعل، إذ كان أساس الاختيار الظالم عند هذا المدرس هو المظهر، لذلك فقد اختار التلاميذ ذوي الملابس القيمة، وكانت ملابسي بسيطة جدًّا نظرًا لحالنا الفقير، لقد عدت يومها من المدرسة مهزومًا كسيرًا، وجلست في أحد أركان البيت مهمومًا حزينًا، فلما رآني أبي على هذا الحال سألني عن الخبر، فقصصت عليه ما حدث، فربَّت على كتفي وقال لي: يا نجاح، أنت ولد طيب ومتفوق، وكان من حقك أن يختارك المدرس دون غيرك، لكنني لن أتركك حزينًا، عمك قدم من ليبيا بالأمس، فاذهب إليه وقل له، يقول لك والدي: أحضر لي زيًّا كاملا: قميصًا وبنطلونًا وحذاء، وفعلت ما قاله والدي، وقد أحسن عمي استقبالي ونفذ وصية أبي، وفي صباح اليوم التالي كنت في المدرسة من أبهى الأولاد ملبسًا،

فغيّر الأستاذ رأيه واختارني للزيارة لما رأى حالي الجديد، رحمك الله يا والدي إذ لم تقبل أن تراني كسيرًا في لحظة من اللحظات، لقد كانت هذه الأزمة كفيلة بهزيمة طفل صغير مثلي، لولا أن الله تعالى جعل أبي يفهم حالي ويشاطرني همومي، ومن يومها تعلمت أمرين: أن اسأل عن حال أولادي في المدرسة دومًا، وأتلطف مع الحزين منهم وأرشد الحيران وأساعد الضعيف، أما الأمر الثاني الذي تعلمته من موقف أستاذي - سامحه الله - فهو: ألا أحكم على أحد من خلال لبسه أبدًا.

وعلى باب المدرسة.. بكى أبي:

عندما كنت في الصف الأول الابتدائي، كانت مدرستنا «مدرسة البنات» بعيدة جدًّا عن قريتنا، فكانت أمي تذهب معي صباحًا، أما أبي فكان يعود معي بعد نهاية اليوم الدراسي وذلك في طريق عودته من العمل، وذات يوم سافر أبي خارج البلدة، واعتقد أن والدتي ستأتي بي من المدرسة، وفي الوقت نفسه ظنت والدتي أنه سيرجع من سفره مبكرًا وسيحضرني معه، ولم يكن في أيامها هواتف محمولة، لقد عاد أبي يومها من سفره قبيل المغرب دون أن يمر على المدرسة، وحين وصل إلى المنزل سأل عني، فإذا بأمي تقول: أنا لم أحضر البنت لأنني ظننتك ستأتي بها في طريق عودتك، فجرى والدي مسرعًا نحو مدرستي، وكان الوقت ساعتها متأخرًا جدًّا كنا المغرب تقريبًا، وحضر أبي ليجدني جالسة وحدي على باب المدرسة أنتظر من يأتي، وما إن وقعت عينه في عيني حتى انهمرت دموعه، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا في حضنه الحاني، واليوم بعد مرور السنين أتذكر دمع أبي على باب مدرستي، فأبكي شوقًا لحضنه الدافئ...

أبي تاجر البهائم.. كيف ربّاني؟

توفيت أمي ونحن براعم صغار، واجتهد أبي في تربيتنا رغم عمله الشاق، فهو فلاح بسيط ويعمل بتجارة البهائم (المواشي)، وذات يوم حدثت مشاجرة بالأيدي بيني وبين أخي، وكنا حينها في المرحلة الإعدادية، وعندما عاد والدي للمنزل وعلم بالخبر، فلم

يكلمنا ولم يضربنا؛ لكنه أخذنا إلى الحقل على الرغم من أنه لا يذهب إليه أبدًا لانشغاله بالتجارة، وأقسم أننا لن نعود إلى المدرسة بعد اليوم وسنعمل في مهنة الزراعة، فبكى جدي حينها - رحمه الله - بدموع صامتة، وعلى الرغم من ذلك بدأ أبي في تنفيذ وعيده، وأمرنا بقلع مساحة كبيرة من نبات (اللفت) من الأرض، وبدأنا في تنفيذ أوامر أبي صامتين وأحدنا ينظر إلى الآخر وعينه تقول: يا ترى ماذا ينوي أبي أن يفعل؟ وفي آخر النهار وبعد رحلة من العناء أمرنا أبي أن نجمع ثمار اللفت التي خلعناها ونضعها في العربة التي يجرها الحمار، فأطعناه رغم ما بنا من تعب، وامتلأت العربة عن آخرها، ثم أمرنا بتوزيع «اللفت» على أقاربنا، وفي الليل بعد انتهاء المهمة الشاقة، جلس أبي معنا وقال: ما فعلتماه مع بعضكما من شجار بالأيدي ليس ما يفعله أصحاب العقول، الجهلاء فقط ينهون خلافاتهم بالأيدي، والعقلاء ينهون خلافاتهم بالحوار والاتفاق، ومن يومها لم يحدث أي شجار بيني وبين أخي، وعشنا بوصية أبي ندير خلافاتنا بالحوار والنقاش مع بعض الصراخ والتوبيخ؛ دون اللجوء للأيدي، كل هذا خوفًا من تكرار تجربة العمل في حقل أبي، ومرت السنون سراعًا، وأصبحت أنا مهندسًا بينما أصبح أخي أستاذًا بكلية الهندسة، واليوم نحن ندعو لوالدنا لأنه سقانا من حنانه رغم طبيعة تجارته القاسية، وبالرغم من أنه لم يكن يجلس معنا كثيرًا إلا أننا كنا نشعر أنه يتابع كل صغيرة وكبيرة من شئون حياتنا، لقد كنا نشعر بحبه وحنانه في المواقف الحرجة التي نحتاجه فيها بجوارنا...

برد الشتاء يذكرني دومًا بأمي:

منذ طفولتي كانت أمي تهتم بتدفئتي في أيام الشتاء، وفي المرحلة الثانوية والجامعية وحتى قبيل زواجي لم تترك عادتها الطيبة، لقد كان لها لمسة حانية وطريقة خاصة في تجهيز البطاطين واللحاف، فقد كانت تجهزها لي بطريقة رائعة بحيث أدخل فورًا على السرير بعد عودتي من الخارج، وبحركة واحدة أكون داخل اللحاف والبطاطين؛ لأشعر بدفء وسعادة لا توصف، هذه اللمسة البسيطة جعلتني أدعو لأمي كل ليلة، والله لقد بذلت معنا كثيرًا وتعبت من أجلنا طويلا، لكن لمسة الحب هذه لا أنساها أبدًا مهما طال بي العمر.

ألا تريد أن يرضى عنك قلبي قبل أن أموت؟

توفيت أمي وأنا في الصف الثاني الثانوي، وقبل وفاتها بأيام وفي مرضها الأخير نادت عليّ حتى أناولها دواء تحتاجه أو أفعل لها شيئًا تريده، لكنني للأسف لم أجبها، فنادت بصوت أعلى لعلني أسمعها، فسمعتها ولم أجبها، لقد نادت عليّ كثيرًا بصوت يغلبه ألم المرض، لكن لا أدري لماذا فضلت ما أشاهده أو ما أسمعه على نداء أمي، ومع تكرار ندائها ذهبت إليها لكن بعد فترة من الزمن، فقالت لي: ألا تريد أن يرضى عنك قلبي قبل أن أموت؟ لقد هزتني كلماتها فبكيت، وارتميت في حضنها وقلت لها وأنا أبكي: أريدك أن ترضي، أريدك أن ترضي، وبالفعل انصلح حالي معها أيامها القليلة الباقية، وظللت في خدمتها وتحت قدميها أفعل ما تريد، ودخلت على أمي يومًا فناديتها فلم تجبني، ناديتها بصوت أعلى، هززتها حتى ترد، لكنني لم أتلق إجابة غير الصمت، وأفقت على الحقيقة المرة، لقد رحلت أمي عن الدنيا، وأرجو من الله تعالى أن تكون قد ماتت وقلبها راضٍ عني.

وبعد الجامعة جاءني أبي معتذرًا:

كان أبي بخيلًا جدًا، وذات يوم وأنا في الصف الأول الإعدادي وقعت في أحد الأخطاء في غيابه، وترعدتني أمي أنها ستقول لأبي وسيفعل كذا وكذا، ولأنني أخاف غضب أبي؛ فقد دخلت غرفتي قبيل مجيئه وتظاهرت بالنوم حتى لا أواجهه عندما يصله الخبر، ولقد عاد أبي بسلام، وأخبرته أمي كعادتها سريعًا قبل أن يستريح، فسمعته يقول: «إنني أثق في ابني ولا أتوقع منه أن يفعل ذلك»، لا أدري هل كان أبي يعلم بوجودي في الحجرة ساعتها أم لا، المهم أن كلماته البسيطة أثرت فيّ جدًا وكانت نقطة تحول في حياتي، ومرت السنون، وتخرجت من الجامعة، وذات يوم جاء والدي ليحكي لي موقفًا رآه، لقد رأى أمام المدرسة آباء وأمهات ينتظرون أبناءهم بعد خروجهم من امتحان شهادة دراسية ومعهم طعام وشراب، جاءني أبي ليحكي لي هذا الموقف، وليعتذر عن أنه لم يفعل ذلك

معي طيلة حياته ولو مرة واحدة، لقد قال لي: سامحني يا بني فلم أكن أعرف أن ذلك يحدث، ولو علمت أن الآباء يفعلون ذلك ما حرمتك منه، ثم دمعت عيناه.

قلب أبي أكثر حبًا من قلبي:

بعدما تزوجت وانتقلت إلى بيت زوجي، كنت يوميًا أذهب إلى البيت والدي لأطمئن على الوالد والوالدة لكبر سنهما، وعندما كان يتعذر عليّ الذهاب إليهما بسبب كثرة المشاغل، كان الوالد – رغم كبر سنه – يأتي هو إلينا ليطمئن علينا، وليعرف سبب عدم ذهابي إليه، ولم يكن أيامها تليفونات أو هواتف محمولة، والموقف الذي لا أنساه: أنني ذات يوم لم أستطع الذهاب إلى والديّ بسبب شدة المطر، وكانت المفاجأة أن والدي هو من جاء إلينا مع هطول الأمطار وصعوبة الحركة وظلمة الطريق، وجاءني أبي مبلل الثياب وعليها آثار الطين، ولقد دخل عليّ يومها مبتسمًا رغم التعب، لقد استصعبت أنا الذهاب إليهم، لكن الحب الشديد حرك قلب والدي؛ فأتى لرؤيتنا رغم الصعاب.

والدي والـ ٢٠٠ جنيه:

في عام «١٩٨٠ ميلادية» كنت مسافرًا إلى بلد عربي، ولم يكن لي في مصر حينها أي عمل، وطبعًا كنت أحتاج لنقود لآخذها معي، ولم أكن أدري ماذا أفعل، وعند سفري فوجئت بوالدي – رحمه الله – يعطيني ٢٠٠ جنيه والدموع في عينيه وقال لي: هذا ما استطعت تدبيره لك، لا زلت أشعر بلمسة يده حينما وضع النقود في يدي، وبعدما سافرت أرسل لي والدي شريط كاسيت – أحتفظ به حتى الآن – يقول فيه: ليتني كنت أملك المال الذي يغنيك عن السفر، وأنا لا أريد منك أي نقود على الإطلاق حتى الـ ٢٠٠ جنيه، وأن كل ما تدخره في هذه الرحلة هو لك، ولا أريد منك شيئًا، أتذكر ذلك دائمًا، وأدعو له بالرحمة والمغفرة، والعجيب أن هذا المبلغ ظل معي لم أقتطع منه شيئًا إلى أن عدت من سفري، فياترى هل يمكنني تعويض أبي عن بعض ما فعله معي؟

لله يا ابنتي:

كانت أمي سيدة طيبة رقيقة القلب، كانت كلما فعلت شيئًا وسألتها: لماذا فعلت هذا؟ تقول: لله يا ابنتي، وإذا أعطت مسكينا سألتها: لماذا؟ قالت: لله يا ابنتي، وإذا أقرضت جارتنا سألتها: لماذا؟ قالت: لله يا ابنتي، وإذا زارت مريضة سألتها: لماذا؟ تقول: لله يا ابنتي، وكنت وقتها صغيرة لا أدرك سوى أن ما فعلته أمي شيء طيب وفقط، لم أكن أدرك معنى هذا الإله الذي تعمل من أجله أمي، ودارت الأيام وكبرت قليلا، وربما رويدًا بدأت أفهم كم هو عظيم ربنا الذي تجتهد أمي في رضوانه وتسعى لغفرانه، وأدركت أنها كانت تعطي لله وتمنع لله وتكرم الضيف لله وتصنع الطعام لله، لقد كانت حياتها كلها لله، والله عمري الآن ٤٧ سنة ولا زالت أرددها الصبية أمام ناظري وكأنها بأذني «لله يا ابنتي»، وهكذا تعلمت من أمي كيف تكون حياتي كلها لله، ورحلت أمي عن الحياة ولم تتوقف أعمالها الطيبة، فقد تركت بنتًا تدعو لها صباح مساء وهي تعمل لله، لكن هذه المرة لله يا أمي.

ليت القيامة تأتي حتى أقابل أمي:

يحكي لي أحد الآباء والدموع تترقرق في عينيه والكلمات تتلعثم بين شفتيه فيقول: التحقت بدراستي الجامعية بمدينة الإسكندرية، وكنت أحتاج في الأسبوع ٢٠ جنيها لأنفق على مسكني وطعامي وشرابي ودراستي، وكان والدي لا يستطيع أن يوفر لي هذا المبلغ أو حتى جزء منه، بسبب أعبائه الأخرى مع إخوتي، فكانت أمي تعمل طوال الأسبوع في صناعة الأوعية من الخوص (القفف)، وتدخر لي ثمنها، كما تدخر لي بعض الدجاج وتبيعه وتعطيني الثمن، بل إنها كانت تلجأ للصيام حتى توفر لي نصيبها من الطعام لتساعدني به، ومرت السنون ثقيلة بطيئة وأمي صابرة محتسبة، وتخرجت بتفوق وكم فرحت لفرح أمي، وشعرت أن وقت رد الجميل قد حان، وسأريح أمي قدر الإمكان بل فوق الإمكان كما فعلت معي، وبعد أيام بسيطة من تخرجي بتفوق حدثت لي

أكبر صدمة في حياتي، لقد ماتت أمي، ماتت بعد أيام من تخرجي، لم تكد تفرح حتى بنجاحي، ولم أستطع رد جميل يوم واحد من أيامها معي، لم أستطع أن أعوضها عن أيام الجوع والصبر والحزن الذي تحملته من أجلي، أدعو الله أن تكون قد فرحت هناك في الآخرة، والله دائمًا أشعر – مع دعائي الدائم لها – بالتقصير نحوها، وهذا ما يسبب لي ألمًا شديدًا، أتمنى أن أراها في المنام وهي راضية عني، وأتمنى أن تأتي القيامة سريعًا لأقابل أمي هناك على خير...

نظرات أبي الأخيرة:

كنت أصغر أخواتي فنحن خمس بنات، وكان أبي يعاملني معاملة خاصة، كان – رحمه الله – يحبني كثيرًا، وعندما تزوجت بكى لفراقي، فأنا كنت آخر بنت حنون تفارق بيته، ولن أنسى آخر لقاء بيني وبين أبي قبل وفاته، فقد كنت أزوره ذلك اليوم في بيته، كان في صحة جيدة وصعد السلالم ليرى شيئًا فوق السطح، وعلى السلالم فاجأه الأجل، فنظر إلي نظرة عميقة ولوح لي بيديه على سبيل الوداع، وكنت حينها أحمل ابني على يدي فقال: خذي بالك من ابنك ومن نفسك، وسقط... لن أنسى أبدًا تلك النظرة المليئة بالرحمة والحب والحنان، هذه النظرة الأخيرة لا تفارق ذهني أبدًا، رحمه الله وغفر له ووسع له في قبره...

هل عندكم مشروع إيماني كبير؟

منذ طفولتي كان والدي يأخذني معه ما أمكنه ذلك، وكان يحرص على صحبتي في أعمال الخير، وأكبر حلة عمل خيرية عشتها مع أبي كانت رحلة بناء مسجد قريتنا الكبير، كنت حينها في المرحلة الابتدائية، لقد كنت أرافق أبي في جلسات التشاور مع فاعلي الخير، وحضرت معهم الاتفاق على بناء المسجد، وعايشت مع أبي جمع الأموال والتبرعات، واشتركت مع أبي في الإنفاق على أعمال البناء، كنت ألاحظ دقته في تسجيل التبرعات وفصلها عن أمواله الخاصة، كان يسجل كل شيء يجمعه أو ينفقه، وذلك في كشكول

سميته أنا «كشكول المسجد»، كم كنت سعيدًا بالسير معه ومصافحة الناس والجلوس بين الكبار، ومرت السنون وبني المسجد كأحسن ما يكون، وعمره المصلون والعاكفون، وازدحمت جنباته بالراكعين والساجدين، وفجأة رحل أبي واختفى من بين الجموع، رحل أبي عن الحياة لكن أفعاله لم ترحل، فكلما دخلت المسجد تذكرته، فلنا معًا في كل ركن من أركانه ذكرى لا تُنسى، والآن أسأل نفسي: يا ترى ما هو المشروع الخيري الكبير النافع للناس الذي سأشترك فيه مع ابني أو أبنائي وبناتي؟ ما أجمل أن تكون أنت وابنك مثل سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - وتبنيا معًا لله بيتًا، ويكون هذا هو مشروعكما الإيماني الكبير.

المعصية... ونظرات أمي الحانية:

رأتني أمي ذات يوم وأنا أفعل معصية، لقد رأتني متلبسًا بكل معنى الكلمة، فتوقعت منها ضربًا وصراخًا وهياجًا، خاصة أنها سيدة عابدة صالحة تخشى الله تعالى، لكنها نظرت لي نظرة رحيمة حزينة معاتبة، وتركتني ولم تكلمني أو تفضحني، بل إنها لم تسألني عما كنت أفعل، ولم تعاتبني، لقد كان صمتها أبلغ من كلامها، هذا الصمت أقوى من ضرب السياط وتقطيع السكاكين، لقد قالت نظراتها ما لا تستطيع الألسنة قوله، لقد قالت: ما هكذا ربيتك، ابني لا يفعل ذلك، كنت أظنك أفضل من ذلك، كنت أحسبك طيبًا، كل هذا وغيره كثير قالته أمي دون أن تنطق، وبفضل الله تعالى أقلعت عن تلك المعصية ولم أفعلها بعد ذلك، وكلما تذكرت هذا الموقف أقول لنفسي: لقد كان تصرفًا حكيمًا جدًّا من أمي، فلو أنها صرخت أو شتمت أو غير ذلك، ربما كنت عاندتها وقلّت هيبة المعصية في قلبي وتجرأت عليها، ومن يومها كلما هممت بمعصية تذكرت نظرة أمي، فأدعو لها بالرحمة والمغفرة، وكم عصمني الله عن كثير من المعاصي بسبب هذه الأم الطيبة وبسبب تلك النظرة الحانية.

أمي.. والكتاكيت العشرة:

تزوجت منذ سبعة وعشرين عامًا، وبعد فترة من الزواج أكرمني الله بالحمل، فعمت الفرحة بيتنا وظللنا ننتظر المولود الجديد، فهذا يسأل عن اسمه إن كان ولدًا أو بنتًا، وذاك يدعو لي وله بالصحة والعافية، وعلى مدار تسعة أشهر عشت خليطًا من التعب والسعادة؛ إلى أن حانت اللحظة المنتظرة وتهيأ الجميع لاستقبال طفلنا الوليد، وكم صدمت أنا والجميع عندما ولد ابني ميتًا، ولقد أصابني الهم والحزن والغم، وهنا تدخلت رحمة الله على يد والدتي الحبيبة، لقد قالت لي حينها: سأشتري لك بجنيه كتاكيت لتربيها، وكان في ذلك الوقت منذ حوالي ٣٠ سنة العشرة كتاكيت بجنيه، وفعلا أعطتني إياهم وبدأت رحلة التربية «تربية الكتاكيت»، وفرّغت مع الكتاكيت طاقة الأمومة المكنونة بداخلي، وكان من طبع الكتاكيت أن الضعيف منها يموت سريعًا، فكنت كلما مات كتكوت أخبر أمي، فتقسم أن تعطيني بدلا من الكتكوت الميت اثنين أحياء تشتريهما، لم أكن أدرك حينها هدف أمي، لكنه بفضل الله تحقق، فلقد كانت تربية الكتاكيت عونًا لي على الصبر، وفرج الله بها الكثير من همي، وشغلت بعض وقتي ودفعتني للتأمل في هبة الحياة وعظة الموت، وسبحان الله فقد كانت أول وآخر مرة أربي فيها طيورًا في بيتي، ومرت السنون، ورزقني الله بنين وبنات، وكلما نظرت إليهم تذكرت كتاكيت أمي العشر، ودعوت لها بالرحمة والمغفرة، وكثيرًا ما أحكي تلك القصة لأبنائي ونختمها بالدعاء لأمي.

أبي يحبني أكثر من زجاج الشباك:

والدي - رحمه الله - كان يتغافل عن أفعالنا كثيرًا ونحن صغار، وذات يوم كسرت زجاج الشباك، وجلست في حجرتي حزينًا؛ لأن والدي عندما يأتي من عمله ويعلم بالخبر، سيحزن لأننا فقراء، وعندما حضر والدي من عمله، اشتكت له والدتي مما فعلته، فنظر نحوي وقال بابتسامة صافية جميلة: سبحان الله، الهواء كان شديدًا لهذه الدرجة؟ أسأل الله أن يكون الهواء رفيقًا في المرة القادمة، وسكت أبي، ووصلتني الرسالة، وصلتني رسالة أن أنتبه فيما بعد، ومن قبل ذلك وصلتني من والدي رسالة أهم، وهي أنه يحبني وأنني عنده أهم من زجاج الشباك.

كيف أترك بصمة حب في قلب أبي؟

بعد انتهائي من الدراسة الجامعية التحقت بالجيش، وبعد انتهاء إحدى الإجازات اضطررت للسفر قبل الفجر، وكانت المسافة بين بلدتنا ومحطة القطار حوالي ٣ كيلومترات، ولا توجد سيارة، وعليّ أن أمشي حتى المحطة، فضبطت المنبه واستيقظت في حوالي الثالثة صباحًا، وتجهزت وهممت بالخروج من البيت حذرًا ألا أوقظ أحدًا، وعلى باب البيت فوجئت بأبي جالسًا، لقد استيقظ قبلي وينتظرني ليوصلني إلى المحطة ويسير معي تلك المسافة، فطلبت منه أن يتركني لأذهب بمفردي ويجلس هو مستريحًا فرفض، فمشينا معًا خطوات وأحسست أن المشوار طويل عليه، فحاولت معه أن يرجع فرفض، فمشينا خطوات أخرى وزدت في إلحاحي عليه بالرجوع، فالطريق آمن ولا خوف علي إن شاء الله، وبعد محاولات وترجٍّ وافق أخيرًا ورجع، وسرت وحدي في هدأة الليل، وفي منتصف الطريق سمعت خلفي صوت رجل يسعل، عرفت الصوت حينها، إنه أبي خاف عليّ أن أمشي وحيدًا، فسار خلفي حارسًا لي دون أن أشعر، إن قلب الأب منعه أن يتركني أن أمشي وحدي، لكم شعرت حينها بصدق محبة أبي، ولقد بقي هذا الموقف بصمة محبة في قلبي لا يمحوها الزمن، ومن يومها قررت أن أرعى أبي كما يرعاني، لكنني سألت نفسي: كيف أترك بصمة حب في قلب أبي كما فعل معي؟

أبي.. وسؤال العشاء اليومي:

كان أبي مقتنعًا أن أكبر خطأ يمكن ارتكابه هي الذهاب إلى السرير دون أن نكون قد أضفنا إلى معلوماتنا شيئًا جديدًا خلال اليوم، كان أبي دومًا يقول: «اليوم الذي لا أزداد فيه علمًا لا أعده من عمري»، وكان أبي يكرر هذا الشعار كثيرًا، حتى إنه أصبح جزءًا من تركيبنا العقلي والنفسي، وبما أن وقت العشاء هو وقت تجمع العائلة ولا يتغيب عنه أحد إلا للضرورة القصوى، فكان يعد اجتماعًا مثاليًا لاقتسام المعلومات الجديدة التي تعلمناها في كل يوم، ولذلك قام أبي بابتكار تقليد خاص بعشاء أسرتنا، فكان سؤاله الدائم على كل عشاء: «ماذا تعلمت اليوم؟»، ويثني على الجميع ويشجع ويمدح ويبتسم ويمرح،

وبالطبع كنا نستعد لهذا السؤال بشيء من الفرح والضيق، وتكررت هذه التجربة يوميًا ولسنين كثيرة، لم يمر علينا عشاء دون أن نتعلم خلاله عدة حقائق، كان أبي دون أن يدري يمنحنا شعورًا بالكرامة، وذلك عن طريق استماعه لنا واحترامه لآرائنا، ومرت السنون، ورحل أبي عن الحياة لكن تجربته لم ترحل، فبعد مرور تلك السنين عندما أعود للمنزل مجهدًا في أغلب الأحيان بعد يوم عمل شاق؛ وقبل أن أضع رأسي على الوسادة، أسمع صوت أبي يدوي بوضوح في الغرفة وهو يسألني: «ماذا تعلمت اليوم؟» فأفكر دقائق فيما تعلمته اليوم وأردده مع نفسي، وفي بعض الأيام لا أتذكر جديدًا تعلمته، فأنهض نحو الكتب لأقرأ شيئًا جديدًا، وحينها فقط أتمكن من النوم، وأنا أشعر أن أبي راضٍ عني، وأنني بدوري راضٍ عن نفسي، فقد تعلمت اليوم جديدًا.

أم.. وبنتان.. ونصف فدان:

والدتي - رحمها الله تعالى وأدخلها فسيح جناته - هي أم لأربعة ذكور وبنتين أنا واحدة منهما، عاشت أمي مع والدي ٤٠ سنة كلها عناء وشقاء، فقد نشأنا في قرية ريفية لا يهتم رجالها كثيرًا بقيمة المرأة ولا بحق البنات في التعليم، وكان هدف أمي الأول هو تعليم بنتيها، فتحملت زواج والدي - الله يرحمه ويسامحه - عليها من امرأتين غيرها، ولم تترك البيت، بل تحملت الضر والمر من أجلنا، وكثر عدد إخوتي حتى صرنا ستة عشر أخًا وأختًا، وكان شرط أبي على زوجاته أن من ترغب في تعليم ابنتها فلتنفق هي على تعليمها، فباعت أمي ذهبها لتعلمنا، وورثت من أبيها نصف فدان من الأرض الزراعية، أعطته لوالدي مقابل تعليمنا أنا وأختي، والله لم تأخذ من ميراثها حتى قطعة قماش أو كسرة خبز، لقد أنفقته عليّ أنا وأختي حتى نتعلم، وصرنا بفضل الله مدرستين والحمد لله، وقرت بنا عينها، فعلت أمي ذلك مع أنها كانت أمية لم تكتسب علمًا في مدرسة، ولم تقرأ حتى في كتاب، لكنها بفطرتها النقية وقلبها الصافي كانت تحمل الحب والعلم معًا، رحمها الله رحمة واسعة وجزاها الله عنا كل خير.

قراءة التشهد في المنام:

عندما كنت صغيرًا كانت أمي تعلمني الصلاة، ومن تمام الصلاة أن تعلمني "صيغة" التشهد وتساعدني على حفظها، وكان حفظ التشهد بالنسبة إلي صعبًا جدًا، حتى إنني نمت منها ذات مساء وهي ترده معي، وعندما استيقظت من النوم أخذتني أمي بالأحضان وهي فرحانة وقالت: لقد قرأت التشهد كاملا وبصورة صحيحة وأنت نائم، ومن يومها ولي مع التشهد حال خاص.

ومن يومها لم يتحسن خطي:

كنت طفلًا في المرحلة الابتدائية، وكان خطي في الكتابة سيئًا جدًا، وكان لي صديق خطه جميل، وذات يوم جاء صديقي هذا عندنا ليذاكر معي، وبينما نحن نكتب واجباتنا دخلت علينا أمي، ونظرت في كراسة زميلي وكراستي، وقارنت بين خطي وخطه، وكانت المقارنة ظالمة، لم تتكلم أمي وظننت أنها جاءت لتطمئن علينا وترحب بصديقي، لكنها فجأة وبلا مقدمات لطمتني على وجهي بشدة وهي تقول: هل ترى خطك السيئ؟ ألا يمكنك الكتابة مثل خط زميلك الجميل؟ فارتعبت وسقطت على الأرض، لا أدري هل من شدة الضربة أم من هول المفاجأة، لقد انكسرت يومها أمام صديقي، ومن ساعتها خطي أصبح أكثر سوءًا، ورغم كل محاولاتي لتحسينه على مدار عشرين سنة بعد ذلك، إلا أنه ظل سيئًا حتى يومنا هذا، لست أدري هل هذا كله بسبب لطم أمي لوجهي؟ الله أعلم، كما أنني لست أدري هل سامحت أمي؟ الله أعلم.

رسب أخي.. فصنع أبي له وليمة:

كنا في المرحلة الإعدادية، وبعد نهاية العام الدراسي ظهرت النتيجة، وكم كان خبرًا حزينًا عندما علمت أن أخي رسب بينما نجح باقي زملائه الذين في شارعنا، هكذا يتعب الناس أنفسهم دومًا بالمقارنات، وكم أتعبت من نفوس وأرهقت من قلوب، وكان أخي

بالطبع حزينًا وخائفًا من رد فعل والدي عندما يصله الخبر، وجلسنا ساعتها في البيت ننتظر قدوم العاصفة، وقطع صمتنا جرس الباب، ودخل أبي، وأخبرته أمي بالخبر، فقام فجأة وتوجه نحو أخي (الراسب) وأمسك به واحتضنه، نعم أخذه في حضنه، وقال له: يابني، أنا أعلم أنك حزين، لكنك ذاكرت وفعلت ما عليك، وعلى المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وأنا على يقين أنك ستذاكر بعد ذلك أفضل، ولن تجعل أباك يبدو صغيرًا بين الناس أبدًا، ثم صنع لأخي وليمة، نعم صنع له وليمة مواساة، كأن أبي يقول لأخي بهذه الوليمة: أنت أهم عندي من النتيجة، وحبي لك لن يتوقف مهما حدث، ومن يومها لم يرسب أخي في أي امتحان، مع العلم أن أبي لم يكن متعلمًا.

وعلى صدري مات أبي:

كان والدي - رحمه الله - مريضًا بالسرطان، ولم يكن يعرف طبيعة مرضه، ومع أن الآلام التي كان يعاني منها كانت شديدة، إلا أنه كان يمارس حياته بصورة طبيعية، كان أبي يحب الصلاة وأكل الحلال وكان يدعو لي كثيرًا، وذات يوم صلى أبي العصر، وبعد الصلاة سمعته يقول بلغة عامية: «يا رب، أنا مصعبتش عليك بقه»، ومعنى مناجاته: يا رب ارحمني فقد أرهقني المرض فترفق بحالي وانه آلامي وتوفني بسلام، وبعدها بساعتين رحل أبي عن الحياة، لقد استجاب الله مناجاته، ومات وهو يتوضأ لصلاة المغرب، وخرجت روحه وهو على صدري.

أمي.. لا تعرف المستحيل:

علمتني أمي أنني أستطيع أن أفعل أي شيء مهما كان صعبًا أو مستحيلًا؛ طالما استعنت بالله تعالى وكانت عندي الإرادة لتحقيق ذلك، حتى إنني قمت وحدي - وبتشجيع من أمي - بسحب أوراقي من مدرستي الابتدائية، وقمت بتقديمها في المرحلة الإعدادية، فعلت ذلك وحدي وعمري حينها ١٢ سنة، ومنذ طفولتي وأمي تربطني بدعاء الله تعالى، فقد حفظت معها دعاء «يا ودود يا ذا العرش المجيد...» وعمري حينها

٦ سنوات، وكنت أحفظ «يا صريخ المستصرخين ويا غياث المستغيثين...»، وكانت تربط بين كل عمل أعمله والإيمان خاصة مراقبة الله تعالى، واليوم إذا مرض أحد أبنائي أول ما ترصيني به أن أتصدق، وذات يوم تاه أحد أبنائي وضل الطريق، فظللنا نبحث عنه وهي تردد «يا من رددت يوسف لأبيه رد محمود لأبيه». إن أمي عاشت حياتها لا تعرف المستحيل، وكيف تعرف مستحيلًا وهي تعرف رب العالمين حق المعرفة، هذا كله رغم أنها فقط تقرأ وتكتب.

وقبل الفجر خرج أبي مقترضًا:

بعد الجامعة التحقت بالخدمة العسكرية في الجيش، وذات مرة نزلت إجازة لمدة يوم، وكان علي أن أغادر من البيت قبل الفجر، وفي الموعد المحدد هممت بالمغادرة لكني تذكرت أنني بحاجة إلى نقود، فطلبت من والدي، لكنني فوجئت به يجيب حزينًا: ليس معي والله ما تريد، لكن اطمأن سأتصرف، وغاب عني دقائق خرج خلالها خارج البيت، وفوجئت به عائدًا ليعطيني ما طلبت من مال، وعندما سألته: من أين جئت به؟ قال: لقد ذهبت واقترضت من عمك، فعزّ عليّ هذا الموقف، وخرجت يومها من البيت دامع العينين، إذ كيف فعلت هذا بأبي؟ والله كان هذا رغمًا عني، وكم بكيت كلما تذكرت هذا الموقف، لقد خرج أبي قبل الفجر ليطرق باب عمي من أجلي، والله أنا متأكد أنه كان منكسرًا حزينًا على باب عمي، لكنه لم يشعرني بهذا الحزن، بل أعطاني المال مبتسمًا، لقد أخفى الحزن داخله وأظهر لي البسمة حتى لا أفارق البيت حزينًا، رحمك الله يا أبي وكن على يقين أنني كل يوم قبل الفجر أذكرك، وأدعو الله من أجلك كما تعبت من أجلي.

أبي.. وتاريخ الحب الطويل:

لقد عشت مع أبي أجمل قصة حب بين ابنة وأبيها، فقد كان - رحمه الله - يكرم زميلاتي من أجلي، لدرجة أنه كان يسأل زميلاتي عندما يأتين لزيارتي: ما تريدون على الغداء اليوم؟ وبالفعل يخرج ليشتري ما طلبته زميلاتي ويعطيه لأمي حتى تطهيه، وكان له مع كل واحد من أبنائه أسرار من الحب والمودة، فكل واحد من أبنائه وبناته كان يشعر أنه

أقربنا إلى قلب أبيه، فأنا مثلا كنت أجلس بجواره وقت الطعام، وكان بعد أن يقسم اللحم على الجميع ينزل يده من تحت المنضدة (الطبلية أو الطاولة) ويعطيني قطعة إضافية من اللحم من نصيبه هو، فعل ذلك مرارًا حتى اكتشفته أختي فقالت: لماذا هي؟ فقال مبتسمًا: لا تجعليني أكشف ما بيننا من أسرار، واستمر حبه لي حتى بعد زواجي، ففي اليوم الذي يأكل فيه لحمًا أو بطًا أو إوزًا يخصني بقطعة منه، كان يلفها بنفسه ويرسلها لي مع أختي إلى المدرسة التي أعمل بها أو إلى بيتي، رحمك الله يا أبي، فقد شعرت باليتم عندما رحلت عن الحياة مع أنني حينها كنت قد جاوزت الثلاثين.

لا أعرف كيف أسامح أمي:

كانت أمي قاسية جدًا معي، وكانت كثيرًا ما تحرجني أمام أصدقائي وجيراني وأخواتي في المنزل، وأتذكر جيدًا يوم أن كنت في الصف الأول الإعدادي وحان يوم ميلادي، وأخبرتني أمي أنها ستصنع لي تلك الليلة حفلة عيد ميلاد كباقي صديقاتي، وذهبت ذلك اليوم إلى المدرسة ودعوت زميلاتي لعيد مولدي في المساء، وعدت إلى البيت وفي قلبي حب كبير لأمي، لقد عدت للبيت وقد سامحتها على كل ما فعلته معي، فهي اليوم ستكرمني أمام الجميع، وفي المساء تجمع الصديقات والزميلات ليشهدن الحفل المنتظر، وفي تلك الليلة صدمت أمي الجميع إذ لم تجهز ما وعدت به من طعام وحلوى، ولم تكتف بذلك بل عاقبتني أمام زميلاتي على دعوتي لهن وسبتني وشتمتني، ونمت تلك الليلة في شر حال، وذهبت إلى المدرسة في اليوم التالي منكسرة حزينة، وقابلتني زميلاتي في صمت وكأنهن لم يفقن من صدمة ما حدث لي بالأمس، وبعدها ظللن يذكرنني بما حدث من أمي ويسألن: هل هي حقًا أمك؟ ومرت الأيام، وجرح هذا الموقف في قلبي لم يندمل، ولا أدري هل سأسامح أمي على موقفها هذا يومًا؟ أم لن أستطيع؟ أرجو أن أسامحها يومًا.

وسماني أبي.. وزير التموين:

كنت في صغري أهتم بشراء حاجيات البيت، ولذلك كان والدي يسميني وزير

التموين، وطبعًا كانت ميزانية البيت منذ صغري في يدي، ولأن والدي كان مسرفًا؛ فقد كنت أدخر من ورائه كثيرًا، وفي يوم خطوبة أختي أعطيته ما كنت قد ادخرته على مدى سنين ليشتري لها حجرة في جهازها، ولا أنسى موقف أبي يومها، لقد أخذني في حضنه وقال لي: أنت نعم العون لي يا بني، وما رأى أحدًا إلا وحكى له موقفي، ودارت السنون، ورحل أبي عن الحياة، واليوم يصنع ابني معي ما كنت أصنعه مع والدي رحمه الله.

حكايتي مع سورة الفجر :

منذ طفولتي وأنا أعرف أن أبي يصلي الفجر في المسجد، وعندما بلغت سبع سنين كان يصلي الفجر في المسجد ثم يعود للبيت فيوقظني لأصلي، وبعدها نجلس معًا وأرتل له بعض سور القرآن التي حفظتها في الكتاب أو في المدرسة، وكان ينظر لي بحنان ويستمع لي بسعادة، وكم كنت أقوم من نومي نشيطًا سعيدًا لحرصي على الجلوس مع أبي، الذي يشعرني وهو يسمعني بقدري ومكانتي في قلبه، وكان - رحمه الله - محبًا لسورة الفجر، فكنت أتلوها له يوميًا، ولقد ورثت عنه حب هذه السورة (سورة الفجر) فأنا حتى اليوم وبعد مرور السنين أعشقها وأحب قراءتها وسماعها، وعن طريق جلسة ما بعد الفجر اليومية، علمني أبي أن أقرأ القرآن وأن أستفتح به يومي ومذاكرتي وشئون حياتي كلها، وكان حافزًا لي على القرب من القرآن الكريم وأهله.

أعطتني موزتين ورحلت عن الحياة:

في صباح أحد الأيام، طلبت مني أمي مبلغًا من المال، فأعطيتها ضعف ما طلبت، فشكرتني ودعت لي قائلة: «أسال الله أن يملأ جيبك ويستر عيبك»، وعند الظهيرة وزّعت أمي علينا موزًا، وأعطت كل واحد من إخوتي موزة واحدة، وأعطتني موزتين، لا أدري هل أعطتني الضعف كما أعطيتها الضعف، أم أنها كانت تخاف على صحتي نتيجة مرضي، وبعد ساعتين غادرت أمي الحياة، ومرت السنون ورأيت بركة دعاء أمي، فقد ملأ الله تعالى جيبي بالخير، وستر عيبي عن الخلق.

في حقيبة العروسة.. مفاجأة من أبيها:

أثناء استعدادي للزواج، كنت أشتري ما تحتاجه الفتاة في بيتها، وذات يوم طلبت من والدتي شراء شيء أحتاجه في بيتي الجديد، فاعتذرت بسبب حالتنا المادية وظروفنا التي لا تسمح، وكان والدي ساعتها يسمع حديثنا في صمت ولم يتدخل ولم ينطق بكلمة، ومرت الأيام وذهبت لبيتي الجديد، وهناك فتحت حقيبة ملابسي وكانت المفاجأة، لقد وجدت الشيء الذي طلبت من والدتي شراءه، وبعد أيام علمت بالقصة، لقد ذهب والدي دون علم والدتي أو علم أحد، واشترى هذا الذي أردته بالتقسيط، ووضعه في حقيبة ملابسي دون أن يخبر أحدًا، لقد تفاجأت أمي ودمعت عيناها، أما أنا فقد التزمت بالصمت والبكاء، لقد فرحت بحب أبي لي، لكني تساءلت: هل سيحبني أبنائي مثلما أحببت أبي؟ وهل سأستطيع أن أحبهم بالقول والعمل مثلما فعل والدي؟ أسأل الله ذلك.

أمي.. والحذاء.. والطين:

عندما كنت في المرحلة الإعدادية، كان بيتنا بعيدًا جدًّا عن المدرسة، فكنت أضطر لركوب الأتوبيس لأذهب للدراسة، وكانت أمي تقوم من الفجر لتعد لي الفطور ثم توصيلي إلى المحطة، ولم تكن تعود للبيت حتى أركب السيارة، وفي أيام المطر كانت الأرض بطبعيتها طينية، وبالتالي يتسخ حذاء من يسير فيها، فكانت أمي تحمل في يدها أحد أحذيتي النظيفة حتى نصل إلى المحطة، وهناك أستبدل حذائي النظيف بالحذاء المتسخ، وتعود أمي بالحذاء المليء بالطين حاملة إياه في رضا وسعادة، كم كنت أنظر لها وهي عائدة وكلها رضا بما فعلت، كنت أنظر نحوها وبصعوبة بالغة أمسك دموعي، لا أنسى هذا الموقف ما حييت.

وتنازل أبي عن حلم حياته من أجلي:

طوال عمري كنت أرى أبي يحلم بحج بيت الله الحرام، وكثيرًا ما كان يرى في المنام أنه

في الحرم أو أنه في المسجد النبوي ويزور قبر النبي ﷺ، وربما قال لي أحيانًا: أدعى الله لي يا ابنتي أن أحج بيت الله الحرام وأزور النبي، وكان ينتظر لحظة بلوغه سن التقاعد (المعاش) بفارغ الصبر، حتى يتسلم مكافأة نهاية الخدمة ويحقق بهذه النقود حلمه الجميل، ومع اقتراب والدي من سن المعاش تمت خطبتي وحان وقت زواجي، فألغى والدي حلم حياته وتنازل عنه لأجلي؛ فجهزني بكل ما معه من مال، وأنفق عليّ مكافأته كاملة راضيًا سعيدًا، ومن يومها كلما رأيته أحسست بالدين الكبير الذي طوق به رقبتي، وأشعر بالعجز عن سداده، وحينها أتمنى أن أقبل قدميه، وأريد عمل أي شيء يسعده، وأدعو الله تعالى أن يرزقه حج بيته الحرام، ويدخله الجنة هو ووالدتي.

أمي.. والأرغفة العشرة:

عندما كنت صغيرًا حدثت لنا ضائقة مالية، ورأيت والدي حزينًا لأن راتبه البسيط قد نفد، ولم يعد بالبيت سوى عشرة قروش لا نملك غيرها، واقترح والدي أن يقترض بعض النقود من أحد إخوته، فرفضت والدتي ذلك بشدة، وقررت أن نشتري بالنقود عشرة أرغفة، ونأكل خبزًا وملحًا، وبالفعل جلست أنا وأبي وأمي وأخواتي الثلاث نأكل خبزًا وملحًا، كنت أرى نظرات الحزن في عيني والدي ووالدتي، وفجأة قالت والدتي والعبرة تخنقها والدموع تكاد تفر من عينيها: هذا يا أولاد خير أم يذهب والدكم ليقترض من أحد الناس ويذلّ نفسه، دعونا نأكل اليوم بعزة، ونؤجل الاقتراض للغد لعل الله تعالى يفرج ما نحن فيه، وبالفعل جاءنا الفرج في اليوم التالي، ودارت الأيام، وكثرت لدينا الأموال، وماتت أمي، لكن كلماتها لم تمت، وموقف الملح مع الأرغفة العشرة لم ينسَهُ أحدنا، رحم الله أمي فقد علمتني بهذا الموقف البسيط الرضا والقناعة وعزة النفس.

حكاية حجابي القصير:

عندما بلغت سن السادسة عشرة من عمري، رغبت أن أخلع حجابي (الخمار الطويل) وأرتدي حجابًا صغيرًا (إيشارب)، مع العلم أنني أرتدي حجابًا من سن

السادسة، فرفضت والدتي بعنف وغضبت كثيرًا، وذهبت لتخبر أبي بالكارثة، وكان من الطبيعي أن يثور والدي ويغضب، ولكن رد فعله كان مختلفًا تمامًا، فقال لأمي: اتركيها تجرب ما تريد وراقبي النتيجة، وفي اليوم التالي ذهبت إلى المدرسة بالحجاب الصغير، والعجيب أنني طوال اليوم كنت أشعر أنني عارية، وعدت إلى البيت مسرعة لأستر نفسي بحجابي الطويل الجميل، وكانت هذه آخر مرة أجرب فيها الحجاب القصير، وعرفت حينها أن أبي كان يريد أن يعطيني درسًا بطريقته الخاصة، هذا لأنه كان يعرف ابنته جيدًا ويدرك أنها لن تفعل حرامًا.

لم أقرضهم المال لأطالبهم فجأة:

أنا من أسرة ميسورة الحال والحمد لله، وذات يوم ونحن صغار مررنا بأزمة مالية مؤقتة، وذلك نتيجة دخول والدي في أحد المشاريع، وهنا طلبت والدتي من أبي أن يطالب بعض الأشخاص المدينين له بنقوده التي عندهم، ليفك بها ما نحن فيه من أزمة، لكن أبي رفض بحزم وغضب قائلًا: أنا لم أقرضهم لأطالبهم بنقودي فجأة ولكن حين ميسرة، ثم قال لأمي ونحن نسمع: علمي أولادك أن الدنيا على هذا وذاك، وبعد هذا الموقف عشنا أيامًا في ضيق لم نعهده من قبل، وصبرنا تلك الأيام حتى جاء الفرج من حيث لا نحتسب، ومن يومها استفدت من موقف أبي ومروءته كثيرًا، وكلما أقرضت أحدًا مبلغًا من المال، تذكرت أبي ودعوت له، وكلما مررت بأزمة مالية كجزء من طبيعة الحياة، لم أتأثر أبدًا بتلك بالأزمة وتمر بفضل الله بسلام، هذا لأن أبي علمني كيف يكون الصبر حين يقل الرزق.

لتناول الطعام في بيتنا قانون:

كل طفل وفتاة يحبون تناول الطعام مع أبيهم، ومنذ طفولتنا وضع والدي قانونًا غريبًا لتناول الطعام معه، فكان يقول: لا يجلس على الطعام معي إلا من صلى، كان يطبقه معنا برفق وحنو، فبدلا من أن يسألنا: صليت أم لا ويضطرنا للكذب، تجده يقول: من لم يصلِّ فليقم ليصلي ثم يعود فيجلس معنا، وفي كل مرة كان الطعام يوضع بين يدي أبي،

كنت ترى أحدنا يجلس سعيدًا والآخر يسرع نحو الحمام ليتوضأ ويصلي، هذا لأنه يريد أن يلحق بالطعام مع أبيه الحبيب، وكان من قوانين تناول الطعام في بيتنا: أن من يشبع أولًا ويقوم من على الطعام؛ فعليه إعداد الشاي، ومن يتأخر ليقوم آخرًا؛ فعليه رفع الطعام وإعادة الأطباق إلى المطبخ، وكثيرًا ما حدثت مواقف وطرائف بسبب قوانين تناول الطعام في بيتنا، لقد كانت قوانين حازمة رحيمة يطبقها أبي برقة وحزم، وكان - رحمه الله - يشارك بنفسه في تطبيقها، فإذا قام أولًا صنع الشاي، وإذا قام آخرًا رفع الطعام، بل أظنه كان يتعمد فعل ذلك ليكون قدوة لنا، والله كم أشتاق لتناول الطعام مع أبي وتطبيق قوانينه الجميلة، لعل ذلك في الجنة إن شاء الله، هذا لأن أبي قد رحل عن الحياة، رحمه الله.

واكتشفتُ أن أبي أكل فولاً:

والدي رمز للرجل العفيف المتعفف ذي العيال، لقد تعب في تربيتنا سنين، وآثرنا على نفسه كثيرًا، وبمرور الأيام كنت أرى من أبي قلبًا حانيًا وعينًا مشفقة وثغرًا باسمًا رغم المحن، وذات صباح سافرت معه إلى القاهرة لأشتري جهازي وأنا عروسة، وهناك عزمني أبي على تناول الطعام في أحد المطاعم، وكم كنت سعيدة بدخول المطعم معه، وأسعدني أكثر الجلوس معه كحبيب مع حبيبه، وهناك تركني أبي أختار من قائمة الطعام ما أريد، وجاء الطعام وجلست آكل معه بسعادة وسرور، وعندما انتهيت من طعامي حدثت مفاجأة هزت أعماق قلبي، لقد اكتشفت أن أبي عزمني على أكل غالي الثمن، ودون علمي جلس هو يأكل سندوتشات فول، إذ لم تكن معه نقود كافية ليتناول طعامًا مثل طعامي، فدمعت عيناي فمسح دموعي بيديه وقال: كم أحبك يا ابنتي، والله جلوسي معك جعل طعم الفول أجمل من طعام الدنيا كله، ومرت السنون ولم أنسَ موقف أبي هذا، وعلى كل طعام، وفي كل مطعم، أتذكر أبي وأدعو له بالرحمة والمغفرة.

وعشت مع أبي بلا ذكريات:

للأسف ليس لي ذكريات مع والدي، وهذا شيء يؤلمني كثيرًا، إنني أكتب لكم هذه الكلمات حول ذكرياتي مع أبي ويدي ترتعش وأبكي ألمًا، كم أحاول أن أتذكر له معي

ذكرى جميلة، فلا أجد، ولكنني أحاول أن أعوض أولادي عن كل ما حرمني منه والدي من عطف ورحمة، رحمه الله وغفر له، فقد غادر الحياة ولم يصنع له في قلبي أي ذكرى جميلة.

وجاءتني أمي لأنها أفضل مني:

بعد زواجي ذهبت يومًا لزيارة أمي في منزلها، وحدث بيننا سوء تفاهم واختلفنا وعلا صوتنا، فدخلت أمي حجرتها وهي متعبة، وعدت أنا لبيتي وأنا غَضْبَى، وما إن جلست دقائق في بيتي إلا فوجئت بطرقات على الباب، وفتح ابني الباب قائلًا: إنها جدتي، لقد جاءت أمي ودخلت علينا مبتسمة وقالت: أنا آسفة يا ابنتي لو أحزنتك، فأسعدني مجيؤها لأنها تخاف عليّ من الحزن، وآلمني أنني أتعبتها ولم أكن أنا من سارعت بإرضائها.

أميّة.. لكنها أمٌ تتحدى المتعلمين:

وأنا في المرحلة الابتدائية، كان أبي مسافرًا للخارج، وأمي كانت سيدة أمية لا تقرأ ولا تكتب، والعجيب أنها كانت تجلس لتذاكر معي، نعم تذاكر معي وتصحح ما كتبته، فقد كانت تقارن بين ما كتبته في الواجب وبين ما هو مكتوب في الكتاب، وهي لا تعلم معنى كلمة واحدة مما تصححه لي، وذات يوم وأنا في الصف الثالث الابتدائي، طلبت مني المدرسة أن أقدم وسيلة تعليمية كلوحة تعلق في الفصل أو ما يشبهها، وعدت وأخبرت أمي فقالت: اذهبي لجارتنا لترسمها لك، فذهبت ورجعت حزينة لأن جارتنا رفضت رسم اللوحة لانشغالها، وما إن رأتني أمي وعلمت بالخبر حتى قالت: لا تحزني سأرسمها لك أنا، والله ما زلت أتذكر تلك اللوحة حتى الآن، فقد قامت أمي برسم الحيوانات كما هي بالضبط وكأنها من محترفي الرسم، وكتبت أسماءها تحتها (بقرة - خروف)، وفي اليوم التالي لم تصدق المعلمة أن أمي هي من رسمت لي تلك اللوحة، أدام الله أمي بعافية وصحة، وختم لها بخاتمة السعادة، اللهم آمين.

وقالت أمي: هذا يوم الوفاء بالوعد:

وعدتني أمي إن نجحت بتفوق في الثانوية العامة فستحضر لي ساعة، ونجحت بفضل الله ودخلت كلية الطب البيطري وانتظرت الساعة فلم تأتِ، ومرت السنة الأولى في الجامعة ولم تأتِ الساعة، ومرت السنة الثانية وما زلت أنتظر، وذات يوم في الإجازة الصيفية طلبت من والدي أن يشتري لي موبايل فاعتذر لأنه لا يملك نقودًا كافية، ومرت الأيام وحان موعد بداية العام الدراسي، وفوجئت بأمي ذات يوم تقول لي: هيا البس ملابسك، فقلت لها: لماذا؟ فقالت: لنشتري لك الساعة والموبايل، والله يا بني لم يكن معنا نقود، وكنت كل يوم منذ أن تخرجت (منذ عامين) أتهرب من نظرات عينيك، واليوم رزقنا الله بالمال، وقد حان وقت الوفاء بالوعد، والله لا تزال هذه الساعة وذلك الموبايل عندي حتى يومنا هذا، وكلما نظرت في الساعة أو حملت الموبايل (مع أنه قديم) أتذكر وفاء أبي وأمي، وأدعو لهما بالرحمة والمغفرة.

وكنا يومها لا نملك العشاء:

ذات يوم وجدت مبلغًا محترمًا من المال في الشارع، فعدت للبيت فرحانا به، وأعطيته لأبي - وكان في أشد الاحتياج لهذا المال - لكنه رفض، وسمع الناس في الشارع يبحثون عن ذلك المال، فقال لي: أعطهم مالهم، حرام عليك، فقلت لأمي: نحن في ظروف صعبة ولا نملك طعامًا للعشاء، فابتسمت ابتسامة تجمع بين الرضا والصبر وقالت: إن الله يختبرك، فإن نجحت في الامتحان زالت المحنة وبقيت البركة، يا بني، إن الله سيفتح عليك الدنيا، وستكون من أحسن الناس، فعش مرحلة الصبر هذه بحلاوة، ربما تشتاق غدًا ليوم مما نحن فيه الآن، ومرت السنون، وتحقق وعد أمي الواثقة بالله، وفتحت علي الدنيا من أبوابها الواسعة، والعجيب أنني أشتاق لأيام زمان حيث راحة البال.

ليتني لم أحزنك يومها يا أبي:

أصيب والدي في عينيه، ونتيجة لتلك الإصابة ضعف بصره بشدة لدرجة أنه أصبح

لا يرى الأشياء إلا إذا كانت شبه ملاصقة لعينيه، فهو ابتلاء يشبه العمى تقريبًا، وكنت ابنة رحيمة بأبيها مطيعة له مشفقة على حاله، وأذكر أن والدي كان يؤثرنا على نفسه كثيرًا ونادرًا ما يشتري لنفسه شيئًا، ولقد رغب يومًا في شراء زجاجة مياه غازية، فذهبت مسرعة وعدت حاملة تلك الزجاجة الباردة ليشربها أبي، فشكرني والدي وجلس يشرب، وأخذت أراقب ذلك الأب الحنون الذي نادرًا ما رأيته يستمتع بشيء وحده، ومع الوقت أوشكت الزجاجة على الفراغ، ولم يتبق فيها سوى قليل القليل والذي يستطيع أن يشربه الطفل الصغير في مرة واحدة، وهنا ناولني أبي الزجاجة لأشرب ما فيها هدية منه، فرفضت أن آخذها منه قائلة: لا أريد، فرفعها لفمه ليستأنف الشرب وإذا به يتفاجأ أنه لم يعد بها شيء تقريبًا، فقال لي في أسف والدمع في عينيه: اعذريني يا ابنتي إنني والله لم أر ما تبقى فيها، وكنت أتمنى أن أترك نصفها لك، وحزن جدًا وطلب مني أن أذهب لشراء زجاجة أخرى وأشربها وحدى، مرّ على هذا الموقف أكثر من عشرين سنة، والله كلما تذكرت هذا الموقف ندمت وقلت لنفسي: ليتني أخذت الزجاجة وشربت ما فيها، ليتني لم أحزنك يومها يا أبي.

وفعل أبي يومها ما انتظرته من أمي:

كانت تعليمات الطبيب في حملي الأول ألا أمارس عملًا منزليًا شاقًا أو حتى سهلًا، وكنت لا أستطيع القيام بعمل البيت نظرًا لظروفي الصحية الصعبة، وكانت أمي - حفظها الله - تزورني بين الحين والآخر لتقضي حاجاتي وتساعدني في شئوني، فعلت أمي ذلك وأنا لها شاكرة ولفعلها مقدرة، لكن الموقف الذي أثر فيّ بشدة، أنني ذات يوم كنت مريضة جدًا، وكانت أواني الطهي كلها متسخة والبيت غير مرتب، مما أثر في حالتي النفسية سلبًا؛ لأنني أتمنى أن أقوم بغسلها لكن مرضي يمنعني، وفجأة طرق الباب، وتمنيت لو كانت أمي هي القادمة لتزيح هذا الهم عني، لكن الطارق كان أبي، فاستقبلته مرحبة به، وجلس معي قليلا، وما إن رأى حال مطبخي حتى بدل ملابسه، وأخذ يغسل الأواني ويرتب بيتي بفرح وسعادة، والله يومها كدت أطير من سعادتي بأبي، ومرت

السنون ورحل أبي عن الحياة، وكلما تذكرت موقفه هذا معي ترحمت عليه كثيرًا، ودعوت له بالمغفرة.

مفاجأة أبي.. زواج سعيد:

أنهيت دراستي الجامعية، والتحقت بالجيش لأداء الخدمة العسكرية، وذات يوم في إحدى الإجازات تكلمت مع أبي في موضوع خطير جدًا، لقد أخبرته أنني أريد أن أتزوج من فتاة قريبة لنا، فأخذ أبي يتأكد من رغبتي في خطبتها ومتى أريد ذلك وكيف خططت لمستقبلي معها، وما هي خطوات الزواج وهل صليت استخارة أم لا، ومنذ متى وأنا أرغب في الزواج منها، لم يكن تحقيقًا بل كان حديثًا أبويًا طيبًا، وفي نهايته قال أبي: ربنا ييسر لك يا بني ويسعدك في الدنيا والآخرة، وسافرت بعدها للجيش وأنا سعيد لأن أبي وافق على الزواج ووعدني بإتمامه في أقرب فرصة، وقضيت تلك الفترة هناك في الجيش وأنا أفكر في خطوات الخطوبة وكيف سآخذ أبي في الإجازة (ربما تكون القادمة أو التي تليها) وماذا سأصنع يومها، وأخذتني الأحلام والترتيبات، وبعد شهر تقريبًا عدت للبيت في إجازة، فوجدت من أبي مفاجأة لم أتوقعها أبدًا، لقد سافر أبي في غيابي إلى محافظة أخرى بعيدة حيث يسكن أقاربنا، وخطب منهم ابنتهم التي حدثته عنها، وجعل الخبر مفاجأة لي عند عودتي، وكانت والله أحسن مفاجأة، فقد تزوجتها وهي اليوم أم أولادي، وأنا سعيد معها جدًا جدًا، ولا أنسى هذا الموقف الطيب من أبي.

وفي زراعة الأرز دروس كثيرة:

كان والدي - رحمه الله - ميسور الحال، فقد كان يملك مزارع وحدائق وفيرة، وكانت كلمته التي نسمعها كثيرًا «إلا الحرام»، ودارت الأيام والتحقت بالجامعة في مدينة الإسكندرية وسكنت هناك، وكان أبي يحرص على زيارتي هناك رغم انشغاله، وعندما كان يأتي إلى الإسكندرية لزيارتي كنت أخرج معه لنتمشى ليلا على البحر فيهمس في أذني قائلا: لقد جئت لزيارتك لهذا السبب لنتمشى معًا، فمعك أنسى هموم حياتي وأشعر بسعادة تملأ قلبي، ومن المواقف التي تعلمت فيها من أبي كثيرًا، أنني ذات يوم كنت أقوم

بمتابعة العمال وهم يزرعون الأرز لدينا، فلم تعجبني طريقة زراعة أحدهم فهو يعمل ببطء شديد، فنهرته وأخرجته من الأرض وطردته، ولكن أبي تدخل ناهرًا لي أمام الجميع، وأعاده إلى العمل، وأمرني بترك العمال في حالهم والابتعاد عنهم لأنهم يعرفون عملهم جيدًا، فخرجت من الحقل وجاء أبي خلفي معاتبًا وقال: إن ما فعلته يا بني منافٍ للرحمة، فهذا رجل ضعيف يبذل جهده بإخلاص، تخيل لو أنك مكانه وعدت للبيت مكسور القلب، يا بني لعل الله يبارك لنا بسبب تجاوزنا عن هؤلاء الضعفاء، وعندما يعود لبيته داعيًا لنا شاكرًا صنيعنا، خير ألف مرة من أن يعود كسير القلب حزينًا يدعو الله علينا، ويومها تعلمت أن الرحمة بالضعفاء هي زاد للأغنياء.

وعند البلاء يشكر الصابرون:

لقد مررنا كباقي الناس بعدة ابتلاءات يحوطها لطف من الله تعالى ورحمة، ومن تلك الابتلاءات أنني أصبت في صغري بشلل في نصف وجهي، ولقد بكى والدي بحرارة لما رآني بتلك الحالة، أما أمي فكانت تبكي بصمت يزلزل الجبال، وأذكر أننا يومها لم نكن نملك غير ثمن جلسة العلاج الطبيعي، فكان والدي يؤثر علاجي على المأكل والمشرب، وظل البيت واجمًا حزينًا طوال فترة علاجي، ولم تعد البسمة لوجه أبي وأمي حتى شفاني الله تعالى، وفي تلك المحنة تعلمت من والديّ الصبر والدعاء والشكر على العافية، كما تأكدت من حب أبي وأمي لي، ومرت السنون وتزوجت وأنجبت، وذات يوم كسر ذراع ابني الأيمن، وبعدها بيومين احترق ذراعه الأيسر في وعاء الشوربة الساخن جدًّا، فلم أملك عندها دموعي، وأسرعت إلى المصلى وصليت ركعتين شكرًا لله تعالى؛ لأن هذا البلاء لم يكن في ديني، ولم يكن أشد من ذلك، وأرجو عليه الأجر، وأسأل الله منه الشفاء، ومرت الأزمة بسلام، وشفى ابني الحبيب والحمد لله.

أمي.. ساعي بريد بين الأحبة:

خطبت زوجتي وعقدت عليها (كتبت الكتاب) لمدة ستة أشهر، وكانت أمي – رحمها الله – ساعي البريد بيني وبين زوجتي فترة الخطوبة، فكانت أمي كلما تذهب

لزيارتها تهمس في أذني قائلة: ألا تريد أن تكتب خطابًا لزوجتك، وتلح عليَّ في ذلك حتى تأخذ مني خطابًا وتسلمه لخطيبتي، وهي راجعة كانت تأتي لي بالرد، ومن يومها أصبحت أمي مستودع أسراري ومستشاري الخاص، حدث هذا منذ أكثر من ٢٥ سنة، وأصبح مجموع تلك الخطابات قصة رومانسية رائعة، واحتفظت بها زوجتي طوال هذه السنوات، ومرت السنون، وعندما دخلت بناتي الجامعة، أخرجت أمهن الخطابات الرومانسية وتقرؤها لهن أو تتركهن يقرأن بمفردهن، ثم تحدثهم أمهم عن الحب الحلال، وكيف هو جميل وواضح وفي النور، وتخبرهم بالمفاجأة الكبرى: لقد كانت جدتكم هي ساعي البريد الذي حمل كل رسائل الحب هذه بيني وبين أبيكم.

وباع أبي ثوبه من أجلي:

كنت أشعر بحب أبي رغم كلماته القليلة، وأذكر أنني ذات يوم مرضت مرضًا شديدًا، فحزن أبي جدًّا، حزن لمرضي كما حزن لأنه لا يملك ثمن أجرة الطبيب، لكنه قام فجأة وأخذ ثوبًا له (جلبابًا) كان جديدًا لم يلبسه، وخرج ليبيعه كي يعالجني، ولقد شعرت حينها بألم هو أشد من ألم المرض، كنت أتوجع عندما أشعر أن والدي قد وقف منكس الرأس على باب هذا أو ذاك ليبيع ثوبه، وبالفعل ذهب أبي وعاد وقد باع ثوبه من أجل أن يعالجني، لقد وقف على أبواب الناس وأحرج نفسه من أجلي، أسأل الله أن يفرحك يا أبي كما حزنت من أجلي، ويرحم وقوفك للحساب يوم القيامة كما وقفت على باب الناس منكسرًا من أجلي.

قد يغضب وجهي لكن قلبي يحبك:

كنت في سن الثامنة عشرة من عمري، وكنت شابًا طائشًا، وكنت كثيرًا ما أغضب أمي وأحزنها، لدرجة أنه كانت تمر عليّ أيام وأنا مخاصمها ولا أحدثها، والعجيب أنها هي من كانت تأتيني وتتودد إليّ، ورغم أنني أكون مخطئًا في حقها إلا أنني لم أكن ألقي لتقربها مني بالًا، وتعرفت أيامها بأحد الملتزمين في المسجد، وكلمني عن بر الوالدين كلامًا كنت

أول مرة أسمعه في حياتي، وفهمت معنى كلمة «أم» جيدًا، فذهبت على الفور إلى أمي، وقبلت يدها وقدمها وقلت لها: سامحيني على ما فعلته معك، فقالت: يا بني مهما غضب منك وجهي، فقلبي دائمًا لا يعرف الغضب منك، لأنه يحبك، ومن يومها بدأ بيننا عهد جديد، ومن يومها (منذ حوالي عشرين سنة) لم أعد لأفعالي التي كانت تغضب أمي، والحمد لله.

هات العصا التي تحب أن أضربك بها:

كانت أمي لا تضربنا بيدها أبدًا، لا بد وأن تضربنا بعصا، وإذا أرادت عقابي عندما أخطئ أو عقاب المخطئ من إخوتي تقول له بغضب وحزم: اذهب وأحضر العصا التي تحب أن أضربك بها، وكانت العصيّ كلها فوق سطح البيت، فكان الواحد منا يذهب ويتعمد التأخير وكأنه يبحث عن العصا، ولا يعود إلا بعد نصف ساعة وبيده أقل عصا وجدها طولًا وحجمًا، وعند عودته تعاقبه أمي بما تراه مناسبًا من الضربات، ولما كبرنا سألنا أمي: لماذا كنت ترسلينا لاختيار العصا التي سنضرب بها؟ قالت وهي مبتسمة: كنت أبعدكم عني حتى أهدأ ويذهب غضبي؛ فلا أضربكم وأنا غضبي حتى لا يوجعكم ضربي، كنت أعطيكم فرصة للهروب، وأعطي نفسي فرصة للهدوء، وكنت أعطيكم الفرصة لاختيار العصا اللينة الرفيعة، لقد كانت أمي حتى في عقابها عاقلة رحيمة صبورة ذات نظر بعيد المدى.

خلافات الكبار كيف نبعد عنها الصغار؟:

في طفولتنا كانت والدتي – رحمها الله – إذا اختلفت مع واحدة من أقاربنا (زوجة عمي أو زوجة خالي أو غيرهما)، وإذا قررت مقاطعتها لسبب وجيه، وبدافع الحب لأمي كنا نحاول مناصرة أمي ونقاطع من قاطعته، لكنها كانت تقول: لا تقاطعوا خالتكم فلانة؛ لأن الخلاف بيني وبينها فقط، نحن كبار، أما أنتم الصغار فلا تقاطعوها، لأنه لا دخل لكم فيما حدث بيننا، كم كانت أمي عاقلة حتى في خلافها، فقد كانت تقاطع لسبب

وجيه، وتجعلنا نصل الأرحام لسبب وجيه، والعجيب أن من قاطعتها أمي عندما كان ترى ودنا لها وتسمع ما قالته أمي، فكانت لا تملك إلا أن تأتي لأمي متصاحبة معتذرة مصححة ما سبق من أخطاء.

مكالمة الزملاء.. اختبار لثقة الأمهات:

وأنا طالب في المرحلة الثانوية، اتصل أحد زملائي بأمي وقال لها: ابنك يسرق ويهرب من المدرسة ويذهب إلى (السايبر) مركز الكمبيوتر والإنترنت، فردت أمي بشدة ودافعت عني وقالت: ابني لاي يفعل ذلك أبدًا فهو تربى جيدًا وذكرتني بكل خير، ومرت أيام وأنا لا أعرف بشأن تلك المكالمة وذلك لسبب بسيط، وهو أن أمي لم تخبرني بما حدث، وذات يوم قابلني أحد أصدقائي وأخبرني بمكيدة زميلي واتصاله الخبيث بأمي، لقد أراد أن يفسد ما بيني وبين أمي حقدًا منه عليّ ولأنني لم أطعه في مسألة ما، فعدت فورًا إلى أمي وقلت لها: لماذا لم تخبريني بما حدث؟ فقالت: أنا واثقة فيك وأعرف جيدًا من ربيت، فقبلت يدها وتركتها وأنا أدعو لها، فرّح الله قلبك يا أمي كما فرحت قلبي.

ومن يومها وملابسي في مكانها:

كنت حينما أرجع من المدرسة ألقي بملابسي هنا وهناك، وحاولت أمي معي كثيرًا وحذرتني كثيرًا ولم أنتبه لكلامها، ظللنا على هذا الحال لشهور، أم تتوسل وتطلب وتتوعد، وابن مهمل يرمي ملابسه هنا وهناك، وذات صباح حذرتني أمي (بمساندة من أبي) أنها إن وجدت ملابسي ملقاة على الأرض فإنها سوف تلقيها في الشارع، ولأنها توعدتني كثيرًا من قبل ولم تنفذ وعيدها، فقد أخذت الأمر ببساطة، وعدت من المدرسة وألقيت ملابسي هنا وهناك، وكانت المفاجأة أن نفذت أمي وعيدها وألقت بملابسي في الشارع، ولك أن تتخيل منظري في الشارع وأنا أجمع ملابسي أمام الناس، ومن يومها وملابسي في مكانها المخصص لها.

ما أجمل أن ترحم طفلاً ضعيفًا!

كانت ظروفنا الاقتصادية صعبة جدًّا، وذات يوم ضاع حذائي في المسجد، فخفت أن أعود إلى البيت حتى لا تضربني أمي، فظللت متلهيًا في الشارع إلى ما بعد العشاء، وفي النهاية لم يكن هناك مفر من العودة، فعدت إلى البيت ولا أدري ماذا أقول لأمي، فدخلت وسألتني أمي: لماذا تأخرت؟ فحكيت لها ما حدث من ضياع حذائي، فردت عليّ قائلة: «فداك الدنيا كلها» ، ففرحت جدًّا بتلك الكلمات وحفظتها في قلبي من يومها، رحمك الله يا أمي كما رحمت ضعفي يومها، تخيل لو أنها ضربتني أو شتمتني ما هي مشاعري حينها؟ وما هي الأفكار التي كانت ستجول بخاطري؟ من المؤكد أنني كنت سأعتقد أن الذهاب إلى المسجد هو السبب في ضياع حذائي، وربما أظن أن المصلين سارقون، وكنت فيما بعد ربما أفكر في الهرب من البيت إذا حدث موقف شبيه، لأنني سأتعلم أن العودة بعد الخطأ تعني عقابًا شديدًا، وكنت ربما أشعر أن أمي لا تحبني لأنه لا ذنب لي في سرقة الحذاء، كل هذا عافاني الله تعالى منه بسبب رفق أمي ورحمتها بي، حقًّا ما أجمل أن ترحم ضعف طفل ضعيف خائف.

دروس في الحُبّ.. من فلاح يزرع الحبّ:

كم أعطاني أبي الفلاح البسيط دروسًا في الحب الصادق الرفيق، وكما يزرع الحبوب في الأرض فقد زرع الإيمان في قلبي، أذكر أنني في طفولتي وحتى شبابي كنت عندما أرى أبي نائمًا في الحقل تحت ظل شجرة؛ كنت أتسلل برفق وأنام في حضنه، فلقد كان ذلك يجلب لي وله السعادة الغامرة، ومن المواقف التي لا أنساها أنني في مرحلة المراهقة كنت أتمسك ببعض المظاهر التي لا يحبها أهلي مثل: الشعر الطويل (الكنيش) والبنطلون العريض من الأسفل (الشارلستون)، وذات يوم احتدّ عليّ خالي الشيخ الأزهري وعاملني بقسوة بسبب مظهري، فكنت أرفض توجيهه لي وأقول له: إن إطالة الشعر ليس فيها شيء حيث كان شعر رسول الله ﷺ ما بين شحمة أذنه وكتفه، وهكذا دار بيننا جدال وحدث خلاف، وتركته وانصرفت، ولما علم أبي بأمر مجادلتي لخالي وقسوته معي قال لي برفق: يا

بني. لا أحب أن يقسو عليك أحد، ولن أسمح لأحد برفع صوته عليك، ولا أحب في الوقت نفسه أن ترد على خالك بما يجرحه، ووصيتي لك يا ولدي «افعل ما يحلو لك بشرط ألا يكون حرامًا» وسكت، لكن صوته في ذاكرتي لم يسكت على مر الأيام، والله كنت أتذكر كلماته البسيطة في مواقف كثيرة، وسمعته يقول لي: «بشرط ألا يكون حرامًا»، ولقد عصمني الله تعالى بكلماته هذه في مواقف كثيرة، ومرت السنون، وتركت قريتنا والتحقت بالجامعة في مدينة الإسكندرية وسكنت هناك، وكان أبي يحرص على زيارتي ويأخذني لكي نتمشى في محطة الرمل وعلى البحر في الإسكندرية، كنا نتمشى معًا وأبي يضع ذراعه في ذراعي، ويخبرني بأنه جاء من القرية إلى الإسكندرية حتى يتمشى معي ونشبك أيدينا معًا بتلك الطريقة.

كسرت التلفزيون وجرحت المذيعة:

أنا من بيت متوسط الحال، كنا نعيش في قرية ريفية بسيطة، وكان عدد البيوت التي تمتلك تلفزيونًا في هذا الوقت قليلًا جدًا، وكنا بفضل الله من تلك البيوت التي تملك واحدا، وكم كنا نسعد باجتماع الأصدقاء والجيران حول (تلفزيوننا) في المناسبات والمباريات وغيرها، وذات يوم وأنا بعمر التسع سنوات، رجعت من المدرسة مسرعة حتى ألحق بالمسلسل العربي قبل أن يبدأ، ودخلت البيت مسرعة نحو التلفاز، وبجأة تعثرت في السلك، فسقط التلفزيون محطمًا، عندها انتهت أحلامي في المشاهدة الممتعة، وبدأت نخوفاتي من غضب أبي، وبجأة رأيت والدي جالسًا أمامي وشاهد الموقف من لحظة دخولي البيت وحتى كسري للتلفاز، وما وقع المسكين محطمًا قام أبي وتوجه نحوي مسرعًا، توقعت حينها أنه سيضربني، وماذا غير ذلك؟ لكنه أخذني في حضنه، نعم ضمني أبي في حضنه برفق، وقال ضاحكًا: لقد جرحت المذيعة سامحك الله، والله لقد فاجأني رد فعل أبي، فظروفنا الاقتصادية لن تسمح أبدًا بشراء تلفزيون بديل، ومع ذلك عاملني أبي برفق، أتعرف لماذا؟ لأنني عنده أهم من مليون تلفزيون، حقيقة لا كلامًا، وعدت لغرفتي والدموع تنساب على وجهي، إنها دموع الفرح أن لي أبًا مثل أبي، كم أحبك يا أبي، الحمد لله الذي لم يبدلني بأب غيره، ومرت السنون وتحسنت أحوالنا المادية، واشترينا بدلًا من التلفاز اثنين وثلاثة، وظل والدي يذكرني بهذا الموقف ونضحك جميعًا، وكلما رحل التلفاز

محطمًا رحل أبي عن الحياة مكرمًا، لكنه لم يرحل من قلبي، فدعائي له لا ينقطع أملا في أن نلتقي في جنان الخلد، اللهم آمين.

هل في قلبك رحمة تسع أبناءك التسعة؟

لي مع أبي - رحمه الله - مواقف كثيرة لا تحصى ولا تعد، كان لا يأكل طعامًا جميلًا كاللحم وغيره؛ إلا وكان يقطع منه أجزاء ويضعها بيده في أفواهنا، رغم أننا كنا تسعة بنين وبنات، وظل يتابعنا بحب ورحمة حتى بعد زواجنا، بل إنه ظل يتابع تربيتنا لأبنائنا، فكان يجلس مع أولادنا «أحفاده» ويحكي لهم ذكريات الماضي، ويستمع لآمالهم وآلامهم، ويحدثهم عن طفولة آبائهم أيام زمان، وعند موته كنا جميعًا حوله الأبناء والأحفاد، بل إن معظم أحفاده حضروا غسله، وهم من وضعوه بأيديهم في قبره، وكم نلتقي في بيت العائلة، ونجلس معًا نتذكر هذا الأب الطيب والجد الرحيم، وندعو له بالرحمة والمغفرة.

من يدك يا أبي تحلو الهدايا:

حقيقة كل مواقف والدي معي لا يمكن أن أنساها، لكن يظل في مخيلتي موقف ونحن صغار (كنا ٦ أولاد وبنات)، وذلك عندما كان والدي يسافر للعمل في إحدى المحافظات بعيدًا عن بيتنا، وعند عودته كان يحضر لنا نحن البنات الحلقان والخواتم الزينة، ونظل ننتظر عودته حتى يحضر لنا تلك الهدايا الرخيصة في ثمنها الغالية في قدرها، وأجمل ما في تلك الهدايا أن أبي كان يلبسنا تلك الحلي بيديه بكل حب وحنان، ومرت السنون، وسمعت حديثًا للنبي ﷺ عندما كان يلبس أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص الثوب اهدية بيديه الشريفتين[1]، فقلت: رحم الله أبي، لقد كان يصنع معنا سنة نبوية تربوية كريمة دون أن ندري، فرحم الله أبي الذي كان يلبسنا الحلي بيديه.

---

(١) روى البخاري عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: أتى رسول الله ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء، قال من ترون نكسوها هذه الخميصة؟ فسكت القوم، قال ﷺ: ائتوني بأم خالد، فأتي بي النبي ﷺ (وفي رواية: فأتي بها تحمل)، فألبسنيها بيده، وقال ﷺ: أبلي واخلقي مرتين (كناية عن طول العمر)، فجعل ﷺ ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إلي ويقول: يا أم خالد هذا سنا "، والسنا بلسان الحبشة الحسن، وكانت أم خالد قد هاجرت مع أبيها إلى الحبشة وتعلمت بعض كلماتها ومنها كلمة سنا، فخاطبها النبي باللغة التي تعلمتها أثناء هجرتها مع أبيها...

وعلى دراجة أبي.. يحلو الاستغفار :

أتذكر وأنا صغيرة في الصف الثالث أو الرابع الابتدائي، كان أبي يركبني خلفه على الدراجة، وفي الطريق كان يحكي لي الكثير من الحكايات، وأذكر أنه كثيرًا ما كان يحدثني عن الميزانية وعن الأموال التي يملكها، وكيف أنها قد لا تكفي نفقاتنا، ويسألني عن الحل، فكنت أسكت وأنا محتارة، فيقول لي: ألا تحفظين قوله تعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، ويطلب مني أن أستغفر الله معه حتى نصل للبيت حتى يفرج الله همنا ويزيد أرزاقنا، ومن يومها أصبح الاستغفار في الشدائد من أخلاقي الثابتة، وأذكر لوالدي أنه كان يقول لي دومًا: اطلبي أكثر يرزقنا الله أكثر.

أبي.. والصدقات الملفوفة :

منذ طفولتي كان والدي دومًا يعطيني نقودًا لأعطيها للمحتاجين في بيوتهم، وكان يلف النقود مع بعضها ويعطيها لي قائلًا: أعط هذه لفلانة أو لفلان – هكذا دون أن تفتحها – وسلم لي عليه، أذكر أنه خلال سنوات حياته أرسلني للفقراء مئات المرات، وفي كل مرة كنت أراه سعيدًا، وكان استقبال الفقراء لي جميلًا وكانت دعواتهم تلاحقني كلما رأوني، فعرفت أن للعطاء لذة تفوق بكثير لذة الأخذ، ولأن الدنيا ليست دار استقرار فقد مات أبي، وكانت كلماته الأخيرة: «سأعطي للفقراء الكثير، أعطيتهم وسأعطيهم، ثم نطق بالشهادة ومات»، ومن يومها أصبحت محبًا للصدقات، ومع كل صدقة أخرجها أتذكر أبي وأدعو له بالرحمة، ولقد تزوجت ورزقني الله بالذرية، وبفضل الله أمارس مع أبنائي فكرة الصدقات الملفوفة التي تعلمتها من أبي.

أمي.. والشهادة الجامعية الثانية :

بعد أن حصلت على بكالوريوس تربية رياضية، التحقت بالتدريس في إحدى المدارس، وخلال شهور أحسست بعدم الراحة في التدريس، وشعرت أنني غير محب

لتلك المهنة، فأخبرت أمي وقلت لها: إنني أحب الالتحاق بكلية التجارة، فشجعتني ودفعت لي مصاريف الدراسة على مدار السنوات الأربع التالية، لقد فعلت ذلك راضية مطمئنة، لقد كانت نظراتها تشعرني دومًا بالرضا، وكانت كلماتها تعطيني أملًا في المستقبل، وبعد سنين حصلت على بكالوريوس تجارة أعدت به تنظيم حياتي، ومرت الأيام حتى أصبحت الآن مديرًا عامًا للعمليات في إحدى الشركات الصناعية الكبرى، وكلما دخلت مكتبي تذكرت أمي ودعوت لها بالرحمة والمغفرة.

أمٌّ.. بدرجة ممتاز:

ربتني أمي دائمًا على العزة والكرامة، وعندما كنت أخطئ كانت لا تنشر أخطائي ولا تخبر حتى إخوتي بما فعلت؛ حتى أظل مرفوعة الرأس أمام إخوتي الصغار، أذكر ذات يوم وأنا في المرحلة الابتدائية وقع مني المنبه فانكسر، ولم يراني أحد سوى ابن عمي، فظل يساومني على أن أعطيه مصروفي يوميًا حتى لا يخبر أمي، ووافقت خوفًا من أمي، واستمرت حالة الابتزاز هذه أيامًا حتى ضقت بها ذرعًا، فأخبرت أمي وأنا متوقعة منها عقابًا شديدًا، لكنني فوجئت بحضن كبير وقبلة حانية، وقالت لي يومها: إنها احترمتني أكثر لأنني أخبرتها بما حدث، وأن علي أن أخبرها بكل شيء حتى تصحح لي أخطائي دون عقاب، ومن يومها تعلمت أن أرفع رأسي وأواجه الدنيا في شجاعة، وعندما كبرت ودخلت المرحلة الإعدادية، كانت أمي دومًا تترك المال معي وتعاملني مثل شابة كبيرة، وتقول لي: اشتري أي شيء مناسب للبيت تجدينه في طريقك، وتناقشني فيما اشتريت، وتعدل أفكاري في هدوء وحكمة، حتى تعلمت تحمل المسئولية من صغري، وعندما كبرت أكثر علمتني الإنفاق على الفقراء حتى لو لم يكن معي سوى ما أعطيه لهم، فكانت الحكمة في الإنفاق مع الزهد في الدنيا عنواني في الحياة بفضلها، رحم الله أمي فقد كانت أمًا بدرجة ممتاز.

أبي يريد بيتًا.. حتى يصلي:

منذ طفولتي ونحن نسكن في بيت لا نملكه، بينما جميع من هم حولنا يملكون بيوتًا،

وكان هذا الموضوع يؤرق والدي ويجعله مهمومًا، وكان أبي لا يصلي في المسجد أبدًا، لم أره في حياتي يدخل مسجدًا، وذات يوم زارنا أحد أقاربنا، وسمعته يقول لأبي: لماذا لا تصلي معنا في المسجد؟ فقال أبي كلمة لا يمكن نسيانها، لقد قال: أنا لن أدخل المسجد حتى يعطيني الله بيتًا أملكه، فقال الرجل: اتق الله، كيف تقول ذلك، كيف تشترط على الله أن يعطيك بيتًا حتى تصلي، فرد أبي: أنا لن أدخل المسجد حتى يصبح لي بيت أملكه، ودارت الأيام، وأبي لا يدخل المسجد وأنا بالطبع مثله، كنت أتساءل كثيرًا: هل سيرزقنا الله بالبيت الذي نملكه؟ هل سيفرح به أبي وتتحول حياته ويصلي؟ كثير من الأفكار راودتني، وبمرور الزمن تحسنت ظروفنا الاقتصادية ورزقنا الله بالمال، واشترى أبي بيتًا بجوار المسجد مباشرة، فقلت في نفسي هذه بداية الخير، وجاء الناس مهنئين وذكروا أبي بالوعد الذي قطعه على نفسه، ووعدهم أبي أنه سيبدأ في دخول المسجد ليصلي إن شاء الله، لكن أبي لم يكن صادقًا في كلامه، أو ربما حرمه الله من لذة الصلاة في المسجد، فلم أره بعدها في حياته دخل المسجد، تخيل أن بيتًا ملاصقًا للمسجد وصاحبه لا يصلي، وذات يوم تغير الكون من حولي ودخل أبي المسجد لأول مرة، حتى هذه المرة لم يدخل أبي ليصلي، لقد دخل ليصلى عليه فقد مات، ومن يومها تعلمت من خطأ أبي والتزمت الصلاة في المسجد، رحمك الله يا أبي فقد خدعك الشيطان خدعة كبيرة وعشت محرومًا من الصلاة في المسجد.

أرسل ما تحب إلى الجنة:

نحن من أسرة ميسورة الحال والحمد لله، وكان من عادة أمي أن تعد لنا أجمل الطعام وأطيبه، ولقد كانت أمي منذ طفولتي تقدم لي الطعام الطيب وتقول لي: هل تحبه؟ فأقول: نعم، فتقول ما رأيك أن نجعله يسبقنا لنجده في الجنة وتقرأ قول الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وتشجعني قائلة: لقد أعددت لك طعامًا آخر تحبه وهذا أيضًا تحبه فهيا نعطيه للفقراء، وعند شراء الفاكهة والحلوى كانت تقول: ما النوع الذي تحبه حتى نشتري منه ونعطيه لليتامى؟ وبمرور الأيام تكرر فعل أمي، حتى أصبحت لدينا

عادة يومية هي أن ننفق مما نحب، وسهل العطاء على نفسي وأصبح الإيثار جزءًا من شخصيتي، لقد علمتني أمي أن للعطاء طعمًا ألذ بكثير من الأخذ، ومرت السنون ورحلت أمي إلى الآخرة، لكن ما علمتني إياه لم يمت، فأنا ما زلت أطبق فكرتها معي ومع أولادي، بل إنني أتخير ما كانت تحبه أمي وأتصدق به عليها، لعل الله تعالى يوصله إليها إنه سبحانه على كل شيء قدير.

طفل صغير محبوس في السرير:

في طفولتي وأنا في مرحلة التعليم الابتدائية، تمارضت يومًا حتى لا أذهب إلى المدرسة، وبحس الأم المرهف وبخبرتها الثاقبة شعرت أمي أنني أتمارض ولست مريضًا، ومع ذلك وافقت على ألا أذهب للمدرسة، وتركتني في البيت لكنها قررت في نفسها أن تعلمني درسًا لا أنساه، لقد فرحت كثيرًا بموافقة أمي على غيابي من المدرسة، لكن ما حدث بعد ذلك أذهب كل معاني الفرحة من قلبي، وإليكم ما حدث: بعدما تأكدت أن موعد المدرسة قد فات، قمت من فراشي لألعب هنا وهناك، فاستوقفتني أمي قائلة: عد لفراشك فالمريض لا يغادر فراشه، فعدت حزينًا كئيبًا، وجاءت أمي بطعام لتأكله أمامي، فهممت بمشاركتها لكنها قالت: أنت مريض والمريض لا يأكل لأنه يتألم، فعدت إلى الحبس في الفراش، وبعد دقائق قلت لأمي: هل تظنين أن باب المدرسة ما زال مفتوحًا؟ فضحكت أمي وقالت: مؤكد أنها مغلقة، وإذا شفاك الله تعالى ستذهب لها غدًا إن شاء الله، ومر اليوم بطيئًا جدًا، وانتظرت صباح اليوم التالي بفارغ الصبر حتى أذهب إلى المدرسة، حيث أجد مزيجًا من التعب واللعب والحياة، ومن يومها تعلمت ألا أتمارض أبدًا، وأن أذهب إلى المدرسة فهي خير من الحبس – اللطيف – في السرير.

أبي.. ولغز السجائر العشر:

كنت في المرحلة الإعدادية، وعلم أبي أنني بدأت في شرب السجائر، وكان أبي رجلا متدينًا لا يشرب السجائر أبدًا، فناداني وقال لي: يا محمد، اذهب واشتر لي عشرة أرغفة

وعشر سجائر، وكان سعر كل سيجارة يومها يساوي سعر رغيف الخبز، فتعجبت من طلبه، لكنني نفذت ما أراد، وعندما عدت قال لي: هيا نذهب إلى الحقل معًا، وهناك أوقد أبي نارًا وأشعل منها السيجارة وتركها تحترق وحدها، ووضع رغمًا في النار ليحترق، وفعل الشيء نفسه مع السجائر والأرغفة الباقية، كل هذا وهو لا ينطق بكلمة واحدة، وفي النهاية قال: إن من يدخن يحرق مع كل سيجارة خبزًا من قوت إخوته أو من قوت والده الذي يحبه أو من قوت أمه التي تجوع من أجله، ومن يومها أكره السجائر كما أكره العمى، وكلما رأيت من يشربها تذكرت أبي و موقف السجائر العشر، ودعوت له بالرحمة والمغفرة.

سرقت من أبي فكافاني بزيادة المصروف:

كان أبي عاملًا بسيطًا، وكنت ككل الأطفال متطلعًا للمزيد من الحلوى والألعاب، وكان مصروفي لا يكفي لشراء كل ما أريد، فمدت يدي يومًا وسرقت من جيب أبي، وتكررت مني مرات السرقة من أبي، واكتشفت أمي يومًا ما أفعله فأخبرت أبي بالحكاية، فما كان منه إلا أن زاد لي في المصروف دون أن يكلمني في موضوع السرقة، وتعجبت كثيرًا مما فعله معي، إلى أن قالت لي أمي يومًا: اذهب لوالدك في العمل لتعطيه هذا الحذاء، وهناك وجدت أبي يعمل باجتهاد في حر الظهيرة الشديد، وعندما رآني أقبل يعانقني وهو يقول للناس مفتخرًا: هذا ابني أحمد، وعدت للبيت، وفي المساء قال لي أبي: أحمد، أنا أحبك جدًا، وعندما تريد نقودًا زائدة أخبرني ولا تأخذ من جيبي، هل تعلم كيف زدت لك مصروفك؟ لقد قررت أن أعمل ساعة يوميًا زيادة بدلًا من الراحة في وقت الظهيرة؛ لأوفر لك كل ما تحتاجه، فرجاء لا تسرق ولا تخذل أباك أبدًا، وأخذني في حضنه وتركني أبكي، ومن يومها زاد حبي لأبي، ولم أمد يدي للحرام أبدًا، وتفوقت في دراستي أملا في رفع رأس أبي.

أبي.. وحذاء الجيش القاسي:

كان أبي عسكريًا بالجيش، وكنت دون السادسة من العمر ولم أدخل المدرسة بعد،

وذات يوم بعد الطعام مسحت يدي وبها آثار الطعام في ملابسي، فقام والدي بعقابي بصورة «قاسية جدًا»، حتى أنني أذكر أنه داس عليَّ بقدمه وهو يلبس الحذاء الميري الخاص بالجيش، داس به على صدري وأنا واقع على الأرض من الضرب، وأصبت يومها برعب شديد، وبالرغم من أن أبي صالحني بعد ذلك، إلا أنه لا يزال في قلبي بقايا من حزن وخوف، لقد حدث هذا الموقف منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وأظن أنني لن أنسى هذا الموقف ما حييت.

ومن يومها لم أحفظ آية من كتاب الله :

كان والدي محفظًا للقرآن الكريم، وكان الأولاد يحفظون في بيتنا، ثم يذهبون إلى بيوتهم ويلعبون، أما أنا فكنت لا أستطيع اللعب مثلهم، إذ كان والدي يحرص على أن أحمل المصحف في يدي وأحفظ ليل نهار، وذات يوم كنت أرغب في اللعب، ومنعني أبي لأحفظ مزيدًا من الآيات، فما كان مني إلا أن مزقت المصحف نصفين، فعلت هذا وأنا طفل صغير لا يعرف غير أن هذا المصحف يحرمه من اللعب، فضربني أبي ضربًا شديدًا، ومن يومها لم أتمكن من حفظ آية من كتاب الله، رغم كل محاولات أبي، واليوم بعد أن رزقني الله بأبناء، لم أجبر واحدًا منهم على الحفظ، بل أرغبهم وأكافئهم، وصدق من قال: من أحسن فن الراحة أحسن فن العمل، رحمك الله يا أبي وسامحك، فمن الحرص ما قتل.

الملابس المتسخة ومعنى الرحمة :

كنت في المرحلة الابتدائية، وأرسلني أبي بملابسه الخاصة بالعمل إلى المكوجي (الذي يمتهن كي الملابس) حتى يكويها له، وفي الطريق تسببت رغما عني في وقوع ملابس أبي في الطين، كنا في يوم الجمعة والمطر شديد والأرض موحلة، وكان من المفروض أن يلبس أبي تلك الملابس في اليوم التالي عند ذهابه للعمل، وعدت للبيت حاملا الملابس المتسخة خائفًا متوقعًا سوء العقاب، واستقبلتني أمي مصدومة وقالت: لن أستطيع غسلها لأنه لا توجد شمس لتجففها، وأرادت أن تضربني، ولكن أبي دافع عني وقال: لقد أسقطها رغمًا

عنه، وسيحرص في المرة القادمة، وقال إنه سيرتدي ملابسه الأخرى المتسخة فهي جيدة نوعًا ما، وحينها أحسست بإحراج شديد وتعلمت معنى الرحمة، رحمك الله يا والدي فقد كنت بنا رحيمًا.

دعاء أبي الأخير:

لأني أبي كان رجلا كبير السن، فقد سكنت معه في بيت واحد، كان هو يسكن في الدور الثاني وأنا في الدور الأول، وفي آخر أيام أبي في الدنيا وفي مرض الموت كنت أخدمه، وفي لقائي الأخير به طلب مني شيئًا معينًا أفعله له، ففعلت ما طلبه أبي ونفذت ما أراد، وكان حينها نائمًا على سريره الخاص به، فسألته: هل تريد شيئًا آخر يا بابا أفعله لك؟ فقال: لا، انزل أنت لتنام، ودعا لي قائلا: "الله يصلح حالك، ويريح بالك، الله أرحتني"، وتركت أبي ونزلت وعدت في الصباح فوجدت أبي قد دخل في غيبوبة، لم يفق بعدها ومات، وكانت آخر كلماته في هذه الدنيا هي دعاءه لي.

وكم تمنيت أن يوقظني أبي:

كان أبي يوقظني بوضع قطع الحلوى في فمي، بينما كانت أمي توقظني بالصراخ والصياح، وكم تمنيت في كل مرة أستيقظ فيها أن أرى وجه أبي فقط.

اليد الصغيرة وصناديق الخير الكثيرة:

منذ طفولتي كان أبي يصطحبني إلى المسجد كل يوم جمعة لأصلي معه، وفي البداية كنت أرى في المسجد شيئًا يحدث لا أفهم ما هو، كنت أرى رجلا يدور على الناس بين الصفوف حاملًا صندوقًا أخضر، ويمد الناس أيديهم وهم يمسكون شيئًا ليضعوه في الصندوق، وكانت المفاجأة هي أن والدي لم يضع يده في الصندوق مثل باقي الناس، بل أعطاني قدرًا من المال وطلب مني أن أضعه في الصندوق، ومع الأيام فهمت أنه صندوق التبرعات، ولقد جعلني أبي أضع المال فيه سنين، ومنذ تلك الأيام الطيبة ويدي لا تتردد

لحظة عن أي صندوق خير، وأسأل الله أن يجعل لأبي فيما أضعه نصيبًا، فقد استطاع أبي – رحمه الله – أن يغرس في قلبي حلاوة العطاء.

أبي والطرطور الألماني:

في طفولتي سافرت مع أبي إلى ألمانيا، وأذكر أول يوم لي في المدرسة هناك، لقد كان أبي مريضًا، لكنه صمم على أن يوصلني إلى المدرسة، وهناك فوجئ بتقليد ألماني غريب، وهو أن كل التلاميذ الجدد يلبسون طرطورًا كبيرًا على رءوسهم، والطرطور ملون وبه حلويات وزينة، ولم يكن قد أحضر لي واحدًا، وكان المكان الذي تباع فيه تلك الطراطير بعيدًا، إلا أن أبي أصر على إحضار هذا الطرطور رغم مرضه، حتى لا أشعر بأنني أقل من زملائي، وبالفعل تحامل على نفسه وذهب لإحضار الطرطور، وكم سعدت يومها كثيرًا، وتسبب ذلك الموقف في اشتداد المرض على أبي، حتى أنني أذكر أنه رقد في السرير بعدها أسبوعًا، وكان كلما رآني وهو في سرير المرض تبسم وقال: كيف حال الطرطور؟ فجزاه الله عني خيرًا.

أخيرًا قرأتها يا أبا بكر!

وأنا في نهاية المرحلة الثانوية ذهبت يومًا لحضور درس في أحد المساجد، وكان موضوع الدرس عن قيام الليل وحلاوته، ومن شدة انفعالي أخرجت ورقة وقلمًا وبدأت في الكتابة خلف الشيخ، وكان مما كتبت أن أحد الصالحين سئل: لماذا تقوم الليل؟ فقال: إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ويقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وإذا نزل ربنا إلى السماء الدنيا وجب على الصالحين (المحبين) استقباله، وأنا أخشى ألا يقوم أحد الليل من قريتنا فيستقبل الله، فأنا أستقبله تعالى نيابة عن أهل قريتنا، المهم أنني تأثرت كثيرًا بموضوع الدرس، وكتبت أجمل ما سمعت، وعدت للبيت ووضعت الورقة بجوار التلفزيون، وبمرور الأيام نسيت الورقة ولم أقم الليل كما سمعت، ومرت الأيام وفوجئت بتغير غريب في حال أبي، إذ كان

من عادته أن يصلي قيام الليل مرة في الشهر، لكنه بدأ يستيقظ يوميًا قبل صلاة الفجر بساعة ويصلي لله تعالى ثم يذهب لصلاة الفجر، ومع تغير حال أبي بدأ شيء آخر غريب يحدث، بدأت الورقة التي كنت قد كتبتها عن قيام الليل تصادفني كثيرًا في البيت، فمرة أجدها على مكتبي، ومرة أراها على سريري، ومرة أجدها في جيب البدلة التي ألبسها، كنت أستغرب كثيرًا لكنني لم أكن أفكر في الأمر، حدث هذا معي على مدار حوالي عام ونصف أو عامين، ولما طال وجود الورقة في جيبي (حوالي ستة أشهر) بدأت أقرؤها كثيرًا، ومع قراءتها أشعر أن أبي يريد أن يقول لي شيئًا لكنه لا يتكلم، كنت أجلس معه بالساعات نتكلم لكنه لم يقل لي شيئًا، وفجأة فهمت الرسالة: إن أبي يريدني أن أنفذ ما كتبت في الورقة، فهو الذي لم يحضر الدرس قرأها وانتفع بها، وحان دوري في الاستفادة العملية مما سمعت، وذات ليلة وفقني الله تعالى أن أبدأ في رحلة قيام الليل، وترضأت وصليت ركعتين، وفي التسليمة الثانية سمعت من يقول من وراني: أخيرًا قرأتها يا أبا بكر! إنه أبي، ومن يومها بدأت رحلتي العملية مع قيام الليل... ومرت الأيام، وأصيب أبي بمرض شديد استلزم علاجًا كيماويًا، وكنت بفضل الله تعالى في خدمته صباح مساء، عشت معه رحلة المرض كاملة، وذات ليلة وأنا بجوار سرير أبي في المستشفى، سمعت المريض المجاور له يتألم ويتوجع بشدة، فقال لي أبي: يا بني، اذهب وساعد هذا الرجل فإنه ليس معه أحد، ونفذت ما طلبه أبي وذهبت لمساعدة الرجل ومواساته، وعدت لأبي فوجدته قد دخل في غيبوبة، لقد جعلني أساعد الرجل وبدأ هو يرحل عن الحياة، لقد آثر الرجل بمساعدة ابنه رغم احتياجه لها، وخلال ساعات فارق أبي الحياة، وكانت آخر كلماته لي: «ساعد هذا الرجل».

أبي وحكاية العشرة آلاف جنيه:

عندما كنت في المرحلة الابتدائية، كان أبي كثيرًا ما يزرع فيَّ الثقة بالنفس، وكان أبي تاجرًا معروفًا، وذات يوم فوجئت به يحضر إلى المنزل عشرة آلاف جنيه، وكان هذا المبلغ كبيرًا جدًا في أيامها، وطلب مني أن أحفظه له، في البداية فوجئت بطلبه واستغربت منه،

لكنه شجعني وقال: أنت يا ابنتي تحفظين كنوز الدنيا كلها ولا تضيع، لقد دفعني نحو مزيد من الثقة بالنفس، وعلمت حينها كم أنا كبيرة، وأن ثقة أبي فيّ كبيرة جدًّا، ومن يومها هانت النقود في عيني، وزادت ثقتي في نفسي، وزاد حبي لأبي، رحمك الله يا أبي فلقد أشعرتني يومها أنني عندك أهم من كنوز الدنيا، وأنني بحق شريكة لك.

هل دعا عليك أبوك يومًا؟

في بداية التزامي كنت شديدًا وعنيفًا ومتعصبًا، كان ذلك منذ حوالي ٣٠ سنة تقريبًا سنة ١٩٧٩ ، ١٩٨٠، وكنت حينها أتعامل بعنف مع والدي، حتى إنه كان يخشى من إحراجي له أمام أصحابه، وذات يوم ذهبت إلى المقهى الذي يجلس فيه أبي مع أصحابه، ووجدته هناك يلعب كوتشينة مع بعضهم، وبلا مقدمات توجهت نحوه وأخذت الكوتشينة من أيديهم ورميتها على الأرض، ومن هول الصدمة سكت أبي ولم ينطق بكلمة واحدة، وهاج الناس وماجوا وأبي صامت لا يتكلم، فتركتهم وعدت إلى البيت وأنا أظن أنني قد أوقفت منكرًا كبيرًا، وفي تلك الليلة عاد أبي حزينًا منكسرًا، وسمعته يصلي ليلًا ويدعو عليّ لأنني أهنته وسط الناس، لقد نهيت عن منكر وارتكبت منكرًا أشد منه، فذهبت إليه وطلبت منه أن يسامحني، وبقلبه الطيب سامحني ودعا لي بالهداية، ومن يومها تعلمت الرفق واللطف والحكمة والموعظة الحسنة، رحمك الله يا أبي فقد نصحتني بصبرك وصمتك ورفقك بي.

أمنية أبي الأخيرة ليتني أعرفها:

كان أبي قوي الشخصية ذا هيئة ووقار، ابتلاه الله تعالى قبل موته بمرض شديد وهو ضمور في الأعصاب، ولقد بدأ مرضه بسيطًا ثم زاد شدة وألمًا يومًا بعد يوم، وكان الله تعالى يزيد له في البلاء يومًا بعد يوم، في البداية توقفت رجله عن الحركة، ثم توقفت يده، وتباعًا توقف جسده جزءًا تلو الآخر حتى وصل الشلل إلى لسانه، وقبيل وفاته بساعات كان يهمهم بلسانه يريد أن يطلب منا شيئًا لكننا لم نستطع فهمه، ولم نعلم ما يريد، كان يحاول طلب شيء منا لكننا جميعًا لم نفهم كلامه، ويده مشلولة لا يستطيع أن يكتب، كم

كانت لحظة صعبة وقاسية، دمعت عيناه ودمعت عيوننا، وتوفي - رحمه الله تعالى - بعدها مباشرة، تخيل وهو يرحل عن الحياة يريد أن يقول لمن يحب شيئًا لكنه لا يستطيع، تخيل أن أباك يموت ويقول لك شيئًا وأنت لا تفهمه، هذه كانت لحظات اللقاء الأخير بيننا، والآن كل أمنيتي في الحياة أن أعرف ماذا كان يريد والدي الحبيب قبل وفاته؟ وماذا كان طلبه الأخير حتى أنفذه؟

الأذكار على السرير لها طعم خطير:

في طفولتنا كان والدي كلما صلى الفجر وعاد إلى البيت؛ يجمع كل من في البيت حوله فوق السرير ويغطينا جميعًا معه بغطاء واحد، كنا نجلس مع أبي وأمي وإخوتي في دفء عجيب، ثم يقرأ والدي الأذكار لمدة ٢٠ دقيقة تقريبًا، والله لقد كانت من أسعد الدقائق في عمرنا، فعل ذلك معنا كل يوم لسنين عديدة، حتى حفظنا الأذكار عن ظهر قلب، وكذلك سورة الكهف في أيام الجمعة، والنتيجة أنني لا يمكن أن أنسى كلمة من الأذكار أو أتخلف عن قراءة سورة الكهف أيام الجمعة، وبمرور الأيام كبر الصغار وتفرق الجمع ورحل أبي عن الحياة، ولقد تزوجت ورزقني الله تعالى بطفل عمره ستة أشهر، أتمنى أن يكبر سريعًا لأنفذ معه فكرة والدي الجميلة، ليدعو لي بعد موتي.

خاطرة الفجر والابن المعلم:

كنت في المرحلة الثانوية، وفي أحد أيام رمضان سمعت قصة عن فضل الاستغفار وحلاوته في المدرسة، وعندما عدت للبيت وحكيتها لأبي، فتبسم ودعا لي بالخير، وخرجنا معًا لصلاة فجر اليوم التالي، وهناك ألقى أبي خاطرة الفجر كعادته فهو شيخ مسجدنا، لكنني فوجئت به يحكي القصة التي حكيتها له ويقول: لقد حكى لي أحد الشباب الطيبين (ونظر نحوي وابتسم) قصة عن الاستغفار أحب أن أحكيها لكم، وهي قصة جميلة ومؤثرة، والله لقد شعرت حينها بسعادة لا أستطيع وصفها، وأعطاني ثقة في نفسي وحبًا للعلم ونهمًا في طلبه.

هذا الأب كيف أحبه؟

طلبت من أبي يومًا أن يصنع لي تورتة لأحتفل بعيد ميلادي مثل أولاد خالي، فرفض بغلظة قائلا: «هذا حرام»، فحزنت وصُدمت، وبعدها وعدني أكثر من مرة عندما أنجح وأتفوق بجهاز بلاي ستيشن، وبالفعل نجحت وانتظرت هدية أبي، لكنه لم يوفِ بوعده وخان عهده معي بحجج واهية لم أصدق منها شيئًا، والعجيب أنني كنت في الإجازة الصيفية عندما أجلس لألعب على الكمبيوتر؛ يطلب مني عدم تضييع الوقت وترك الكمبيوتر لفعل شيء نافع، بينما يجلس هو على الكمبيوتر ليفعل ما يراه هو نافعًا من رؤية الأخبار وقراءة المقالات، أتصدق أنه يجعلني أترك الكمبيوتر حتى لا أضيع وقتي بينما يجلس هو ليضيعه؟ وكانت الخاتمة عندما أخطأت ومددت يدي على نقوده أكثر من مرة، فضربني بشدة لدرجة أنه شوه جسدي وازرق وجهي وحطم كرامتي، فيا ترى هذا الأب كيف أحبه؟؟؟

من حبي لأبي أحببت الوطن:

كانت لنا مع والدي جلسات يحكي لنا فيها تاريخ بلدنا مصر، حكى لنا الكثير من تاريخ مصر الحديث وبعضًا من التاريخ الفرعوني والفتح الإسلامي لمصر، ومن خلال جلسات المحبة هذه أحببت أبي أكثر، وأحببت بلدي منذ الصغر، وجعلني أفتخر بوطني وأتمسك به مهما حدث.

هدية أبي اليومية قراءتها فورية:

كان والدي دائمًا عندما يعود من سفر، يأتي إلى البيت حاملًا كتابًا أو جريدة، ويدخل مسلمًا علينا ويعطيني ما جاء به، فأسرع نحو حجرتي وأعكف على قراءة وتصفح ما جاء به حبيبي بابا، فعل أبي ذلك معي لسنين عديدة، فعلمني حب القراءة منذ الصغر، ومنذ ذلك الحين وأنا أعشق القراءة، وما إن تقع يدي على كتاب أو جريدة إلا وشعرت وكأنني وقعت على كنز لا يقدر بثمن.

أنت الولد الصالح الذي تركته بعدي:

قبل وفاة والدي الحبيب بأسبوع نادى وقال لي: «أنت الولد الصالح الذي تركته في الدنيا من بعدي فلا تنساني يومًا من صالح دعائك»، هذا بالرغم من أنني أصغر أبنائه الخمسة وكم قصرت في حقه، فهل تراني بعد هذه الكلمات أنسى الدعاء له يومًا؟

من حبّات الفول إلى أبواب الجامعة:

كنت في المرحلة الابتدائية ضعيفًا في الحساب، وصبر أبي عليّ ولم يضربني، بل ساعدني على تجاوز محنتي، لدرجة أنه كان يجلس معي ويفرغ نفسه ليعلمني الحساب باستخدام حبوب الذرة والفول، والحمد لله أنا الآن قد تخرجت من كلية الهندسة، واليوم لا أرى حبات الفول أو الذرة في البيت أو في الحقول إلا وتذكرت أبي ودعوت له من كل قلبي.

من أجلك يا أبي سأكون رجلا:

في مرحلة المراهقة، زارني زملائي يومًا في بيتنا، وقرروا أن يصنعوا بي مقلبًا حتى يجعلوا أبي يضربني أمامهم، فقالوا لبابا فجأة وبلا مقدمات: ابنك محمد يشرب السجائر، ومن هول الصدمة توقعت أن ينزل بي العقاب الشديد، لكن أبي ابتسم ونظر نحوي وربتَّ على كتفي وقال لهم: محمد ابني يستحيل أن يفعل ذلك، لقد ربيته جيدًا، والله كنت أيامها أدخن السجائر بعنف، ومن يومها قررت أن أرفع رأس أبي كما رفع رأسي أمام زملائي، فامتنعت من يومها عن التدخين وقررت أن أكون الرجل الذي يتمناه أبي.

حفل ضرب جماعي:

من المواقف السيئة التي لا يمكن نسيانها لأبي، أنه إذا حدث وأخطأت أنا أو أحد إخوتي، كان يجمعنا كلنا في حجرة واحدة ويضربنا بشكل جماعي، وهذه الحفلة (المؤلمة) جعلتنا نحاول حل مشاكلنا بعيدًا عن أبي، بل إنها تركت في نفسي إحساسًا بالكآبة

والانكسار، وقررت مع أبنائي أن أربيهم على الحرية والكرامة، وذات يوم اكتشفت أن ابني الذي في المرحلة الابتدائية يهرب من المدرسة ليلعب على الإنترنت في مراكز الكمبيوتر، فقمت بزيارته في المدرسة لأتأكد من الخبر، وبالفعل لم أجده هناك فقد حضر صباحًا وهرب سريعًا، وبحثت عنه في مراكز الكمبيوتر حتى وجدته، وما إن وقعت عيني في عينيه حتى سألته: لماذا لست في المدرسة؟ فكذب عليّ وقال: لقد خرجنا من المدرسة اليوم مبكرًا، فأخذته معي وعدنا إلى المدرسة، وهناك قلت للمدرس أمام التلاميذ في فصل ابني: لقد كانت أمه في احتياج شديد إليه وطلبت منه أن يأتي إلى البيت، وتركته هناك وانصرفت، وبعد انتهاء اليوم الدراسي عاد من المدرسة، فقلت له: أتدرى لم سترت عليك ولم أفضحك؟ فقال: نعم حتى لا تخرجني مع أصحابي وبكى، ومن يومها انتظم في دراسته واستقام حاله.

دوري في الرحلات الأبوية:

كان والدي – رحمه الله – عند خروجه في المناسبات أو الزيارات، يأخذ واحدًا منا نحن أبناءه الثلاثة، وهكذا أصبح لدينا دور للخروج مع أبي، ويا فرحته من عليه الدور اليوم، لقد فعل أبي ذلك معنا لسنين، وذات يوم كان أبي سيخرج لزيارة صديق، فتشاجرنا على من منا عليه الدور هذه المرة، وكانت النتيجة أننا حُرمنا جميعًا من الذهاب معه، وكم كان حزينًا وهو يخرج وحده، لكنه أخبرنا أنه فعل ذلك لنتعلم درسًا، وأصبحنا بعدها نكتب في ورقة أدوارنا في الخروج معه حتى لا نختلف بعد ذلك فنحرم من صحبة والدنا الحبيب، والله لقد كنا نحب صحبة أبينا، وهو كان يحرص على أخذ أحدنا في كل فرصة متاحة، وبالطبع يكون لكل واحد منا أسراره الخاصة مع أبيه خلال تلك الرحلة، والتي لا يحكيها طبعًا لإخوته لأنهم يملكون أسرارًا أخرى، ولهم في قلب أبيهم نفس رصيد الحب.

لم يكن أبي بل كان صديقي:

كان والدي – رحمه الله – يحترمني بصورة عجيبة ويقدرني بطريقة غريبة، لدرجة أنني كلما دخلت عليه وهو نائم أو مضطجع كان سريعًا ما يعتدل قاعدًا ويكلمني، وإذا كان

يمد رجله عدها وأبعدها عن وجهي، والله لم يكن يعاملني كأب وإنما كأخ أكبر وصديق حبيب، والله لقد احترمني أبي حتى أخجلني من نفسي، وكنت طبعًا أقبل جبه بحب واحترامه باحترام أشد، ولما كبرت اكتشفت أن أبي كان يطبق – دون أن يشعر – سنة نبوية تربوية جميلة، هذه السنة فيما رواه أبوداود والترمذي (وصححه الألباني) عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: «ما رأيت أحدًا كان أشبه سمتًا وهديًا ودلا برسول الله ﷺ، من فاطمة كرم الله وجهها؛ كانت إذا دخلت عليه قام إليها، فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه، فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها».

رسالة من دار العلوم إلى أبي العنون:

كنت أسكن في مدينة القاهرة أثناء دراستي في كلية دار العلوم، وأثناء الامتحانات نفد الزاد والمال، فأرسلت لوالدي رسالة أستغيث به، وكتبت فيها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وأوصلت الرسالة مع زميل لي مسافر إلى بلدتنا، ووصلت الرسالة إلى أبي صباحًا، وفوجئت به أمامي مساء اليوم نفسه، لقد جاء أبي رغم بعد المسافة من قريتنا إلى القاهرة وهو رجل كبير السن ضعيف البدن، إنه لم يتأخر عني لحظة وجاء ومعه ما لذ وطاب من الطعام والمال، لقد دخل علي أبي وعليه أثر السفر والتعب، وسلم علي واحتضنني حضن لن أنساه، ولم يتكلم، لكن حضنه الدافئ كان يقول: وكيف أضيع من أحب؟ لقد كان عمر أبي يومها حوالي ستين عامًا، ومرت الأيام والسنون، وبلغ أبي من العمر ٨٢ سنة، وفي أيامه الأخيرة دخل في غيبوبة لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث جلست بجواره أقرأ القرآن، فإذا به يمد يده ليمسك بيدي، ويفتح عينيه ويبتسم لي ثم يفارق الحياة، لقد عاش حنونًا محبًا إلى حتى في آخر لحظة من عمره.

فكرة في المصروف:

في المرحلة الإعدادية، كان أبي يعطيني أيام الدراسة مصروفي بالأسبوع، لكل يوم مبلغ يكفيه، ثم يعطيني فوق المبلغ الكلي ربع جنيه زيادة (٢٥ قرشًا)، ويقول لي: هذا

المبلغ (كان جيدًا أيامها) لك زيادة خارج مصروفاتك الأساسية، فافعل به ما يحلو لك، رحمه الله فقد غرس فيّ – بهذا المبلغ الزهيد – الكرامة والأمانة وحسن إدارة المال.

اللهم أحسن استقبال أبي في الآخرة:

كان أبي تاجرًا كبيرًا للماشية، وكان عادة ما يرجع من السوق مرهقًا متعبًا، وكنت أقف في استقباله منتظرًا مجيئه على مسافة بعيدة من البيت، وكان يلقاني بحفاوة بالغة، لدرجة أنه كان يحضنني ويقبلني ثم يحملني على كتفيه، ثم يسير بي نحو البيت لمسافة كبيرة، كل هذا يفعله في الشارع أمام الناس رغم مكانته بينهم، لقد أحسن استقبالي بهذه الطريقة لسنين، وفجأة فقدت هذا الاستقبال، ليس هذا لأن أبي غيّر عادته الطيبة، بل لأنه غادر حياتي فجأة، وكم افتقدت استقباله لي بعد وفاته، فأسأل الله تعالى أن يحسن استقبال أبي وهو وافد عليه في الآخرة، وأن يكرم – سبحانه – وقوف أبي بين يديه، كما كان يكرم وقوفي بين يديه.

من أبي تعلمت الورع:

منذ الصغر كنت أساعد والدي في إدارة المحل الذي يملكه، وذات يوم وأنا معه في المحل، طلب مني إحضار بعض الأشياء من المخزن، وكان عمري حينها ١٤ أو ١٥ سنة، وكان المخزن بدون إضاءة، فأعطاني أبي كشافًا يعمل بحجارة البطارية الصغيرة ليضيء لي الطريق، لكن الكشاف لم يكن به حجارة بطارية، فأخذت اثنين من التي تباع في المحل، وذهبت فقط لدقائق أحضرت خلالها ما طلبه أبي، وعدت وناولته ما أراد ثم أخرجت حجري البطارية من الكشاف وهممت بوضعهما وسط باقي الحجارة التي نبيعها، فلاحظ أبي – رحمه الله – ما حدث، فقال لي بحزم: ماذا تفعل؟ فقلت له: سأعيد حجري البطارية مكانهما، فقال أبي: هل ستبيع بلا ضمير ولا ذمة؟ أترضى أن يأتي من سيشتري حجري البطارية الذي استخدمتهما يوم القيامة ليأخذ منك حقه الذي أضأت به كشافك دقائق؟ أترضى أن تكون غشاشًا؟ ومن يومها عرفت سر البركة في تجارتنا بل في حياتنا كلها، إنه صدق أبي وأمانته وورعه، وكان موقف أبي معي وكلماته الصادقة سببًا في ميلاد تاجر أمين، هو أنا.

عن المغفرة كان أبي يبحث:

كان والدي عالمًا مرموقًا بالأزهر الشريف، ومع ذلك كنت أراه يمسك المكنسة بكل فخر ويكنس المسجد، ويغسل الحصير، ويمسح التراب من على المنبر، وعندما كنت أسأله: لماذا تفعل ذلك؟ أليس هذا هو عمل العمال؟ يرد قائلا: هذه بيوت الله، وأنا أنظفها ليكرمني صاحبها ويعفو عني، وأنا اليوم بعد سنين أصبحت مثل أبي، أعشق خدمة المساجد وتنظيفها، أفعل ذلك راجيًا عفو ربي وكرمه، وداعيًا بالرحمة والغفران لوالدي.

المفاجأة كانت في محفظة أبي:

تزوج والدي من امرأة أخرى غير أمي، وكانت زوجة أبي هذه أصغر سنًا من كل أولاده، فأخذ الجميع منه موقفًا معاديًا، وكنت أنا الوحيد الذي عامله بلين ورفق، وكم نصحت إخوتي أن يفعلوا مثلي لكنهم رفضوا، وذات يوم اشتد بيننا الخلاف لدرجة أن أبي أقسم أنه لن يكلم أحدًا منا وسيقاطع الجميع، وظننت حينها أنه وضعني ظلمًا في كفة من أساءوا الأدب معه، وبعدها بأيام توفي أبي فجأة وهو في البنك، فطلبني ضابط الشرطة وأخبرني بالخبر، ثم قال لي: تعال وحدك فقط لاستلام الجثة، ولم أعرف سبب طلبه الغريب، وذهبت مسرعًا وهناك اكتشفت المفاجأة، إن والدي قبل موته كتب رسالة ووضعها في محفظته يقول فيها: عند حدوث مكروه لي يكون الاتصال بابني فلان (اسمي أنا) فقط، وهو الذي يصلي علي ويدعو لي، فكانت سعادتي بتلك الوصية ملء الدنيا لأنني كنت راغبًا في بر أبي، ولقد مات راضيًا عني.

٣٠ كيلومترًا.. تشهد على محبة أبي:

عند التحاقي بالثانوية الأزهرية، لم يكن في قريتنا معهد أزهري، فالتحقت بمعهد في المدينة التي تبعد عن قريتنا حوالي ١٥ كيلومترًا، ولأن المواصلات في أيامها كانت نادرة؛ فقد سكنت في المدينة بجوار المعهد، وذات يوم مرضت مرضًا شديدًا وأنا مع زملائي في السكن، ووصل والدي الخبر، كنا أيامها في الشتاء والجو بارد جدًا، فخرج أبي من بيتنا

فور بلوغه خبر مرضي، وانطلق سيرًا على الأقدام قاصدًا المدينة حيث أسكن، مشى تلك المسافة يلفحه البرد ويؤذيه المطر ويتعثر في الطين، ووصل بعد طول عناء إلي حيث أسكن يحمله الشوق والعطف والحنان، ولقد احتضنني أول ما رآني، ولكم أشفقت عليه لما رأيته عليه من ملابس مبتلة وأطراف باردة، وحملني أبي فورًا إلى الطبيب، وبعد أن هدأت الأحوال واطمأن عليّ، عاد إلى قريتنا سيرًا على الأقدام تلك المسافة كلها، فمشى يومها من أجلي ٣٠ كيلومترًا في برد ومطر وطين، وكم شكرت الله تعالى يومها على أن رزقني بهذا الأب المحب، والله كلما مشيت في هذا الطريق تذكرت خطوات أبي التي مشاها من أجلي، أسأل الله أن يكرمه بكل خطوة خطاها ليصل عندي، وأن يغفر له بكل لفحة برد ذاقها من أجلي، وأن ينزل عليه الرحمات بكل نقطة مطر نزلت عليه في طريقه إليّ.

ومن يومها أشعر بحرارة النار كلما اقتربت من المعصية:

كان أبي رجلًا أميًّا غير متعلم، وكان ذا فطرة نقية، ولأنني كنت طفلا ضعيف الجسم فقد كان أبي لا يضربني أبدًا لأنه يخاف أن يؤذيني، وذات يوم ذهبت مع أخي الذي يكبرني بثلاث سنوات إلى المخبز لشراء الخبز، وكان عندي حينها خمس أو ست سنوات، وكان صاحب المخبز يعرض المخبوزات الشهية على منضدة في الخارج، فسرقت فطيرة بالعجوة أعجبتني وأكلتها، ورآني أخي وأخبر أبي، فخفت جدًّا من رد فعله، لكن أبي وقع في حيرة كبيرة، إن ضربني قد أصاب بمكروه، وإن تركني سيخون أمانة تربيتي، وصمت أبي طويلا ليفكر، كنت ساعتها كمن ينتظر لحظة النطق بالحكم، ثم قال لي: أين يدك التي سرقت بها، وأمسك بيدي وأحضر شمعة وجعل نقطة من الشمعة تقع على يدي التي سرقت بها، فوقعت وهي ساخنة فآلمتني، فقال لي: هذه نار الدنيا، نار ربنا في الآخرة أشد بكثير، وكم أخاف عليك يا بني من نار الآخرة، وأمرنا بالعودة لصاحب المخبز وإعطائه ثمن الفطيرة، وكم كان استقبال الرجل لنا رائعًا، إذ أعطانا مكافأة على أمانتنا، وأصبحنا فيما بعد من أصدقائه، ومن ساعتها أصبحت أشعر بحرارة النار إذا اقتربت من المعصية.

ومن ساعتها لم أضع سيجارة في فمي:

ذات يوم وأنا طالب في الجامعة، رآني والدي وأنا جالس واقف أشرب سيجارة مع بعض زملائي، فسلم عليّ ورحل زملائي دون عتاب ومر كأنه لم ير شيئًا، ومشى وانصرف متجهًا نحو البيت، ولقد وقفت بعده محرجًا متجمدًا لا أدري ماذا أصنع، وعدت للبيت حاملا له الجميل لأنه لم يحرجني أمام زملائي، وفي الوقت نفسه خائفًا من غضبه وثورته وعقابه، وأول ما رآني ووقعت عينه في عيني رحّب بي، وأخذني إلى غرفتي وجلسنا على انفراد، وشرح لي أضرار ما فعلته، وطلب مني وعدًا بعدم تكرار ذلك، كل هذا دون غضب أو سب أو ضرب، وعاملني كصديق أو كأخ، ومن ساعتها لم أضع سيجارة في فمي، أتدري لماذا؟ لأن أبي احترمني أمام زملائي ولم يهنني، وكان لزامًا عليّ أن أرد له الجميل وأكون معه رجلًا كما كان معي رجلًا.

اللهم ارحم أبي.. فقد كان بنا رحيمًا:

نسكن في محافظة في جنوب مصر تبعد عن القاهرة حوالي ٣٠٠ كيلومتر، وابتلى الله أختي بمرض شديد، اكتشفنا بعد ذلك بأنه ورم خبيث، واستلزم الأمر نقلها للعلاج في معهد الأورام بالقاهرة، فسافر معها أبي، وأقامت هي في المعهد، ولم يجد أبي مكانًا لإقامتها، فاضطر للمبيت يوميًا عند أخته (عمتي) في جنوب محافظة الجيزة، وكان كل صباح يعد لأختي طعام الغداء، ثم يحمله ويركب الميكروباص ساعة ونصفًا كاملة ليصل إلى أختي في المعهد، فيزورها ويواسيها ويطعمها بيديه ويقضي معها طوال اليوم. وفي المساء يعود إلى بيت عمتي، وذات يوم خرج أبي صباحًا من عند عمتي حاملا غداء أختي متوجهًا نحو المعهد، لكن الميكروباص الذي ركبه اصطدم بسيارة أخرى، والقلب الميكروباص ومات الرجلان الجالسان بجوار أبي، وأصيب أبي في قدمه إصابة بالغة، وكان لا بد وأن يذهب إلى المستشفى - لا ليتعالج - بل ليطعم أختي، لقد رفض الذهاب إلا لمعهد الأورام ناسيًا جراحه متذكرًا فقط ابنته المريضة حاملا لطعامها الذي نجا من الحادث، وبعدها بأيام ماتت أختي رحمها الله، وعاد أبي حاملا ابنته الحبيبة ليواريها الثرى

بيديه، لقد ماتت أختي لكن ما فعله أبي لم يمت، فقد بقي ساكنًا في قلوبنا لا تمحوه السنوات.

جاء ماشيًا.. لأعود راكبة:

كان والدي أعظم وأحب ما لدي في هذا الكون، ومن المواقف التي لا أنساها لأبي، عندما كنت في المرحلة الثانوية، وكانت مدرستنا في قرية مجاورة لقريتنا، فكنا نركب سيارة ذهابًا وإيابًا، وكانت أجرة الفرد يومها خمسة قروش ذهابًا وخمسة قروش إيابًا، وذات صباح طلبت من والدي نقود المواصلات، فلم يكن معه حينها إلا خمسة قروش أعطاها لي وهو منكسر وحزين، فقلت: لا عليك، سأذهب راكبة السيارة، وأعود ماشية مع بعض زميلاتي، وانصرفت إلى المدرسة، وفي نهاية اليوم الدراسي فوجئت بأبي منتظرًا أمام باب المدرسة، فقلت في نفسي: يا ترى ما الخبر؟ وفوجئت بأبي يعطيني خمسة قروش لأعود راكبة السيارة بدلا من السير على الأقدام، لقد خاف والدي من إحراجي أمام زميلاتي، وخاف علي أن أعود ماشية، فتصرف وأحضر لي القروش الخمسة، وكانت قمة المفاجأة أن أبي حضر من بلدتنا سيرًا على الأقدام وعاد بنفس الطريقة، كل هذا ليوفر لي القروش الخمسة التي سأعود بها أنا راكبة، ومع أن الزمن قد دار، وتحسنت أحوالنا المادية كثيرًا، لكنني لا يمكن أن أنسى هذا الموقف النبيل والغالي من أبي وحبيبي.

لن أترك لأبنائي شيئًا غير دينهم وتعليمهم:

كنت تلميذة مجتهدة، لذلك مرت سنوات دراستي في المرحلتين الابتدائية والإعدادية بسهولة ويسر، ولا أنسى يوم ظهور نتيجتي في الصف الثالث الإعدادي، إذ كان يومًا سعيدًا وحزينًا في الوقت نفسه، كان سعيدًا لأنني نجحت، وكان حزينًا لأن أعمامي نصحوا أبي بألا أكمل دراستي الجامعية، وأن أكتفي بدخول دبلوم معلمات، وقالوا لأبي: هي بنت وهذا يكفيها، ولقد أحزنني كلامهم جدًّا لأن عندي طموحًا أن أدخل الجامعة، ولأن أبي كان يعلم ذلك جيدًا، فقد فوجئت بوالدي يقول لهم: ما دامت ترغب في إكمال

تعليمها الجامعي (ثانوي ثم جامعة) فأنا معها حتى آخر المشوار، ثم قال كلمات لا تُنسى، قال: أنا لن أترك لأبنائي شيئًا بعد وفاتي غير دينهم وتعليمهم، وبدأنا المشوار على بركة الله، وتعب أبي معي وحبه، تحمل سبع سنوات، وبفضل الله تخرجت من الجامعة منذ زمن، وأعمل الآن في مهنة محترمة، والله كلما تسلمت نقود الراتب نهاية كل شهر، أتذكر وقوف أبي بجواري، وأتذكر أنه سبب في هذا المال؛ فأدعو له من كل قلبي بالرحمة والمغفرة، والله لا أنسى ما فعله معي بالرغم من أنه مات منذ ١٥ سنة.

حب وخصام.. هل هذا كلام؟

كان والدي يحبني بصورة غير عادية، وكلما أهداني شيئًا يكتب لي عليه: «إلى من أرى الدنيا بعينيه»، لسنين عديدة كانت هذه الكلمات هي الإهداء الذي يكتبه لي أبي مع كل هدية، ومع هذا الحب كان أبي إذا وقعت في خطأ يغضب مني لفترات طويلة، وربما يحدث ذلك بسبب أشياء بسيطة، ومن الطرائف التي لا أنساها أنني بعد زواجي بسنين، جاء أبي يومًا لشقتي يطلب مني أن أذهب معه لأكون في استقبال أقاربنا الذين سيحضرون اليوم لبيته، فقلت له: دقائق سألبس وألحق بك، وانصرف أبي ودخلت لأتجهز، إلا أنني انشغلت في أمور أولادي، ونسيت تمامًا موضوع أبي، وانتبهت فجأة وكنت في حيرة شديدة، لقد تأخرت عليه كثيرًا، وهو سيحزن من تأخري هذا جدًّا، وتوجهت إلى زوجتي أستشيرها فيما أنا فيه من همّ وغم، فأشارت علي أن أمثّل أنني مرضت فجأة، وهي ستخبر أبي بذلك، وبالفعل نفذنا الخطة، وجاءني أبي مسرعًا لما وصله الخبر، جاء تاركًا أقاربنا وكله حنين وخوف عليّ، ولولا تلك الفكرة لكان أبي مخاصمًا لي حتى يومنا هذا.

مدرستنا شاهدة على حب أبي:

توفي والدي وعمري ثماني سنوات، وكنت حينها في الصف الثاني الابتدائي، وأتذكر جيدًا أن أبي كان يعطيني المصروف يوميًّا، ولا يكتفي بذلك بل كان يأتيني في المدرسة ويحضر لي أي نوع من الفاكهة أو بعض الحلوى، ويعطيني ما جاء به في الفسحة، ويقبلني

وينصرف، واليوم عمري ٣٥ سنة، ومازلت أذكر ذلك لوالدي وأدعو له بكل خير، بل إنني كلما مررت على مدرستي ورأيت الموضع الذي كان يلقاني فيه أبي، أحن للماضي، وتدمع عيني، وأدعو له بالرحمة والمغفرة.

أبي.. دعني أشرب هذه السيجارة معك:

كان أبي ممن يدخنون السجائر، وكان من عادته أن يشرب السيجارة مع كوب الشاي، ومع انتهائه من السيجارة يكون قد انتهى من كوب الشاي، وعندها يطفئ السيجارة في بقايا الشاي التي في الكوب، كم كنت أشعر حينها بسعادته بما يفعل، ولهذا تمنيت كثيرًا أن أفعل مثله، وحانت اللحظة الموعودة وببراءة الطفولة قلت لأبي: أعطني نَفَسًا من السيجارة، فانتفض أبي ثم سكت قليلا، ثم قال: والله من اليوم لن أشربها أبدًا، ومن ساعتها أقلع تمامًا عن التدخين، حدث هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة، هذا ما تفعله براءة الطفولة في قلوب الآباء المحبة.

ربما أمرض ابنك ليشفي لك قلبك!

كان أبي ممن يدخنون السجائر بشراهة، وذات يوم أصابني مرض شديد، وبعد أن كشف علي الطبيب قال لأبي: ممنوع أن تدخن بجواره، ابتعد عنه بسجائرك مدة مرضه، وكم أثرت تلك الكلمات في أبي، واكتشف فجأة أن تلك السجائر ستكون سببًا في بعده عني، وكان أبي بين اختيارين، بين أن يختار السجائر فيدخنها بعيدًا عني، وبين أن يبقى بقربي بدون سجائر، ولأن أبي رجل طيب القلب يحب ابنه بصدق؛ فقد اختارني وترك السجائر، حدث هذا منذ ٢٥ سنة، ومن يومها ترك أبي التدخين نهائيًا ولم يمسك سيجارة منذ ذلك اليوم، وصدق من قال: ربما أمرض لك ابنك ليشفي لك قلبك.

أبي.. وفنّ إذاعة الخير:

ذات يوم وجدت مبلغًا زهيدًا من المال في الطريق، كان عندي حينها حوالي عشر سنوات، فعدت إلى البيت وأعطيت المال لوالدي وعرّفته المكان الذي وجدته فيه ليبحث

عن صاحبه، ومكث أبي أيامًا طويلة يخبر من يأتينا في بيتنا عن أمانتي، ويحكي لهم الموقف البطولي الذي فعلته، والله إن موقفه هذا جعلني أحب الأمانة وأرعاها بقية عمري.

وعند القبر مولدها:

كنت بنتًا محبة لوالدها وأمها، ولقد ابتليت بموت أبي وعمري ١٢ سنة، ومع قصر المدة التي عشتها مع أبي إلا أنني لا أنساه أبدًا، ففي تلك السنوات فعل معي من الخير الكثير والكثير، وكأنني عشت معه سبعين عامًا، ومن المواقف التي لا أنساها له أبدًا - رحمه الله - أنني عندما بلغت من العمر سبع سنوات، يومها أحضرني وقال لي: اليوم من حقك عليّ أن أعلمك الصلاة والوضوء وفقههما لأنك بلغت سن السابعة، فمن الآن كل يوم بعد صلاة العصر أعلمك شيئًا من فقه الصلاة، والله لا أنسى تلك الجلسات وهذه اللمحات التي تعلمتها من أبي، كم جلس معي أيامًا كثيرة بعد صلاة العصر يعلمني من فقه الصلاة بالقول والعمل، وواظبت على الصلاة - بفقهها وحكمتها - منذ بداية جلسات أبي معي وحتى يومنا هذا، واليوم وقد بلغت من العمر ٣٨ سنة وتزوجت ورزقني الله بالذرية؛ أطبق مع أولادي ما فعله معي أبي، ولقد أصبح من ثوابت بيتنا جلسة الفقه الخاص بالصلاة لمن بلغ سبع سنوات، ما زلنا نمارسها كما علمني أبي إياها بعد العصر، نطبقها بحب ورفق ولكاهة ودعاء لوالدي صاحب السنة الحسنة.

يا بني.. أطفئ الشر مبكرًا:

في شبابي تشاجرت مع جيراننا في الحقل، وعلم والدي بذلك، فأغضبه ما فعلت بالرغم من أنني كنت محقًا، وذهب إلى الجيران واعتذر لهم، ولم يتحدث معي في الموضوع نهائيًا، وبعدها بيومين جلس معي في الحقل وقال لي: خذ عودًا من الكبريت وأشعله، ففعلت، فقال لي: انفخ فيه لتطفئه، فنفخت فيه وأطفأته بسهولة، وبعدها قال لي أبي: أشعل الكبريت في الحطب، فأشعلت الكبريت وأضرمت النار في الحطب فاشتعل سريعًا والتهبت نيرانه، فقال لي أبي، هيا انفخ فيه لتطفئه كما فعلت في عود الكبريت، فقلت له:

لن ينفع، فقال لي: هكذا الشر في النفس البشرية، كلما أطفأته مبكرًا كان أفضل، وهذا ما فعلته أنا مع الجيران حين ذهبت لهم وتصافيت معهم، ومن يومها تعلمت من أبي درسًا لا ينسى، وأسعى دومًا لاحتواء الفتن وإطفائها قبل اشتعالها.

أبي الفلاح معه قلبي يرتاح:

كنت في الصف الخامس الابتدائي، وذات يوم أحسست بالضيق والصداع، فشكوت لأبي، وعلى الفور أخذني في رحلة من القرية إلى المدينة، فعل ذلك ليخفف عني الهموم ولأشعر ببعض الراحة، ويومها عدت مرتاحًا ولم أنسَ لأبي تلك الرحلة البسيطة أبدًا.

وأذكر لهذا الأب الحاني أنني كنت أحب لعب الكرة جدًّا، وكنت ضمن فريق البلدة، وكنت أذهب مع أبي إلى الحقل يوميًّا في الصيف، كنا نعمل معًا، وما إن يحين موعد صلاة العصر يقول لي: اذهب فصلّ، ثم الحق بفريقك في الملعب، كم كان صعبًا علي أن أتركه يعمل وحيدًا، لكن ذلك كان يسعدني ويسعده.

جيراننا والحصان الميت:

كان جيراننا يملكون عربة وحصانًا، كانوا يعملون في نقل البضائع على العربة التي يجرها الحصان، وذات يوم مات حصانهم، مات من يجر العربة، فقال لي والدي: يا بني أغلق الراديو مواساة للجيران؛ حتى لا يسمعوا أننا نسمع الأغاني والبرامج، فأطفأته، كان هذا عام ١٩٨٠م، وبعدها بشهر استأذنت والدي في أن أفتح الراديو، فقال: يا بني هذا الحصان كانوا يتكسبون من ورائه وهو عزيز عليهم، فاصبر حتى يجعل الله لهم فرجًا ومخرجًا، ولم نفتح الراديو حتى رزق الله تعالى جيراننا بحصان جديد وبدءوا العمل من جديد، هكذا علمني أبي احترام الجار، ومن الطرائف أن جيراننا كانوا قد فتحوا الراديو الخاص بهم قبلنا وحصانهم ميت، لقد نسوا مصيبتهم لكن أبي لم ينسها بإحساسه الطيب الرقيق.

الأبُ المحبّ.. هل ينسى ما طلبه أولاده؟

والدي كان رجلًا بسيطًا، هو عامل في إحدى الشركات، وكنا نحن أولاده الخمسة في مراحل التعليم المختلفة، وذات يوم طلبت من أبي علبة ألوان غالية الثمن، فاعتذر لي قائلا: ليس معي نقود، ففقدت الأمل في الحصول عليها، ومرت الأيام ونسيت علبة الألوان تلك، لكنني فوجئت بأبي بعد مدة طويلة يحضرها لي ويقول: أنا لم أنسَ طلبك، ولما ربنا فرجها ورزقني بالمال جئت لك بها، ومن يومها تعلمت عدم الإلحاح على أبي أو على غيره في الطلب، وتعلمت أن الأب الذي يحب أولاده لا ينسى ما طلبوه أبدًا.

ومن يومها أحب النظر في السماء:

كان من أفضل مواقف والدي أنه كان يأخذني مع إخوتي ويصعد على سطح البيت في ليالي الصيف الجميلة، ونأخذ معنا سجادة حصير وماء وأريكة، ونظل نتسامر معًا وهو نائم على ظهره ناظرًا إلى السماء، وكنا نراقب النجوم والقمر معًا، وربما راقبنا حركة النجوم يومًا بعد يوم، لقد كنت أنظر إلى السماء بما فيها من نجوم وقمر وأستشعر ما فيها من صفاء وروحانية، لقد حبب أبي النظر في السماء إلى قلبي، وكلما نظرت إلى السماء دعوت لأبي رحمه الله.

وبعد القُبلة الثالثة.. مات أبي:

كنت أخدم أبي في مرضه الأخير، ولا أنسى أبدًا ليلة وفاة أبي، في تلك الليلة كنت أجلس بجواره على سرير مرضه، أضع بعض حبات العنب في فمه وهو يمضغه، وفجأة قال لي وهو في شدة المرض: أعطني قبلة يا ابنتي، فقبلت جبهته وقبّل هو خدي، ثم قال ثانية: أعطني قبلة، ففعلت وأعطيته قبلة على جبينه، وكرر طلبه للمرة الثالثة: أعطني قبلة، وفعلت ما طلبه أبي للمرة الثالثة، ثم سكت أبي فجأة، لقد مات، وكانت تلك القبلات الثلاث آخر العهد بيننا، لا أدري هل كان يودعني؟ أم كان يقول لي سأشتاق لك؟ أم كان

يفارق الحياة وهو يقول لي سأظل أحبك والموعد الجنة إن شاء الله؟، أحمد الله تعالى أن هذه القبلات كانت آخر عهدي بأبي.

ومن يومها أنهت أمي الحوار بيننا :

جلست يومًا أتحدث مع أمي، وما أجمل أن تستمع الأم لابنتها وما أروع أن تفتح البنت قلبها لأمها، في تلك الجلسة كلمت أمي عن صديقة لي تضع كريمًا على وجهها وتلبس ملابس داخلية مثل النساء الكبيرات، ففوجئت بأمي تنتفض بشدة وتصرخ في وجهي غاضبة: عيب بلا مسخرة، أنت ما زلت صغيرة على هذا الكلام، وتركتني وانصرفت، ومن يومها توقف الحوار بيننا، وانقطعت كل سبل التفاهم، والله ما زلت أستحيي منها حتى بعد زواجي، فلا أتذكر أنني مرة قلت لها إنني حامل أو متى ميعاد الوضع من خجلي منها، رغم أنها حنونة جدًّا، لكنها أنهت الحوار بيننا – يومها – دون أن تشعر.

كان يبدأ بأختي.. وكنت دائمًا الثانية :

كانت أختي الأصغر أكثر مني جمالًا وأشد بياضًا، فكان أبي – للأسف – يؤثرها عليّ كثيرًا، فكان يدخل من الخارج سائلا عنها قاصدًا إياها، يقبلها ويعطيها الحلويات أولا، كان دائمًا يبدأ بها في كل شيء، وكان نصيبي منه هو الإهمال، كنت دائمًا في الدرجة الثانية، بل كان كثيرًا ما يخطئ وينادني باسم أختي هذه، وهذا الموقف أثر في حياتي كلها بشكل سلبي.

كلمات أبي الصباحية.. جميلة وزكية :

توفي أبي منذ أكثر من ٢٥ سنة، ولكني لا أنسى كلماته الحانية التي كان يقولها لي عند استيقاظي من نومي، ففي كل صباح بعد استيقاظي كنت أقول له: صباح الخير، فيرد قائلا: «صبحك الله وربحك، وبين عباده لم يفضحك»، كم كانت كلماته بداية جميلة ليوم

فتاة مثلي، وكم كنت أحزن عندما أتأخر في النوم ويضيع علي كلمات أبي الصباحية، وبعد مرور هذه السنين على فقدان أبي، مازلت أشعر به كل صباح وهو يقول لي كلماته الجميلة.

كيف تحسن خط طفلك؟

كان أبي يشجعني على تحسين خطي، وكان يقول لي دائمًا:

يبقى الخط زمانًا بعد كاتبه... وكاتب الخط تحت الأرض مدفون، فكان سببًا في تحسين خطي، بل والسعي نحو التأليف والكتابة حتى أموت تاركًا شيئًا بخطي ينفع الناس من بعدي.

هل ما فعله أبي كان صوابًا؟

ذات يوم ضربني أحد أقراني في الشارع، فسال الدم من رأسي، وعندما عدت إلى البيت استقبلتني أمي بعطف وحنان وأخذت تمسح الدم عن رأسي، وتواسيني وهي تضمد جروحي، وفجأة ظهر أبي ونهر أمي وطردني من البيت قائلًا: لا تعد حتى تُسيل دمه كما أسال دمك، وبالفعل ذهبت نحو من ضربني، وأمسكت بحجر وأسلت دمه كما أسال دمي، وهنا استقبلني أبي وضمد جروحي وأثنى علي ما فعلت، فهل ما فعله معي أبي كان صوابًا؟

أبي الفقير.. والطائرة التي تطير:

كان أبي في مرحلة من مراحل حياته شديد الفقر بصورة يصعب وصفها، وفي تلك المرحلة العصيبة كنت طفلًا حديث السن، وذات يوم رآني أبي ألعب بلعبة من طين، فكان من الطبيعي أن ينهرني ويضربني حتى لا تتسخ ملابسي المتواضعة، والتي اشتراها لي بصعوبة بالغة، لكنه نظر لي بعمق وظل للحظات صامتًا ثم انصرف، وغاب أبي قليلًا ثم عاد حاملا في يده طائرة لعبة، وأعطاها لي قائلًا: أنت لازم تلعب بأحسن لعبة، والله لا أنسى هذا الموقف أبدًا، وبسببه أدعو لأبي وحبيبي كثيرًا.

إنه مسجل عند الله تعالى:

سافر أخي للعمل في دولة أخرى، وكانت وسيلة التواصل بيننا وبينه في ذلك الوقت هي الخطابات وشرائط الكاسيت، لم يكن يومها هناك إنترنت ولا إيميلات ولا شات، وذات يوم جلس والدي في ركن من أركان البيت ليسجل لأخي شريطًا بصوته، وخلال تسجيله ضايقني أحد إخوتي، فرفعت صوتي غاضبة وقلت له: أنت خنقتني أنت كذا وكذا...، وطبعًا وصل صوتي حيث المسجل وأنا لا أشعر، وبعدها بسويعات وكنت قد نسيت ما حدث، جاءني أبي قائلا: تعالي اسمعي ما سجلته لأخيك في الشريط، وأسمعني صوتي العالي وكلامي القاسي، كنت فعلا أتكلم ساعتها بصورة قبيحة وخاصة من بنت مثلي، ثم قال أبي: يمكننا أن نمسح ذلك المقطع من على هذا الشريط، لكن المشكلة أنه مسجل عند الله تعالى، هيا فكري كيف تمسحيه؟ وتركني وانصرف باسمًا، لقد تركني أبي وانصرف بعد أن قال لي أجمل حكمة عرفتها فتاة في مثل سني، ومن يومها وأنا أفكر في الكلام قبل أن أقوله، وخاصة أنني سأسجله في كتاب عند ربي، لا يضل ربي ولا ينسى.

وترك ابنه ميتًا ليصلي الظهر في جماعة:

كان أخي مريضًا بأحد تلك الأمراض الخبيثة، وبعد دوران لا يتوقف على الأطباء وتجربة لأنواع كثيرة من الدواء، ذهبنا به للعلاج إلى مستشفى معهد ناصر، وبعد أيام من دخوله المستشفى جاءنا خبر وفاته، فتأثر والدي بشدة ودمعت عيناه، وأسرعت مع والدي وأقاربي إلى القاهرة لكي يأتوا بجثة أخي لدفنها، ونحن راجعون في الطريق ومعنا جثة أخي، سمعنا أذان الظهر، فطلب والدي من السائق أن يقف عند أول مسجد حتى يصلي الظهر في جماعة، فتعجبت أنا وأقاربي من موقف أبي، أي قلب هذا الذي يحمل ابنه ميتًا ثم يتركه ليصلي الظهر جماعة؟ إنه قلب أبي المطمئن الموصول برب العالمين، لقد عرفت اليوم كيف عاش أبي صبورًا ثابتًا، إنه ممن يستعين بالصبر والصلاة، ومن يومها تغيرت نظرتي لأبي، فأصبحت محبًا للجلوس معه والاقتباس من نوره والتعلم من صبره،

ومرت السنوات، وحضرت أبي الوفاة، وكنت بجواره في تلك اللحظات، وكان آخر ما قاله أبي من كلمات هو: «لا إله إلا الله» ثم فاضت روحه.

وتحسنت أحوالي لأجلس على مائدة المصلين:

عندما بلغت من العمر اثني عشر عامًا، اكتشف والدي أنني غير منتظم في أداء الصلوات، صنع مائدتي طعام، واحدة لمن يصلي، وواحدة لمن لا يصلي، وأمر أمي أن تضع لي طعامًا لي وحدي على مائدة من لا يصلون، وهكذا قام أبي بإبعادي عن مائدة الطعام التي يجلس عليها الجميع، وجعلني أتناول الطعام بعيدًا وحيدًا لأنني لا أستحق الجلوس مع المصلين، وأخبرني أنه سيتركني آكل وحدي حتى يتحسن حالي وأنتظم في صلواتي، وشعرت حينها بخزي شديد، لا يمكنني أن أصف مدى الحزن الذي كان يعصف بي حينما أجلس وحيدًا، كنت أمسك بالملعقة وأحركها في الطبق لكني لا آكل شيئًا، ونتيجة لذلك قررت -من يومها- أن أواظب على الصلوات في وقتها، لأنعم بالجلوس على مائدة المصلين، ولقد راقبني أبي واستحسن أفعالي وأعادني سريعًا إلى مائدة المصلين، وأخبرني بسر عجيب، قال: عندما كنت تجلس وحيدًا، لم يكن للطعام بدونك طعم، لكنني فعلت ذلك لأنني أحبك، ومن يومها لم أعرف الجلوس على مائدة غير المصلين أبدًا.

كلمات أبي الصادقة وكلمات الكذابين:

كان أبي رقيقًا جدًا معي، ودائمًا كان عند خروجي من البيت ينظر إلى ملابسي مبتسمًا، ويمدح لبسي الجميل وشكلي المفرح، ويلاطفني بعبارات مثل: ما أروع لبسك يا ابنتي! تناسق الألوان رائع، إنك أجمل عروسة تذهب إلى المدرسة اليوم.. وهكذا، كنت أخرج من البيت وأنا أكاد أطير من على الأرض، فعل أبي معي ذلك منذ طفولتي وأيام مراهقتي

وحتى أيام الجامعة ـ حتى أصبح من مراسم خروجي من البيت أن أسمع تلك الكلمات قبل أن أخرج، وككل الفتيات تعرضت أكثر من مرة لمجاملات الكذابين من لصوص الأعراض، إن استمالة قلب الفتاة يبدأ من مدح مظهرها، وهذا ما حدث مع بعض زميلاتي، لقد حاول الكذابون أن يمدحوا شكلي، لكن كلماتهم كان مكانها سلة القمامة، هذا لأنني أملك كلمات أبي الصادقة، كيف يحتفظ بعملة مزيفة من يملك الكثير من العملة السليمة؟ لعل السبب في رفضي لكلماتهم الكاذبة هو صدق كلمات أبي وجمالها وعذوبتها، لقد أشبعني أبي بكلمات المدح والثناء فخرجت نحو الشارع لا أحتاج من يمدحني، ولا أستمع لمن يخدعني من الشباب بالثناء على شكلي، لقد خرجت إلى المجتمع متحصنة بتقوى وعفاف رباني عليه أبي، وبكنز من كلمات المحبة والثناء غمرني بها أبي، فأي قيمة لكلمات الكذابين مع فتاة مثلي؟ فالحمد لك ربي أن جعلت هذا الرجل أبي.

لن أرمي شعر ابنتي في القمامة:

كنت أدرس في مدرسة داخلية خاصة بالبنات، وبالتالي كنا نسكن هناك، وفي بداية كل عام دراسي كنا نأخذ لوازم الحياة من ملاءات وبطاطين وغيرها إلى سكن المدرسة، وهذا كان يحتاج إلى مساعدة من أبي، مرة في بداية العام ومرة في نهايته، وذات عام بعد انتهاء الدراسة، حضر أبي ليحمل معي متعلقاتي، وأخذ أبي يساعدني بسعادة غامرة، وخاصة أنني عائدة لأنير بيته الحبيب، وبينما كان أبي يرفع الملاءة سقط منها بعض خصلات الشعر الناتجة عن تسريحي لشعري، كان من الطبيعي ألا يعبأ أبي بها، لكنني فوجئت به يحملها ويضعها في جيبه، لقد توقعت منه حينها أن يرمي بقايا الشعر هذه في القمامة لكنه حملها في جيبه، ومع أنني تعجبت مما صنعه أبي لكنني تصرفت وكأنني لم أر شيئًا، انتهينا من جمع المتع وعدنا للبيت سالمين، وهناك أخبرت أمي بما حدث، فتوجهت أمي نحو أبي وسألته عن سبب ما فعله، فقال والدموع تترقرق في عينيه: «ما كان لي أن أرمي شعر ابنتي في القمامة»، لم أكن قبلها أعرف أن أبي يحبني إلى تلك الدرجة، ومن يومها تغيرت حياتي، فأصبحت أكثر ثقة بنفسي وحبًا للحياة، ولم لا أفعل ذلك ولي أب مثل أبي؟

اسجدي ولا ترفعي رأسك حتى تشعري بالرضا:

كنت فتاة مجتهدة محبة للدراسة، وفي الثانوية العامة اجتهدت كثيرًا وتوقعت لي الخير، وظهرت النتيجة فذهبت لإحضارها، وهناك فوجئت أن مجموعي ضعيف وغير متوقع، فعدت للبيت حزينة منكسرة، فما كان من أبي إلا أن احتضنني هو وأمي وقال لي: أنا فرحان جدًا بما رزقك الله به من مجموع، فقدر الله تعالى كله خير وفي مجموعك الخير، وخاصة أنك اجتهدت وعملت ما عليك، وعلى المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وأعطاني أبي ٥٠٠ جنيه مكافأة على مجهودي لا مجموعي، وطلب مني أن أصلي ركعتين شكرًا لله تعالى، وألا أرفع رأسي من السجود الأخير إلا في حالة إحساسي بالرضا التام والسعيد والشكر الجميل، فدخلت في الصلاة حزينة، لكن مع نصائح أبي وحضن أمي ومن قبلهما عطف ربي، فقد خرجت من الصلاة راضية وسعيدة، لم أرفع رأسي من السجود الأخير حتى رزقني الله تعالى الرضا التام، وشعرت بسعادة عجيبة، والله من يومها أشعر بالرضا في كل شئون حياتي.

لدخول المطبخ مع أبي طعم آخر:

كان والدي كالنسمة الرقيقة الجميلة، لا تشعر بقيمتها إلا عندما تفقدها، كان نقي القلب عفيف اللسان، ومن مواقفه التي لا أنساها: أنه كان يشجعني دائمًا على تجربة كل جديد في عالم المطبخ لأنني بنت، فكان يقول لي: تعالي نجرب أكلة جديدة، ويحضر لي الأشياء المطلوبة في المطبخ، ويساعدني في التجربة، بل ويستمتع بنتائجها أيًا كانت، ومن لمساته الحانية أنه كان يشجعني أثناء المذاكرة بأشياء لطيفة مثل: إعداد طبق من الخيار والجزر يضعه بجواري على المكتب أثناء المذاكرة، أو علبة من الحلوى يقدمها لي وأنا أذاكر، وكان من طبعه أنه كان يحب أن يطبق سنة النبي ﷺ، وذات يوم جلس يكتب وصيته، فكنا نمزح معه كثيرًا، لكنه مزاح ممزوج بخوف من فقدان هذا القلب الحنون، وظل أبي يحتفظ بتلك الوصية معه، وفجأة حان موعد تنفيذ تلك الوصية، لقد مات أبي

وقرأنا وصيته، فوجدناها تفيض بكلمات الحب والشوق، مع وصايا نافعة في كل جميع شئون حياتنا، ولقد نفذنا وصية أبي بقلوب محبة، لقد علمنا أبي بأفعاله أكثر من أقواله، وعلمنا حيًا وميتًا كيف يكون الحب، واليوم كلما دخلت المطبخ وصنعت شيئًا من وصفات أبي، أشعر أنه واقف يساندني ويبتسم.

دعاء الصباح.. ربنا يرزقك يا بابا:

كان أبي يعمل تاجرًا، ورزقه الله من الأولاد ثمانية ذكور، مات منهم ثلاثة وتبقى خمسة، ثم رزقه الله بابنتين هما أنا وأختي، وكان لنا من معاملة أبي الطيبة أوفر الحظ والنصيب، وأتذكر لوالدي - رحمه الله تعالى - أنه كان يوميًا لا يذهب إلى العمل حتى أدعو له أنا وأختي قائلتين: ربنا يرزقك يا بابا، ثم يأتينا رده المعتاد: الآن أنا سأذهب إلى العمل ومتأكد أن ربنا إن شاء الله سيرزقني، نفعل ذلك معه يوميًا بلا انقطاع، وإذا خرج أبي يومًا إلى العمل ونحن نائمتان، وإذا لم نستيقظ أنا وأختي في وقت عمله، فإنه يأتي في المساء ويعاتبنا بحب قائلًا: أرأيت، لم يوسع الله في رزقي اليوم لأنك لم تدع لي اليوم عند الصباح، وبهذه الطريقة ارتبطنا بالدعاء وأحببنا أبانا حبًا يزداد مع كل صباح.

أبي.. ومسابقة أجمل صلاة:

ذات مساء جمعنا أبي أنا وأخواتي، وقال: «هيا نعمل بينكن مسابقة أجمل صلاة، وأفضل واحدة منكن تصلي لها هدية وفسحة معي»، وقال: «إن المطلوب هو أجمل صلاة وليس أسرع صلاة»، وبدأت المسابقة وأسرعنا فرحين نحو الوضوء، وعدنا لنصلي أمامه العشاء، وهو بدوره قد جلس خلفنا يراقب، أذكر يومها أنني نسيت ركعة وصليت ثلاث ركعات فقط، فخرجت من المسابقة منسحبة، لكن أبي أعادني قائلا: «صلي الركعة التي نسيتها، وتجزئك سجدتا سهو وصلاتك صحيحة»، والغريب يومها أن أبي كافأنا جميعًا لأن صلاتنا جميلة، وفزنا بالفسحة والخروج معه، ويبدو أن أبي نفذ فكرة مسابقة أجمل صلاة هذه لثلاثة أسباب: أولها: أن يتأكد من استيعابنا لما كان يعطيه لنا من دروس

الصلاة قولًا وعملًا، السبب الثاني: أن ينبهنا بطريقة مباشرة إلى أن المطلوب هو أجمل صلاة وليس أسرع صلاة لأن بعضنا كان ينقر صلاته بسرعة، السبب الثالث: هو أن يجعلنا نحب الصلاة لأننا سببها اجتمعنا وبسببها خرجنا للمرح معه، وأعتقد أن كل ما خطط له أبي قد تحقق، على الأقل في نفسي أنا.

الحلوى في البلكونة.. من أبي:

كان أبي حنونًا عطوفًا، وخصوصًا علينا نحن البنات، ورغم انتقالي إلى بيت زوجي، إلا أن أبي ظل يغمرني بعطفه وبلمساته الحانية، وبيتي الجديد «بيت الزوجية» يقع في طريق أبي، فهو يمر من أمامه مرتين في اليوم، مرة عند ذهابه للعمل والثانية عند عودته منه، ومن يوم أن تزوجت بدأ أبي يطبق معي إحدى أفكاره المبدعة، فقد كان يقوم برمي الحلوى لي في البلكونة وهو عائد من العمل، يفعل ذلك يوميًا باستمرار وبحب ودون خجل من أحد، كنت أفتح البلكونة لأجد فيها الحلوى من أبي ومعها رسالة منه مليئة بالشوق والحب، ومرت السنوات، وتوقف أبي عن الذهاب للعمل لبلوغه سن التقاعد (المعاش)، لكنني مازلت أذكره كلما فتحت البلكونة أو نظرت نحوها.

أبي.. والشجرة.. ومفتاح البيت:

في فترة المراهقة، كنت أحب التأخر خارج البيت وأتمنى أن أعود وقتما أشاء، لكن أبي كان يشدّد عليّ في الحضور إلى المنزل مبكرًا، كان يريدني أن أعود عقب صلاة العشاء، في البداية كان أبي يترك باب البيت مفتوحًا، فكنت أتسلل منه بعدما ينام وأخرج للسمر مع أصحابي وأعود متأخرًا جدًا، ولما شعر أبي بما يحدث لم يعاتبني ولم يواجهني، فقط أغلق الباب بعد عودتي حتى لا أتمكن من الخروج مرة أخرى، ولأنني أحب السهر فقد كنت أدخل مبكرًا وأوهم أبي أنني نمت، ثم أضع مخدة لتنام مكاني وأغطيها وأنزل من على شجرة مجاورة لبيتنا، وهكذا أعود متأخرًا وقتما أشاء بنفس الطريقة التي خرجت بها من على الشجرة، وظللت أيامًا كثيرة أفعل ذلك، وظننت أن أبي لا يشعر بما أفعل، إلا أنني

فوجئت يومًا بأبي يقطع الشجرة، لم أسأله لماذا يفعل ذلك حتى لا أفضح نفسي وهو لم يكلمني في شيء، ومن حبي في السهر استبدلت الشجرة بحبل، فكنت أنزل بعد العشاء وبعد نوم أبي مستخدمًا الحبل، وعند عودتي أستخدم الحبل للصعود، فعلت ذلك أيامًا كثيرة وأنا أظن أن أبي لا يشعر بي، إلى أن عدت ذات ليلة متأخرًا، وتسلقت الحبل وقفزت فوق سطح البيت برشاقة، فإذا بمن يقول لي: «حمدًا لله على سلامتك»، تفاجأت لدرجة أنني جلست في مكاني، إنه أبي جالس ينتظرني، واستأنف حديثه قائلًا: يا بني، إن كان كلامي لا يعجبك فهذا مفتاح البيت خذه، وتعال من الخارج متى تشاء وتركني ونزل، ومن يومها تغير حالي، وأصبحت من عشاق العودة المبكرة للمنزل، ودارت السنون وتزوجت وأنجبت، وما زلت أتذكر تلك الحكاية وأرويها لأبنائي، وندعو معًا لأبي بالرحمة والمغفرة، كما أدعو ألا أكرر ذلك المسلسل مع أحد أبنائي، هداهم الله.

ابني.. أيّ لقمة ستشبعك:

لأن أبي كان مريضًا، فقد كانت أمي تعدّ له طعامًا خاصًّا، وذات ليلة عدت إلى البيت وطلبت الطعام من أمي، فلم أجد طعامًا جاهزًا، فصحت في أمي وعلا صوتي ودخلت غرفتي مغضبًا، وبعد دقائق فوجئت بأبي يطرق علىّ الباب، ودخل وفي يده طبق به طعام، ووجدته يقول لي بهدوء يشوبه حزن: «هذا طعام يا بني كنت سأتعشى به، خذه أنت فكله ولا تحزن نفسك يا حبيبي، وإياك أن تحزن من أجل طعام أبدًا فأي لقمة ستشبعك»، ووضع أبي الطبق من يده وتركني وانصرف، لقد ذبحني أبي ليلتها بتلك الكلمات، ولم أستطع الرد عليه من هول الصدمة، ولقد أغلقت على حجرتي وأخذت في البكاء، ومن يومها عاهدت نفسي ألا أحزن أبدًا من أجل طعام، فأي لقمة ستشبعني، رحمك الله يا أبي فقد كنت صبورًا علي رغم مرضك، رحيمًا بي رغم تعبك، واليوم عندما أحكي هذا الموقف لزوجتي، تضحك سعيدة فرحانة، لأنها أول المستفيدات من هذا التحول الذي حدث لي.

أفسدت كهرباء منزلنا.. فكافاني بشراء بطارية سيارة:

في صغري منذ حوالي أكثر من ٣٠ سنة، كنت مغرمًا بألعاب الفك والتركيب، كنت أحب تصليح ما فسد من أجهزة بيتنا، وأحيانًا إفساد ما هو سليم منها، المهم أن أعمل في فك وتركيب المعدات والأجهزة، وذات يوم حاولت إصلاح مسجل قديم جدًا، وما إن وضعت الفيشة في الكهرباء، حتى انقطعت الأنوار عن البيت كله، واستقبلت أمي ما فعلته أنا بالصراخ والعويل، وترعدتني بالويل والضرب عندما يحضر أبي، فجلست منتظرًا حضور الوالد الحاني ليعاقب الابن الجاني، وعندما حضر أبي أخبرته أمي، فقال لها: دعيه سأتصرف معه، وخرج من البيت وغاب فترة من الزمن، وبعد طول انتظار عاد أبي حاملًا بطارية سيارة لتوليد الكهرباء، ومجموعة من سلوك الكهرباء، وعدة لمبات إضاءة، وناولها لي وقال: «هذه لك لأنك أفسدت الكهرباء، تعلم فيها ما تريد». كم فرحت بك يا أبي يومها، ولقد زاد فخري بذلك الأب عندما علمت فيما بعد أنه اشترى تلك المعدات بالتقسيط، لأنه لم يكن يملك يومها الثمن، ولقد كان لما فعله أبي أكبر الأثر في تفوقي العلمي والمهني بعد ذلك.

أبي.. وسور المستشفى العسكري:

بعد تخرجي من الجامعة، التحقت بالجيش، وأثناء التدريبات في وحدتي العسكرية في الصحراء، أصبت إصابة بالغة استوجبت نقلي لمستشفى عسكري في المدينة، ووصل أبي خبر إصابتي ليلًا، في هذا الوقت لم تكن هناك أية وسيلة اتصال بيننا ليطمئن علي، ولم ينتظر أبي للصباح وأسرع نحو المستشفى في جنح الظلام، وعلى الباب حاول الدخول لكنه منع من ذلك لأنها ليست مواعيد الزيارة، وحاول مع الحراس بشتى الطرق لكنه فشل، فأخذ يدور حول سور المستشفى العسكري، وفي غفلة من الحراسة قفز فوق السور، ودخل المستشفى لكنهم أمسكوه هناك، كل هذا وأنا لا أعرف ماذا يحدث، كنت نائمًا في سريري وفجأة فتح باب غرفتي، ودخلت علي مجموعة الحراسة ممسكة بأبي،

والرجل المسكين بين أيديهم والدموع على خده، وما إن وقعت عينا أبي في عيني حتى قفز من بين أيديهم وانطلق ليضمني نحو صدره ويبكي قائلًا: الحمد لله.. الحمد لله أنك بخير، وهنا قال قائد الحراسة: لقد صمم والدك أن يراك لدرجة أنه قفز من فوق السور.

القسط الشهري جعل أبي يظلمني:

كان أبي يزرع فينا معاني المراقبة، فكان يقول لي: اجلس مع نفسك آخر كل يوم وراجع أعمالك وحاسب نفسك كل ليلة قبل أن تنام، وكان يكره المال الحرام بشدة، ومن مواقفه التي لا أنساها أنه ذات يوم اشترى من أحد التجار شيئًا بالتقسيط، وكان عندي حينها عشر سنوات تقريبًا، وكنت أنا المتكفل بسداد تلك الأقساط، ففي كل شهر يعطيني أبي المال، وأذهب أنا للتاجر حتى أسدده، كان أبي يزرع فيَّ الثقة في نفسي، وكم كنت أعتز بذلك المشوار الشهري، وكان أبي يغمرني بالثناء والمديح، لقد أصبح هذا التقليد الشهري محببًا جدًّا إلى نفسي، وذات يوم بعث التاجر رسالة لمنزلنا يقول فيها: عندكم قسط متأخر لم تسددوه منذ شهرين، وعاد أبي من العمل وفاجأته أمي برسالة التاجر، وعلى الفور وبلا تردد أمسك أبي بالخرطوم ودخل علي غرفتي، كنت أذاكر حينها وفوجئت به ينزل ضربًا فيَّ، لقد ظن أنني سرقت ذلك المال ولم أسدده للتاجر، لقد قاده ظنه الكاذب إليّ فظلمني وضربني وأفزعني، كل هذا الضرب وأنا لا أعرف ما السبب، وبعد أن هدأ أخبرني بما حدث من التاجر، فأقسمت أنني أعطيته المال، ودليل صدقي عند التاجر، فذهبنا إليه مسرعين، وهناك تفاجأت أنه لم يدون أنه قد أخذ مني القسط في شهر من الشهور، فذكّرته بالموقف الذي أعطيت له فيه النقود وأمام من أعطيته له، فتذكر التاجر، واعتذر لنا، وارتضينا باعتذاره وانصرفنا، أما أنا فهل يكفيني اعتذار أبي حتى أسامحه؟

وأصبحت هذه الآية نورًا يضيء حياتي:

لقد كنت فتاة مجتهدة في دراستها، وكانت درجاتي مرتفعة دائمًا، وفي الثانوية العامة اجتهدت قدر استطاعتي، وبعد الامتحانات حان موعد ظهور النتيجة، فذهبت ملهوفة

إلى المدرسة لمعرفة مجموع الدرجات، لقد كنت مشغولة جدًا بما سيحدث لي، وما الكلية التي سألتحق بها، وفي المدرسة فوجئت بأن مجموع درجاتي أقل مما كنت أحلم به، وقد لا يساعدني على دخول الكلية التي أحبها، لذلك عدت يومها للبيت مصدومة ومهمومة وحزينة وحائرة؛ ودخلت من باب البيت منكسة الرأس خجولة من النطق والكلام، ورآني أبي على تلك الحالة، فهم على الفور ما حدث، فاستقبلني بهدوء وحكمة، وقرأ لي آية من سورة يونس هي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، لم يتكلم أبي حينها بأي كلمة غير تلك الكلمات النورانية المضيئة، فأفقت من تلك الحالة التائهة، وهدأت نفسي واطمأنت روحي، وفي الأيام التالية وقف أبي بجواري، وفتح لي باب الأمل والرحمة، ومرت الأيام، والتحقت بالكلية، وتخرجت منها، وتزوجت وأنجبت، وطوال تلك السنين وهذه الآية نور يضيء حياتي كلها.

عشرون عامًا.. من أجلك يا بني:

عشت سنين مع أبي وأنا أسمعه يكرر: «كم أكره التدخين، التدخين حرام، انظر لهذا المدخن كيف يحرق المال، اللهم يترب عليهم، عافاك الله يا بني من التدخين، وغيرها»، لم أكن أعرف سر كراهية أبي الشديدة للتدخين، ولم أكن أعرف معنى قوله لي: «عندما تصبح سنك عشرين سنة ستكتشف سر كراهيتي للتدخين»، لكنني كنت أنتظر هذا الموعد بشوق، كم ألححت عليه ليخبرني هو أو أمي بالسر، فرفضا بابتسامة لطيفة.

وعندما أتممت عشرين عامًا من عمري، أقام أبي حفلة منزلية كبيرة من أجلي أنا، وكانت هديته لي صندوقًا قديمًا وغريبًا، مكتوبًا عليه «من أجلك يا بني.. سأترك التدخين»، وضع أبي الصندوق أمامي وقال: هذا الصندوق مصنوع منذ عشرين سنة، صنعته يوم مولدك، لقد كنت يا بني من المدخنين بشراسة، في شبابي وبعد زواجي، لم يفلح أحد في إقناعي بترك التدخين، لا جدك ولا أمك ولا حتى شيخ مسجدنا، لكن يوم مولدك نظرت في عينيك، فأقنعتني ما فيهما من براءة بضرورة ترك التدخين، لقد قررت

يومها أن أترك التدخين من أجلك يا بني، كما قررت أن أصنع هذا الصندوق، وأضع فيه يوميًا ثمن علبة السجائر التي كنت أدخنها يوميًا، وسألت الله أن يساعدني ويلهمني الصبر والعزم على أن أكمل المشوار عشرين سنة، ونويت أن أعطيك هذا الصندوق هدية عندما تبلغ سن العشرين، واليوم وقد أكرمني الله بتحقيق أملي، فهذا الصندوق ملكك، أنا اليوم أحتفل بمرور عشرين سنة على تركي للتدخين والفضل لله وحده.

ناولني أبي الصندوق، وفتحته وأنا في حالة من الحب والإعجاب بهذا الرجل، وفي الداخل وجدت نقودًا كثيرة، كنت مثل علي بابا عندما حصل على الكنز، وبين النقود وجدت كيسًا قديمًا وبداخله ورقة، ففتحتها فإذا مكتوب فيها:

ابني الحبيب..

إذا حصلت على هذا الصندوق بعد وفاتي، ورأيت ما فيه أثناء غيابي تحت الثرى، فاعلم أنني فعلت هذا من أجلك، لأنني أحببتك، ووصيتي لك ألا تضع سيجارة في فمك طول عمرك، فتخيل لو أنني ظللت أدخن، لكنت حرقت كل هذه النقود التي بين يديك، ولم يصلك منها شيء، وتحملت أنا الحساب عنها بين يدي ربي، واعلم ثانية أنني أحبك.

أبوك

لقد قرأت الكلمات، وبكينا جميعًا، واحتفلنا سويًا، لكن طوال الاحتفال كان هناك سر يحزنني كثيرًا، لقد بدأت رحلتي مع التدخين منذ شهور، لكنني قررت ألا أعود، وكيف أعود وأخون وصية أبي، ومن يومها كرهت التدخين، وأصبحت من محبي أبي.

يا بني.. ضع إصبعك في البحر:

كان أبي يأخذنا معه كل صيف لنستريح عدة أيام على البحر، كانت رحلة سنوية رائعة، كنا نستريح فيها ونجلس معًا لتلتقي القلوب والأجساد، ونعود بعدها أكثر تفاهمًا وأقل اختلافًا، وكان أبي لا يضيع فرصة إلا وغرس في قلوبنا معنى إيماني عميقًا، لكن

بهدوء ورفق ومرح وسعادة، وبعيدًا عن المحاضرات والمواعظ المطولة، وفي كل عام على البحر كان أبي يجمعنا ويقول: ليضع كل واحد منكم إصبعه السبابة في البحر ويخرجها، بماذا خرج إصبعك؟ بنقطة ماء، ما حجمها مقارنة بالبحر؟ لا شيء، فيقول لنا حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع، وأشار بالسبابة» [1]، ويعلق أبي بعد الحديث قائلا: هذه هي الدنيا، وتكرر هذا الموقف معنا عامًا بعد عام، في البداية كنت طفلاً أفرح فقط بقرب أبي والمرح معه وأعتبرها لعبة جميلة، ومرت السنون وكبرت، وكبر معي معنى لعبة أبي، حتى هانت علي الدنيا، وكلما أصابني هم أو ابتلاء أو أقبلت على الدنيا وأدبرت؛ وضعت إصبعي في الماء وأخرجته، ثم أنظر إليه وأقول: هذه هي الدنيا فصبر جميل، رحمك الله يا أبي فقد علمتني حب الآخرة والزهد في الدنيا، وعلى شاطئ البحر لن أنساك أبدًا يا حبيبي.

كيف توقظ طفلك بطريقة أبي المبدعة؟

في أيام طفولتي كنت أصحو من النوم بصعوبة شديدة، وخاصة إذا كان الجو باردًا وسأقوم للمدرسة، فكان أبي يبدع في إيقاظي، لم يكن يضربني ولا يرفع صوته ولا ينهرني، لقد كان بقلبه الرحيم يرفض أن يفزعني، تخيل أن طفلًا نائمًا في أمان الله يقوم منزعجًا على صوت أبيه يصرخ فيه، كيف سيكون يوم هذا المسكين؟ كانت طريقة أبي المبدعة في إيقاظي كالتالي: كان ينادي عليّ باسمي عدة مرات، ويمسح ظهري بيده الحانية، ويحدثني في شيء أحبه قد فعلته بالأمس أو سأفعله اليوم، فيقول لي: ما الذي فعلته مع صديقك فلان بالأمس؟ كيف كانت الرحلة؟ هل تذكر الموقف الطريف؟ لقد أعجبتني حين فعلت كذا كيف فعلته؟ متى ستخرج اليوم مع أصحابك؟ هل ستلعبون مباراة اليوم في المدرسة؟ لقد كان يكلمني في شيء محبب لي فعلته أو سأفعله، وكنت بدوري أبدأ في التجاوب معه رويدًا رويدًا حتى أستيقظ، فيبتسم أبي لأن حيلته قد نجحت معي، واليوم بعد مرور ما يزيد على الثلاثين عامًا أنفذ فكرة أبي المبدعة مع أبنائي، وكم هي طريقة رائعة

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨/ ٥٥) في الجنة وصفة نعيمها.

وفاعلة وذكية، وكم أتمنى أن يجرب الآباء والأمهات طريقة أبي المبدعة في إيقاظ أطفالهم، أرجوكم اصبروا عليهم وأيقظوهم دون أن تفزعوهم، وعندما تنجح معكم هذه الطريقة، فلا تنسوا أبي من صالح دعائكم.

وفي الحقل تحلو دعوات أبي:

كنت كعادة أبناء الفلاحين أساعد أبي في الحقل، هذا بالإضافة إلى الذهاب إلى المدرسة، كنت أرى الفلاحين يرغمون أبناءهم على الذهاب معهم إلى الحقول، وهناك يهينون أبناءهم إن تكاسلوا أو تأخروا، أما أبي فقد كان يقابل مساعدتي له بكل حب وتقدير، فكان عندما يدخل عليَّ وأنا أعمل في الحقل يقول لي:«يا بني، ربنا يقويك ويعطيك الصحة»، دعاها لي سنين وسنين، فعل ذلك كلما رآني أساعده في العمل، كم كنت أحب العمل معه حتى أسمع تلك الدعوات، كانت تعطيني طاقة وعزيمة وثقة وأملًا، وعشت طوال عمري وأنا أشعر ببركات دعوة أبي، والحمد لله أعيش بصحة جيدة جدًّا.

وفي الأتوبيس يزداد حبّ أبي:

كان أبي يعمل محصلا للتذاكر (كمسريًا) في أحد أتوبيسات النقل العام، ورغم عمله الشاق فقد كان يأخذني معه أحيانًا أثناء رحلة العمل اليومية، وكان يجلسني بجوار أحد الشبابيك لأشاهد الدنيا أثناء سير الأتوبيس، وكان غدائي في هذا اليوم مع أبي والسائق، وكانا يتركان لي فرصة اختيار نوع الطعام، وإذا انتهى اليوم عدت مع أبي إلى المنزل وأنا أحمل في يدي الكثير من الحلوى التي اشتراها لي، ومرت السنون، وبمرورها كان حب أبي يزداد في قلبي، واليوم بعدما انتهت رحلة أبي في الحياة ورحل إلى الآخرة؛ أشتاق لرحلة من رحلات الماضي معه، إنني كلما رأيت أتوبيسًا أو ركبته أو حتى سرت في طريق رحلة أبي اليومية التي كنت أقطعها معه منذ سنين؛ شعرت بشوق جارف نحوه، لقد كان فقيرًا لكنه كان غنيًّا بقلبه، أعطاني من الحب ما عوضني عن الفقر، لقد عشت معك يا أبي

ولم أشعر يومًا بأنني أقل من غيري، هذا لأنك غمرتني بمحبتك، أسأل الله تعالى أن يجمعني بك في الجنة لنجلس معًا نتذاكر ما كان بيننا في تلك الرحلات.

سرير واحد.. وقلب كبير:

دخل أبي المستشفى لمرض شديد ألمّ به، ودخلت معه مرافقًا حتى أساعده لكبر سنه وتدهور صحته، ولكثرة عدد المرضى لم أجد لي سريرًا أبيت عليه ليلا، لم أفكر في شأن السرير كثيرًا إذ كان كل ما يهمني هو حالة أبي الصحية، وخدمة أبي كفيلة بأن تنسيني ما أنا فيه من تعب، جلست على كرسي بجوار أبي، وبدأت رحلة خدمته في الليل، وفجأة إذا بأبي يشير إلي أن أقترب، وهمس في أذني: يا بني نم بجواري حتى ترتاح قليلا، واستجبت لكلامه ولم أرد عصيانه، وأفسح لي أبي بجواره حتى أنام، رغم ما به من ألم انزوى في جانب السرير حتى يفسح لي، ومن شدة إرهاقي نمت حتى الفجر واستيقظت على لمسات يد أبي الحانية على شعري، فقمت شاكرًا له معتذرًا عن مضايقتي له، وما هي إلا ساعات حتى فارق أبي الحياة، والله لن أنسى كيف أن حب أبي استمر حتى لحظات عمره الأخيرة، لن أنسى كيف آثرني بالنوم بجواره رغم ألمه الشديد، ورغم احتياجه لمساعدتي له، فقد ظل مستيقظًا وتركني أنام، إن الحب يصنع في قلب الأب معجزات، رحمك الله يا أبي، فقد مت صابرًا محتسبًا محبًا حنونًا، اللهم ارفق به كما رفق بي.

كيف جعلني أبي أحب سيرة النبي ﷺ؟

كنت أدرس في الأزهر الشريف، وكنا ندرس سيرة النبي ﷺ، وكان تعاملنا مع السيرة النبوية تعامل مادة دراسية وفقط، نحفظها لنكتبها في الامتحان ثم ننساها، وفي يوم من الأيام وأثناء عودتي مع أبي من الصلاة في المسجد فقال لي: يا بني، نحن نعود من المسجد يوميًا في صلاة العشاء معًا، وتستغرق عودتنا لمنزلنا حوالي خمس دقائق، ولو حسبناها في عشر سنوات سنجدها تساوي حوالي ٣٠٠ ساعة من عمرنا، فما رأيك يا بني أن نستغلها في فعل الخيرات، ما رأيك أن تحدثني كل ليلة ونحن عائدان من المسجد عن

شيء من سيرة النبي ﷺ التي تدرسونها في الأزهر؟ وبالفعل بدأت الرحلة اليومية مع أبي بعد صلاة العشاء، كان أبي يترك لي حرية اختيار مواقف السيرة التي أحكيها له، وكم كان يثني عليّ ويحمل في جيبه اهدايا التشجيعية، وكنت أنتظر موعد صلاة العشاء يوميًا بفرحة وسعادة، وكم كنت أحزن إن مشى معنا أحد وقطع علينا الحديث، لكن أبي كان يكمل الحديث معي في البيت، ومرت السنون وعشقت سيرة النبي ﷺ وحفظت مواقفها عن ظهر قلب، وزاد حب النبي ﷺ في قلبي وطبعًا زاد حبي لأبي، ورحل أبي عن الحياة وتوقفت رحلاتنا اليومية بعد صلاة العشاء، لكن مواقفه معي وذكرياته الجميلة لم ترحل، رحمك الله يا أبي وجمعك بالنبي ﷺ في أعلى جنان الخلد.

في ضياع القلم.. قصص وحكم:

ما الذي تفعله عندما يعود طفلك من المدرسة وتسأله عن قلمه، فيخبرك انه قد ضاع؟

إن ردة فعلك قد تستغرق ثواني، قد تنفعل وقد تصرخ وربما تضرب أو تصبر، وردة فعلك هذه تنساها أنت سريعًا، لكن طفلك سيظل يذكرها لك مدى الحياة، وهذا ما تؤكده الذكريات التالية:

يقول احد الآباء: كنت في المرحلة الابتدائية، وذات يوم ضاع قلمي الرصاص ونحن في المدرسة، فعدت للبيت حزينًا، وعلم والدي بالخبر، فضربني ضربًا مبرحًا قاسيًا، وكم بكيت يومها كثيرًا، وأذكر أنني نمت حزينًا تلك الليلة، لقد أراد والدي أن يعلمني أن أحافظ على ممتلكاتي، لكنه علمني بقسوته أن أحافظ على ممتلكاتي بأي طريقة كانت، ومن يومها تعلمت ألا أعود للبيت بدون قلم، فلو ضاع قلمي كنت أسرق قلم زميلي لأنجو من الضرب، بل كنت أسرق أقلامًا أخرى وأخبئها في البيت حتى لو ضاع قلمي في أي وقت وجدت له بديلا، وهكذا صنع مني والدي سارقًا للأقلام، ولولا لطف الله تعالى بي لكنت اليوم سارقًا، ولكن الله سلم، سامحك الله يا أبي إذ لم يكن ضياع القلم يستحق كل هذه القسوة.

يقول اب آخر: هذا الموقف حدث معي عندما كنت في الصف الرابع أو الخامس الابتدائي، لقد عدت للبيت وقد ضاع قلمي الرصاص، وما كان من أبي إلا أن ضربني بشدة، وجاءت إحدى ضرباته على عيني، وساعتها شعرت أن الدنيا أظلمت وعيني أغلقت، وأخذتني أمي إلى المستشفى، وبعد الكشف كتب لي الطبيب أدوية كثيرة، وظلت أمي تعالجني أيامًا حتى شفى الله عيني، كنت أقول ساعتها في نفسي: ما أجهل أبي، لقد ظلمني وأحزنني وأضاع على علاج عيني من النقود أضعاف ثمن القلم الذي أضعته، فمن الذي أضاع النقود فينا؟

تقول إحدى الأمهات: وأنا في الصف الأول الابتدائي ضاع مني قلمي الرصاص، فخفت من عقاب أبي وأمي، فقررت ألا أعود إلى المنزل بلا قلم، وقمت بتفتيش حقائب زميلاتي في غيبتهن إلى أن وجدت قلمًا جديدًا وجميلًا في حقيبة إحداهن، فأخذته ووضعته في حقيبتي، وبعدما رجعت إلى المنزل، أمسكت والدتي بحقيبتي لترى ما أخذناه في المدرسة اليوم، وإذا بها تجد القلم فعرفت أنه ليس قلمي، فما كان منها إلا أن قالت لي (بكل لطف): من أين أتيت بهذا القلم؟ فقلت لها: لقد ضاع قلمي ووجدت هذا القلم في الفصل، فقالت لي: إياك أن تكون قد أخذته من أحد لأن هذا حرام وربنا يكره الحرام، لقد كررت تلك العبارة كثيرًا حتى حفظتها، وبعد إلحاح من أمي أخبرتها بالحقيقة، فجعلتني أعيد القلم لمكانه دون أن يشعر بي أحد، واليوم بعد مرور أكثر من ثلاثين عامًا على هذا الموقف مازلت أذكر كلمات أمي، ومن يومها لم أمد يدي على شيء ليس ملكي مهما تكن الظروف.

رسبت في الامتحانات.. فهل يعطيني أبي مكافأة؟

كان أبي فلاحًا بسيطًا وكان له سبعة من الأولاد أنا واحد منهم، وقد اعتاد مكافأتنا جميعًا نهاية كل عام دراسي، فعند ظهور النتيجة كان يعطي كل واحد منا مبلغًا من المال، وذات عام رسبت في الامتحانات ونجح إخوتي، فمنح أبي إخوتي الستة المكافأة المالية المعتادة، وما كان منهم إلا أن سخروا مني وأصابوني بالحزن واليأس، وكم كنت أخشى

من مواجهة أبي وأهرب من الجلوس معه، وفجأة وجدتني أنا وأبي وجهًا لوجه، وتوقعت منه الضرب والمهانة، لكنني فوجئت به يعطيني ضعف المكافأة التي أعطاها لكل واحد من إخوتي الناجحين، وقال لي: أعلم أنك حزين وأنا مثلك تمامًا فقلبك جزء من قلبي، وأنا على يقين أنك سترفع رأسي في العام القادم، كم كانت كلمات أبي رقيقة لكنها كانت في الوقت نفسه قاسية، كم كانت المكافأة كبيرة لكنها جعلتني أبدو صغيرًا، لقد احتفظت بالنقود أيامًا كثيرة وكنت أنظر إليها وأقسم ألا أجعل أبي يحزن بعد اليوم، لقد كانت تلك المكافأة وهذه الكلمات نورًا هداني الله به السبيل، ودافعًا للسير على طريق الناجحين والمتفوقين، وفي العام التالي قررت أن أفرح قلب أبي كما أحزنته، وبفضل الله نجحت وبتفوق، وتوالى النجاح عامًا تلو الآخر حتى حصلت على درجة الدكتوراه، واليوم أنا عضو هيئة تدريس بإحدى الجامعات المرموقة في بلادي، والفضل كله لله وحده ثم لمكافأة أبي الحكيمة وكلماته الطيبة.

اللهم خذ أبي وأرسل لنا أبًا طيبًا:

كنت أرى الآباء يصطحبون أطفالهم هنا وهناك، كنت أراهم يتكلمون مع أطفالهم ويصطادون معهم وربما يشاركونهم لعب الكرة، بينما كنت محرومًا من هذا كله، ليس لأن أبي مسافر أو لأنني يتيم، فأبي حي يرزق ويعيش بيننا، لكنه كان قاسي القلب كثير الشتائم قليل الصبر كثير الضرب، كل هذا بسبب شربه للكحول والخمور، لقد كان أبي مثال الرجل السوء الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وعلى عكسه تمامًا كانت أمي، امرأة مؤمنة صابرة محتسبة رسالتها في الحياة حماية أطفالها وتربيتهم على خير وجه، فمنها تعلمت الصلاة والارتباط بالله والدعاء لأبي بالهداية، لقد كنت أدعو لأبي بدعاء طفولي صادق، كنت أقول: اللهم خذ أبي وأرسل لنا أبًا طيبًا، لقد دعوت كثيرًا وكنت أنظر إلى السماء منتظرًا الفرج، وذات يوم مرضت مرضًا شديدًا دخلت على إثره المستشفى، وهناك احتار الأطباء في أمري لدرجة أنهم يئسوا من شفائي، وأخبروا بذلك أبي وأمي، وبجوار سريري بالمستشفى رأيت أبي جالسًا والدموع تنحدر من عينيه لأول مرة في حياته، لقد

رأيت رجلا غير الذي أعرفه، ولقد سمعته وأنا في حال تشبه الغيبوبة يدعو ربه ويقول: «إن شفيت ابني سأغير حياتي، أعاهدك على ذلك»، واستجاب الله دعاءه وشفاني بما يقول عنه الأطباء معجزة، وجاء الدور على أبي للرقاد بفراشه، ولقد كان، فقد تحول أبي من الظلمة إلى النور، وبدأت أرى فيه أبًا آخر غير الذي أعرفه، رأيت أبًا كنت أتمناه من سنين، لقد استجاب الله دعائي، وأخذ أبي السيئ، وأرسل لي أبًا طيبًا.

ابتسامة أبي الأخيرة:

كان والدي قليل الكلام قليل الابتسام، كنت أراقبه وهو يتودد للناس ويبتسم معهم، كنت أشعر حينها أن أبي يختزن ابتساماته الحلوة للغرباء، كم كنت أفرح في المرات القليلة التي كان يحادثني فيها بحب أو يبتسم لي برد، لقد كانت ابتسامة أبي تعني لي الكثير، كانت تشعرني بالحب والحنان والأمان، ومرت السنون سريعًا، وحضرت أبي الوفاة، وفي ساعات الاحتضار كنت واقفًا بجواره ومعي عدد من أقاربنا وأصدقائه، وبدأ بصر أبي يزيغ يمينًا ويسارًا، وعندما وقعت عيناه في عيني.. ابتسم، وبعدها بساعتين غادر الحياة، لقد كنت حزينًا لأن أبي مات، وكنت سعيدًا لأن ابتسامته الأخيرة كانت من نصيبي أنا، قد غادر الدنيا لكن ذكراه الطيبة لم تغادر قلبي، ودائمًا ما أدعو الله تعالى أن يسعد أبي كما أسعدني، اللهم آمين.

مظروف أبي السنوي:

منذ طفولتي كنت أرى أبي يتعب من أجلنا كثيرًا هو وأمي، كنت أراه يعود من العمل مرهقًا لكنه لم يشتك لنا يومًا، كنت أشعر به عندما أنظر إليه وأرى علامات التعب بادية عليه، لقد كان أبي عفيفًا متعففًا ذا عيال، لذلك كنت أعمل في الإجازة الصيفية حتى أجمع مبلغًا من المال يكفيني لشراء ملابس ومصاريف وكتب المدرسة، وفي بداية كل عام دراسي، كان أبي يصمم على أن يعطيني نقودًا لأنفقها على متطلبات الدراسة، ويصمم على أن يعطيني إياها رغم أن معي ما يكفي من النقود، لم يطمع يومًا أبي في مال اكتسبته، وكان

من عادته أن يعطيني المال في مظروف ورقي صبيحة أول يوم دراسي، فعل ذلك بنفس الطريقة سنين طويلة حتى صار ذلك المظروف من طقوس بداية العام، وظل الحال هكذا حتى قبيل نهاية المرحلة الجامعية، ففي صيف أحد الأعوام خلال الإجازة الصيفية رحل أبي إلى الآخرة صابرًا راضيًا، وبعد حوالي شهر من وفاته بدأت الدراسة، وفي صباح أول يوم دراسي فوجئت بأمي تعطيني مظروفًا ورقيًا وتقول لي: كنت أبحث في أوراق أبيك، فوجدت هذا المظروف ومكتوب عليه اسمك، ففتحت المظروف لأجد بداخله مبلغًا من المال كان أبي قد أعده ليعطيني إياه، لا أدري كم من الوقت حينها ظللت أبكي، لقد احتفظت بالمظروف لسنوات، كنت كلما شعرت في الحياة بضيق أو بغدر صديق؛ أخرجت المظروف وتأملته؛ فأشعر حينها أن هناك من أحبني بصدق.. إنه أبي، لك الله يا أبي كم كنت أبًا عطوفًا كريمًا محبًا لأبنائك، لقد مر على هذا الموقف أكثر من عشرين عامًا، لكنني مازلت أحكي الحكاية لأبنائي وأصدقائي؛ إذ كيف أنسى أبي أو أنسى مظروفه السنوي.

ليعلم أبي في قبره أن له ابنًا يحبه:

كان أبي صادقًا في محبته للناس، وكان للجميع في قلبه مكان، كم كنت أحب الجلوس بين يديه كنت أشعر حينها أنني أحبّ الناس إلى قلبه، وكان عالمًا عابدًا فقد كان إمام مسجد حينًا، كما كان فقيرًا عفيفًا زاهدًا في الحياة، حتى إنني أذكر أن سقف بيتنا كان مصنوعًا من الخشب وبمرور الزمن تهالك السقف، فطلبنا من أبي أن نغيره ونشتري خشبًا جديدًا، لكنه رفض وقال: ليس معي نقود والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة، فقلنا نحن شباب ونعمل فخذ مالنا واشتر به خشبًا فجميعنا يسكن هذا البيت، فرفض بشدة واعتذر بحب، وتشاورت مع إخوتي دون علمه كيف نغير سقف البيت بالحيلة دون علم أبي؟ ووصلنا لحل جميل، كان من عادة أبي أنه يسافر إلى صعيد مصر (وكنا بالإسكندرية) لزيارة أهله وأرحامه أسبوعًا كل عام، فاتفقنا على أن نشتري الخشب بنقودنا ونجهزه لنغير السقف في أسبوع سفر أبي، وقد كان وسافر أبي، وبدأنا في تنفيذ الخطة فور مغادرته للبيت، لكن أبي فاجأنا وعاد قبل موعده بيوم، فلما رأى المشهد ابتسم والدموع في عينيه

وقال: سامحوني، والله لم أكن أريد أن آخذ نقودكم التي تعبتم بها، و إن كان هذا ما أردتم فسوف أساعدكم، ومرت السنون ورحل أبي عن الحياة وترك لنا بركة طاعته لله، فحل الغنى محل الفقر، وامتلأت بيوتنا خيرًا كثيرًا، ولأنني كنت أحب أبي فقد حرصت على بره حتى بعد موته، لقد قررت أن أصل أصدقاءه الذين كان يحبهم وبوجه الخصوص صديقه الشيخ إبراهيم، لقد ظللت أزوره وأتصل به وفي كل مرة أقول له: ادع الله لأبي، فعلت ذلك لعشر سنوات كاملة بعد وفاة أبي، وذات يوم احتفى الشيخ إبراهيم فجأة ولم أعثر له على أثر، بحثت في كل مكان أعرفه واتصلت بكل تليفون أذكره، حتى إنني اتصلت بجيرانه ليبحثوا معي، وأخيرًا اكتشفت أنه ذهب إلى دولة الإمارات ليزور ابنه هناك، فبحثت عن رقم ابنه خمسة عشر يومًا حتى وجدته، وبعد طول اشتياق جاءني صوت الشيخ إبراهيم في التليفون ليقول لي بعدما عرف حكايتي: يا سلام يا إسماعيل، رحل والقبر وما زلت أتعلم منك بر لأبيك، فقلت له: أنا أريد دعوة تصل لأبي من الإمارات حتى يعرف أن له ابنًا يبحث عما يسعده في قبره، حتى يعلم أبي في قبره أن له ابنًا يحبه.

رسالة أبي في علبة السجائر :

كنت في مرحلة المراهقة، ومثل كل الشباب حاولت أن أجرب بعض الأشياء التي تشعر المراهق بأنه رجل، وكانت السجائر «التدخين» من تلك الأشياء التي جربتها، وشيئًا فشيئًا بدأت علاقتي بالسيجارة تتوطد، وكنت على أعتاب أن أصبح عضوا في نادي المدخنين هداهم الله أجمعين، غير أن الله تعالى لطف بي وأنقذني على يدي والدي، ولذلك قصة سأحكيها لكم: كنت أحترم أبي جدًا، وطبعًا كنت أخفي عنه أمر السجائر، كنت أخفيها هنا وهناك، وكنت مطمئنًا لأن أبي لا يعرف بأنني أدخن، إلى أن جاء اليوم الذي اكتشف فيه السر، كنت أخفي علبة السجائر في مكان يصعب أن يصل إليه أحد، وكنت أنتظر لحظة خروج أبي من البيت لأخرج العلبة وآخذ منها سيجارة، وفي ذلك اليوم خرج أبي من البيت، وتوجهت مسرعًا نحو المخبأ السري، وأخذت علبة السجائر بلهفة، وخبأتها في جيبي صعدت نحو سطح البيت، وفتحت العلبة بشوق وفجأة تسمرت يداي

في مكانها، لقد وجدت العلبة فارغة رغم أني تركتها ممتلئة، فقلبتها وفتشتها بدقة، وإذا بي أجد فيها ورقة ملفوفة، ففتحتها لأرى ما فيها فوجدت مكتوبًا فيها:

ابني الحبيب..

مهما فعلت فأنت ابني الحبيب، سأكره المعصية التي تفعلها لكنني سأبقى أحبك، وأنا على يقين أنك لن تخذلني، أنا على يقين أنني أنجبت رجلا يعرف الخير من الشر، السجائر معي، فإن كنت تريد أن تكمل هذا الطريق فستجدها تحت وسادتي، وإن كنت نويت التوبة - وهذا أملي فيك - فأنا على يقين أنك لن تشتري بالنقود التي أتعب فيها شيئًا تحرق فيه تعبي.

أبـــــــوك...

قرأت الرسالة ولم تعد قدماي قادرتين على حملي، فجلست حائرا لا أدري ماذا أفعل، وفي النهاية قررت أن أكون ذلك الرجل الذي أنجبه هذا الرجل الطيب «أبي»، لم يعرف أحد غيري أنا وأبي بشأن تلك الرسالة، ولم يكلمني في هذا الموضوع أبدًا، فقط كان ينتظر، كان يكفيه أن يعرف إجابتي بنظرة واحدة تحت وسادته، كان أبي يبتسم كلما قابلني، ومن يومها تركت التدخين إلى غير رجعة، لقد أقسمت يومها ألا أحمل بين يدي سيجارة أبدًا، ولقد أعانني الله تعالى على البر بقسمي، لقد حدث هذا الموقف منذ أكثر من عشرين سنة، وما زالت رسالة أبي معي، وما زالت سجائري تحت وسادة أبي.

يا بني.. دع غيرك يأخذه:

لا أنسى لوالدي - رحمه الله - أنه كان يأخذني معه كثيرًا هنا وهناك، نذهب إلى المسجد معًا وعند أصدقائه وأقاربه، أينما وجدته تجدني إلى جواره، كان ذلك أيام الطفولة الجميلة، وذات مرة كنت أسير معه في الطريق، نظرت إلى الأرض فوجدت قرشًا (واحدًا من مائة من الجنيه المصري)، وكان القرش أيامها يمثل لطفل مثلي ثروة كبيرة، لذلك أسرعت بأخذه من على الأرض، وانحنيت فرحًا لأمسك بهذا الكنز، لكن أبي جذبني

برفق ومنعني من أخذه، فقلت له: سيأخذه غيري، فقال لي: «دع غيرك يأخذه»، كل هذا ونحن عندئذٍ لا يعلم بشدة فقرنا إلا الله، هذه الكلمات لم أنسها يومًا، ومرت السنون وكلما رأيت في حياتي شيئًا فيه شبهة تركته قائلا لنفسي: «دع غيرك يأخذه»، رحمك الله يا أبي فقد علمتني العفة والمراقبة رغم فقرك الشديد واحتياجنا للفرش الذي لا صاحب له.

لو مات أبي.. هل ستموت الحياة معه؟

كنت عندما أخاف أحتمي بأبي، وعندما أحتاج أطلب من أبي، وعندما أحزن يسعدني أبي، وعندما أمرض يرعاني أبي، حتى ظننت أن أبي لو مات ستموت الحياة معه، ويبدو أن والدي شعر بما يدور في عقلي، فقال لي يومًا: «يا بني، ما دمت حيًّا فلا تخف من شيء، سأظل بجوارك أحميك وأعطيك وأدافع عنك، لكن يا بني لن أبقى حيًّا معك طوال العمر، فكن مع الله فهو خير لك مني وأبقى، واطمئن ولا تخف من شيء»، هذه الكلمات نفعني الله بها كثيرًا، وبدأت من يومها رحلة حبي لله تعالى، واعتمادي عليه وسؤالي له وتوكلي عليه سبحانه، رحمك الله يا أبي فإنك قد مت ولم تتركني وحيدًا.

١٥ سنة بين جدران المستشفيات:

هذا ليس موقفًا لأمي أحكيه لكم، إنما هو ملحمة مليئة بالكفاح والصبر والأمل، منذ طفولتي كنت مريضًا جدًّا، كنت أقضي نصف العام تقريبًا بين جدران المستشفيات، حدث هذا على مدار خمسة عشر عامًا، كانت سنوات المرض كفيلة بكسر الصمود وزرع اليأس في قلوب الكثيرين ممن حولي، لكن ذلك لم يحدث لأمي، فرغم فقرها وقلة حيلتها إلا أنها صبرت بعزم وبذلت بحب، كانت يوميًّا تمشي على قدميها من بيتنا إلى المستشفى لمدة ساعتين (تقريبًا) لتأتيني، فتطمئن عليَّ وتعطيني الدواء وتساعدني على الاستحمام وتطعمني، وتنصرف بعدها راضية محتسبة، كانت تقترض المال لتسدد نفقات علاجي، كانت تبكي كل يوم وتقول لي: أتمنى من الله أن يشفيك يا بني وتضمني إلى صدرها ثم تنصرف، كانت كلمات أمي ودعائها يعطيني طاقة عجيبة وأملًا كبيرًا، لقد كانت أمي

تطعمني الصبر مع الطعام، وتسقيني الأمل مع الدواء، ومرت السنون واستجاب الله دعاء أمي بعد صبر دام خمسة عشر عامًا، واليوم أنا أعمل في منصب مرموق جدًّا ولي مكانة عالية بين الناس، أتدري لماذا؟ لأن أمي كانت سببًا في تفوقي الدراسي وأنا بين جدران المستشفيات، فقد كانت تحضر لي الكتب وتشجعني على المذاكرة والتفوق، ومنذ أن شفاني الله تعالى وأنا أدعو لأمي يوميًّا بالجنة، فعلت هذا لسنين كما رعتني أمي سنين، وكلي أمل ويقين في أن الله تعالى سيستجيب دعائي لأمي كما استجاب دعاءها لي.

يا بني.. اقرأ القرآن حتى ترتوي:

كنت في المرحلة الابتدائية، وكنت أعمل في الحقل مع أبي، كان الجو حارًّا والعمل شاقًّا جدًّا، كل هذا وأنا صائم في شهر رمضان، كنت أشعر بعطش شديد جدًّا لدرجة كبيرة حتى جف حلقي وشفتاي، و كانت أشد أوقات العطش بعد العصر، فكان أبي يُربت على كتفي ساعتها بحنان ويقول لي: «اقرأ القرآن حتى ترتوي»، وجربت وصية أبي، وبدأت بقراءة القرآن، وكانت المفاجأة العجيبة أن ذلك خفف العطش عني، مع العلم أنه كان يُقال: لا تتكلم كثيرًا وأنت صائم حتى لا تعطش، لكن كلام الله فيه شفاء لكل داء، رحمك الله يا أبي فقد علمتني كيف أن القرآن يروى العطشان.

ماذا تفعل لو كنت مكان أبي؟

ماذا تفعل لو: ذهب ابنك يوميًّا إلى المدرسة الثانوية، وحضر جميع الامتحانات، وظهرت النتيجة، فاكتشفت فجأة أنه كان يخدعك ولم يدخل الامتحانات أصلا؟ هذا ليس سؤالًا خياليًّا، بل هو ما حدث بيني وبيني والدي بالضبط، ففي الثانوية العامة رأيت – بيني وبين نفسي – أنني لو دخلت الامتحانات بمستواي الدراسي الذي كنت فيه؛ فإنني لن أحقق المجموع الذي يؤهلني لدخول كلية الهندسة التي كنت أحلم بها، لذلك قررت – دون علم أحد – ألا أدخل الامتحانات هذا العام، ولم أستطع أن أخبر أبي أو أمي، وأوهمتهم أني قد ذهبت الامتحانات وأنتظر النتيجة، ولأن الكذب بلا أرجل

وسيقع صاحبه طال الزمان أو قصر؛ فقد جاء يوم النتيجة وانكشفت حيلتي، وكان من حق والدي أن يفعل بي ما يشاء، فقد أنفق ماله وأتعب نفسه وعاش خدعة كبيرة على مدار شهور كثيرة، وانتظرت يومها أن يفعل والدي الكثير، لكنه – والحمد لله – خيب ظني، لقد قابلني يومها ومد يده نحوي، لا ليضربني بل ليربّت على كتفي وقال: «ما فعلته كان الأفضل، وأنا على يقين أنك على قدر كلمتك وستحقق العام القادم ما وعدت به، فقط كان من حقي عليك أن تخبرني، لكنني واثق فيك لأنك رجل»، لقد شعرت يومها أنني كبير جدًا بكلمات أبي وثقته بي، كما شعرت بمسئولية كبيرة تلقى على عاتقي، لقد كانت كلمات أبي وموقفه الحكيم سببًا في تغير حياتي نحو الأفضل، لقد كانت سببًا في التزامي وتديني وتفوقي، وفي العام التالي حققت بفضل الله ما وعدت به أبي، والتحقت بكلية الهندسة، ومرت السنوات ورحل أبي عن الحياة، ولقد أحببت أبي أكثر عندما أنجبت أطفالا وجربت شعور الأب يوم ظهور نتيجة أبنائه، رحمك الله يا أبي فأنا لا أنساك أبدًا وخاصة في وقت ظهور نتيجة أبنائي.

أمي.. والجنيهات الأخيرة:

توفي والدي وأنا صغير، فقامت والدتي بتربيتنا ورفضت الزواج بآخر، ومن مواقفها التي لن أنساها أننا كنا في أواخر شهر رمضان المبارك، ولم يكن معها من المال إلا القليل من الجنيهات، وفجأة طرق بابنا سائل يطلب صدقة الفطر، فلم تتردد في إنفاق كل ما معها، فلما اعترضنا على ما فعلت، قالت لنا بنبرة واثقة: «إن الله لن يتركنا»، وانتظرت ليلتها نترقب ما سيحدث، هل كلام أمي سليم وثقتها صحيحة؟ هذا ما كنت – بعقل الطفل الصغير – أفكر فيه، والله لم يمضِ نصف الليل حتى جاءها ما يعادل عشرة أضعاف المبلغ الذي أنفقته، فنظرت نحونا والدموع في عينيها فقالت: «ألم أقل لكم، لا تشكّوا في كرم الله أبدًا»، ومن يومها أثق دومًا في كرم ربي، وأعلم علم اليقين أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا.

الصلاة في المسجد.. وحلوى أبي:

كان والدي – رحمه الله – يأخذني أيام طفولتي معه إلى المسجد، كان عمري أيامها حوالي ٨ سنوات، وبعد الصلاة كان يشتري لي الحلوى من محل (كشك) مجاور للمسجد، وهذا ما جعلني أحرص دومًا على صحبته، لقد أحببت المسجد والصلاة بسبب حلوى أبي البسيطة، وارتبط عندي الذهاب إلى المسجد بالحب والعطف والحلوى، ومرت السنوات وانتهت سنوات طفولتي، وانشغلت بالدراسة الجامعية، وكنت بين الحين والآخر عندما أصلي مع أبي أقول له: ألن تحضر لي حلوى مثل أيام زمان؟ فيبتسم ثم يذهب فيشترى من نفس الرجل، كم كانت سعادة أبي غامرة بهذا الطلب البسيط، وفجأة رحل أبي عن الحياة، لكن ذكرى الحلوى لم ترحل، فكلما ذهبت إلى المسجد تذكرت حلوى أبي، ودعوت الله أن يطعمه من ثمار الجنة.

اللهم اقسم أجر هذا العمل بيني وبين أبي:

من أفضل الأشياء التي أصر أبي على تعليمها لي، هي حرفة إدخال الكهرباء إلى البيوت والعمارات والمساجد، فكنا نتسلم البناء على الجدران ولا نتركه إلا وهو مضاء وجاهز تمامًا للاستخدام، لقد علمني أبي تلك الحرفة لأنفع بها نفسي، كان أبي يعمل بالحكمة القائلة: «حرفة في اليد خير أمان بإذن الله من الفقر»، لقد علمني أبي أن أمد يدي لأعمل لا أمدها لأطلب من أحد مالا، أمدها لأقبض أجرة عملي لا أمدها لأتوسل بها مالا من أحد، ومرت السنوات واحترفت تلك المهنة، وبعد موت أبي وخلال سنين كثيرة، وفقني الله تعالى أن أدخل الكهرباء والصوتيات فيما يقرب من خمسة عشر مسجدًا، استلمتها كلها على الجدران وما تركتها إلا وهي مضاءة ونداء الحق يصدح فيها، كل هذا حسبة لله تعالى دون أجر من أحد، ودعوت ربي أن يقسم ثواب هذا العمل بيني وبين أبي،

وأن يصل هذا الجزاء إلى والدي في قبره ليضيئه له كما علمني أن أضيء بيوت الله تعالى للساجدين والراكعين والمصلين[1].

رحل أبي قبل أن أعطيه الدواء

كان والدي يحبني جدًّا، وكان في آخر حياته مريضًا طريح الفراش، وذات يوم ذهبت لأسلم عليه قبل الذهاب لعملي، فطلب مني أن أحضر له علبة حبوب دواء للقلب في طريق عودتي، فقلت أفعل إن شاء الله وقبلت يده وانصرفت، وبعد انتهائي من العمل اشتريت علبة الدواء وهممت بالعودة إلى البيت، لكن أصحابي أصروا على أن أذهب معهم، كنت محتارًا بين الإحساس بضرورة العودة إلى المنزل لإعطاء الدواء لأبي، وبين الرغبة في الذهاب مع أصدقائي، لكنني اخترت الذهاب معهم وتناسيت أمر أبي، وقبيل المساء عدت إلى البيت، ودخلت لأعطي أبي علبة الدواء، فإذا بجميع من في البيت يبكي، لقد مات أبي، مات بينما كنت مع أصحابي، مات وترك علبة الدواء في جيبي دليلًا على

---

(١) لإنارة المساجد فضل كبير، فقد روى ابن ماجة وأبو داود عن ميمونة مولاة النبي -ﷺ- قالت: " يا رسول الله - ﷺ- أفتنا في بيت المقدس. قال: فإن لم تأتوه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله "والحديث ضعفه الألباني أنظر ضعيف أبي داود ح ر ٤٥٧، ولقد كان المسجد النبوي الشريف في عهد النبي ﷺ في بداية أمره إذا جاء الليل، يضاء بسعف النخيل توقد فيه النار، وعندما قدم تميم الداري إلى المدينة المنورة في سنة ٩ هـ، فوجد المسجد يضاء بسعف النخل فاستبدل ذلك بقناديل تضاء بالزيت كان قد أحضرها معه. فقد روى أبو نعيم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "أول من أسرج في المسجد تميم الداري". والحديث ضعفه الألباني انظر ضعيف ابن ماجة ح ر ١٥١، وروى صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب عن سراج غلام تميم الداري قال: (قدمنا على النبي ﷺ ونحن خمسة غلمان لتميم الداري- فأمني- يعني تميم- فأسرجت المسجد بقنديل فيه زيت، وكانوا لا يسرجون إلا بسعف النخل، فقال رسول الله ﷺ: من أوقد مسجدنا؟ فقال تميم: غلامي هذا، فقال: ما اسمه؟ فقال: فتح، فقال رسول الله ﷺ- بل اسمه سراج- فسماني رسول الله ﷺ سراجًا) الاستيعاب على هامش الإصابه ٣/ ١٣١.
وروى القرطبي أن تميم الداري حمل معه من الشام إلى المدينة قناديل وزيتا ومقطا، فلما انتهى إلى المدينة وافق ذلك يوم الجمعة فأمر غلاما له يقال له أبو البراد فقام فشد المقط وهو بضم الميم وسكون القاف وهو الحبل وعلق القناديل وصب فيها الماء والزيت وجعل فيها الفتل، فلما غربت الشمس أسرجها، فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا هو يزهر، فقال: من فعل هذا؟ قالوا: تميم يا رسول الله، قال: نورت الإسلام نور الله عليك في الدنيا والآخرة، أما إنه لو كانت لي ابنة لزوجتكها، فقال نوفل بن الحرث بن عبد المطلب: لي ابنة يا رسول الله تسمى أم المغيرة بنت نوفل، فافعل فيها ما أردت، فأنكحه إياها على المكان...اهـ والخبر ضعيف كما أشار ابن حجر في الإصابة ٤/ ١٨.

تقصيري في حقه، مات وتركني بعده حزينًا لأنني تأخرت عليه، ومن يومها ما زالت علبة الدواء معي، وكلما نظرت إليها تذكرت أبي وتمنيت أن يسامحني، ولا أدري كيف سأقابله في الآخرة، اللهم أحسن لقاءنا هناك.

هدية النجاح اشتراها أبي قبلها بعام:

على أعتاب الثانوية العامة كنت غير واثقة من نفسي، وشعرت أنني مهما فعلت فلن أصل إلى ما أتمناه، ورغم تفوقي الدراسي إلى حد كبير إلا أنني كنت أشعر أن الامتحانات وحش كاسر يهاجمني ولا أستطيع مقاومته، وفي الإجازة الصيفية وقبل دخولي للصف الثالث الثانوي، ذهب أبي إلى حفل المتفوقين الخاص بمدرستنا، وكنت في الصف الثاني الثانوي من أقل الأوائل مجموعًا، ولاحظ أبي يومها أنني لست سعيدة بما يحدث، فأخذني بعد خروجنا من الحفل وجلست معه في مكان هادئ، وهناك حدثني أبي عن أمنيته لي في الثانوية العامة، وأنه يريدني أن أكون من الأوائل، فلما لاحظ صمتي وحيرتي، أخذني معه واشترى لي هدية قيمة جدًّا وقال لي: «هذه هدية نجاحك مقدمًا لأنني أثق تمامًا أنك لن تخذلينا ولن تخذلي نفسك، أعرف أنك ستحققين ما تأملين وأريدك أن تجتهدي لتحقيق ما تريدين، واعلمي أن على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وستمر الأيام وستذكرين موقفي هذا وتقولين: كان أبي على حق يوم أن قال لي إنك ستحققين ما تمنيت بإذن الله، وعندما تحققين هدفك تذكريني يومها بالدعاء سواء كنت حيًّا أو ميتًا».

لقد أعطتني كلمات أبي أملًا وعزمًا، وثبت الله بها قلبي وألهب عزيمتي، ومرت العام الدراسي، وحقق الله لي ما تمنيت، والحق أقول إنني لم أتذكر والدي يومها بالدعاء، هذا لأني ما نسيته حتى أتذكره، لقد ظللت أدعو له بعد يوم الهدية التي قدمها لي مقدمًا وحتى يومنا هذا، وأسأل الله تعالى أن يجمعني به مع سيدنا محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد، فقد مات أبي.

ناولتني كوب الشاي.. وسقطت ميتة :

منذ حوالي ثلاثين عامًا كنت في الثانوية العامة، كنت أيامها أذاكر ليلا، وكانت أمي – رحمها الله – تأتيني كل ليلة بالمشروبات الدافئة، وتربّت على كتفي، وتبتسم في وجهي، وتدعو لي بالتوفيق، وذات ليلة وبينما أنا أذاكر في هدأة الليل، جاءت أمي كعادتها حاملة كوب الشاي ووضعته على المنضدة، ودعت لي بالخير كعادتها، وفجأة سقطت على الأرض، فأسرعت نحوها ووضعت رأسها في حجري وحاولت أن أوقظها، لقد ظننت أنها وقعت فاقدة الوعي، لكنني صدمت عندما أدركت أنها قد فقدت الحياة، لقد ماتت أمي بعدما ناولتني كوب الشاي ودعت لي بالتوفيق، رحمك الله يا أمي فقد كنت بي حانية حتى آخر لحظة من عمرك.

ابنة راسبة.. وأب حنون :

عندما كنت في الثانوية العامة اجتهدت قدر استطاعتي، وبعد الامتحانات ظهرت النتيجة، وذهبت لأعرف مجموع درجاتي، ففوجئت بأنني راسبة، عدت يومها للبيت حزينة وقدماي لا تستطيعان حملي، دخلت البيت صامتة وتوجهت نحو غرفتي وأغلقت على نفسي الباب، وجلست أفكر في أبي، فقد كان رجلًا متوسط الحال، وعندما سيعرف الخبر من الطبيعي أن يحزن ويشتم وربما يضرب، هكذا يفعل أمثاله، وقطع علي تفكيري صوت طرقات على باب غرفتي، واستأذن أبي ودخل علي، وتوجه نحوي وأخذني بين أحضانه وقال لي: «لا تحزني، إن شاء الله تعوضينها العام القادم بإذن الله، هكذا الحياة يا بني، ونحن نتعلم من الفشل أكثر مما نتعلم من النجاح»، وربّت على كتفي وتركني وانصرف، كم كانت كلماته حانية وصادقة ومطمئنة، بسببها استطعت النوم تلك الليلة وتفوقت العام التالي، وتعلمت من الفشل أن رسوب عام ليس نهاية الحياة، حدث هذا منذ سنين طويلة، لكنه موقف لا يمكن أن أنساه لك يا أبي.

ساعتها عرفت أنه أحسن أب:

كان والدي مكفوف البصر «أعمى» لا يرى، لكنه كان يرى ببصيرته أكثر مما يرى غيره ببصرهم، ويحب أبناءه ويحنو عليهم أفضل من الآباء المبصرين، ذات يوم رجعت إلى البيت من امتحان اللغة الفرنسية مهمومة حزينة، هذا لأنني لم أجب في الامتحان جيدًا، فشعر والدي بحالتي، فنادى عليّ وقال لي: ماذا فعلت في الامتحان؟ فقلت: غير جيد، فقال لي: هات ورقة الأسئلة لأرى بنفسي، فأحضرت الورقة وناولتها لوالدي، وكان من عادتي أن أسجل الإجابات على الورقة، وبعدما قلّب فيها والدي دقائق قال لي: ما شاء الله، لقد أجبت جيدًا، إن شاء الله ستنجحين، وظهرت النتيجة بعدها بأيام، ونجحت فعلًا، وعندما أمسكت بيدي الشهادة وتأملت درجة اللغة الفرنسية، تذكرت موقف والدي معي، فقلت في نفسي: كيف عرف والدي يومها أنني قد أجبت جيدًا وهو لا يعرف شيئًا في اللغة الفرنسية، بل إنه كفيف لا يرى، ساعتها عرفت أنه أحسن أب.

إذا مت.. فلا تضعني في قبري:

قبيل وفاة أمي بخمسة عشر يومًا، نادت علي وقالت: «يا بني، إذا أنا مت فلا تدفني أنت ولا تضعني في قبري، دع غيرك يفعل ذلك»، فقلت لها: ولماذا؟ فقالت: «حتى لا تبكي بعد وفاتي و لا تتذكر موقف وضعك لي في التراب فتتعذب»، هكذا كان قلب أمي، تخشى حزني حتى بعد وفاتها، فيا رب ارحمها واغفر لها وأدخلها الجنة.

عشاء أسرتنا لأصدقائي الضيوف:

كان والدي إذا جاء زملائي لزيارتي في بيتنا، وجلسوا معي ليلا وجاء وقت العشاء، قدم لنا أبي العشاء المعد للأسرة كلها، وبعد أن ننتهي من الأكل وترفع الأطباق من بين أيدينا، يأكل أبي وأمي وإخوتي ما تبقى فيها من طعام، فعشت بين أصدقائي مرفوع الرأس كريمًا جوادًا، وعاش أبي في قلبي عطوفًا عاقلًا مقدرًا لي ولإخوتي، لم يكن أبي يفعل هذا معي وحدي، بل كان يفعل الأمر نفسه مع زملاء إخوتي وإخواتي، فهل هذا أب ننساه؟

يا ابنتي.. ألقي شعرك في القمامة:

سأحكي لكم موقفًا ترك بصمة سوداء في نفسي لسنوات، كم جعلني هذا الموقف أبكي وأحزن وأهجر النوم والطعام، لقد أمرني أبي بالحجاب وأنا في الصف الرابع الابتدائي، وكنت صغيرة ولا أريد أن أتحجب، فكنت ألبسه يومًا وأخلعه يومًا آخر، رآني والدي ذات يوم خارجة من البيت بدون الحجاب، فأمرني أن أحضر مقصًا، فقلت لعله يريد أن يقص به شيئًا، فذهبت بهراءة الأطفال وأحضرته له، قائلة: تفضل يا بابا، فأمسك بشعري بشدة وكان شعري طويلًا، وقام على الفور بقص شعري وأمرني أن ألقيه في القمامة، هذا والله ما قد حدث، وتخيل إحساس فتاة بريئة في سن الطفولة تذهب إلى سلة القمامة لترمي شعرها بأمر من والدها الحاني الرحيم، لا أدري مقدار الحزن والألم الذي شعرت به، ولا أدري مدى الاكتئاب الذي عانيته، لكن الله لطف بي وأرسل من يداوي جراحي، إنها أختي التي كانت تكبرني بعشر سنوات، لقد جعلها الله دواء لما فعله أبي، ولولاها بعد الله تعالى لكنت كرهت الحجاب طيلة حياتي، ولولا الله والدين والأخلاق لما لبست الحجاب يومًا، إنني أتذكر أبي في اليوم مرتين، مرة عندما أسرح شعري، ومرة عندما ألبس حجابي، سامحك الله يا أبي فلولا لطف الله بي لكنت بغلظتك صنعت مني مشكلة.

هدية أبي السنوية.. قراءتها فورية:

لقد بدأت رحلتي مع الكتب منذ أن كنت في الصف الأول الابتدائي، ولقد كان والدي سببًا في حبي للقراءة، فقد عودني على هدية سنوية عند ظهور النتيجة، ففي الصف الأول الابتدائي كانت هدية نجاحي عبارة عن مجموعة من القصص وكتب الأطفال، واستمرت هذه الجوائز حتى الشهادة الإعدادية، فعلى مدار تلك السنوات التسع تلقيت من والدي الكثير من القصص والكتب مكافأة لنجاحي، حتى أصبحت الكتب من ثوابت حياتي، كنت أقرأ تلك القصص بنهم شديد، كنت أحتفظ بتلك الكتب بحرص

عجيب، وفجأة توقفت تلك العادة الكريمة، كنت حينها في بداية من المرحلة الثانوية، أتدري لماذا توقفت؟ لأن أبي رحل عن الحياة، مات وأنا في الصف الأول الثانوي وحرمت أنا من تلك الهدية السنوية الرائعة، وكم كان صعبًا عليَّ يوم ظهور النتيجة في ذلك العام، فقد عدت إلى البيت فلم أجد لا أبي ولا هديته السنوية، لقد مات أبي وترك ابنًا يحب العلم ويعشق القراءة، ومازالت كتب أبي وهداياه في مكتبتي حتى اليوم شاهدة على حبي له وحبه لي، اللهم اجمعني به في الآخرة على خير، يا أرحم الراحمين.

احترام أبي.. بين طفولتي وشبابي:

كانت علاقتي مع أبي طوال حياتنا شعارها «حب واحترام»، ففي أيام الطفولة عندما كنت أذهب مع زملائي للحقل لآكل أي شيء من الخضراوات التي نزرعها مثل الفول والباذنجان وغيرها، كان والدي يترك لنا الحقل ويذهب ليجلس بعيدًا، ولا يعود حتى ننصرف، كل هذا لنأخذ راحتنا ولا يحرج زملائي، كنت أشعر حينها بالفخر والرجولة والسعادة... ومرت السنون وقارب سني العشرون، وحينها بدأ احترام والدي لي يأخذ شكلا آخر، فما كان والدي ينام أبدًا وأنا جالس، ولو دخلت عليه وهو نائم كان يجلس حتى أخرج، كأنه هو الابن وأنا الأب، فكنت نتيجة لذلك أحببت والدي حبًّا حب الابن وحب الأب معًا، وحتى يومنا هذا وبعد مرور أكثر من عشرين عامًا على وفاته، أدعو له بالرحمة والمغفرة.

كيس البونبون.. من أبي الحنون:

لقد كان أبي عطوفًا كريمًا، لا أذكر أنه ضربني أو أهانني أو جرح مشاعري يومًا، فمنذ طفولتي وهو يعامل جميع بناته بالحب والرحمة، وكنت أنا من أقربهن إلى قلبه، لدرجة أنه كان يدخر أمواله معي، ومن ذكرياته الطيبة معي والتي لا يمكن نسيانها، أنه كان يحضر لي كل يوم جمعة كيسًا مليئًا بالبونبون والحلوى، كل جمعة بعد الصلاة بلا انقطاع، واستمرت تلك العادة الطيبة حتى بعد زواجي، فكل جمعة يحضر لي كيس الحلوى والبونبون بعد

صلاة الجمعة، واستمر الحال حتى أصبح يحضر« كيس الحلوى» لي ولأطفالي، لقد تعلمت من أبي كيف أدخل السرور على قلوب من حولي، وعلمني كيف أكون حنونة على الآخرين، فهل تتخيل أن يأتي يوم جمعة وأنسى فيه أبي بالدعاء والرحمة والمغفرة؟!!!

أحب أن أسمع القرآن منك يا بني:

كان والدي رجلًا أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، ولا أنسى يوم أن التحقت بالمدرسة كم كان سعيدًا، وزادت سعادته يوم أن سلموني في المدرسة مصحفًا، كنت يومها في نظر أبي كمن حاز كنزًا لا يقدر بثمن، ومن يومها بدأ حال أبي معي يتغير، كان بين الحين والآخر ينادي عليّ ويقول:

افتح المصحف واقرأ لي بعض الآيات، فأقول له: يمكنك أن تسمع من إذاعة القرآن الكريم، فيرد علي بحب قائلًا: إني أحب أن أسمعه منك يا بني، واستمرت تلك العلاقة تربطنا نحن الثلاثة: القرآن وأنا وأبي، لسنوات طوال جلس أبي بجواري يستمع للقرآن بصوتي بحب وشوق وسعادة، والنتيجة أنني ارتبطت بكتاب الله تعالى ارتباطًا عجيبًا، وكان هذا سبب التزامي وابتعادي عن كثير من المعاصي، إذ كيف أعصي الله وأبي يحبني ويحب سماع القرآن مني، لقد أصبحت قارئ البيت المحبوب، ومرت السنوات ورحل أبي عن الدنيا، وكلما أمسكت المصحف تمنيت أن يسمع أبي صوتي، بل إنني أذهب أحيانًا إلى قبر أبي وأقرأ القرآن، حتى يفرح بسماع صوتي ويستأنس بجلوسي هناك بجواره.

فوق كتفيك لن أتعب يا أبي:

أبي كان دومًا يحملني على كتفيه أيام طفولتي، وكلما تعب من حملي كان يقول لي: «لقد تعبت يا بني، ألا تنزل لتمشي قليلا؟» فكنت أقول له: «عندما أتعب أنا سأنزل»، فكان - رحمه الله - يضحك ويتركني فوق كتفيه، حدث هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة.

كنا نحسد بعضنا على المرض:

كان أبي لا يظهر عواطفه بسهولة، فمن الصعب جدًّا أن يظهر حبه لأبنائه، وكان نادرًا ما يقبّل أحدنا أو يناديه باسم «دلع» أو يأخذ أحدنا في حضنه، كل هذه المظاهر التي تشعرك بالحب كانت مفقودة في أبينا، لكن الحق يقال إن هناك حالة واحدة كان أبي يسمح لمشاعره الحانية أن تظهر، ويطلق فيها عواطفه الجميلة من محبسها، هذه الحالة هي: المرض، فما يكاد أحدنا يمرض، حتى نرى أبًا غير الذي نعرفه، حنونًا عطوفًا ذا قلب كبير وحب عميق، لكن هذه الحالة العاطفية كانت تشمل المريض وحده، مما جعلنا نحسد بعضنا على المرض، فالمريض سيناله من أبيه حبًّا وحنانًا دون إخوته، لدرجة أننا كنا نقول لأخينا أو أختنا المريضة: يا فرحتك، يا حظك؛ لأنك مريض.

مذكرات طفل.. يكتبها رجل في الأربعين:

هذه المذكرات يرويها رجل في الأربعين من عمره، اختزنها في ذاكرته طوال هذه السنين، فلما بلغ أشده وصار أبًا أمسك بالقلم ليسطر ما جرى له أيام طفولته، وكيف تمت تنشئته على أيدي أبوين صالحين، بصورة يرى أنها أقرب إلى المثالية...

بهذه الكلمات قدم الأستاذ عامر شماخ لكتابه الرائع «علمني أبي.. مذكرات طفل»، والذي كتب فيه ذكرياته الجميلة مع والديه، وفي بعض صفحات الكتاب يقول:

كنا إذا شرعنا في الأكل يسمي أبي أولًا ثم نسمي بعده، فإذا لاحظ أن أحدنا لم يسمِّ قال: من نسي نذكره؛ باسم الله أوله وآخره...

ولقد كان لوالدي – رحمه الله – طريقة عجيبة في التدليل على عظمة الخالق وقدرته، فلا يفوته مخلوق من مخلوقاته إلا لفت نظرنا إلى نواحي الإعجاز فيه، يمسك الثمرة من الفاكهة ويقول قبل أن يأكلها: اللهم إني أشهد أن لكِ ربًّا وخالقًا، بسم الله..، وكان هذا يسترعي انتباهنا، فكان يتوقف عن الأكل ويقول: تأمل يا فلان إصبع الموز مثلًا، طعم لذيذ، وقطعة خالصة من الحلاوة مغلفة بغلاف جميل يحفظها لآكلها من التلوث

والعطب، وانظر إلى خلاياها كيف تم صنعها بهذه الطريقة التي يستحيل وصف دقتها، بل انظر إلى ملايين الأصابع من الموز، تجدها كالبشر، هيئتها العامة واحدة، لكن يختلف كل إصبع عن الآخر في الشكل والحجم ولو قليلًا...

لقد عاقبني أبي في طفولتي كثيرًا، وقد نسيت ذلك كله، إلا عقابًا واحدًا لم أنسه؛ حيث آلمني وقتها أشد الإيلام، ومن شدة تأثري به ما زلت أذكر تفاصيله اليوم بعد أكثر من ثلاثين عامًا على وقوعه، لقد كانت عادة والدي أن يسألنا في نهاية اليوم عن الصلاة، وفي أحد الأيام انشغلت عنها باللعب.. فماذا فعل؟ لم يضربني ولم يعنفني، وإنما أمر أمي أن تضع لي طعامي وحدي، بعيدًا عن بقية أفراد الأسرة، ولمدة يومين... وأذكر أنني - اعتراضًا على قرار أبي - لم أذق طعامًا خلال هذين اليومين، حيث كانت أمي تضع الوجبة وترفعها كما هي دون أن آكل شيئًا، إلا أن ذلك لم يغير من رأي أبي ولم يرق قلبه تجاهي، بل أصر على استكمال العقاب رغم توسلات أمي وإخوتي، والحق أقول إنني لم أنقطع من يومها عن صلاة واحدة - والحمد لله - إلى اليوم...

لقد كان والدي قوي الشخصية، خبيرًا في معالجة (النزاعات)، أستاذًا في (التفاوض) لديه القدرة على حل أعقد المشكلات، نشبت (خناقة) كبيرة بين أختين لي أثناء وجوده بالمنزل، وكان سببها التلفزيون، أحدهما يريد مشاهدة إحدى قنواته والثاني يريد مشاهدة قناة أخرى، تركهما حتى انتهت (معركتهما) الكلامية، وأمرني بوضع التلفزيون في (كرتونة) ووضعه في الدولاب، ولم يتفوه بكلمة واحدة، وبعد أسبوع كامل من الاعتذارات من جانب شقيقتي، وقبل أن يعيد التلفزيون - الذي حُرمنا منه جميعًا - إلى مكانه، جلس مع الشقيقتين (المذنبين) جلسة، لقنهما خلالها دروسًا في الأدب، والإيثار، والعطف، لكنني أذكر أن شقيقتي خرجا بعد جلستهما معه متعانقتين ضاحكتين.

من الهندسة إلى مصنع الخياطة:

عندما كنت طالبة في كلية الهندسة، كنت أحيط ملابسي بنفسي، فكانت صاحباتي وزميلاتي يعجبن بها وبذوقها العالي، ويطلبن مني أن أخيط لهن مثلها، فكنت أقول لهن:

بعدما نتخرج من الكلية، كنت أحاول – فقط – صرفهن عني بتلك الكلمات، تكرر طلبهن كثيرًا وكانت إجابتي واحدة: بعد التخرج من الكلية، ومرت السنوات وتخرجت من الكلية، وفوجئت بصديقاتي وزميلاتي يأتين إلى البيت لأوفي بوعدي لهن وأخيط ثيابًا لهن، فقلت: سأفكر في الأمر، وبعدما غادرن البيت سألني أبي عن سبب زيارتهن، فأخبرته بالحكاية، فقال أبي: وما المشكلة في ذلك فكري في الأمر، وبعد أيام فوجئت بأبي يحضر لي ماكينة خياطة حديثة جدًّا، وقال: «هذه هدية تخرجك من الكلية»، وهكذا بدأت رحلتي مع خياطة الملابس النسائية، ومرت الأيام واحترفت تلك المهنة، كانت هدية أبي فتحًا عظيمًا لي، والآن أمتلك مصنعًا كبيرًا على أحدث مستوى، وينتج أفخم الملابس ويخيط أحدث الموضات، فالحمد لله تعالى، والشكر موصول لأبي صاحب هدية التخرج المبدعة.

هذا غفره الله.. وهذا تقبله الله:

وأنا في بداية المرحلة الإعدادية، علمني والدي أن أكتب ما يسمى بالمذكرات اليومية، كانت بشكل بسيط في البداية، وكان والدي يجلس معي دقائق قبل أن أنام، ويستمتع بقراءة ما كتبت، كنا صديقين لذلك كنت أستمتع بقراءته لما كتبت، وكان أبي يوميًّا يعلق على تلك المذكرات ويبدي رأيه فيها، وكان يوجهني لتصحيح أخطائي بأسلوب طيب، فكان يكتب تحت المواقف الحسنة التي فعلتها ودونتها بقلم أحمر «هذا تقبله الله»، ويكتب عند المواقف التي أخطأت فيها «هذا غفره الله»، لقد جعلني أكتب المذكرات ليصوب أخطائي ويقوي مواطن الخير في قلبي.

أبي الحلاق.. وحذاء الصلاة:

كان أبي يعمل حلاقا، وعندما كنت صغيرًا في المرحلة الابتدائية، كنت أذهب مع أبي إلى المحل بعد الدراسة لأساعده، وكان أبي يحنو عليّ كثيرًا ولا يعاملني بقسوة وبخاصة أمام الزبائن، وكان من عادات أبي الطيبة أنه كان يحتفظ لي في المحل بحذاء مخصوص أسماه

«حذاء الصلاة»، كان لا يخرجه من المكان المخصص له إلا عندما يؤذن المؤذن، فأصبح معروفًا عندي وعند كل الناس أن أبي عندما يسمع الأذان سيخرج «حذاء الصلاة» ويعطيني إياه حتى أذهب إلى المسجد وأصلي، وبعد عودتي كنت أرجع حذاء الصلاة إلى مكانه، كان أبي سعيدًا بما يفعل وكنت فخورًا بأنه أبي، لقد استطاع بقلبه الطيب أن يغرس في قلبي: حب الصلاة، والارتباط بالمسجد، وأن يكون هناك ملبس خاص للصلاة، وأشعرني بالفخر بين الناس لأنني ابن الخلاق الذي يصلي، رحمك الله يا أبي، فرغم فقدك وعدم التحاقك بالمدرسة؛ فقد علمتني من الخير ما عجز عنه أصحاب الأموال والشهادات.

يا أولادي تعالوا نؤمن بربنا ساعة:

والدي الله يبارك فيه كان يداوم على أذكار الصباح والمساء، فكان عند الصباح والمساء ينادي علينا جميعًا حتى أمي ينادي عليها، ونكون حينها نتكلم مع بعضنا أو غيرها مما ينشغل به الناس، فينادي علينا قائلًا كلمته الجميلة: «اتركوا اللغو.. وتعالوا نؤمن ساعة مع ربنا»، كان يقولها برفق وتبسم دون عنف ولا قسوة، فتعودنا المداومة على الأذكار في حضوره وغيابه، لقد رأيت هذا من والدي في طفولتي وفي صباي وفي شبابي، وهذا ما جعلني محبًا للأذكار مواظبًا على قراءتها.

كيف صنعت أمي مني داعية؟

كانت أمي تدفع بي لدروس العلم في المساجد وتشجعني على حضورها، رغم أنني بنت، وبعدما كنت أرجع من أي درس كانت تسألني عما سمعته وما سأعمل به مما سمعت، وهكذا صرت أحضر دروس العلم وأعود لأنقلها لأمي، وبسبب ذلك أصبحت أحسن الإنصات للعلماء وأستفيد كثيرًا مما أسمعه،إن أمي كانت ذكية جدًا، فلم تكن تعطيني المحاضرات في الأخلاق والقيم كما يفعل آباء اليوم، بل كانت تشجعني على حضور دروس العلم لدى علماء أجلاء ثقات لأسمع منهم ما أرادت هي قوله، كنت

عندما أعود وأنقل لها المحاضرات فتسمع مني باحترام شديد، لقد جعلتني أنا من تلقي المحاضرات بدلًا منها، لقد كانت أمي سببًا لما وصلت إليه الآن كداعية إسلامية، أما أبي فلا أنسى جلوسه بجواري ودعواته الكثيرة من أجلي، فما من مرة جلست معه إلا وكان آخر شيء يفعله هو أن يدعو الله من أجلي، واستمرت تلك العادة الطيبة حتى بعد زواجي وانتقالي إلى بيت زوجي، فقد كان أبي يزورني ويجلس ما شاء ثم يرفع يديه ليدعو لي، ثم ينصرف، لقد استجاب الله تعالى دعوات أبي ولم يضيع سبحانه جهد أمي، اللهم اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرًا.

ليت السيارة تصدمني.. لآخذ بعضًا من حُبّ أبي:

ذات يوم صدمتني سيارة، ولم أكن أتوقع أن حب أبي وأمي لي بهذه الدرجة، لقد رأيت حينها قلب أب وأم يملؤهما حب كبير، لم أسمع منهما حينها كلمات العتاب مثل: كان لا بد وأن تنتبه للسيارة، لماذا سرت في هذا الطريق؟ لم أسمع كلمات العتاب التي تعودت عليها، كل ما سمعته هي كلمات اللهفة والمحبة: كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ الحمد لله على سلامتك، احمدي الله، لقد فوجئت حينها بحبهم الشديد، والحقيقة أنني كنت أتمنى قبلها أن يحدث لي أي شيء كمرض أو حادث، أي شيء حتى أرى حبهما، والحمد لله الذي سلم بي وأراني من حبهما ما أثلج صدري، وأراح قلبي وأزال همي، واليوم وبعد مرور السنين لا أنتظر حتى تصدم سيارة ابني أو ابنتي لأشعرهم بحبي، لقد تعلمت الدرس وحبي يغمر أبنائي صباح مساء.

حديث العشاء.. سطر واحد:

كان والدي – بارك الله في عمره – عندما نجلس لتناول طعام العشاء معًا، كان يطلب من كل واحد منا أن يقول حديثًا للنبي ﷺ، بشرط ألا يزيد الحديث النبوي الشريف سطر واحد، وكنا نتسابق طوال النهار حتى نحفظ حديثًا لنقوله لبابا، وكان يثني علينا كثيرًا، وفي النهاية يقول لنا حديثًا هو الآخر، وكان يعطينا الهدايا والجوائز، ظلت

تلك عادة بيتنا لسنين حتى أحببنا السنة وتعلقت بها قلوبنا، رب ارحم أبي واجعله مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

هل يمكنك أن تترفق بأمك؟

كنت في مرحلة المراهقة فظًّا غليظًا مع أمي، لدرجة أنني كنت أرفع صوتي عليها وأشيح عنها بوجهي، وربما رددت عليها بكلام قاسٍ، لم أكن أدرك ما أفعل، كنت في غفلة تامة، وذات يوم فوجئت بورقة موضوعة على وسادة سريري، فتناولتها لأرى ما فيها، فإذا مكتوب فيها: «تمنيتك قبل أن توجد، وأحببتك قبل أن تولد، وعشت من أجلك حتى يومنا هذا، فهل يمكنك أن تترفق بأمك»، لقد ظللت أقرأ الرسالة وأبكي، لقد أتعبت أمي كثيرًا لأثبت أنني رجل، أو لأنني لا أريد لأحد أن يفرض رأيه علي، كل هذه الأفكار وغيرها جعلتني أظلم أمي، هذه الرسالة أيقظتني من غفلتي وجعلتني أبدأ مع أمي عهدًا جديدًا، هو عهد الحب والرفق.

حضن أبي الأخير على محطة القطار :

بعد الثانوية العامة التحقت بكلية في جامعة أسيوط (جنوب مصر)، ولأنني من مدينة الإسكندرية فكان لزامًا عليّ أن أسكن في أسيوط، واستأجرت مع زملائي سكنًا خاصًا بجوار الكلية، وذات يوم جاء أبي من الإسكندرية لزيارتي والاطمئنان على أحوالي، ومكث أبي معي في السكن ساعات ثم توجهت معه إلى محطة القطار ليعود إلى الإسكندرية، وهناك فعل أبي شيئًا لم يفعله معي طوال حياتي، لقد احتضنني وقبّلني، لأول مرة في حياتي، كانت أول مرة وآخر مرة، فقد كان هذا هو لقائي الأخير بأبي، فقد توفاه الله بعد عودته إلى الإسكندرية وفي غيابي، لقد ركب في القطار أكثر من عشر ساعات وجاء إلى أسيوط ليودعني وليقول لي – بحضنه الدافئ – أحبك، كم كنت أتمنى لهذا الحضن أن يطول، كم وقفت على محطة القطار وبكيت، اللهم لا تحرم ابنًا من حضن أبيه.

لقد ربيناك لتكون مدرسًا :

منذ طفولتي كان حلم أمي أن أكون مدرسًا أعلم الناس الخير، ومرت السنوات وشاءت إرادة الله تعالى أن ألتحق بكلية التربية، وبعد أن تخرجت من الكلية كنت أنتظر التعيين، وخلال تلك الفترة أريد أن أنزل المحل الذي نملكه لأعمل مع إخوتي، فاعترضت أمي قائلة: «لن تعمل إلا مدرسًا، لم ننفق عليك لتعمل في المحل، أنت تحمل العلم للناس وهو ميراث الأنبياء، اعمل في أي مدرسة ولو بالمجان، وخذ مني ما شئت من مال»، وخلال عامين قبل مجيء التعيين عملت بنصيحة أمي ودرّست هنا وهناك، ولقد أصبحت مهنتي من أحب المهن إلى قلبي، ومنذ سنين وأنا أعلم الأطفال الخير، ومازلت أشكر لأمي – رحمها الله – مواقفها وكلماتها التي علمتني معنى أن يكون الإنسان مدرسا، فنعم الأم كانت أمي ونعم التربية كانت تربيتها، لقد كنت أجد سعادتي في تقبيل رأسها ووضع خدي على قدمها، وبعد أن فارقت الحياة أجد راحتي عندما أجلس بجوار قبرها، رحمها الله تعالى رحمة واسعة.

هل القسوة على الأبناء مرض وراثي؟

ذات يوم وأنا في الصف الثاني الإعدادي، خرجت ألعب أنا وأخي دون علم أبي، وعندما رجعنا كان عقاب أبي القاسي ينتظرنا، لقد أوقفنا في الشمس معذبين لمدة ساعة، وخلال تلك الساعة شعرت بقسوة أبي، فلو رآنا أحد الغرباء لرحم حالنا، ومرت الأيام والسنوات وهذا الموقف لا يمكنني نسيانه، ولا أدري هل سامحت أبي أم لا، كنت أعتقد أن أبي كان قاسيًا في تربيتنا، ونويت إن رزقني الله بأولاد ألا أكون مثله... ومرت السنون وتزوجت ورزقني الله بالأبناء، ونسيت ما كان بيني وبين أبي، وذات ليلة كنت أصلي في المسجد وأرى الشباب من حولي في خشوع، كنا في أواخر رمضان وفي ليلة نلتمس فيها ليلة القدر، ونظرت في الشباب الحضور فلم أجد ابني (ثانية جامعة)، فخرجت باحثًا عنه والحزن عليه يملأ قلبي، فوجدته يتمشى مع أصحابه، فما كان مني إلا أن رفعت يدي

وصفعته على وجهه، بلا مقدمات ولا تعليقات، نعم صفعته في الطريق بين زملائه، أنا على يقين أنه لن ينساها لي رغم محاولاتي لتطييب خاطره وإصلاح كرامته التي حطمتها تلك الليلة، والسؤال الذي يحيرني من يومها: من أين جاءتنا نحن الآباء تلك القسوة؟ هل ورثناها عن آبائنا؟ أم هي نتيجة لضغوط الحياة؟ أم مرض وراثي يجب علاجه؟ أنا لا أعرف الإجابة، لكن ما أتمناه أن يسامحنا المظلومون من أبنائنا وبناتنا على تلك القسوة اللاأبوية.

الفرحة في عيون أبي.. جعلتني متفوقًا:

ظهرت نتيجتي في البكالوريوس (بكالوريوس الطب) وأكرمني الله تعالى بتقدير ممتاز، وكنت ساعة ظهور النتيجة خارج البيت ولم أعلم بخبرها، وأبي في البيت قد وصله الخبر قبلي فجلس خارج البيت ينتظرني، وعندما رجعت من الخارج لمحت من بعيد أبي – رحمه الله – واقفًا يبكي في الشارع، ولما وصلت عنده ضمني وهو يبكي وأخبرني الخبر، لا أنسى هذا اليوم أبدًا ولا هذه الدموع ولا تلك الفرحة في عيون أبي، والله ما فرحت يومها بكليتي ولا بنتيجتي، ولكني فرحت لأنني أسعدت أبي الذي طالما أسعدني، وأنا الآن على وشك الانتهاء من الدكتوراه، ويعلم الله أن ما دفعني لإكمال دراستي والتفوق فيها هو نظرات أبي السعيدة في ذلك اليوم.

غسالة أتوماتيك.. وقلب محب:

بعد أن تزوجت وانتقلت لبيت الزوجية، جاءت أمي ذات يوم لزيارتي، فرأتني أغسل على الغسالة العادية وملابسي مبللة والجو بارد، فتحركت داخلها عاطفة الأم ورقت لحالي رغم أنني لم أشكُ لها من شيء، ومرت سنوات نسيت خلالها موقف أمي، وكنت في حياتي راضية مطمئنة، وفوجئت يومًا بأمي تدخل علي وقد اشترت لي غسالة أتوماتيك، لقد عارضتها بشدة وتهربت من أخذها كثيرًا، لكنها صممت على قبول هديتها وقالت: «إنني لم أنس يوم أن زرتك ورأيتك واقفة بجوار الغسالة العادية وملابسك مبتلة

والجو بارد، وأول ما سنحت لي الفرصة وتوفر المال كان لزامًا علي أن أشتري لك تلك الغسالة»، إن أمي لم تنس مشهدًا رأتني فيه مجهدة وحملته في قلبها سنين إلى أن اشترت لي تلك الغسالة، فهذا والله هو قلب الأم.

أمي.. وبرميل المشاغبين:

في طفولتنا كثيرًا ما أتعبنا أمي برمي الملابس هنا وهناك، وكم صرخت وتوعدت ووبخت وعاقبت وكافأت حتى نضع ملابسنا في مكانها؛ فلم تفلح، ومرت الأيام وظننا أننا انتصرنا في المعركة ورضيت أمي لأمر الواقع، لكنها جمعتنا ذات يوم وعلى وجهها ابتسامة عجيبة، وفي يدها برميل أزرق اللون، ثم قالت: «من اليوم وداعًا للملابس المرمية هنا وهناك، سوف أضع ما أجده مرميًّا من ملابسكم في هذا البرميل، أيا كان صاحبه وفي أي مكان أجده، وسأعتبر الملابس مرمية إذا وجدتها خارج مكانها المخصص لذلك»، فنظرنا لبعضنا وابتسمنا وكأننا نريد أن نقول: لن تفلحي أبدًا يا أمي، لكن أمي باغتتنا بقولها: «وعلى صاحب الشيء الموضوع في البرميل أن يأخذه خلال أسبوع، وإلا سأرميه في الشارع»، ابتسمنا جميعًا وظننا أن هذا تهديد كالذي مضى ولن يفلح، ومرت الأيام، وكان من يضيع منه شيء يبحث عنه في البرميل، وأردنا أن نختبر صدق وعيد أمي، فوضعت جوربًا قديمًا على الأرض، وبالطبع ذهب في البرميل، وتركته هناك أسبوعًا، وفي اليوم الذي انتهى فيه الأسبوع كنت عائدًا من المدرسة فوجدت الجورب «الشراب» في الشارع، هنا تأكدنا من تصميم أمي، وقررنا أن نتغير ونجرب النظافة والنظام، ولقد وجدناها أفضل، ولولا فكرة أمي المبدعة ما فعلنا ذلك.

أبي.. لقد أنجبت رجلاً:

ذات مرة شتمتني أمي بكلمة غير لائقة، فقال لها أبي: «لا، ابني ليس (هكذا)، أنا ابني رجل»، لا تدري ماذا فعلت كلماته في قلبي، لقد قررت من يومها أن أصبح رجلًا حتى لا أخيب ظن أبي، وكان أبي - رحمه الله - عاملًا بسيطًا، يذهب إلى عمله صباحًا سيرًا على الأقدام، وفي أيام الشتاء يمشي في البرد والطين، وأحيانًا كان يقع على الأرض

وتتسخ ملابسه، وعندما يعود إلى البيت لا بد وأن يرينا ملابسه المتسخة من الطين ويقول: «أنا لا أريد لكم أن تتعبوا هكذا مثلي، أريدكم أن تتفوقوا وتتعلموا، أريدكم أن تذهبوا لأعمالكم وأنتم تركبون سياراتكم»، كانت كلماته تلهب عزيمتنا وتشجعنا على التفوق الدائم، ومرت السنوات، ورحل أبي عن الدنيا، لكن كلماته بقيت حية في ذاكرتي، واليوم أنا أذهب إلى عملي راكبًا سيارتي، وكل صباح أذكر أبي، لكنني أذكره أكثر عندما أمر على المصنع الذي كان يعمل فيه، رحمك الله يا أبي فقد أكرمك الله بأن أنجبت رجلًا.

لن أترك بيتك يا أبي:

لي شقة متواضعة في بيت الوالد، أكرمني الله بالزواج فيها، وأنجبت أطفالي في رحابها، عشنا فيها أياما جميلة في صحبة الوالد والوالدة، وذات يوم جاءني عمل أفضل في محافظة أخرى، فقررنا الانتقال للسكن هناك، ورتبنا كل شيء، وحانت ساعة الرحيل، ونزلنا لنسلم على أبي، ولأول مرة في حياتي أرى دموع أبي، أول مرة أراه يبكي، إنه يبكي لفراقي أنا وأبنائي، عندها أيقنت بحبه الشديد لنا، وعندها قررت ألا نسافر، قلت له: ما دمت تحبنا هكذا فلن نتركك أبدا، وهلل أبي كالأطفال، وفرحت زوجتي وأولادي، لقد قررنا جميعًا ألا نترك الأهل ونمضي بعيدًا، إذ كيف نترك من نبادلهم الحب إلى حيث لن نجد مثلهم؟ وكيف أترك أبي حزينا من بعدي؟ ومرت الأيام وتحسنت حالي المادية جدًا بسبب بري بأبي، بل إنني بنيت بيتًا جديدا بجواره لكنني لم أترك الحياة معه.

اليوم هم أبناؤك.. وغدًا يصبحون إخوتك:

أمي الحبيبة تدعو لي دومًا بالخير، وأراها بجواري في كل أزمة، وعندما رزقني الله توأمين بعد ولدين، أصابتني حالة من العصبية والانزعاج الشديد، فكانت سببًا في طمأنة قلب واستقرار نفسي، وعندما يتعبني أولادي تقول لي: «اصبري، هم اليوم أبناؤك، وغدًا سيكبرون ويصيرون إخوتك، هم من سيساعدونك ويقفون بجوارك، وبصبرك عليهم اليوم سيصبرون عليك غدًا، هكذا فعلت معك أنت وإخوتك»، كم كانت تلك الكلمات سببًا في صبري وتحملي، وأنا اليوم أربي أبنائي حتى أراهم غدا إخوتي، حسب كلام أمي.

هذا الوقت مخصص لابني:

أبي تاجر كبير، يسافر كثيرًا هنا وهناك، ذات يوم قلت له: بابا، أليس لي حق في الجلوس معك، فقال: أنت تعلم كم أنا مشغول، لكنني أعدك بأن أصحبك معي في رحلة عمل لي إلى مدينة أسوان في إجازة منتصف العام، كنت حينها في الصف الثاني الثانوي، وكان أبي ذاهبًا إلى هناك لشراء كميات كبيرة من التمر وغيرها من المنتجات التي تشتهر به أسوان، وبدأت رحلتنا من محطة القطار بالقاهرة، ووصلنا أسوان مساء ونزلنا في فندق جميل، وفي صباح اليوم التالي تجهز أبي للخروج للعمل ولعقد الصفقات، فقلت له: هل ستتركني هنا في الفندق وحدي، فقال: عندي عمل بسيط أنجزه وسأعود إن شاء الله بعد صلاة الظهر لتبدأ رحلتنا معًا، فقط المطلوب منك أخذ نشرة من الفندق للمزارات ورتب لنا رحلة كما تحب، وكان أبي صادقًا إذ عاد بعد الظهر مباشرة، وكنت قد جهزت البرنامج لرحلتنا، فتناولنا الغداء ونزلنا لنبدأ المرح، وفي استقبال الفندق نادى رجل أعرفه على أبي، إنه مساعد أبي الذي يرتب له المواعيد، سمعته يقول لأبي: لقد اتفقت لك مع واحد من أكبر تجار أسوان ويمكنه استقبالك بعد ساعة، هنا كاد قلبي يسقط، لقد خفت أن يفعلها أبي ويقبل، لكنه نظر نحوي وقال لمساعده: «اعتذر له، فهذا الوقت مخصص لابني»، لقد فاجأتني كلمات أبي، كم أنا سعيد بك يا أبي لأنك فضلتني على عملك، كم أحترمك، كم أحبك، لن أنساها لك أبدًا.

بعد عشرين سنة عرفت أنه يحبني:

كان أبي يعاملني دومًا بقسوة، مما جعلني أظن أنه لا يحبني، وكبر هذا الشعور معي يومًا بعد يوم حتى تأكدت منه تمامًا، ولما دخلت الجيش بعد انتهائي من الدراسة الجامعية، رجعت في أول إجازة لي وكانت لحظات لا تنسى، عندما دخلت البيت - بعد غياب دام شهرًا ونصفًا - وقع بصري على حجرة أبي، وما كاد أبي يسمع صوتي ويراني حتى قام نحوي مسرعًا وسلم علي وقبلني، كانت هذه أول مرة يفعل ذلك معي، وكانت أول مرة أشعر فيها أن والدي يحبني، لقد كنت طوال عشرين سنة مشتاقًا للمسة محبة من أبي،

وكنت على استعداد تام لأن أغفر له بخله العاطفي معي، وفي هذا اليوم سامحته.

وصدق القاضي عياض عندما قال:

إن البخيل بلحظه أو لفظه أو عطفه أو رفقه لبخيل

كيف أخذ أبي دمًا غير دمي؟

أصبت وأنا صغير بمرض أنيميا الفول، وكنت كلما احتجت إلى نقل دم كان أبي يعطيني من دمه، كان يفعل ذلك بحب وحنان، وكله أمل في شفاء ابنه الحبيب، لقد تعب أبي معي كثيرًا حتى تعافيت بفضل الله، ومرت السنوات وتزوجت وأنجبت، وصار أبي رجلًا كبير السن يحتاج إلى رعاية وحنان، فحاولت أن أرد شيئًا من صنيعه معي، فكنت أخدمه وأرعاه، وذات يوم أصيب أبي بأحد الأمراض التي تطلبت سرعة نقل الدم له، كنت ساعتها مشغولا جدًا في عملي، وتأخرت على أبي، فنقله إخوتي للمستشفى ونقلوا له دمًا من غيري، ولما ذهبت إليه وعرفت ما حدث، عاتبت نفسي كثيرًا، وقلت لأبي معتذرًا: سامحني يا أبي أنا آسف، فقال لي: «يا بني.. أنا أب.. إني أسامحك»، كم طمأنتني كلماته وذبحتني في الوقت نفسه، هل هذا أب يستحق الخذلان من ابن تعب معه كثيرًا؟ الحمد لله الذي رزقني بأب يسامح، وأسأل الله أن يسامحني على تقصيري مع أبي فيما مضى، ويعينني على بره فيما بقي.

والله ما نسيتها لك يا أبي:

وأنا صغيرة - منذ أكثر من عشرين سنة - كنت في الصف الرابع الابتدائي: وطلبت منا مدرسة العلوم من كل طالبة أن تزرع شيئًا في البيت وتحضره بعد فترة من الزمن، وذات يوم طلبت المعلمة منا أن نحضر ما زرعناه غدًا، وعدت وأخبرت بذلك أمي، وفي اليوم التالي ذهبت إلى المدرسة ونسيت أن آخذ البصلة التي زرعتها، كانت حصة العلوم بعد الفسحة مباشرة، وتذكرت فجأة أنني لم أحضر النبتة التي زرعتها، فجلست خلال الفسحة مهمومة حزينة لا أدري ماذا أفعل؟ وفجأة وعلى باب المدرسة المغلق وجدت من

يصعد فوقه وينادي علي، إنه أبي صعد على السور حتى يعطيني نبتة البصل التي نسيتها، فعل ذلك لأنه قد خاف أن تعاقبني المدرسة على نسيانها، وكم فرحت لأنني نجوت من بطش المعلمة، ويومها نبتت في قلبي زهرة حب لأبي، لم تجف يومًا لأنه رويها دومًا بعطفه وحنانه.

بيت أبي.. واحة لذوي الأرحام:

علمنا أبي صلة الأرحام بالعمل لا بالكلام، وفي حياتي لم أر رجلًا يحمل الخير لأقاربه مثل أبي، فقد استضاف حماته (جدتي لأمي) في بيتنا ١٧ سنة، هذا لأن زوجها ضاق بها لكبر سنها وطردها من بيتها، فاستضافها أبي عندنا معززة مكرمة حتى ماتت، وأمه (جدتي لأبي) مكثت في بيتنا ٧ سنوات في آخر عمرها وكان أبي هو من يخدمها، حتى أخته (عمتي الكبرى) لما أصيبت بمرض أقعدها وشل حركتها؛ تكفل هو بها وأقامت عندنا ٥ سنوات، وأذكر ما قاله يوم أن أحضر عمتي للعيش عندنا، قال: «لا أحد معها يخدمها، وهي أختي ولحمي ودمي وأنا أولى بها»، كل من استضافه أبي ليعيش معنا كان في آخر عمره، وفارق الحياة في بيتنا، كان أبي هو من يتكفل بهم وينظفهم ويطعمهم، قد تظن أنه فعل ذلك لأنه كان من الأثرياء، على العكس تمامًا إذ لم يكن يملك سوى سبعة قراريط من الأرض الزراعية، وكان يستأجر أرضًا من عمي مساحتها كبيرة، وذات يوم طلب عمي استرداد أرضه التي يستأجرها أبي حتى يبيعها، وكان أيامها المستأجر لا يخرج من الأرض أبدًا حسب قانون الإيجار الدائم القديم، وإذا أراد صاحب الأرض إخراجه يأخذ نصف الأرض بلا ثمن، فشاورني أبي يومها وقال: ما رأيك؟ فقلت: الرأي رأيك يا أبي، فقال: «بعها بأعلى ثمن، وأعط المال كله لعمك؛ فلا نريد حرامًا في بيتنا»، ومرت السنوات، ورحل جميع ضيوف بيتنا من ذوي الأرحام إلى الآخرة، وبعدهم بسنين مات أبي واقفًا على قدميه، وأمي اليوم تسكن معي وقد كبر سنها، وأخدمها وأنا سعيد لأنني أمشي على خطوات أبي.

وبقى مع أبي جنيه واحد:

منذ أكثر من عشرين سنة، كنت طالبًا بالفرقة الثانية بالجامعة، ولأن الكلية تبعد كثيرًا عن قريتنا، فقد كنت أسكن بإحدى الشقق في فترة الدراسة، وكنت أعود إلى بيتنا مرة كل يوم خميس، وذات مرة مكثت بالسكن أسبوعين متواصلين لم أعد خلالهما للبلد، ولم يكون هناك يومها أي وسيلة اتصال، فذهب والدي إلى أحد زملائي وسأله عن صحتي وحالي بالحاح، واستفسر عن سبب بقائي بالسكن أسبوعين؛ هذا لأنهم تعودوا أن أعود للمنزل نهاية كل أسبوع، وكان مع والدي حينها عشرة جنيهات، فأعطى زميلي تسعة جنيهات كي يوصلها لي، وأبقى له جنيهًا واحدًا لا يملك غيره، هذا ما رآه زميلي ونقله لي، وأكده أبي بعد ذلك، وكم كان هذا الموقف سببًا في اجتهادي حتى لا أضيع تعب أبي، إذ كيف ألعب وأبي الذي أحبه يضحي من أجلي.

يا بني.. لا تذهب حزينًا:

كنت طالبا في الجامعة، وفي يوم من الأيام أعطاني والدي مصاريف الأسبوع، فشعرت أنها قليلة وأخذتها وانصرفت وأنا متضايق وحزين، لقد ظننت ساعتها أن أبي يبخل عليّ بماله ولا يقدّر تكاليف الدراسة، وخرجت من البيت باكيًا ومشيت في الطريق نحو محطة القطار، وبعد مسافة من البيت - حوالي كيلومتر - سمعت والدي ينادي عليّ وهو يجري خلفي، فوقفت منتظرًا ما يريده أبي، ولما وصل أبي عندي، ضمني نحو صدره وقال لي:

«لا تحزن، والله لا أملك غير المال الذي أعطيته لك، ولو كان معي غيره ما بخلت به عليك، أرجوك لا تسافر وأنت حزين»، وتركني وانصرف والدمع في عينيه، لكنني ما نفذت وصيته، لقد ذهبت إلى الجامعة حزينًا مما فعلته بأبي، إذ كيف لا أشعر بهذا الرجل الطيب، فهذا الموقف لا أنساه أبدًا وأسأل الله أن يجازي أبي خيرًا، وأن يسامحني.

أبي.. هل تريد أن تحبطني؟

أكثر يوم أحبطني فيه أبي وأشعرني أنني لا شيء، هو أكثر يوم وضع قدمي فيه على الطريق الصحيح، وصوب مسار حياتي كلها، سأحكي لكم كيف ذلك...

بعد أن تخرجت من كلية التربية الرياضية، قررت أن أفتتح شركة لتسويق الأجهزة الرياضية، وكانت آمالي وطموحاتي عالية جدًا، وبعد سنة من الكفاح والتعب، لمحت في الأفق صفقة تجارية سأربح منها كثيرًا، لم أتمهل لحظة في إتمامها، كنت سأربح من ورائها ما يمكنني من شراء سيارة متواضعة. وبسرعة البرق تمت الصفقة ودفعت المال (٦٠٠٠٠ جنيه)، واكتشفت الكارثة لقد نصب علينا وضاعت أموالنا، تعثرت بعدها قليلا، لكنني ما لبثت أن وقفت على قدمي ثانية، كنت طموحًا عجولًا لا أكاد أنام، وفجأة زارني أبي في مقر الشركة، وجلس يتحدث معي، وتوجه نحو سبورة كنا نستخدمها في عرض المشاريع، وأمسك بالقلم ورسم مربعًا بعرض السبورة كلها، وقال: «هذا هو عالم التجارة في مجالك، ثم رسم دائرة صغيرة في أقصى الشمال وقال: هذا هو أنت، قل لي من أنت؟ أخرج ورقة وقلمًا وقل لي: اسمك، مكان شركتك، حجم رأس مالك، حجم الشركاء، حجم تجارتك، صافي أرباحك، أخرج ما معك من نقود وعدها... وغيرها»، فعلت كما أراد لكنني كنت في قمة الغيظ والإحباط، كنت أتمنى أن تنتهي الجلسة فورًا، ما الذي يريده مني هذا الرجل يكفيني ما أنا فيه، وبإصرار منه كتبت ما أراد، وهكذا جعلني أكتشف حجم تجارتي الحقيقية، وأنني قد أفلس في أي لحظة بل ربما لا أجد ثمن إيجار المكان، مما زاد من إحباطي، وفجأة أمسك أبي بالقلم ورسم دائرة في أقصى اليمين وقال: «هذا أنت بعد سنين، ما هي أهدافك وأحلامك اكتبها»، وبعدها رسم بين الدائرتين سهمًا يصل بينهما، وقسم السهم إلى ثلاثة أقسام، في الأول (بجوار دائرة من أنت) كتب «مرحلة البقاء»، وفي الوسط كتب «مرحلة التعايش»، وفي الثلث الأخير كتب «مرحلة الانطلاق»، ثم قال: «أنت الآن في مرحلة البقاء، تصارع من أجل البقاء، فعش في هذه المرحلة جيدًا وركز في البقاء وعدم الخسارة، وبعد أن تحقق النجاح في البقاء ستنتقل إلى مرحلة التعايش، وفيها ستبدأ تأخذ مكانتك في السوق وتربح وتستقر، وفي النهاية ستصل إلى

مرحلة الانطلاق، وفيها ستنطلق في السوق تحقق الأرباح وتفتتح الفروع، لكن احذر أن تكون في مرحلة البقاء وتتصرف كأنك في مرحلة الانطلاق»، وانتهت الجلسة بسلام، لكن أثرها في حياتي لم ينته، فقد سرت على خطى تلك الفكرة الإدارية التجارية المبدعة، وبدأت اناضل من أجل البقاء، ورويدًا رويدًا انتقلت لمرحلة التعايش، والآن أعيش بفضل الله في مرحلة الانطلاق، فقد سافرت لأكثر من دولة لأستورد الأجهزة، وافتتحت فروعًا في أكثر من مكان، ولقد كان أبي يتابعني في كل مرحلة ويخبرني أين أنا، حدث هذا خلال سنين، ملأتها بالصبر والجهد والتركيز والثقة والتخطيط، وكان توفيق الله حليفنا، ولم لا وقد سرت على خطى أبي المحبطة جدًّا في بدايتها، المشرقة جدًّا في نهايتها، وصدق من قال: من كانت له بداية محرقة، كانت له نهاية مشرقة.

أمي.. والنقود المعطرة

كانت أمي وأنا صغيرة تبعثني بصدقة شهرية ثابتة لإحدى جاراتنا الفقيرات، كانت أمي عندما تستلم راتبها الشهري، تعطيني مبلغا من المال وتعطره بالعطر وتقول لي: اذهبي به لخالتك فلانة بارك الله فيك، هل تعلمين لم عطّرته؟ إنه يقع في يد الله أولا قبل أن يقع في يد الفقراء، فلتكن رائحته طيبة، فعلمتني حسن الجود وذوق الكرم.

غسل الصحون.. وأمي الحنون:

كنت في صغري وفترة المراهقة لا أتحلى بالصبر، وخاصة في بيتنا مع أمي، فعندما كنت أعود من الخارج كنت أطالب بسرعة إحضار الطعام، وإذا تأخرت أمي لا تسلم من لساني، وكانت أمي تعتذر لي أحيانًا بأن غسل الصحون هو الذي أخرها فلا أعبأ بكلامها وأستهزئ بتلك المهمة السهلة، وهل غسل الصحون يؤخر الطعام هكذا؟ وذات يوم التحقت بالكشافة، وخرجت معهم معسكرًا لثلاثة أيام، وهناك كان الطعام بمواعيد صارمة وبكميات محددة، فاضطررت لأخذ ساندويتش من وراء العاملين في المطبخ، ووصل الخبر لقيادة المعسكر، وبعد بحث وتقصٍّ وصلوا للجاني وهو أنا، وحكموا عليّ بغسل أطباق جميع من في المعسكر بعد وجبتي الغداء والعشاء، وكان لزامًا علي أن أنفذ

تلك العقوبة، تخيل منظري بين تلك الأطباق وأنا أغسلها جميعًا، وأكثر من ٣٠٠ طبق، كم من الوقت يلزمك لغسلها «بإتقان»؟ كم أرهقتني تلك المهمة، لكنني بسببها عدت للبيت شخصًا آخر، عدت ولم أخبر أحدًا بما حدث معي، عدت مدركًا لمعنى كلمة أمي «تأخر الطعام بسبب غسل الصحون»، ومن يومها إذا طلبت طعامًا، وقالت أمي: سأغسل الصحون، فأرد بأدب قائلا: خذي راحتك، ثم أقول في نفسي: «لقد جربت غسل الصحون».

الصلاة تريح قلبي يا بني:

في كل ليلة بعدما ينام جميع من في بيتنا، كنت أرى أمي تقوم الليل تصلي وتقرأ في المصحف وتدعو لي، فكنت أستيقظ وأقول لها: ألا ترتاحين يا أمي؟ فكانت تقول: «الصلاة تريح قلبي يا بني»، فكنت كلما ضاق صدري وزاد همي؛ توضأت وصليت حتى أجرب ما تقوله أمي، وكنت لا أقوم من سجودي إلا وقد زالت همومي، ولماذا لا تزول وقد شكوتها لله تعالى وجعلت اعتمادي عليه سبحانه.

معنى الرجولة.. تعلمته من أمي:

كنت طفلًا يتيمًا، توفي أبي وتكفلت أمي بتربيتي، لا أنسى لأمي موقفها عندما انتصرت لي من رجل ضربني على وجهي في الشارع ظلمًا، وظلت - رحمها الله - تلاحقه يومًا وراء يوم حتى اعتذر لي، وأصرت على أن يعتذر أمام الأشخاص أنفسهم الذين رأوه وهو يضربني، وذلك حتى تربيني على معنى الرجولة، وحينها عرفت أن القوي هو من كان الحق معه، وأن الحق الذي وراءه مطالب لا يضيع أبدًا.

هل الدعاء وحده يحرّك الكرة؟

عندما التحقت بالمدرسة الابتدائية، بدأت رحلتي مع المذاكرة والتعب، كنت أجتهد قدر استطاعتي وكانت درجاتي خير دليل على ذلك، وذات يوم حضرت صلاة الجمعة مع

أبي، وكان موضوع الخطبة عن الدعاء، وكيف أن الله تعالى يستجيب لمن دعاه، فعدت وقد قررت أن أجرب، لم أخبر أحدًا بما سأفعله، وبدأت أعمل مذاكرتي وأزيد في دعاء ربي، أليس الله بقادر؟ إذًا سأنجح وهو سبحانه سيتقبل دعائي، مرت أسابيع على هذا الحال، وأنا مقتنع تمامًا بما أفعل، وفجأة جاءت درجاتي مخيبة لكل آمالي، فعاتبني أبي وقال: ماذا حدث لك لقد كنت جيدًا؟ فقلت له: شيخ المسجد هو السبب، فقال أبي مستغربًا: وكيف ذلك؟ هل قال لك لا تذاكر؟ فقلت: أخبرنا في خطبة الجمعة أن الله يستجيب دعاء من دعاه، ولقد دعوت الله أن يوفقني وهذا لم يحدث، فقال أبي: وهل اكتفيت بالدعاء وتركت المذاكرة؟ قلت: نعم أليس الله قادر على أن يجعلني أنجح وأتفوق بلا مذاكرة؟ فابتسم أبي وسكت قليلا، ثم قال: قم فأحضر الكرة، فقلت مستغربًا: هل سنلعب الآن؟ فابتسم وقال: فقط أحضر الكرة، وذهبت وأحضرتها، فقال: ضعها هنا على الأرض، فوضعتها، فقال أبي: هيا بنا ندعو الله تعالى أن يحرك الكرة، ورفعنا أيدينا لندعو الله: اللهم حرك الكرة، اللهم عليك بهذه الكرة، يا رب حرك لنا هذه الكرة... وبعد دعاء طويل لم تتحرك الكرة، هنا سألني أبي: هل ستتحرك الكرة بمفردها؟ فقلت: لا، فقال: إذًا لا بد من يد أو رجل تحركها، وندعو حينها قائلين: اللهم ساعدنا في لعب الكرة جيدًا، هذا بالضبط ما حدث معك، أهملت العمل وظللت تدعو، إن لله قوانين في هذه الدنيا تسمى سننًا، ومن تلك السنن أن الدعاء ينفع مع العمل، وهذا يسمى توكلًا على الله، وهناك دعاء بلا عمل وهذا يسمى تواكلًا، ونتيجته الخسارة، فعون الله لمن يعمل مضمون، يمكنك أن تدعو قبل وأثناء وبعد العمل، فالعمل يحتاج إلى دعاء والدعاء يحتاج إلى عمل... ومن يومها بدأت أعمل وأدعو الله تعالى، فأصبح التوفيق بفضل الله حليفي.

لماذا لا أهاب التواجد بين الرجال؟

عندما كنت في الصف الثاني الإعدادي، طلب مني والدي أن أذهب معه للعزاء في أحد المتوفين من حينا، فقلت له: كيف ذلك وأنا ما زلت صغيرا؟ فقال: بل أنت رجل، وقد كان، وذهبت معه للعزاء، وبعدها بأيام، أخذني معه لحضور فرح وقمت معه بتهنئة

العريس، وتوالت المناسبات واستمتعت كثيرًا بصحبة أبي، وكان أكثر ما يعجبني حينها طريقة تقديمه لي، فقد كان يقول للناس: «هذا ابني، وهو رجل»، ومن بعدها أصبح أبي يعتمد عليّ في المشاركة في المناسبات الاجتماعية، وشيئًا فشيئًا أصبح يرسلني وحدي، وهكذا أصبحت من صغري لا أهاب التواجد بين الرجال.

لماذا يفتش أبي في محفظتي؟

كان أبي دائمًا ما يدخل حجرتي ويفتش في محفظتي، ليس بحثًا عمّا أخفيه من أسرار، ولكن اطمئنانًا على حالتي المادية، فإن وجد المحفظة فارغة؛ يترك فيها نقودًا ويخرج، مع أنه كان عاملًا بسيطًا في مصنع للطوب.

سبورة أبي خلف الباب:

كان أبي – رحمه الله – يعمل مدرسًا، وكانت المدرسة التي يعمل بها بعيدة جدًّا عن بيتنا، ولم تكن له وسيلة للمواصلات سوى الدراجة، لذلك فكان يمشي من بيتنا بعد الفجر قبل أن نستيقظ، وبهذه الطريقة كان لا يفطر معنا أبدًا، وكم آلمه وآلمنا ذلك، فمن أسوأ الأمور لأطفال مثلنا أن يبدءوا يومهم بدون لمسة حانية من أبيهم تضفي على يومهم الأمن والطمأنينة، ولأن كأن أبي يتألم مما نتألم منه ويفتقد الفطور معنا كما نفتقد؛ فما كان منه إلا أن وضع سبورة خلف باب البيت، وكان كل صباح يكتب لنا فيها رسالة قبل أن يذهب لعمله، فكانت أول رسالة يكتبها: «صباح الخير يا أطفالي الحلوين، كم كنت أتمنى أن أكون أول وجه ترونه عند استيقاظكم، كم كنت أتمنى أن أفطر معكم، لكنني رحلت للعمل مبكرًا من أجلكم، لا تنسوا الدعاء لي، مع حبي وقبلاتي»، ومع مرور الأيام توالت الرسائل، وتنوع محتواها بين الحب والتكليف بعمل شيء ما أو إعطاء أمر وربما العتاب، وكنا بدورنا أحيانًا نكتب له ردًّا على ما كتب، وهكذا لسنين كان أول شيء تقع عليه عيوننا عند الصباح سبورة أبي، وأول شيء يتفقده بعد عودته من المنزل هو السبورة، ومرت السنوات، وانتقل أبي إلى مدرسة قريبة، وبدأت رحلتنا مع الحوار المباشر، وكم

كان سهلًا علينا الانتقال من الحوار عبر «السبورة» إلى الحوار عبر الوجوه، فقد كنا في شوق له.

أصدقاء السوء لن يبعدهم السوء:

كنت في الثانوية العامة، وذات يوم كنت أمشي في الشارع مع أصدقاء سوء، وفجأة وجدت أبي أمامي وجها لوجه، فسلم على الشباب وناداني من بينهم برفق، وأخذني على جنب ووضع يده على كتفي وقال: «يا بني، لا تمشِ مع هؤلاء فأنت ولد جيد، وأنا لم أقل لك هذا الكلام أمامهم حتى لا أحرجك»، فعل ذلك برفق وبدون أن يهينني، ومن بعدها لم أمشِ معهم وبدأت أهتم بمذاكرتي وبدروسي، ولو كان أبي أهانني بينهم، لا أعلم كيف ستكون ردة فعلي ساعتها؟ لو عاملني أبي ساعتها بسوء أظنني لم أكن لأبتعد عن أصدقاء السوء.

وفي النهاية عدت إلى البيت:

رسبت مرة في إحدى سنوات دراستي، فتركت المنزل خوفًا من بطش والديّ، فخرج أبي وأمي للبحث عني ودموعهما تنهمر، لم ينجحا طوال النهار في الوصول إلي، ولم أنجح أنا طوال النهار في وجود مكان أبيت فيه، فاضطررت في النهاية أن أعود إلى البيت مع حلول الظلام، عدت وأنا واثق من بطش أبي، وما إن اقتربت من البيت حتى رأيت أبي جالسًا هناك ينتظر، وما إن رآني حتى جرى نحوي واستقبلني بحضن كبير وضمني إلى صدره قائلا: «قدر الله وما شاء فعل»، وأعدت أمي لي طعامًا جيدًا، ونمت بخير حال، وكانت هذه السنة بداية انطلاقي وتفوقي.

أبي يمسك بصفارة الحكم:

في طفولتي كان الآباء يمنعون أطفالهم من اللعب أيام الدراسة حتى يتفوقوا، إلا أبًا واحدًا هو أبي، فلم يكن يمنعني من اللعب، بل كان هو من يحكّم (يقوم بدور الحكم)

مباراة كرة القدم التي أقيمها أنا وأصدقائي، ويا لسعادة من كان الحكمَ أبوه، والعجيب أن هذا جعلني أذاكر وأجتهد وأكون الأول – بفضل الله – على جميع زملائي المحرومين من اللعب، وصدق من قال: من أحسن فن الراحة، أحسن فن العمل.

اختبارات أمي للعريس:

كان إذا تقدم أحد الشباب لخطبة واحدة من بنات العائلة، كان أبي وإخوتي يسألون عنه الأقارب والجيران، أما والدتي فكان لها دور عملي جميل، فكانت تختبر «العريس» عمليًا عندما يأتي لبيتنا، فمثلا: تحدد موعد زيارته لنا قبيل المغرب بساعة تقريبًا، لترى ما سيفعله العريس عندما يؤذن للمغرب، فإذا استأذن للصلاة انتقل إلى الاختبار العملي الثاني، وهكذا يمر العريس – دون أن يشعر – بعدة اختبارات عملية بسيطة، فإن نجح فيها وافقت أمي على الزواج ورحبت به، وفي كثير من الأحيان كان رأي أمي فيه الكثير من الحكمة والبركة.

أبي.. ورحلة النجاح إلى الأقصر:

كنت في الصف الثالث الإعدادي وكنت طالبة مجتهدة، وكان والدي موجهًا للغة الفرنسية بالمعاش، ووعدني إن حصلت على الدرجة النهائية في اللغة الفرنسية فإنه سوف يأخذني مع أمي في رحلة إلى مدينة الأقصر، حيث ثلث آثار العالم تقريبًا، وبفضل الله حصلت على الدرجة النهائية، ووفى أبي بوعده وبدأت رحلتنا، كانت رحلة جميلة بالقطار، وكلما مررنا على بلد كلمني أبي عنها وعن ذكرياته فيها، وفي الطريق هدأت سرعة القطار، فنادى علي أبي وأخذني حيث باب القطار، وهناك قال: هذه هي «كوم أمبو»، وهي كما تشاهدين مشهورة بمساحات قصب السكر الواسعة، ها هي أمامك، سأحكي لك قصة، منذ أكثر من ٤٠ عامًا، خرجت في رحلة لأوائل كليات جامعة القاهرة إلى مدينة الأقصر، وفي هذا المكان نفسه هدأت سرعة القطار يومها، فنزل زملائي من القطار قائلين:«قصب.. قصب»، نزل الكثيرون وأخذوا من الأرض قصبًا، ولحقت بهم متأخرًا،

فأخذوا ما أرادوا وعادوا إلى القطار قبلي، ولحق بي صاحب القصب وجرى خلفي وهو يحمل عصا غليظة ويشتمني، ولحقت بالقطار بصعوبة وهربت من الرجل حاملا عودًا من القصب، عدت مبتسمًا واستمتعت بأكل ما أحضرت، لكنني اليوم أسأل نفسي: هل سامحني هذا الرجل أم لا؟ والله لو أعرفه لذهبت إليه حتى يسامحني، ودمعت عينا أبي... دامت رحلتي مع أبي أسبوعًا، كان ممتعًا ورائعًا وجميلًا، لكن أكثر شيء لا أنساه لأبي في تلك الرحلة، هي قصته مع عود القصب، وندمه على ما فعل، وبحثه عن السماح من صاحب القصب.

ابصق على قبري لو نجحت:

كان أبي كثيرًا ما يتهمني بالفشل هذا لأنني بطيء الحفظ، وكان المدرسون - سامحهم الله - يريدون حفظ كل شيء، كانت طريقتهم في الامتحانات تختبر الحفظ في الأساس مع قليل في الفهم، وكنت طبعًا أجيب عن السؤال الذي أفهمه وما يتطلب حفظًا أتركه، وبالطبع كانت درجاتي سيئة، وسمعت أحد المدرسين يومًا يقول لأبي: «ابنك غبي»، ومن يومها كلما رآني أبي قال: «أنت غبي»، ومن يومها كان شعاره معي: «جاء الغبي.. راح الغبي»، لدرجة جعلتني أقف أمام المرآة وأسأل نفسي: هل أنا حقًا غبي مثلما يقول الجميع؟ وبعد حوار طويل مع نفسي؛ قررت أن أثبت للجميع أنني لست غبيًا، وتجرأت ذات يوم وقلت لأبي: إنني لست غبيًا كما تظنون وسأثبت لكم، فما كان من أبي إلا أن فرح بي وقال: هذا ما أتمناه، وفي اليوم التالي قلت الكلام نفسه لأحد المدرسين، فما كان منه إلا أن سخر مني وقال: «ستعيش غبيًا، واتفل (ابصق) على قبري لو أفلحت»، كم آلمتني كلماته لكنها زادتني إصرارًا، وأخبرت أبي بما قاله المدرس فقال: «يا بني لقد أنجبت رجلًا هو أنت، وأنت لن تجعل أباك يبدو صغيرًا أمام أحد»، ومرت السنون سريعة، ولم أفلح كثيرًا في الدراسة، لكنني أفلحت في التجارة وصرت رجلًا ذا شأن بين الناس، وذات يوم سمعت من صديق لي أن أحد المدرسين الذين درسوا لنا ونحن صغار قد مات، ولما أخبرني باسمه عرفته على الفور، إنه ذلك المدرس الذي قال لي: «ابصق على قبري لو أفلحت»، فقلت لصديقي: زيارة قبر أستاذنا واجبة، وذهبنا للمقابر، وهناك خاطبت

أستاذي وقلت له: أتذكر يوم أن قلت لي كذا، ها أنا ذا بفضل الله يتمنى الجميع أن يكونوا مثلي، ولقد سامحتك، وأرجو ألا تكون كلماتك القاسية قد حطمت أحدًا غيري.

رسالة أمي الأخيرة.. على الثلاجة:

في فترة المراهقة كنت أبتعد كثيرًا عن البيت وأتأخر في العودة، وكان ذلك يغضب أمي كثيرًا؛ لأنني لا آكل في البيت، ولأنني كنت أقضي معظم النهار نائمًا ولا أعود ليلًا إلا متأخرا بعدما تنام أمي، فما كان منها إلا أن بدأت تترك لي قبل أن تنام رسالة على باب الثلاجة، وهي عبارة عن إرشادات لمكان الطعام ونوعه وكيفية تجهيزه، وبمرور الأيام تطورت الرسالة فأصبحت طلبات لوضع الملابس المتسخة في الغسيل وتذكير بالمواعيد المهمة، وهكذا مرت فترة طويلة من مراهقتي على هذا الحال، وذات ليلة، عدت إلى البيت، فوجدت الرسالة المعتادة على الثلاجة، فتكاسلت عن قراءتها، وخلدت للنوم، وفي الصباح فوجئت بأبي يوقظني والدموع في عينيه، لقد ماتت أمي، كم آلمني الخبر وتماسكت حتى دفناها وتقبلنا العزاء، وفي المساء عدت للبيت وفي صدري بقايا قلب من كثرة الأحزان، وتمددت على سريري، وفجأة قمت منتفضًا، لقد تذكرت رسالة أمي التي على الثلاجة، فأسرعت نحو المطبخ، وخطفت الورقة، وقرأتها، فأصابني حزن شديد، هذه المرة لم يكن بالرسالة أوامر ولا تعليمات ولا نصائح، فقط كان مكتوبًا فيها: «ابني الحبيب، وحشتني كثيرًا، وأتمنى أن نجلس معًا فأنا أمك، أم هل نسيت أن لك أمًا، وأنا متأكدة أن في داخلك خير كثير سيظهر يومًا ما، على العموم أسامحك وأحبك، أمك»، ومن يومها تغير حالي، وهدأت روحي، وانتهت مراهقتي، وبدأ عهد الرجولة، وعملا بوصية أمي التي كانت تريد الجلوس معي، فقد أصبحت أزورها في قبرها كثيرًا، وآنس بها وأدعو لها بالرحمة والمغفرة.

ذكريات كثيرة وسريعة:

هذه طائفة من الذكريات الجميلة كتبها عدد من الآباء والأمهات، ولأنها قليلة الكلمات كثيرة المعاني، فقد ضممتها لتقرأها معًا، لعلك تجد بينها شيئًا تنفذه مع أبنائك

ليكون نعم الذكرى لهم:

- أذكر أن أبي كان يأخذني معه أثناء توزيع الصدقات؛ لأقوم أنا بإعطائها للفقراء.
- في امتحانات الثانوية العامة خرج معي أبي ذات مرة على البحر (عند رأس البر على بعد كيلومترات منا) أنا وهو بمفردنا؛ حتى يُذهب عني ما أنا فيه من ضيق بسبب المذاكرة.
- وأنا في السنة النهائية من المرحلة الإعدادية، كان والدي عندما يهاديه أي شخص بقلم، كان يأتي مسرعًا ليعطيني إياه، ويخصني به دون إخوتي.
- أبي يدعو لي قبيل صلاة الفجر وأسمعه وأنا نائم، يفعل ذلك منذ سنين.
- كان أبي يعرف حبي للقراءة، وعند عودتي من المدرسة كنت أمر على مكان عمله وهو في طريق عودتي، فكان ينتظرني في الشباك وينادي لكي يعطيني الجرائد، وكان يحرص على أن يشتريها من أجلي.
- كان أبي - رحمه الله - يعمل سائقًا، وكان يأتي كل يوم من السفر متأخرًا فيوقظني من النوم ليعطيني من الفاكهة التي أحضرها، فعل ذلك معي خمس عشرة سنة، ولو دعوت له بقية عمري كل ليلة ما وفيته حقه، كم أشتاق لنظرة عينيه عند المساء.
- منذ عشرين سنة، كان والدي مسافرًا خارج البلاد، وبعث لي يومًا بورقة مرسوم عليها وردة بالكمبيوتر وكتب عليها: «ابنتي الحبيبة، وحشتيني قوي قوي قوي، مع قبلاتي قوي قوي قوي»، ما زلت محتفظة بهذه الرسالة، وينتابني إحساس غريب وفريد كلما قرأتها، وكم تدمع عيني اشتياقًا لرؤية والدي.
- كان عمري عامين، ورأيت والدي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، حينها سمعته يوصي الحاضرين عليّ وينطق باسمي، وكرر عليهم الوصية بي خيرًا، وفاضت روحه، نعم لقد أوصاهم بي، لكنه في الحقيقة أوصاني أنا به خيرًا، وكأنه قال: «لا تنسيني في صالح دعائك، فأنا أفارق الحياة وأنا أحبك».

- كان والدي في طفولتي يضع حبات العنب في فمه، ثم يضعها من فمه في فمي مباشرة، في جو من الحب والمرح، فيا رب أطعمه من طعام الجنة.
- والدي كان رجلًا بسيطًا من صعيد مصر، كان يعطيني ما أريد دون حساب حتى كنت أظنه من الأثرياء، وفي أحد الأيام اصطحبني معه إلى عمله، وكم كانت المفاجأة كبيرة، فهناك رأيت كيف يكسب هذه الأموال التي يعطيني إياها، رأيته يكسبها بجهد يصعب وصفه فهو عامل بناء قبل اختراع الآلات التي نراها اليوم.
- كان والدي عندما يراني مع زملائي يسلم عليّ ويقبلني، وبعدما ينصرف يقول لي زملائي: إن أباك يحبك جدًا، ليت لنا أبًا مثله.
- عندما كنت في الشهادة الإعدادية وظهرت نتيجة الامتحانات، ذهبت لإحضار النتيجة وعدت فرحًا أحمل الشهادة لأنني نجحت، ودخلت على أبي وهو جالس مع أصدقائه وأخبرته الخبر، فقام أبي من مجلسه وقبلني، والله لا أنسى هذه اللمسة الحانية من والدي، رحمه الله.
- عندما كنت أذهب لأوقظ أبي من نومه، كان يفتح لي ذراعيه وأنام بجواره ونتحدث، ثم يقبلني ويقوم من نومه.
- كان الوالد – رحمه الله – في الجو الحار يقف بجواري ناحية الشمس؛ ليحجب عني أشعتها ويظللني بظله.
- كنت في المرحلة الابتدائية والإعدادية معتكفًا في المسجد، وكان والدي يحضر لي البطانية إلى المسجد رغم كبر سنه.
- كان والدي – بارك الله فيه – يجمعنا عندما تنقطع الكهرباء ويعم الظلام، ويحكي لنا قصص الصحابة والأنبياء عليهم السلام، فوالله كنت يوميًّا أتمنى أن ينطفئ النور وتنقطع الكهرباء؛ لأنعم بالقصص الأبوية الحانية.
- قبيل موت أبي كان كثيرًا ما يقول لي: يا بني.. كلما تذكرتني وذكرت معروفًا

صنعته معك؛ فاصنع معروفًا لي، واسأل الله لي المغفرة.

- عندما كنت صغيرًا؛ كنت أذهب مع أبي إلى الحقل، فكان يعلمني الصلاة تحت شجرة في الأرض الزراعية، والله كلما ذهبت إلى ذلك المكان تذكرت أبي ودعوت له بالرحمة والمغفرة تحت نفس الشجرة...
- أتذكر والدتي يوم أن أعطتني الذهب الذي تملكه لأخطب به زوجتي.
- كنت في كلية البنات بالقاهرة، وكنت أسكن هناك وأعود نهاية الأسبوع لبلدتنا، ولا أنسى استقبال أمي لي عند عودتي وهي تقول: لم أذق طعامًا منذ غيابك، وكان الاستقبال بالشارع العام بحضن كبير.
- كنا دائمًا ننام على صوت أمي وهي تقرأ القرآن، وهذا ما أحاول أن أفعله مع أولادي.
- والدتي كانت لا تشوي السمك لنا مرة واحدة، بل كانت تشوي نصيب كل واحد منا عند عودته من الخارج، حتى يأكله الجميع ساخنًا.
- كان أبي يضربني بالحذاء إذا غضب مني، أحاول نسيان ذلك لكنني لا أستطيع، أحاول مسامحته ولعلي أنجح في ذلك يومًا.

الفصل الثاني

ذكريات صنعها الأبناء والبنات

تمهيد

كيف سيتذكر أبناؤك طفولتهم؟

كيف تتوقع نظرة أبنائك لطفولتهم عندما يصبحون كبارًا؟

هل سيتذكرون رحلات في المتنزهات وبناء قصور من الرمال على الشاطئ ولعب مع الآباء والأمهات ومواقف جميلة كثيرة ورائعة؟ أم أنهم سيتذكرون فقط جلوسهم أمام شاشة التلفزيون والكمبيوتر، مع صورة غير واضحة لوالدين يطلون برءوسهم من الباب من حين إلى آخر؟

كيف سيتذكر أبناؤك فترة مراهقتهم؟

هل ستكون مليئة بالرفق والمحبة والنصح المخلوط بالرفق؟ أم ستكون عبارة عن أم تصرخ وتهدد، وأب يضرب ويشتم؟

إنك بحاجة لأن تملأ حياة أطفالك بما يجعل لطفولتهم ولشبابهم طعمًا ولونًا، طعم المحبة ولون الفرحة، يجب أن يقضوا أوقاتهم مع أب محب وأم حنون، ليس المهم أن تعطي أبناءك أموالًا وأشياء، الأهم أن تعطيهم أوقاتًا واهتمامات، المهم أن تكبر أسرتك متقاربة جدًّا من بعضها البعض، يستمتعون ببعضهم البعض ويحظون ببعض الضحكات من القلب.

وما ورد في هذا الفصل يساعدك على تطبيق تلك المهمة، ففيه ستجد حوالي ١٥٠ تجربة مر بها آباء وأمهات يعيشون حولك، همومهم مثل همومك، أبناؤهم متعبون مثل أبنائك، لكنهم توقفوا عن الشكوى وانطلقوا يبنون في عصر كثر فيه الهادمون، وما دام للكون إله حكيم سبحانه؛ فلن نتوقف يومًا عن الأمل، ولن نتوقف عن البناء والتربية، نعم قد نتعب لكننا لن نيأس، ابدأ الآن واقرأ تجارب الآخرين بحلوها ومرها، لتأخذ منه

العبرة والعظة، وتحمي نفسك من الوقوع في الأخطاء التي ارتكبوها، ولتنعم مع أبنائك بتطبيق ما ذكروه من تجارب تربوية بسيطة وواقعية ومؤثرة.

عمر.. وحفل الصلاة الأول:

لما سمعت حديث النبي ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[1]، ألهمني الله فكرة جميلة ومبدعة، قلت بدلًا من حفل عيد الميلاد، سأقيم لابني عمر حفلًا للصلاة، ويكون بداية جميلة لأمره بالصلاة، وقررت أن أقيم له حفلين، الحفل الأول يكون عند تمامه لسبع سنوات، وأسميه «حفل الصلاة الأول»، وعندما يتم عشر سنوات أقيم له حفل الصلاة الثاني، وبعد طول انتظار وشوق لدخول عمر في زمرة المصلين، بلغ سبع سنوات وأقمت له حفل الصلاة الأول، وكان هدف الحفل أن يشعر عمر بجمال دخوله عهد الصلاة ووقوفه مع المصلين في المسجد، وقبيل الحفل جعلته يدعو كل من يحب من أصدقائه في الحي، وأحضر عشرًا ممن يلعبون معه، وأكرمتهم بشدة وأحضرت لهم الحلويات والمشروبات، وشرحت لهم نوع هذا الحفل، وكم كانوا سعداء ومستغربين في الوقت نفسه، لدرجة أن أحدهم (عشر سنوات) قال: سأعود لأعاتب أبي لماذا لم يفعل لي حفلًا للصلاة كهذا، وقال آخر (١١ سنة): بما أن الحفل قد فاتني، فسوف أقيم واحدًا لابن أختي، ولكي أضفي على الحفل بهجة؛ قلت لهؤلاء الأولاد: ليحكِ لي كل واحد منكم كيف يزوغ من أبيه ولا يصلي عندما يأمر بالصلاة أو بالذهاب إلى المسجد، ولقد انهمرت علي أفكارهم، لكنني لم أتفاجأ بها، فقد فعلناها قديما قبلهم، ولقد صورت الحفل بالفيديو والصور الفوتوغرافية، نسيت أن أقول أنني قبل الحفل بأشهر وأنا أستعد له وأهيئ عمر لهذا الحدث الجميل، لدرجة أنني كنت أقول له أحيانًا: هل ستأتي معي للصلاة في المسجد، فيقول: ٢٠ رمضان (يوم ميلاده) لم يأت بعد، فأتركه مبتسمًا، ولما اقترب الموعد بدأ هو العد التنازلي بسعادة انتظارًا

---

(١) الحديث رواه أحمد في مسنده ١١ / ٣٦، وصححه الألباني في إرواء الغليل ح ر ٢٩٨، وفي رواية الترمذي: "علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر" والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي ح ر ٤٠٧.

للحفل، ومن أجمل ما استعددت به للحفل أنني طلبت من عمي أن يتكرم ويؤلف قصيدة مخصوصة لحفل عمر، ولقد وفى عمي بوعده وكانت القصيدة جاهزة في موعدها، وأعطاني إياها في المسجد، فعدت فرحًا مسرورًا لأقولها لعمر وأمه، وكم فرحت زوجتي بها كثيرًا، لكن عمر نظر بتريث وقال: كنت أحسب أن فيها حلوى كلها كلام وفقط، فابتسمنا وقالت أمه: ستعرف قيمه هذه الكلمات يومًا ما، إنها كلمات رائعة يقول فيها عمي على لساني:

السبع ولت يا عمر

قُبلة منّي إلى	قرة العين عمر
أسعد الروح بها	معلنًا أحلى خبر
السبع ولت يا بطل	بارك الله العُمُر
صرت في صف الأولى	خصهم رب البشر
هاذي المساجد كلها	تدعوك أن أقبل عمر
فاسع إليها يا بني	وكن في أول من حضر
واحفظ صلاتك إنها	دربٌ إلى العيش النضر
ومنزلٌ مباركٌ	عند المليك المقتدر

وانتهى الحفل بجمال وبركة وسلام، وقلت لعمر: ألف مبارك لقد كبرت وأصبحت واحدًا من المصلين، وبدأ عمر بفضل الله يصلي شيئًا فشيئًا، وكلما تكاسل أذكره بحفل الصلاة، وبمرور الأيام بدأت أجهز لحفل الصلاة الثاني، وذلك عندما يتم عمر عشر سنوات، عندها وفي الحفل ستكون هديتي له «عصا»، نعم عصا سأعطيها له وأقول له: ألف مبارك، لقد كبرت وسوف أضربك على الصلاة وهذه العصا هديتك، لكنني على يقين أنني لن أضربك بها، فقط سأضعها في ركن هناك للطوارئ، وأنا على يقين أنني لن أستخدمها معك أبدًا، لأنك ولد طيب محب للصلاة، وسأعطيه دليلا على ذلك إحصائية بعدد الصلوات التي صلاها منذ حفل الصلاة الأول، وهي كثير جدًّا بفضل الله، اللهم تقبل وبارك في الجهد القليل.

رسب في الإنجليزية.. فتركته يلعب بحرية:

كان ابني في الصف السادس الابتدائي، وكان متفوقًا، وبعد اختبارات نصف العام ذهبت لإحضار نتيجته دون أن يعرف، فوجدته قد حصل على درجات مرتفعة في كل المواد ما عدا اللغة الإنجليزية؛ حصل فيها على أقل من النصف، وهذا معناه أنه راسب فيها، وكانت صدمة كبيرة لي، ولأنه ذاكر واجتهد فلم أخبره بتلك النتيجة، وقررت أن أتركه يستمتع حتى تمضي إجازة نصف العام بسلام، وبعد انتهاء الإجازة واستمتاعه بها، أخبرته بخبر اللغة الإنجليزية وكيف أنني لم أفسد عليه إجازته، وأخذت بيده وطمأنته وشجعته، وكانت نتيجة ما فعلته معه مزيد من الاجتهاد، وقبلة على خدي، وحضن كبير لن أنساه يومًا، ومرت الأيام واجتهد الغلام ونجح وأصبح كل شيء تمام.

الختام قبل المنام:

لمدة سنين كنت مع أبنائي أنفذ فكرة الختام اليومي، وهي تعني أننا في كل ليلة نشتري – ولو بقليل المال – شيئًا حلوًا نختم به ليلتنا، فمرة نشتري حلوى، ومرة آيس كريم، ومرة قصبًا، ومرة...، وفي كل ليلة بعد العشاء يجتمع حولي أطفالي قائلين: «الختام يا بابا»، وهذا معناه: هات النقود لنشتري شيئًا حلوا نختم به يومنا، فعلنا هذه الفكرة معًا سنين كثيرة، وأنا على يقين أنني بعد أن أموت سأترك أبناء وبنات يذكرونني بكل خير، ويدعون الله من أجلي كليلة في ميعاد الختام.

وسمحت لابني بأن يهرب من المدرسة:

كنت أسمع كثيرًا عن الأولاد الذين يهربون من المدرسة، وكنت أخشى أن يكون ابني واحدًا منهم، فجلست يومًا معه وكلمته برفق، وفي النهاية عاهدني أمام الله تعالى ألا يهرب (يزوغ) من المدرسة أبدًا، وقلت له: «أنا واثقة أنك صادق، وإن هربت يومًا دون علمي فسوف أعلم بذلك يوم القيامة»، ومرت الأيام وهو منتظم في حضوره، وذات يوم

اتصل بي قائلا: «أستأذنك يا ماما علشان (أهرب) أزوغ مع أصحابي، كلهم سيذهبون للعب الكرة في الاستاد، أنا لم أهرب معهم بدون علمك لأنني صادق معك، فهل أذهب»، احترمت اتصال ابني كثيرًا وفرحت بصدقه معي، ووافقت على وعد أن تكون آخر مرة.

زيت الشعر ولمسة الحنان الضائعة:

جلست ابنتي ذات الست سنوات يومًا بعد المدرسة لكتابة الواجب، وجلست بجوارها أراقب ما يحدث، وإذا بها تكتبه بطريقة خاطئة، فنهرتها بطريقة فظة وطلبت منها إعادة كتابته مرة أخرى، وكنت في صباح ذلك اليوم قد وضعت على شعرها نوعًا جديدًا من زيوت الشعر، فتذكرت ذلك ونظرت إلى شعرها ووضعت يدي عليه بقصد اختبار نوع زيت الشعر الجديد، وجعلت أتلمس بيدي شعرها بهذه النية، فقالت ابنتي فجأة: يدك جميلة يا ماما هذا هو حنان الأم، وقالت لي: إن هناك أنشودة تأخذها في المدرسة تقول:

بعد الأب مفيش تربية... بعد الأم مفيش حنية

والله لقد هزتني كلمات ابنتي، ودفعتني لترك الغلظة والاستمتاع مع ابنتي بالرفق والرحمة، لقد تغيرت تمامًا بعد هذا الموقف لأصبح أمًا حنونة بصدق، لا بسبب زيت الشعر.

لن تضرب ابني فهو في ذمة الله تعالى:

في هذا الزمن الذي كثرت فيه المصائب وكثر فيه خوف الآباء على أطفالهم بنين وبنات، فكرت كثيرًا في كيفية حفظ أبنائي، فاتخذت كافة وسائل الأمان، لكنني وجدته غير كافية فتوجهت لباب الحافظ سبحانه، وسألت نفسي: كيف أجعل أطفالي في حفظ الله وذمته كل يوم؟ ووفقني الله تعالى أن سمعت أحد المشايخ يذكر قول النبي: «من صلى

الصبح في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي»[1]، فشعرت حينها أنني وجدت ضالتي، وعدت للبيت فرحانًا وأخبرت زوجتي وأطفالي بالحديث واتفقنا على أن نبدأ برنامج الحماية الربانية بصلاة الفجر في جماعة، وبمرور الأيام بدأنا جميعًا ننتظم في صلاة الفجر وبالفعل زاد شعورنا بمعية الله وحفظه لنا، وذات يوم عاد طفلي من المدرسة فرحا مسرورا وقال: كم أنا سعيد يا أبي لأنني في ذمة الله، لقد دخل مدرس الرياضيات اليوم فصلنا وأعطانا مسألة أخطأنا فيها جميعًا، فقرر عقاب الفصل كله، وبدأ يضرب الجميع حتى وصل عندي فقلت له: لن تستطيع ضربي، فقال: لماذا؟ فقلت: لأنني صليت الفجر في جماعة وأنا الآن في ذمة الله وحمايته، فسكت المدرس قليلاً ثم ابتسم وقال: عندك حق، وعفا عني وعن باقي زملائي، فشكرت طفلي الحبيب واحتضنته وسجدت شكرًا لله تعالى، وقررت أن أذهب للمدرس وأشكره.

في أي شارع يقع منزلك يا أبي؟

لقد كان في تخيلي أن مهمة الأب هي الجري خارج البيت بحثًا عن لقمة العيش وأن دوره الأسري الوحيد يتمثل في جلب المال لتعيش الزوجة والأولاد في أسعد حال، بينما تقوم الزوجة بباقي الدور التربوي مع الأولاد، عشت هكذا مهاجرًا خارج بيتي لا أعود إلا منهكًا متعبًا للراحة والنوم، وذات يوم أخذت طفلتي ذات الخمس سنوات معي في السيارة لنشتري شيئًا ما، وظلت ابنتي صامتة طوال الطريق وفجأة قالت: بابا، في أي شارع يقع منزلك؟ وصدمني سؤالها لدرجة أنني أحسست بغصة في حلقي وانعقد لساني فلم أنطق بكلمة، لقد أرادت أن تقول: إنك لا تمثل في بيتنا سوى ضيف يظهر قليلاً

(١) روى الإمام مسلم عن النبي أنه قال: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله»، وفي رواية: «من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله» صححه الألباني في صحيح الترغيب للألباني ح ر ٤٦١، وفي رواية: «من صلى الغداة كان في ذمة الله، حتى يمسي» صححه الألباني في صحيح الجامع ح ر ٦٣٤٣، ومعنى في ذمة الله: أي في عهده وأمانه وضمانه في الدنيا والآخرة، فلا تتعرضوا له بالأذى لأنه في أمان الله وحفظه، من تعرض له فإن الله تعالى سيأخذ حقه منه في إحقار ذمته ونقض عهده، لذا جاء في رواية ابن ماجة: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في عهده، فمن قتله طلبه الله حتى يكبه في النار على وجهه» صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ٣٢٠٣، أي لا تنقضوا عهده تعالى بإيذاء من صلى الصبح في جماعة فإن الله سينتقم له» الديباج على مسلم ٢ / ٢٩٧، وتحفة الأحوذي ٢ / ١٢.

ويختفي كثيرًا، إنني أرى أموالك لكنني لا أراك، إن الصغيرة بفطرتها النقية رأت أن لي بيتًا آخر أسكن فيه، فالبيت عندها معناه السكن ولقاء الأحبة والحوار معهم والقرب منهم، وكل هذه المعاني كنت أفقدها، وحمدت الله تعالى على هذه الرسالة الربانية التي جاءت على لسان طفلتي الصغيرة لتقول لي: لا بد وأن تصحح معنى كلمة أب في عقلك، ومن يومها تحول معنى البيت في حياتي من استراحة وفندق إلى سكن ومحبة ومودة، ومن يومها غيرت محل إقامتي وسكنت حيث تسكن زوجتي وأولادي، فسكنت روحي وهدأت نفسي وارتاح بدني، ولم يقلّ رزقي شيئًا.

سنرى القمر ونذكر بعضنا بالدعاء:

أخذت أبنائي الصغار لنرى القمر ليلة البدر، فسألوني من خلق القمر؟ وإلى أين يذهب؟ فأجبتهم باستفاضة، فكانوا كل شهر يحدثوني عن القمر في ليلة اكتماله بدرًا، ويطلبون مني الخروج لرؤيته، وهكذا أصبح منتصف كل شهر هجري موعدًا لخروج العائلة، حيث نرى القمر معًا، وذات يوم تعاهدنا إن فرقنا الموت أن نخرج لنرى القمر ونتذكر بعضنا، وندعو لمن مات بالرحمة والمغفرة.

خطاب الحب.. يقرؤه كل من نحب:

كتبت ابنتي يومًا خطاب حبّ لي، فلم أكتف بشكرها واحتضانها وتقبيلها، بل جعلت أقدمه لكل من يزورنا من أقاربي الذين تحبهم، كنت أقول لهم: هل رأيتم ابنتي كم تحبني؟

لقد كتبت لي هذا الخطاب، وهو أجمل خطاب تلقيته في حياتي، ولقد علق جدها قائلًا: «يبدو أنك تحبين أمك كثيرًا ربنا يديم بينكم المحبة»، ولقد قالت جدتها: «ما شاء الله ما أسعد أمك بحبك لها»، ومع كثرة التعليقات الطيبة قررت في النهاية أن أغلف الخطاب وأضعه بجوار سريري في أحد إطارات الصور الفوتوغرافية (برواز)، وبعدها توالت خطابات المحبة بيني وبين ابنتي، لكن أول خطاب كان له طعم خاص.

لن أسامحك يا أمي على سوء ظنك بي:

حدث لي موقف مع ابني جعلني أبكي كثيرًا، كنت دائمًا أراقبه ولا أفوت له خطأ دون عقاب، كنت أتابعه دراسيًا لدرجة أنني طلبت منه نسخة من الجدول المدرسي، وذات صباح بعد أن ذهب للمدرسة، جلست أقرأ جدوله الدراسي الخاص باليوم، وللأسف أخطأت في قراءة اليوم، بمعنى أننا كنا يوم الأحد وظننته يوم الإثنين، وعندما فتشت في كتبه الدراسية التي على المكتب، ظننت أن ابني قد نسي تحضير جدوله المدرسي ونسي كتبه بالبيت، فاشتعلت غضبًا وقلت لوالده: أنا لا أتحمل إهمال ابنك الدائم، لقد نسي أخذ كتبه للمدرسة وتركها هنا بالبيت، لا بد وأن تذهب لمدرسته وتعاقبه على هذا الإهمال، وذهب زوجي للمدرسة مغضبًا، وعاقب ابني العقاب على إهماله أثناء الحصص، وللأسف بعد ذلك اكتشفت أنني كنت مخطئة، وأنني السبب في عقابه وإحراجه طالما، لقد كانت كتبه معه وأنا أسأت الظن به، وحتى يومنا هذا لم ينسَ ابني ما فعلته معه ولم يسامحني.

من قال لك توقظني الآن يا حيوان؟

عندي ولدان وبنت، ولد في الابتدائي وبنت في الروضة خمس سنوات، وابن رضيع، عندما يأتي ابني الكبير وأخته من المدرسة؛ أكون دومًا نائمة لسهري مع الرضيع طوال الليل، وبعد أن أستيقظ لاستقبالهما وفتح الباب لهما وتجهيز ما تمكن من طعام، أقول لهما: «سأنام قليلا.. إنني تعبانة»، وفي كل مرة رغم كل تنبيهاتي يوقظونني، فأصرخ فيهم وأعنفهم، وذات مرة استيقظت من النوم دون أن يشعروا بي، وذهبت نحوهم فرأيتهم يلعبون، البنت تمثل دور ماما، والولد يمثل دور الابن، والولد يمثل أنه رجع من المدرسة وماما (البنت) نائمة وهو أيقظها، فإذا بها تصرخ فيه قائلة: من قال لك توقظني الآن يا حيوان؟ ضحكت ساعتها جدًا، لكنني في الوقت نفسه حزنت على ما فعلته في نفسيتهما، ومن ساعتها وأنا أستيقظ قبل حضورهما لأكون حاضرة في حياتهما.

طفلي المسكين.. وكلمات المدرسين:

ذات يوم قرأت في كراسة ابني كلمات كتبها له المدرس بخط عريض، لقد كتب له: «أرجو الاهتمام يا مهمل»، فقلت لطفلي: لم كتب لك المدرس هذا الكلام؟ فسكت خوفًا مني، لقد توقع حينها أن أضربه أو أشتمه، فقلت له: «ابني ليس مهملا، سأتصل بالمدرس وأقول له إن ابني ليس مهملًا، وسيثبت لك أنه عكس ما تقول»، ومرت أيام وظن ابني أنني سأنساه ولن أتصل بمدرسه، لكنني فاجأته يومًا بأن اتصلت بالمدرس أمامه وقلت له: «لم هذا الكلام الذي كتبته لابني؟ إنه سيثبت لك العكس إن شاء الله»، ولقد سعد ابني كثيرًا بهذا الموقف البسيط، ونتيجة لذلك بدأ خطه يتحسن وأصبح أكثر نظامًا، كل هذا بفضل الله الذي أكرمني بحسن التعامل في هذا الموقف، ولا أدري ماذا كان سيحدث لو ضربت طفلي المسكين عندما قرأت كلمات المدرس القاسية؟

أبوكم في ضائقة مادية:

عندما يشعر أبناؤك أنك تمر بضائقة مادية، ماذا يفعلون؟

تقول إحدى الأمهات: نحن أصدقاء لأولادنا، وخصوصًا زوجي فهو دائم الحوار معهم، وبفضل الله لا يوجد حواجز بيننا، وذات يوم جلس والدهم معهم وأخبرهم أننا نمر بضائقة مالية، وإذا بأولادنا - جميعًا - يجمعون ما في حصالاتهم من نقود (نحن نعلّمهم الادخار)، وقدموا تلك الأموال لوالدهم قائلين: «تفضل يا بابا نقودك».

وتقول أم أخرى: ذات يوم شعرت ابنتي الكبرى أننا في ضائقة مالية، فبدأت من نفسها بتنفذ فكرة غريبة، بدأت تذهب للدروس ولا تذهب، تخرج في مواعيد الدروس وتوهمنا أنها ذاهبة للدرس، ولكنها تذهب لتذاكر في المسجد، فعلت ذلك كثيرًا، ويوم أن أعطيناها نقود الدروس لتعطيها للمدرسات، ردتها لنا قائلة: «هذه مساهمة مني في أزمة البيت المالية، وأنا لست بحاجة إلى الدروس فأنا أذاكر جيدًا»، وهذا العام بالذات تفوقت

ابنتي في دراستها جدًا.

ويقول أحد الآباء: دخل علينا عيد الفطر المبارك، وقبله بأيام لم أكن أملك من المال ما يكفي لشراء ملابس جديدة لأبنائي الخمسة، فقررت أن أعقد لهم اجتماعًا وأحدثهم عن ظروفنا المادية، وبالفعل جمعتهم كلهم، وجلست بينهم قائلًا: لأننا فريق واحد كان لزامًا علي أن أجمعكم لأحدثكم عن ظروف أسرتنا المادية، أنا لا أملك سوى ٣٥٠ جنيهًا هي الزائدة عن مصروفاتنا، وهي لا تكفي إلا لشراء ملابس العيد لاثنين منكم، فما رأيكم؟ إن أردتم أن أقترض لكم مالًا وأذل نفسي لأحد حتى أشتري ملابس العيد لكم جميعًا، فسأفعل ذلك؟ وإن آثرتم بعضكم واخترتم اثنين منكم فقط لأشتري لهم الملابس هذا العيد، والباقون إن شاء الله يكون دورهم العيد القادم، سأكون شاكرًا لكم، فما رأيكم؟ ساد الصمت بينهم قليلًا، ثم نطقت ابنتي الكبرى قائلة: أنا عندي ملابس قيمة سأحضر بها العيد ولا أريد ملابس جديدة، وتبعها باقي الأبناء كلهم لا يريدون ملابس هذا العيد، كلهم يؤثرون أخوتهم ليحموا أبيهم من ذل سؤال الآخرين، وكم دمعت عيني يومها، واحتضنت أبنائي جميعًا وشكرتهم، ويشاء الله تعالى أن يرزقني في اليوم التالي بمبلغ كبير من المال، فبشرتهم بالخبر وقلت لهم: هذا بسبب إيثاركم لبعضكم، وحصل الجميع على ملابس جديدة بما في ذلك أنا وأمهم.

يقول أحد الآباء: كنت رقيق الحال فقير المال، ورزقني الله تعالى من العيال حظًا وافرًا، وكانت ابنتي الكبرى محط اهتمامي ومستودع أسراري، كانت تساعدني في ترتيب المعيشة وإنفاق الراتب الشهري، وذات يوم خرجت معها لنشتري لها حذاء، واشتريناه من أحد المحلات وأعجبها بشدة، وبعد أن خرجنا من المحل وقفت قليلا وقالت: بابا، هذا الحذاء لا يعجبني، فقلت لها: إذًا نرجعه، لكنني لن أعود لصاحب المحل لأرجعه لأنه يعرفني وسأكون محرجًا منه، فاذهبي أنت وأرجعيه لأنك من أوقعتنا في تلك المشكلة، فذهبت ابنتي وأرجعت الحذاء وأحضرت ثمنه، ومشينا، فقلت لها معاتبًا: لم أرجعته وقد أعجبك في البداية؟ فقالت: «ثمنه غالٍ، فأردت أن أرجعه حتى يتبقى معك المال لتشتري لإخوتي»، هنا صمت لساني، ودمعت عيناي، وقلت في نفسي: بارك الله فيك يا ابنتي،

وجعلك نعم العون لأبيك على صعاب الحياة.

تقول إحدى الأمهات: يمتلك زوجي ورشة نجارة لتصنيع بها الأثاث، ومنذ سنين حدث موقف طريف من ابني الحاصل الآن على بكالوريوس تجارة، فعندما كان في المرحلة الابتدائية، كان زوجي يصنع الأثاث في ورشته ثم يعطي ما صنعه لأحد جيراننا التجار؛ ليعرضه في معرضه الذي يقع في نفس الشارع الذي نسكن به، وفي فترة من الزمن تكدس الأثاث في معرض جارنا، فتوقف عن أخذ ما لدى زوجي من منتجات، وبالتالي تراكمت قطع الأثاث في ورشتنا، وبقينا ننتظر الفرج من عند الله تعالى، وأخذ زوجي يمرّ على الكثير من المعارض ليأخذوا منه الأثاث، لكنه لم يُوفق، عشنا حينها أزمة مالية، وكنا نتكلم عنها أمام أطفالنا، زوجي كان يقول لهم: لم يعد معي نقود وكل الفلوس نفدت (خلصت) من فوق الدولاب، فقد كان يحتفظ بالمال في كيس فوق الدولاب، فما كان من ابني (٩ سنوات حينها) إلا أن ذهب إلى جارنا التاجر في نهاية الشارع وقال له: يا عم محمد، لماذا لم تشتر الأثاث من عند بابا؟ فقال الحاج محمد: لست محتاجًا إليه، فقال له الولد: أرجوك خذها، فبابا لم يعد معه نقود فوق الدولاب، وفي الصباح فوجئنا بالحاج محمد يأتي إلى زوجي في الورشة ويشترى الأثاث كله وهو غير محتاج إليه، وحكى لنا قصته مع ابننا الذي تصرف بفطرته، وما زلنا نضحك على هذا الموقف حتى الآن، مع أنه حدث منذ عشر سنوات.

يقول أحد الآباء: اشتريت قطعة أرض وتبقى على مبلغ من بقية ثمنها، ومررت بعد ذلك بظروف مادية صعبة، وحان وقت سداد المبلغ المتبقي، فجلست مهمومًا حزينًا لا أدري ماذا أفعل لأنني لا أملكه، وبينما أنا في تلك الحالة، فوجئت بأبنائي الأربعة يقولون لي: ما المبلغ المطلوب منك؟ فقلت: أي نقود ستنقذني من الورطة التي أنا بها، وما هي إلا دقائق حتى جاء كل واحد منهم بما معه من مال، ولأول مرة أشعر أنني ربيت رجالا، وقبلت منهم المال شاكرًا، لقد شاركوا جميعًا في سداد الدين في موقف لن أنساه، لقد كان موقفًا سعيدًا جدًّا بالنسبة إلي، واكتشفت يومها أننا كثيرًا ما نسيء الظن بأبنائنا، ثم تأتي المحن لتثبت أنهم رجال، ونسيء الظن بتربيتنا لهم، فتأتي الشدائد لتثبت أن تربيتنا

لن تضيع، إننا كثيرًا ما نستعجل الحصاد قبل أوانه، ونستعجل نضج الثمرة قبل اكتمال نمو العود، ومن يومها تغيرت نظرتي لأولادي وعلمت أن في بيوتنا خيرًا كثيرًا.

أبي.. بكم تبيعني ساعة من وقتك؟

أنا رجل أعمال ناجح، كل دقيقة عندي لها ثمن، وللأسف لا أتمكن من الجلوس مع أولادي كثيرًا، حتى وإن جلست أو خرجت معهم فالتليفون لا يتوقف والمشاغل لا تنتهي، وذات يوم قال لي أحد أبنائي:« بابا، أحتاج إلى الجلوس معك، ألا يمكنك أن تلعب معي أو تخرج معي في نزهة»، فقلت له: «أتعلم يا بني، كم أحب الجلوس معك لكن لا وقت عندي، أنا وقتي يساوي نقودًا كثيرة، إن الساعة من وقتي تكلفني الكثير من المال»، فانصرف ابني حزينًا ولم أنتبه كم كانت كلماتي قاسية عليه، وبعد أسبوعين تقريبًا فوجئت بنفس الابن يدخل علي وأنا جالس في مكتبي، وقد خبأ شيئًا خلف ظهره، وقال: «بابا، أنت تقول إن وقتك يساوي النقود، فبكم تبيعني ساعة من وقتك؟» فاجأني كلامه وانعقد لساني فلم أنطق، فأخرج ما قد خبأه خلف ظهره وناولني إياه قائلا: «هذا ما جمعته خلال الأسبوعين الماضيين من المصروف الذي تعطيني إياه أمي، هذه خمسون جنيهًا هي كل ما استطعت ادخاره، هل تكفي يا أبي لشراء ساعة من وقتك؟» فقلت والدموع تنساب من عيني: «بل تكفي لشراء عمري كله»، واحتضنت طفلي الحبيب، ومن يومها أصبحت أغلى ساعاتي تلك التي أقضيها مع أبنائي، ولن يستطيع تجار الدنيا - بكل ما معهم من أموال - أن يشتروا ساعة من وقت أولادي.

هل يسمعك الجيران تدعين على أبنائك؟

رزقني الله بطفلين، أحدهما في الخامسة من عمره والآخر رضيع، ذات يوم ذهب طفلي ذو الخمس سنوات لزيارة عمه، ونتيجة لتأثره بأفلام الكرتون، فقد قام بالقفز من شقة عمه بالدور الثاني، وتجمع الناس حوله وأخذوه للمستشفى، وبلغني الخبر عن طريق جارتي، فلم تحملني قدماي ولم أستطع الذهاب للمستشفى، وإذا بزوجي يدخل علي

حاملًا ابننا الحبيب، لقد وصله الخبر وذهب إلى المستشفى وأحضر ابني معه، استقبلته بلهفة وأخذت الطفل منه بمحبة، تفحصته بعناية، فوجدته بفضل الله سالمًا معافى إلا من بعض الجروح والكدمات وكسر بسيط، حمدت الله كثيرًا وجلست أدعو على أفلام الكرتون وصانعيها، لكن جارتي اقتربت مني وهمست في أذني قائلة: «أفلام الكرتون ليست السبب، أنت السبب، إنني أسمعك كثيرًا تدعين على أبنائك»، كم صدمتني كلماتها، لكنها كانت صادقة، إنني أدعو عليهما كثيرًا بسبب وبدون سبب، ومن يومها تغير حالي وهجرت الدعاء على أبنائي، وبدأت رحلة الدعاء لهم بالخير والسعادة.

تعلمت من أبي.. ألا أكون مثله أبدًا:

للأسف مررت في حياتي بفترات عصيبة كادت أن تعصف بالبيت وتهدم أركانه، وكدت ذات مرة أطلب الطلاق من زوجي، وصارحت أحد أبنائي وقلت له: «لماذا أستمر مع والدكم إذا كنتم لا تتعلمون منه أي شيء يفيدكم في حياتكم، إن وجوده في حياتكم مثل عدمه»، فقال ابني: «والله لقد تعلمت منه كثيرًا جدًّا»، فقلت له وأنا مذهولة: ماذا تعلمت؟ فقال: «تعلمت ألا أفعل مثله، تعلمت ألا أكون مثله أبدًا»، فضحكت وبكيت في آن واحد.

في تقبيل يد الوالدين سرّ عجيب:

ذات يوم كنت جالسة مع ابني نستمع لإذاعة القرآن الكريم، وكان الحديث عن برّ الوالدين، وطلب الشيخ من المستمعين تقبيل يد ورأس الوالدين كل يوم صباحًا، وقبل أن ينتهي البرنامج فوجئت بابني يقوم ويقبل يدي ورأسي تنفيذًا لما سمع، وتمسك بتلك العادة بعد ذلك كل صباح مع أنه لم يفعلها من قبل سماعه لكلام الشيخ، ولما فكرت بعمق في سرعة تأثر ولدي بما سمع، أدركت أن الجزاء من جنس العمل، ففي بداية التزامي سمعت درسًا في المسجد عن بر الوالدين، وطلب منا الأستاذ تقبيل يد الوالدين، فعندما رجعت من الدرس نفذت الوصية ولم أكن أفعلها قبل ذلك، وظللت مواظبًا على تلك العادة الكريمة مع والدي، حتى رحلا عن الحياة.

الرمال ماذا تصنع في قلوب الصغار؟

كان عندنا كمية من الرمال متبقية من بعض الأعمال الإنشائية في البيت، وكان ابني الصغير (٦ سنوات) مغرمًا باللعب في تلك الرمال، وذات يوم قامت زوجتي بإفقاء ذلك الرمل لجارتنا، وعاد ابني الصغير من الروضة (الحضانة) فأصابته صاعقة، وانطلق صائحًا: لقد سُرق الرمل، أين الرمل؟ من أخذ الرمل؟ وبعد أن اكتشف ما فعلته أمه، غضب منها كثيرًا، وتركها وجاءني في المحل مسرعًا غضبان وقال: أمي باعت الرمل لجارتنا، وعليها أن تختار أحد الخيارات:

(١) دفع ثمن الرمال لي.

(٢) إرجاع الرمال.

(٣) الذهاب إلى بيت أبيها (مثلما يهددها أبوه بالطلاق).

هل أعطيك وردة.. ثم تضربني برجلك؟

ذات يوم رجع ابني من الخارج حاملا وردة ليهديها لي، ففرحت بها كثيرًا لأن ابني تذكرني، ومن النادر أن يتذكر الولد أباه بمثل هذه الهدية، ولأن أمه كانت مريضة يومها، فقد قمت لأعد له الطعام هو وأخته، وبعد تعب وجهد وضعت لهما الطعام، فما كان من ابني هذا إلا أن اعترض على نوعية الطعام وقال: لا أريده، وفي لحظة غضبه حرك يده فأسقط أطباق الطعام، فأسرعت نحوه غاضبًا وضربته بقسوة وركلته بقدمي، فقال وهو يبكي ويتألم: ما كنت أقصد، ثم سمعته يقول بصوت خافت حزين: «لقد أعطيتك وردة منذ قليل»، لقد آلمتني كلماته جدًا، كم شعرت ساعتها بالقسوة وعدم العرفان بالجميل، لقد أعطاني وردة منذ قليل مع أخطائي معه وتقصيري في حقه أحيانًا، ومع أول خطأ ارتكبه دون قصد رددت له الجميل وركلته بالرجل، ومن يومها صححت حالي، وكظمت غيظي، وعرفت لابني حقه.

حب جديد.. بين الجد والحفيد:

اضطرتني ظروف العمل أن أسكن بعيدًا عن بيت والدي، رغم أنني أمتلك فيه شقة، ومرت السنوات والتحق ابني بالجامعة في نفس مدينة أبي، فاحترت في أمري، هل أترك ابني يعيش مع جده، مع أنني لا أثق فيه وأخاف أن يزعج جده، أم أترك ابني معي يؤنسني ويسافر يوميًا إلى كليته وهذا أحب إلى قلبي، فاستشرت والدي في الأمر فقال على الفور وبلا تردد: هاته معي فأنا وحيد وهو سيسلي وحدتي، توكلت على الله وآثرت أبي على نفسي وتركت ابني يقيم معه، ومرت الأيام وأنا خائف من أن يفسد ابني العلاقة بيني وبين أبي، لكن العكس قد حدث، لقد توطدت العلاقة بينهما سريعًا، وإذا عاد ابني ليجلس عندي يومين في الإجازة؛ يتصل جده ويقول له: لم تأخرت تعال بسرعة، فقلت لابني يومًا: ما سر هذا التآلف السريع بين الجد والحفيد، فنظر ابني في وجهي مبتسمًا وقال: لأن لهما عدوًا مشتركًا واحدًا.. هو أنت.

سر كراهية البنات لمطابخ الأمهات:

جلست يومًا مع جارتي، فحدثتني عن تجربتها مع ابنتها الكبرى، قالت: إنها دخلت يومًا المطبخ فوجدت ابنتها تحاول غسل الأطباق؛ لكنها بللت الأرض بالماء وأفسدت سائل التنظيف، فنهرتها بعنف وعاقبتها بشدة؛ ومن يومها بدأت البنت تكره دخول المطبخ، فالبقاء خارجه أقل ضررًا وأكثر راحة، وبمرور الأيام أصبحت البنت تكره المطبخ، انتهت جارتي من حكاية قصتها لي وأخذت منها العبرة والعظة، وذات يوم حاول طفلي الصغير مساعدتي، فدخل المطبخ دون علمي وغسل الأطباق وملأ البيت بالماء، تخيل منظر السجاد يسبح في الماء، وتخيل وجه الصغير مبتسمًا بفخر لأنه ساعد أمه، في هذا التناقض العجيب من ينتصر، طفلك المبتسم أم سجادك المبلل؟ رزقني الله ساعتها الصبر وذكرني بتجربة جارتي، فترفقت بطفلي الحبيب وضحكت معه، وعلمته كيفية غسل الأطباق، وشكرته على حبه لمساعدتي، وبمرور الأيام تكررت مرات مساعدته لي، وتكرر

شكري له وصبري عليه، كان هذا أيام طفولته، وهو الآن في مرحلة التعليم الجامعي، وبفضل الله يساعدني في جميع أعمال المنزل بحب واحتراف.

أطفالي الصغار وحضن الصباح:

عودت أطفالي الصغار كل صباح بعد أن يستيقظوا من نومهم مباشرة أقول لهم: أين حضن الصباح لماما؟ كان هذا الحضن مهمًا جدًا بالنسبة إلي وإليهم، ويوم أن أغضب من أحدهم أعاقبه بألا أحضنه، وهذا يؤلم المخطئ لدرجة لا تتخيلها، فابنتي ذات يوم ارتكبت خطأ كبيرًا، فعاقبتها بمنعها من حضن الصباح، وكلما جاءت تحضنني أرفض أو أقف مثل الصنم، فبكت وقالت: «إلا هذا يا ماما، إلا حضنك مقدرش أستغنى عنه، لما بحضنيني أشعر إن الدنيا أمان»، إن لمسات الحب تشبع الروح والقلب والنفس، والحرمان منها عقاب مؤلم ولا يدرك قسوته إلا المحبون.

هكذا تصبح ابنتك ذليلة:

ذات يوم أغضبتني ابنتي لدرجة لا تطاق، فرفعت حذاء المنزل (الشبشب) لأضربها به، فأسرع أبوها نحوي وأمسك بيدي وقال: «لا تضربيها بالحذاء؛ لكي لا تكون ذليلة وتفقدي عزتها»، فوضعت الحذاء وسكتُّ رغمًا عني، لكنني بعدها فكرت في كلام زوجي، ووجدته محقًا في كلامه، كم من آباء وأمهات يتغنون بالحرية ويتحدثون عنها ويطالبون الحكام بها، والواحد منهم في بيته أكبر دكتاتور في الدنيا، إن الولد الذي لا يعيش بكرامة في بيته، كيف تطلب له كرامة في الخارج، إن البنت التي لا ترفع رأسها بعزة في بيتها، كيف ترفع رأسها في الخارج؟

ماما.. إشعال ذاتي:

أنا أم عصبية، قد أصرخ وقد أشتم، لأقل سبب أثور، ولأتفه مشكلة أضرب، وهذا رغمًا عني، ودومًا ألتمس لنفسي عذرًا وألصق التهمة بأبنائي لأنهم السبب، وذات يوم

قال ابني لوالده وهو يمزح: «أتعرف يا أبي، إن ماما تشبه أحدث البوتاجازات العالمية، لا تحتاج إلى كبريت، ماما إشعال ذاتي»، فضحك الجميع، كنت جالسة ساعتها فضحكت معهم، لكنني فكرت في كلمات ابني كثيرًا، وذات مساء اجتمعنا جميعًا بعد العشاء، فطلب زوجي من ابنتي أن ترتدي ملابسي وتقلد طريقتي في الكلام على سبيل المزاح، فقامت ابنتي وقلدتني باحتراف، وبصراحة صُدمت مما فعلته، وقلت لزوجي: هل أتصرف هكذا في عصبيتي؟ فقال: «نعم، وأكثر من ذلك» فخجلت من نفسي جدًا، واعتذرت لأبنائي لأول مرة عن عصبيتي معهم، وقلت لزوجي: جزاك الله خيرًا على تحمل عصبيتي، ومن يومها بدأت رحلتي (الصعبة) مع الهدوء.

ابني في الحلم يقتل أمه:

قال لي ابني ذات يوم: «لقد رأيت في المنام (الحلم) أنني أقتل أمي، رغم أني أحبها ولا أحب ما فعلته بها في الحلم»، فطمأنته وقلت له هذه كوابيس من الشيطان، وحاول نسيانه فأنت تحب أمك وهي تحبك، ولا تخبر أمك بذلك حتى لا تحزن، وبعدها بأيام فوجئت به يخبرني أنه رأى الحلم نفسه، ومع تكرار الحلم قررت أن أبحث عن أسبابه، وبدأت أراقب تصرفات أمه معه، رأيتها تقسو عليه وتغضب منه وتضربه وتشتمه وتهدده وتخبره أنها لا تحبه و.....، كما رأيت أنها تفضل إخوته عليه كثيرًا لأنه غير متفوق في دراسته، فاستشعرت الخطر وأخبرتها بالخبر، واتفقت معها أنني كلما رأيتها ترتكب خطأ في حقه سأنبهها بكلمة السر وهي «الحلم»، وهذه الكلمة لها معنيان، فهي تعني «الحُلم» بضم الحاء وهو ما يراه النائم، وفي الوقت نفسه «الحِلم» بكسر الحاء وهو الرفق، وبمزيد من الصبر والجهد والحب الصادق؛ توقف ابننا الحبيب عن هذا الحلم، وبدأت رحلته مع الأحلام السعيدة.

كلام الحب.. له طعم آخر:

قلت لابنتي (في الصف الرابع الابتدائي) ذات يوم: أحبك جدًا، فقالت: بالله عليك يا أمي أنت فعلا تحبيني؟ فقلت: نعم وبشدة، فقالت لي: لن أنسى أبدًا أنك تحبيني، فقلت

لها: إنني أحبك منذ عشر سنوات منذ ولادتك، وتصرفاتي معك طوال تلك السنوات تؤكد أنني أحبك، فقالت: «ولكن يا ماما، كلام الحب له طعم آخر».

موعد خاص مع طفلة الروضة:

عند ولادة طفلتي الثانية، شعرت الكبرى (أربع سنوات) بإحباط غير عادي، وخصوصًا أن مولد أختها تزامن مع دخولها للحضانة (للروضة)، فأصبحت لا تأكل جيدًا وعادت للتبول اللاإرادي وبدأت تتصرف مثل الرضع، ولما لاحظت ذلك، وجدت له أسبابًا مقنعة، فأنا طوال النهار أرضع أختها أو أحملها أو أغير ملابسها أو أنظفها، حتى وإن نامت قليلا فأنا أريد من الكبرى ألا تتنفس حتى لا توقظ أختها، وهكذا كانت ولادة الصغرى بمثابة سجن للكبرى، وهنا قررت أن يكون لي مع ابنتي المسكينة الكبرى موعد ثابت أسبوعيًا، نخرج فيه معًا أنا وهي فقط، وفي هذا الموعد لا أخرج من اللعب معها وأكل الآيس كريم وغيره، ولكي نستمتع بموعدنا كنت أترك الرضيعة عند جدتها، وبمرور الأيام أصبح هذا الموعد الخاص تأثير كبير على علاقتنا، فقد استمر معنا من أيام الروضة وحتى أيام الجامعة، ثلاثة عشر عامًا وموعدنا الأسبوعي لم يتوقف، ونفذت الفكرة نفسها مع كل أبنائي وبناتي حسب وقتي واستطاعتي، كم أشعرني هذا الموعد أنني أم حقيقية تربي وتعظ وتحب وتلعب، بالإضافة لتلك الأم التي تغسل وتطبخ وتمسح وتنظف.

تخيّل الجنة مع الصغار.. ماذا يفعل فيهم؟

ذات يوم جلست مع أبنائي (أعمارهم من سن عام حتى ١٠ سنوات) نتخيل نعيم الجنة، وما سوف يطلبه كل واحد منا فيها، وما هو أحلى شيء نحب أن نستمتع به في الجنة، فالصغير أحب أن يجد في الجنة رمالًا يلعب بها وحلوى يأكلها، والبنت أرادت أن تجد في الجنة حديقة تزرع فيها ما تشاء من زهور جلسنا نصف ساعة تقريبًا، وكم كانت أمنياتهم جميلة ورائعة، لكن أجمل أمنية سمعتها هي ما قالته ابنتي الكبرى، قالت: «أمنيتي

أن نجتمع في الجنة معًا، فلن تكون الجنة حلوة بدون أحدنا»، وبعد أن انتهينا من التنعم بذكر الجنة، انتهت الجلسة الطيبة وبعدها فوجئت بكل واحد من أطفالي - وبدون توجيه مني - قام ليفعل خيرًا، فهذا قام يصلي، وذاك يدعو ربه، وهذه تحاول عمل شيء طيب.

ابني ٧ سنين.. كيف أحب المساكين؟

منذ سنين كنا في نهاية شهر رمضان، فأخذت نقود الزكاة وهممت بالخروج من البيت لتوزيعها، فقال ابني ذو السبع سنوات: إلى أين ياماما؟ قلت لتوزيع نقود الزكاة على الفقراء، هل تريد أن تأتي معي؟ فقال: بشرط أن أحمل النقود معي، فوافقت، وجاء معي حاملاً النقود في جيبه الأيمن، وقبل أن نصل إلى بيت التي سنعطيها أطلب منه إخراج مبلغ من المال، وهو طوال الرحلة يسمع دعوات جميلة وأمنيات طيبة ويشعر بلمسات الفقراء الحانية، يومها أظنه قد بدأ يشعر بلذة العطاء، وبعدها بأيام بدأت الدراسة، وكنت قد تعودت أن أعطيه مصروفًا وأقسمه نصفين، فلو أعطيته جنيها كنت أفكه إلى نصفين (خمسين قرشًا)، ليضع كل نصف في جيب من جيوب البنطلون، حتى إذا ضاع واحد بقي له الثاني، فأعطيته الجنيه نصفين كعادتي وانتظرت أن ينفذ ما تعودنا عليه، لكنني فوجئت به يضع النقود كلها في جيبه الشمال، وتكرر الأمر يومًا بعد يوم، فسألته: لِمَ لَمْ تعد تقسم النقود كما تعودنا؟ فقال: «خلاص يا ماما، أنا جيبي الأيمن لن أضع فيه إلا نقود المساكين، جيبي الأيمن من اليوم هو جيب المساكين»، كم فرحت بكلامه وحضنته وشجعته، ومن بعدها أصبحت أعطيه صدقة أسبوعية ليضعها في جيب المساكين، حتى يعطيها لهم، فما أجمل أن يشعر أبناؤنا بلذة العطاء، بدلا من تربيتهم على لذة الأخذ وفقط.

سأضرب الوسادة بدلاً منكم:

أنا أم عصبية جدًّا، وعصبيتي كانت سببًا في فساد العلاقة بيني وبين أبنائي، لدرجة أنهم أصبحوا يخافون مني ولا يتكلمون معي بحرية، وإن حدث وكلمتهم ورفعت يدي نحوهم خافوا من ضربي له، كم تألمت حينما هممت بلمس كتفه والحنو عليه فنظر لي في

ترقب وخوف وحذر ورفع يديه ليتقي ضربة يدي، جلست يومها أفكر في حالي، في عصبيتي، في خوف أطفالي، وهداني الله ساعتها لفكرة جميلة، لقد قررت أنني كلما تعصبت وهممت بضرب أحد أولادي؛ سأذهب فورًا نحو غرفة النوم وأمسك بوسادة «مخدة» وأضربها حتى أفرغ الطاقة السالبة فيها وأهدأ، ثم أعود بعدها نحو أولادي لأربي وأعلم، وجربت الفكرة ونجحت كثيرًا، وعادت الأمومة لي بعد أن ضيعتها العصبية، وزال الخوف رويدًا رويدًا عن أولادي، وهنا عرفت قيمة أن يكون لدى الواحدة منا وسادة «مخدة» عندما تجهز شقتها.

هكذا أحتفل مع ابني بصلاة التراويح:

كان عمر حينها ست سنوات، وكان يذهب معنا لأداء صلاة التراويح في رمضان، وكم فكرت كيف أجعله يصبر على طول القيام حتى لا يفسد علينا صلاتنا، كما فكرت في كيفية جعله يحب صلاة التراويح، وفي أول ليلة من رمضان كان الفتح الرباني ورزقني الله بفكرة نفذتها في الحال، لقد قلت له: سوف نشتري كرة جديدة وجميلة نسميها كرة التراويح، وبعد عودتنا كل ليلة من التراويح سنلعب معًا مباراة جميلة أسميناها «مباراة التراويح»، وبدأنا المشوار، وزادت الفرحة، وشارك معنا أبناء الأقارب والجيران، وسعد الجميع بكرة التراويح ومباراة التراويح، لدرجة إنه قال لي يومًا: أيقظني يا بابا لصلاة الفجر، فأنا أحب صلاة الفجر، ولقد ضحكت في نفسي حينها وقلت: لا تتوقع مني أن أقيم معك مباراة لصلاة الفجر.

لن أسافر أبدًا وابني نائم:

سافرت منذ عدة أعوام وتركت ابني نائمًا ولم أخبره بسفري، فقام من نومه بعد رحيلي يبحث عني، فأخبره الجميع أنني سافرت وسأعود قريبًا، لقد غبت عن البيت شهرين في رحلة عمل، وطوال تلك المدة كان يسأل عني مرات في الصباح ومرات في المساء، ولما رجعت من السفر عوضته عن فترة غيابي، وبعدها بسنوات، سافرت يومًا خارج مدينتنا، لقد سافرت وكان ابني هذا نائمًا، ظننت أنه طفل لا يدرك فقلت لا داعي

بإخباره بشأن غيابي ذلك اليوم، ولما قام من النوم بحث عني فلم يجدني، ولما سأل أمه وعلم بسفري؛ ظل يبكي طوال اليوم بكاء شبه متصل، وعلى لسانه عبارة واحدة يرددها لأمه وأخواله وأعمامه: «كيف تركتم بابا يسافر، فقد سافر ولن يعود كما فعل من قبل لما سافر وغاب شهرين، ولو كنت مستيقظًا لمنعته من السفر، أبي ذهب ولن يعود»، واستمر في البكاء حتى نام، ومن يومها تعلمت كيف أراعي مشاعر ابني الصغير وأودعه قبل أن أخرج من البيت.

موقف أخجلني جدًّا:

اعتادت ابنتي أن تقبلني كل ليلة قبل أن تنام وتقول لي: تصبحين على خير يا ماما، وفي أحد الأيام كانت حالتي النفسية صعبة جدًّا، وجاءت ابنتي لتقبلني كعادتها، فصرخت فيها قائلة: هو كل يوم؟ فانصرفت ابنتي منكسرة حزينة، وفجأة أدركت غلطتي، فأسرعت نحو غرفتها لأصالحها، فوجدتها قد نامت لدموع على خدها، فانخلع قلبي لمنظرها الحزين ولم أدري ماذا أفعل، وعدت لغرفتي ونمت دامعة العين حزينة القلب، وفي مساء اليوم التالي جاءت ابنتي لتقبلني، لكنها وقفت بعيدًا وترددت، فناديت عليها وأخذتها في حضني وتأسفت لها عما صدر مني بالأمس، وعاهدت ربي ألا أفعلها ثانية أبدًا.

سأحبك يا بني كما أنت:

ابني خالد منذ نعومة أظفاره ومستواه الدراسي بين الستين والسبعين بالمائة، وفي الصف الرابع الابتدائي كنت أضغط عليه جدًّا ليتفوق، وفي كثير من الأوقات كانت أمه تقارنه بزملائه وإخوته وأقاربه، لدرجة أنه تأزم نفسيًّا وبدأ يكلم نفسه كثيرًا ويبكي وهو نائم، ومر المسكين بحالة اكتئاب شديد، وذهبنا لأكبر طبيب نفسي، ووجهت أمه الطبيب نحو ما يشغله وهو قلة حفظ خالد، فأعطانا الطبيب دواء لتقوية الذاكرة؛ تسبب لاحقًا في تكوين ماء على المخ، وذات يوم أحسست أننا نقود خالدًا نحو الجنون، نريد أن نحقق فيه حلم التفوق الدراسي وفقط، كأننا نطلب من حصان أن يمشي بسرعة القطار، أحسست

أن ابني يضيع مني؛ فقررت تغيير طريقتي القاتلة معه وفعلت التالي: ذهبت لزيارته بالمدرسة، واستأذنت من مدرس فصل خالد في أنني أريد أن أقول كلمة لابني أمام زملائه، ووقفت أمام كل التلاميذ، وناديت على خالد ليقف بجواري، وأحطه بذراعي وقلت لزملائه: اسمعوا يا شباب، خالد هذا ابني، وأنا أحبه كثيرًا، هو يجتهد كثيرًا ويذاكر، ومهما كانت درجاته قليلة، فحبه في قلبي كبير، مهما فعل فهو ابني وحبيبي، من اليوم سأطبق معه القاعدة التي تقول: «على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، ومن اليوم إن ذاكر وكان الأول فهو ابني وحبيبي، وإن ذاكر ورسب فهو ابني وحبيبي، أريد أمامكم أن أتأسف لخالد عما فعلته معه فيما مضى»، وقبلت رأس خالد أمامهم، وانهمرت الدموع من عيني ومن عيني خالد، وأخذته في حضني وصفق جميع تلامذة الفصل، وعدت يومها للبيت مرتاحًا، وعاد خالد بعدي من المدرسة سعيدًا وقال لي: لقد رفعت رأسي اليوم يا أبي، لقد قال لي زميلي الأول على الفصل: «ليت لي أبًا مثل أبيك»، ومرت الأيام وأنا أطبق قاعدة على المرء أن يعمل وليس عليه إدراك النجاح، وجاءت اختبارات الشهر لتثبت لخالد أنني ملتزم بتلك القاعدة، وبمرور الوقت بدأ خالد يطمئن في نومه وتوقف عن كلامه لنفسه واختفى التبول اللاإرادي، لقد تحسن حال خالد وهدأت نفوسنا من حوله، لكن مستواه الدراسي لم يتحسن ونحن نتقبله كما هو لأن هذه هي قدراته، ونصيحتي لكل أب بعد تلك التجربة: لا تضغط على ابنك كثيرًا، فربما يتعب نفسيًا، فتنفق في علاجه كل ما تملك ليعود طبيعيًا كما كان ولا تستطيع، فاستمتع بابنك كما هو.

أسرار الماضي عندما يحكيها الشباب الصالحون:

جلست يومًا مع أبنائي الكبار لأحدثهم عن أفعالهم في الماضي منذ أكثر من عشرين عامًا، وفوجئت بهم يفتحون قلوبهم ويحكون لي أسرار الماضي، فقال لي صغيرهم (٢٠ سنة): هل تعلمين يا أمي أننا لما كنا نذهب لصلاة الجمعة، كنا نذهب إلى بيت مهجور نلعب فيه، ونعود لنكذب عليك وعلى والدنا، وقال الآخر: عندما كنت في ثانوي كنت أدخل غرفتي ولا أصلي وأقول لكم صليت وكنت أسمع الأغاني، ولقد فاجأتهم عندما

قلت لهم: كنت أعرف هذا كله، وكنت على يقين أنكم ستصبحون أفضل، لأنها أيام وستمر بسلام إن شاء الله، وكانت مرحلة والحمد لله ربنا قضاها على خير، وعادوا جميعًا للهدى والرشاد، والله إنني لأوصي الأمهات بالصبر على أبنائهم، وإياكم واليأس فالزمن جزء من العلاج.

اللعب بدلاً من النقود:

كنت أعطي طفلتي مصروفًا يوميًا نصف جنيه، وطلبت مني مرات كثيرة نقودًا أخرى فلم أعطها، فأصبحت تقول لي: عندما أطلب منك نقودًا زائدة عن مصروفي فلا تعطني، ولكن العب معي بدلا من النقود، بمعنى إذا طلبت منك ربع جنيه لاعبني خمس دقائق، وعندما أطلب نصف جنيه لاعبني عشر دقائق وهكذا، وبتلك الطريقة أصبح اللعب بديلا عن النقود... وسؤالي الآن لكل الآباء والأمهات: أيهما أفضل؟ نعطي أبناءنا نقودًا أم أوقاتًا؟

دورة تنمية بشرية لأبنائي.. فهل تنجح؟

يقول أحد المديرين الكبار في شركة عريقة: فكرت يومًا لماذا لا أعطي لأبنائي ما أعطيه للموظفين في الشركة في مجال التنمية البشرية والإدارية، مثل دورة قيادة فريق العمل – الإيجابية – الابتكار – التخطيط، وبعد تفكير عميق قررت أن آخذ إجازة لتطبيق هذه الفكرة مدتها عشرون يومًا، واخترت إجازة نصف السنة الدراسية لآخذ فيها تلك الإجازة، وهي فرصة لا تتكرر بسهولة للقائنا، فأبنائي بين الجامعة والدروس الخصوصية ومواعيدهم كثيرة وانشغالاتهم متعددة مثلي تمامًا، وبدأت التطبيق معهم بمعدل دورة كل أسبوع ونطبقها بعدها معًا في بيتنا أولًا، هذا مع الخروج والنزهات النهارية والليلية، وأذكر أنه بعد دورة إدارة فريق العمل قلت لهم: هيا نطبقها علينا، فمن يريد أن يديرنا لمدة يوم كبداية، والمفاجأة أن ابنتي ذات العشر السنوات هي من بدأت تدير البيت بكفاءة لمدة يوم، تلاها بقية إخوتها، وخلال تلك الإجازة وضعنا أهدافًا لبيتنا، وخططنا لمستقبلنا

جميعًا، واليوم كم أستمتع في العمل بتدريس تلك الدورات للموظفين، وكم أستمتع عندما يسألني أحد أبنائي عن الجديد في الدورات، وكم تغيرت حياة أبنائي بعد تلك التجربة، لقد كنت أظنهم صغارًا لكنهم أثبتوا لي العكس تمامًا

في بريطانيا هل ينفع الدعاء لطفلي؟

كنا نعيش في بريطانيا، ومرض ابني مرضًا شديدًا وكان عمره سنتين، ودخل المستشفى وقال لنا الأطباء: إنه لا رجاء في حياته فمرضه لا شفاء منه، فتوجهت لباب الكريم سبحانه، وظللت أصلي من أجله صباح مساء إلى أن شاهدني زوجي فقال لي: «انوي أن تفعلي شيئًا دائمًا من أجله إن شفاه الله تعالى، فقليل دائم خير من كثير منقطع»، نذرت صلاة ركعتين طيلة حياته، وبكرم الله تم شفاؤه بما يقول عنه الأطباء معجزة، وهو الآن تخرج من الجامعة ويعمل في وظيفة محترمة ومقبل على الزواج، ومازلت أصلي هاتين الركعتين كل ليلة من أجله.

جمعية لتحقيق أمنيات الأطفال:

أصيبت ابنتي بمرض السرطان، كان عمرها خمس عشرة سنة، وأخذ المرض الفتاك ينتشر في جسدها، كانت تشعر بقرب الرحيل وكذلك كان يقول الأطباء، وظلت تتمنى أن تذهب لأداء العمرة، لكن ظروفنا الاقتصادية لم تكن تسمح، ظلت تردد: «أتمنى أن أزور الكعبة وأعمل عمرة قبل أن أموت»، وكنت أعدها بتحقيق طلبها إن شاء الله، كنا نحتاج لمبلغ خمسة آلاف جنيه حتى تؤدي ابنتي العمرة وأنا برفقتها، وحاولت جاهدًا أيامًا وليالي جمع المبلغ، ورويدًا رويدًا اقتربت من تحقيق أمنية ابنتي، وذات مساء اكتمل المبلغ فأسرعت نحو ابنتي لأخبرها، دخلت عليها غرفتها في المستشفى، توجهت نحوها، ناديت عليها، وبشرتها بالخبر، لكنها لم تجبني، لقد ظلت صامتة ولم تتحرك، لقد رحلت عن الحياة قبل أن تحقق أمنيتها، وبعد أن واريناها الثرى ظللت حزينًا مدة طويلة، لم أكن حزينًا لوفاتها فهذا قدر الله الذي لا مفر منه، لكنني كنت حزينًا لأنني لم أستطع تحقيق

أمنيتها. ظلت النقود معي وكم وضعتها أمامي وأخذت أفكر في أمنية ابنتي، وذات يوم قلت لنفسي: يا ترى من طفل وطفلة تمنى شيئًا قبل أن يموت ولم يستطع والده تحقيقه؟ لا بد وأن هناك كثيرين، فإذا كنت لم أستطع تحقيق أمنية ابنتي، فما المانع في أن أساعد الآخرين في تحقيق أمنيات أطفالهم المرضى، ولتحيقي ذلك أسست مع جماعة من أصدقائي جمعية «لتحقيق أمنيات الأطفال»، وبدأ العمل بجد واجتهاد، كان هذا منذ عشر سنوات، وحتى يومنا هذا استطعنا بفضل الله تحقيق أمنيات العشرات من الأطفال، كنت مع كل طفل تتحقق أمنيته على أيدينا أتذكر ابنتي، وأقول: لقد ماتت وما استطعت تحقيق أمنيتها، لكنها كانت سببًا في تحقيق أمنيات الكثيرين من الأطفال قبل رحيلهم عن الحياة.

وفي السجود وجدت حل مشكلة ابنتي:

أنا أم لأربعة أبناء، ولدين وبنتين، الابن الأكبر ٨ سنوات، والابنة الثانية ٧ سنوات وهي من ذوي الاحتياجات الخاصة مصابة بشلل دماغي، وكان أخوها الأكبر يكرهها نظرًا لاهتمامي بها، فكان يعاملها بشدة وعنف، وكنت أعامله بقسوة شديدة نظرًا لقسوته مع أخته، وفي يوم من الأيام كنت أصلي وأخته جالسة أمامي على كرسي وهو بجوارها يلعب، ورأيت أخته أثناء صلاتي تقع من على الكرسي، وكان أخوها يستطيع إمساكها لكنه نظر لها ولم يساعدها وتركها تسقط، أحسست بحزن جارف يجتاح نفسي، كل هذا وأنا في الصلاة، فسجدت ودعوت الله أن يرشدني لطريقة التعامل معه، وبعدما انتهيت من الصلاة جلست بجانب ابني، وكلمته برفق وحب، وأخذت أشرح له حالة أخته المعاقة لأول مرة، كلمته عن سبب المرض وعن أعراضه واحتياجات أخته، وأخبرته أنها ستكون سببًا في دخولنا الجنة إن شاء الله، وبعدما تكلمت معه وسألني كثيرًا عن حالة أخته وأجبته، أصبح من يومها هو الأكثر حنانًا عليها، لقد كان تحولًا عجيبًا والسبب في ذلك أنني كنت أجرب القسوة لسنين فلم تفلح، ولما جربت الرفق نجح والحمد لله، لقد كنت كمن يحاول فتح باب بغير مفتاحه، كنت مصممة على الفتح بالطريقة الخاطئة، لكنني لما جربت مفتاح الحب والرفق؛ فتح قلب ابني الطيب وأصبح عطوفًا رقيقًا مع أخته.

أنا سعيدة لأنك أبي:

ابنتي في الصف الثالث الإعدادي، أخذتها ذات مرة بسيارتي في نزهة خاصة بنا أنا وهي فقط، ووقفنا في مكان رومانسي، وفتحت لها قلبي كثيرًا وشجعتها على الحديث معي، حكيت لها عن بعض طفولتي، وما كنت أشعر به أو يمر بي وأنا في مثل سنها، وكيف أنني أتفهم طبيعة هذه المرحلة التي تمر بها، وهناك شعرت ابنتي بالأمان وتحدثت معي في أمور خاصة جدًا، ثم رجعنا ونحن سعداء، فكان أول شيء فعلته ابنتي بعد عودتنا، أنها ذهبت إلى أمها واحتضنتها قائلة: عندي أب هو أفضل وأحن وأغلى أب في الدنيا، أنا سعيدة أن الله قد رزقني هذا الأب.

بناتي.. ومنكر ونكير:

عندما كانت بناتي في المرحلة الابتدائية، قمت معهن بعمل مشهد تمثيلي، وكان مشهدًا تربويًا وضعت فيه ما أريد توصيله لهن، وكانت النتيجة رائعة واستمر أثرها الطيب لسنوات، قمت بالتمثيل معهن وكانت إحداهن تمثل الملك الذي يسجل الحسنات (منكر) والثانية كانت تمثل الملك الذي يكتب السيئات (نكير)، بينما نقوم أنا وأختهم الثالثة بفعل سيئات وحسنات فيسجلها كل ملك في الصحيفة التي بيده، وفي النهاية نرى أنا وابنتي هل حسنات كل واحدة أكثر أم سيئاتها.

وعلى خد طفلي تزول الأحزان:

قالت لي أمي يومًا: «يوم أن كنت صغيرة، كنت كلما أصابني هم أو غم؛ كنت آتي نحوك، وأضع خدي على خدك حتى يلتصقا، ورويدًا رويدًا تزول عني الهموم والأحزان»، ومرت الأيام وتزوجت ورزقني الله بطفل، وذات يوم جربت فكرة أمي، وفوجئت أنني لا أضع خدي على خد ولدي إلا وأشعر بسعادة غريبة، ويزول عني ما كنت أجد من غم وهم، إننا نملك في بيوتنا ثروة كبيرة هم أبناؤنا، وبينهم نجد السعادة

التي نحرم منها خارج البيت، ومن الجميل أن ولدي وقرة عيني عمره الآن ٧ شهور، والله عندما أنظر له وينظر إلي، تقول عيوننا كلامًا لا يقوله أفصح الشعراء.

هل سأحمي ابنتي من النار حقًّا؟

تشاجرت ابنتاي يومًا، وكانت ابنتي الصغرى هي المعتدية أولا، فقالت لها أختها الكبرى المظلومة: «ستدخلين النار؛ لأنك ظلمتني»، فقالت لها الصغرى بعفوية جميلة: «لا، سأحتمي يومها بأمي ولن أدخل النار»، لقد هزتني كلماتها البريئة وأحزنتني كثيرًا، لأنني لا أدري إن كنت سأحميها من النار يومًا أم لا؟ ولكي أكون أمًّا حقيقية تحمي ابنتها من المخاطر، فكرت كثيرًا في كيفية حماية أبنائي من آلام الآخرة، وفوجئت أنني أحاول حمايتهم من حر الدنيا؛ فأحضر لهم المراوح والمكيفات ولا أجعلهم يسيرون في الشمس، لكنني لم أفكر يومًا في كيفية وقايتهم من حر الآخرة، كنت أخاف عليهم من الظلام، فجهزت جميع الاحتياطات اللازمة من شموع وكشافات في حال انقطاع النور، لكنني لم أفكر في ظلمة القبر وكيفية حمايتهم منها، ومن يومها بدأت أخطط لحماية أبنائي في رحلة الآخرة.

وأحسست بالذنب ستين يومًا:

أنا أم قاسية جدًّا على أولادي، فأنا أعاقبهم عقابًا شديدًا، وأظن أنني عصبية جدًّا لأن أبنائي متعبون جدًّا ويتعمدون إثارة أعصابي، في أحد الأيام تسبب أحد أبنائي في فتح بركان الغضب الكامن في داخلي، فضربته بشدة ودفعته بعنف نحو الجدار، فوقع على ذراعه وبدأ يتألم، وعند الطبيب اكتشفنا أن ذراعه مكسور، وبعد أن قام الطبيب بتجبيسه، عاد ابني إلى البيت متألمًا حزينًا، جلست أنظر لذراعه وأتألم، لن أكون كاذبة إذا قلت أن قلبي هو الذي انكسر وليس ذراعه، من يومها لم أشعر بطعم البسمة ثلاثين يومًا مدة الجبس، وبعد تمام الشهر ذهبنا للطبيب لفك الجبس، وكانت المفاجأة أن الذراع قد التصق في وضع خاطئ، فكسره الطبيب وأعاد تجبيسه للمرة الثانية، واستمر مشوار الألم ثلاثين

يومًا أخرى، كم شعرت خلالها أنني أم قاسية جدًا، والله لقد أحسست بالذنب ستين يومًا إلى أن فك الطبيب الجبس بسلام، وانطلاقًا من هذا الموقف غيرت تعاملي مع أولادي، فصرت أهدأ وأحن وأكثر تعبيرًا عن الحب الكامن في قلبي، والله بدأت أستمتع بأمومتي وأعيش بلا عصبية أجمل أيام حياتي مع أبنائي الأحباب.

الحُبّ في يوم الإجازة:

لكثرة غيابي عن المنزل؛ قرر أبنائي جميعًا أن يأخذوا يوم السبت إجازة (غياب) من مدارسهم ليقابلوني ويجلسوا معي؛ هذا لأنني لا أتواجد بالبيت سوى يوم السبت، وبقية الأيام في طاحونة الحياة ومشاريع لا تنتهي وتجارة لا تتوقف، لقد أعطاني أبنائي درسًا كبيرًا في الحب والتضحية، فغيابهم هذا اليوم احتاج ترتيبًا مع أمهم وسيترتب عليه دروسًا سيذاكرونها وحدهم،، وقلت لنفسي: من الذي يجب عليه أن يأخذ إجازة؟ أنا أم أبنائي؟ وإن لم أستمتع بالحياة مع أبنائي اليوم فمتى سأجلس معهم؟ ولذلك قررت تعديل حياتي حتى أكون متواجدًا أكبر قدر ممكن بين أبنائي، لا للنوم ومشاهدة التلفاز، ولكن للتربية وتبادل الحب وصنع الذكريات.

لمسة حنان غيّرتني:

كنت قاسية جدًا على ابنتي وألومها على كل شيء مهما كان تافهًا ويمكن التغافل عنه، وذات يوم مرضت مرضًا شديدًا؛ فأخذت الدواء ونمت في سريري، وفي منتصف الليل استيقظت فوجدتها نائمة على الأرض بجوار السرير الذي أنام عليه، لقد تركت سريرها في هذا الجو البارد ونامت على الأرض تحت قدمي لتلبي طلباتي، كم حزنت ساعتها إذ لم أكن أتوقع منها كل هذا الحنان، ومن يومها تغيرت علاقتنا، وتحسنت حالة الحوار بيننا، وزاد الود والحب، وكم اكتشفت فيها من خير وقدرات وأخلاق وصفات طيبة كثيرة، كان غضبي في السابق يعميني عن رؤيتها.

رنة تليفون ابنتي.. يا رب صبرني:

ابنتي الكبرى ١٦ سنة، ذات عقل كبير وشخصية محترمة، كنت دائمًا على خلاف معها، فأنا أريدها أن تسمع كلامي وفقط، لكنها بالطبع تحاور وتعترض وتبدي رأيها بكل جرأة، فلا تجد مني غير الصد والتهديد والتبكيت والتعنيف، ولما فاض بها الكيل جعلت رنة تليفونها الخاص برقمي أنشودة «يا رب صبرني»، فكنت كلما اتصلت بها ينطلق الموبايل مغنيًا: «يا رب صبرني»، ويومها جلسنا نضحك، ولكني بيني وبين نفسي كنت حزينة، وطلبت منها تغيير تلك الرنة الخاصة برقمي على تليفونها، وفعلا غيرتها، ومن ساعتها بدأت أتعامل معها بحب وصداقة ورفق، وأملي يومًا أن تجعل رنة رقمي على تليفونها رنة أحب صديقاتها إلى قلبها.

عيون لا ترى غير الأخطاء:

مشكلتي مع ابنتي أنني دومًا أركز على أخطائها حتى أعالجها، فلا أترك لها هفوة دون توجيه أو توبيخ، وذات صباح توجهت إلى عملي وتركت البيت بأسوأ حال، فالأطباق متسخة والمطبخ كساحة المعركة بعد انتهائها والأسرّة غير مهندمة... إلخ، كنت يومها مجهدة واستيقظت من نومي متأخرة، وعندما عدت إلى البيت وجدته جميلا مرتبًا نظيفًا، لقد قامت ابنتي بفعل ذلك كله ولم تنسَ شيئًا من أعمال المنزل، وجلست تنظر قدومي لأفرح بتلك المفاجأة، واعدة نفسها بسيل من الشكر والمكافأة، لكنني دخلت البيت في صمت، ومررت بها كأنني لم أرها، ولم أقل لها حتى كلمة شكرًا، لقد دخلت نحو غرفتي دون أن أحترم مشاعر هذا الكائن المسكين الذي يسمى ابنتي، وكم آذيت مشاعرها بهذا التصرف الذي يتنافى مع كلمة أم، فأثر ذلك في نفسها وغضبت مني غضبًا شديدًا وخاصمتني فترة طويلة، ظلت كذلك حتى اعتذرت لها، فرضيت سريعًا وسامحتني، لكنني لم أسامح نفسي على ما فعلته في السنوات الماضية معها، لماذا كنت أرى فقط أخطاءها ولا أرى حسناتها؟ ومن يومها عاهدت نفسي أن أرى ما في ابنتي من خير، ولقد كانت النتيجة مذهلة لي ولها.

وبعد النوم أعتذر لأبنائي

أنا بصراحة أم قاسية مع أولادي بالرغم من أني أحبهم كثيرًا، ولعل تلك القسوة تكون نتيجة لخوفي الشديد عليهم، وفي كل ليلة بعدما ينامون جميعًا؛ أدخل عليهم حجرتهم وهم نائمون فأجدهم كالملائكة طيبين وكالأطفال مساكين، فأندم كثيرًا على ما أفعله معهم وأبكي بينهم كثيرًا، ثم أبدأ في مخاطبتهم وهم نائمون: يا أولادي سامحوني أنا غلطانة في حقكم والله أحبكم، أفعل ذلك معهم كل ليلة وأغطيهم وأقبلهم وأدعو الله ألا يحرمني منهم، لكنني لا أظهر لهم الحب والرحمة إلا وهم نائمون كل ليلة، فمتى يأتي اليوم الذي أفعل ذلك معهم طوال النهار وهم مستيقظون، قل عسى أن يكون قريبًا.

طفل الثالثة كيف يحب أباه؟

بدأ ابني ينام بجواري منذ بلغ الثانية من عمره، وبدأت معاناتي كأب من طلبات الليل التي لا تنتهي، ظل هذا الحال عامًا كاملا، وفي ليلة من الليالي قام ابني من نومه في منتصف الليل وذهب ليشرب ماء، ثم جاء وهو يمسك الكوب بيده وأيقظني من النوم وقال بصوته الطفولي العذب: تشرب يا بابا؟ فكانت تلك الكلمات من أسعد ما سمعت في حياتي، إنه حب الطفولة الصادق النقي، فاحتضنته وشكرته ونمنا في حضن بعضنا، أذكر في تلك الليلة بالذات أنه لم يكن وحده يستمتع بحضني، بل كنت أنا أيضًا مستمتعًا بالنوم في حضنه، ومن يومها أحاول استخراج ما في قلب أبنائي من محبة، كما أجتهد في الاستمتاع بأبوتي قبل فوات الأوان.

ابنتي بين كوب الذل وكوب المحبة :

أنا أم تربت وسط ثمانية إخوة وأخوات، كنا جميعًا نشترك في عمل المنزل بحب وسعادة، واليوم لا أعرف كيف أجعل أبنائي يسمعون كلامي، فمثلا إذا طلبت كوبًا من الشاي فنادرًا ما يستجيب أحدهم، لدرجة أنني سميت كوب الشاي «كوب الذل»،

ونتيجة لهذا العصيان العام، كنت أظن أن أبنائي لا يحبونني ولذلك لا يسمعون كلامي، وذات يوم مرضت مرضًا شديدًا وارتفعت حرارتي، ففوجئت بابنتي تسهر بجواري طوال الليل لتضع لي الكمدات، فعلمت حينها أن حب أبنائي لي كبير، وجلست أفكر كيف أحول كوب الذل إلى كوب المحبة، ولقد نجحت بفضل الله في اكتساب طاعة أبنائي، لما غيرت في طريقة تعاملي معهم وإدارتي لهم.

لن أطيعك يا أمي إلا بضرب النار:

طلب مني ابني يومًا أن أتوقف عن الصراخ في وجهه وقال لي: «يا ماما؛ لو قلت لي يا ابني يا حبيبي افعل كذا بالذوق والهدوء، سأطيعك فورًا وسأفعل ما تريدين»، ووعدته بالتغيير ووعدني بالطاعة إن غيرت طريقة طلبي منه، وبعدها عاملته بالرفق والذوق كما طلب، وصبرت عليه ألف مرة، حتى جاء إلي يومًا وقال لي: «تصوري يا ماما؛ أنا فعلا لا ينفع معي الذوق ولا أمشي إلا بضرب النار، سامحيني، لا تحزني مني أنا غلطان»، لكنني لم أغير أسلوبي معه، أتعلمون لماذا؟ هذا لأنني في الحالتين لم أكن أحصل على طاعته لي، فلماذا أصرخ والنتيجة في الحالتين واحدة، والعجيب أنني رددت عليه قائلة: سأصبر عليك وستكون أفضل فأنا أحبك، ومن يومها بدأ التغيير شيئًا فشيئًا.

وفي الغيبوبة أفاقت روح ابني الطيبة:

كانت طفولة ابني رائعة طاعة وأدب وصلاة وقرآن، وعندما دخل في مرحلة المراهقة تحول تمامًا، فحل العصيان محل الطاعة، وبدأ صوته يعلو عليّ وقل احترامه لي، وذات يوم حدث لابني هذا حادث أليم فقد على إثره الوعي ودخل في غيبوبة لمدة شهر، وتبعه ثلاثة أشهر تعب شديد، كان عمره حينها ١٨ سنة، وحينها كنت أنظفه وأغير له ملابسه مثل الأطفال تمامًا، فقد كان فاقدًا للتحكم في عملية الإخراج، أذكر ساعتها عيونه فقد كان ينظر لي حينها حزينًا معتذرًا، وكنت أقول له: أنا ماما ولا حرج، ومرت الأيام وشفاه الله بكرم منه سبحانه، وبعدها أصبحت علاقتنا أفضل من السابق بكثير، وعاد لما تربى عليه من خير.

بالحنان.. نجح ابني في الامتحان:

ذات ليلة أثناء امتحانات ابني في الصف الأول الثانوي؛ وجدته يجلس صامتًا ولا يذاكر، فقلت له: لم تجلس هكذا؟ فقال: امتحان الفلسفة غدًا ولا أفهم شيئًا في تلك المادة، فقلت وأنا غضبي: اليوم تقول لي هذا الكلام؟ هيا هات الكتاب وسأحاول مساعدتك لتذاكر وتفهم شيئًا، فقال: بدلا من ذلك تعال نتحدث معًا كابن وأمه، فوافقت على مضض، وجلسنا ساعة أو أكثر نتحدث حديثًا من القلب إلى القلب، ثم ودعته بحب وقلت له قم لتنام وغدًا ييسر الله لك، فودعني وقام ليدخل غرفته، وفوجئت به يجلس ليذاكر، وفي اليوم التالي دخل الامتحان ومر بسلام، ولما ظهرت النتيجة كانت المفاجأة أن أعلى درجة حصل عليها ابني كانت في مادة الفلسفة، ولم لا وقد دخل الامتحان بعد أن أخذ جرعة من الحنان والدعاء والتحفيز والأمل، وبذل ما استطاع من جهد.

سؤالان.. للتواصل وفهم الأقدار:

منذ أن دخل طفلاي الروضة؛ كنت أسألهما كل يوم سؤالين هما: ما أجمل شيء حدث معكم في الحضانة اليوم؟ وما هو أسوأ شيء حدث معك في الحضانة وأحزنك؟ وظللت لسنوات أفعل معهم ذلك، وكم وثقت تلك الفكرة التواصل بيننا، وساعدتهما على تفريغ همومهما، وساعدتني في حل مشاكلهما قبل أن تتفاقم، ثم تطورت الفكرة مع الأيام، وأحضرت لكل واحد منهم أجندة تضم كل أيام السنة، وكتبت في كل يوم عبارتين هما: أفضل شيء حدث معي اليوم هو.... وأسوأ شيء حدث معي اليوم هو.....، وعلى الطفلان أن يكملا العبارتين بما حدث معهما، وكل أسبوع نجلس معًا لنراجع أحداث الأسبوع، ونكتشف كيف كان الحدث التعيس منذ أيام سببًا في حدث سعيد بعده، وهكذا بدأنا معًا نفهم الحكمة من القضاء والقدر، وتعلمنا الشكر على السراء والصبر على الضراء، وأدعية كشف الضر حفظناها معًا... وكم كانت فكرة جميلة تواصلت من خلالها مع طفليّ لسنين، وهما اليوم في الجامعة، ومازلنا نجلس نهاية كل أسبوع لنتحدث معًا عن أفضل حدث مر بنا هذا الأسبوع وأصعب حدث.

وتمنيت أن ينطق ابني الرضيع ليقول لي «سامحتك»:

من أصعب المواقف التي مررت بها مع طفلي الصغير «عام ونصف»، أنه قام في أحد الأيام ببعض المواقف الطفولية البسيطة مثل أي طفل من حركة وعناد وتشويه لبعض الأثاث، ولقد تعاملت مع براءة أفعاله بقسوة وعنف، لقد ضربته بشدة لدرجة أنه كان يبكي من شدة الألم وهو لا يعرف لماذا يُضرب، ولا يدري ما الذي اقترفته يداه حتى يصب عليه أبوه الحبيب هذا الوابل من التعذيب، وبعدها ندمت كثيرًا وصالحته ولاعبته، لكن نظراته الصامتة تكاد تقتلني، والله كم تمنيت أن ينطق ويقول لي: «خلاص سامحتك يا ماما»، فهل تراه يقولها لي يومًا.

ابنتي الخامسة.. حمل مرفوض ورزق موروود:

عندما كنت حاملًا في ابنتي الخامسة وهي أصغر بناتي، اعترضت أمي وغيرها بشدة على هذا الحمل نظرًا لأسباب موضوعية، لكنني فوجئت ببناتي الأربعة يقفن معي، وصممن على بقاء هذا الحمل، وقاموا بخدمتي طوال فترة الحمل وبعد الولادة، وموقفهن هذا لن أنساه أبدًا، وجاءت ابنتي الصغيرة على خير، ومعها جاء الخير والبركة، وكثيرًا ما أحكي لها موقف أخواتها معها، وحبهم لها حتى قبل أن تولد، وصدق رسول الله ﷺ حينما قال: «لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات» السلسلة الصحيحة للألباني ٧ / ٦٢٧.

الهروب من الكُتّاب إلى حظيرة الدجاج:

ذات يوم اشتد محفظ القرآن على ابني، ومن كثرة ما ضربه كره ابني الذهاب إلى الكُتاب، ومن شدة حرصي على ابني اشتددت عليه أنا أيضًا، ولم أرحم ضعفه، وأكملت ما بدأه الشيخ من تنكيل وضرب، واستمر الأمر حتى هرب ابني وترك البيت، وظللنا نبحث عنه حتى قبيل الفجر، وفجأة سمعت صوت حركة في حظيرة الدجاج، فأسرعت نحوها فوجدت ابني الحبيب جالسًا هناك خائفًا يترقب، هنا أحسست بذنب عظيم

وضممته نحو صدري وطمأنته، وقررت من يومها ألا يذهب إلى هذا الشيخ مرة أخرى، رغم الصداقة التي كانت بيني وبين الشيخ، لقد كان يظن أنه يجاملني بالقسوة على ابني حتى يحفظ أكثر، ومن يومها قررت ألا يحفظ ابني الحبيب إلا برفق شديد.

لقد تعلمت.. ولكن أمه لم تتعلم:

من كثرة ضغطنا على ابني الكبير ولومنا له وضربنا فيه؛ كره الحياة معنا فقرر مغادرتها، كل هذا ونحن في غفلة من أمرنا، وفجأة رمى بنفسه من الدور الرابع حتى يموت، ولكنّ الله سلم، ومن يومها أدركت أن الضرب لا يصنع رجلا، وأن القسوة لا تبني جسور المودة، وأن التأنيب لا يصنع بطلًا، فتبت إلى الله من يومها وغيّرت طريقتي مع ابني الحبيب، لقد تعلمت الدرس من يومها ورأيت الحدث ينتظر الأب المحب، لكن زوجتي رأت عكس ذلك، لقد رأت فيه طفلًا عنيدًا يجلب المشاكل ويحمل في رأسه أفكارًا عدوانية، لقد تعلمت ولكن أمه للأسف لم تتعلم.

حفلة منزلية وأسرة مثالية:

حصلت ابنتي الصغرى (٣ ابتدائي) على شهادة تقدير من المدرسة، فجمعت أبنائي كلهم مع والدتهم، وقررنا عمل حفل على نطاق الأسرة، وكلفت ابنتي الكبرى (أولى ثانوي) بتقديم الحفل، وكان علي ابنتي الثانية (ثانية إعدادي) قراءة القرآن، أما أختهم الثالثة (سادسة ابتدائي) فكان نصيبها الأنشودة، أما أنا فكان على إلقاء كلمة حول أهمية التفوق في حياة المسلمين وكم أن تفوق أحدنا هو نصر للجميع، وفي النهاية قدمت زوجتي هدية للبنت الصغرى وهدايا لأخواتها لأنهم شركاء لها في النجاح، كل هذا في جو من المرح والفرح والضحك.

شراكة الصغار في تجارة الكبار:

عندي بفضل الله محل كبير لإكسسوارات البيوت من لوازم الحوائط والستائر وغيرها، ولي شريك طيب كريم، جلست معه يومًا لنفكر في مستقبل أبنائنا، وقررنا أن

نشرك ابنينا (ابني ١٣ سنة وابنه ١٤ سنة) معنا في التجارة، فأحضرناهما يومًا وقلنا: «لقد كبرتما فشاركونا في المحل، ما رأيكما أن نبيعكما ركنًا من المحل لتديراه وتتابعاه وتحصلا على ربحه بجوار دراستكما»، وبدأنا معهما برف صغير خاص بالمسامير وبعناهم إياه فقط بـ ٢٥٠ جنيها، ومن يومها بدأ الولدان يجردان المسامير ويتابعان حركة البيع ويتصلان بالتجار، ومع الأيام ازدادت تجارتنا بركة، فقد أصبحنا أربعة شركاء وأصبح الرزق لأربعة بدلا من اثنين، وهكذا حصل الشابان على ٢٥ ٪ من الأرباح يأخذون جزءًا منها شهريًا، وكانت المفاجأة أنهما يخرجان من ربحهما في وجوه الخير المتعددة كما نفعل نحن، وكم جلسا معًا ليفكرا في تطوير نصيبها لدرجة أنهما قررا شراء تريسكل (دراجة بها درج حديدي لحمل البضاعة) للتوزيع على المحلات التي تعمل في نفس تخصصنا، وبمرور الأيام قد يفتح الولدان مشروعًا ينافسنا أو فرعًا مستقلا.

أمي.. هل جئنا الدنيا لكي تذلونا؟

ابني عمره عشر سنوات، قال لي يومًا: أنتم تحرموننا من اللعب والتلفزيون و... الاستمتاع بالحياة، ولا تعرفون سوى: ذاكر..احفظ..صلِّ...، وطبعًا تضربون وتصرخون وتشتمون و...، هل جئنا الدنيا لكي تذلونا؟؟؟ ولقد تفكرت في كلماته وقلت ربما يكون عنده حق، فالذي لن يتمكن من رفع رأسه في بيته لن يرفعه أبدا في الخارج، ومن لم يتمكن من قول «لا» بأدب وموضوعية لوالديه اللذين هما أرحم الناس به؛ فلن يتمكن من قول لا لأحد في الخارج، ومن لم يستمتع بطفولته فهل يكون لحياته معنى؟ ومن يومها قررت أن يكون للسعادة والحرية والكرامة مكان في بيتنا.

ربما أمرض ابنك.. ليشفي لك قلبك:

بعض الآباء مبتلى بكراهية أحد أبنائه، ولا يعالج تلك النزغات الشيطانية إلا مرض هذا الابن؛ وتكون النتيجة أن يتحول قلب الأب فيمتلئ حبًا وودًا ورفقًا، بل ربما يكون الابن نفسه بحاجة إلى مزيد من الحب من والديه؛ فيمرضه الله تعالى ليحصل على مزيد الحب والحنان، ويتحقق له بعد المرض شفاء القلب وشفاء الجسد، وبعض الآباء قد

يعيش مشغولًا مغتربًا عن بيته وأولاده، ولا يصحح مسار حياته إلا مرض أحد الأبناء، وقد يعتقد بعض الأبناء أن أباه لا يحبه أو أنه يفضل أحد إخوته عليه، ولا يصلح ما بينهما من علاقة ولا يزيل سوء التفاهم إلا مرض هذا الابن الذي يقابله عطف أبيه وأمه، فسبحان من له في تصريف القلوب آيات وأحكام...

يقول احد الاباء: كنت أبًا مشغولا نوعًا ما، وعندما كانت ابنتي في الصف الأول الإعدادي مرضت بمرض جلدي، فبذلت معها مجهودًا غير عادي، ذهبت بها إلى جميع الأطباء في محافظتنا وفي القاهرة، وما كنت أسمع عن طبيب ماهر إلا وحجزت لها عنده، كانت رحلة العلاج شهورًا صعبة ومرهقة، لكنني خلال تلك الفترة لأول مرة أقترب من ابنتي هذا الحد، لم أكن قبل ذلك أعرفها وفي رحلة المرض عرفتها، بل إنها لم تكن تعرف كيف أحبها، لكنها لمست هذا الحب في تلك الرحلة، وفي النهاية شفاها الله تعالى من هذا المرض، ومرت السنوات وكبرت ابنتي وتزوجت وأنجبت، وظلت فترة قربي منها في رحلة علاج المرض الجلدي محفورة في ذاكرتها وتتحدث عنها مع الجميع، وتخبرهم بمدى حبي لها وما بذلته من أسباب ودعوات وصدقات حتى شفاها الله تعالى، لقد كان المرض نعمة كبرى حيث ألف بين قلوبنا وزاد الحب فيما بيننا.

تقول إحدى الأمهات: كنت دائمًا أشعر أن أولادي أقل من أقرانهم ذكاء وثقافة وتعليما، كانوا يقبلون على الدراسة بملل وكسل ووهن وكانت درجاتهم طبعًا سيئة وفاضحة لي أمام الناس، فكنت أقول: ليتني لم يكن عندي أولاد فأولادي هؤلاء لا يشرفونني، وفجأة مرض ابني الكبير، وتبعته أخته فدخلت مرتين في غيبوبة، وعندها فقط خفت من ضياع أولادي مني بسبب أمنيتي البلهاء، وقلت: أستغفر الله، أنا أريد أولادي بجواري ولو لم يكونوا حتى متعلمين، وحمدت الله على هذا الدرس، وأسأل الله تعالى أن يتعلم أبوهم (زوجي) الدرس نفسه فيحب أبناءه كما هم ويستمتع بحياته معهم قبل أن يفقدهم أو يفقدوه.

تقول إحدى الأمهات: كنت أقسو على ابنتي كثيرًا، وذات يوم أجرينا لها عملية جراحية، وطبعًا جلست بجوارها أخدمها وأسهر على راحتها، ونتيجة لعطفي عليها تلك

الليلة صدمتني بقولها: «والله يا ماما كنت أعتقد قبل اليوم أنك لا تحبينني»، فتلقيت كلماتها صامتة، وفكرت كثيرًا فوجدتها محقة، فهذه هي المرة الأولى التي أعبر لها – عمليًّا – عن حبي لها، فنويت أن أبدأ معها عهدًا جديدًا من إظهار الحب وتبادل الود.

في أزمات الآباء.. تظهر تربية الأبناء:

كلنا يشعر بمشقة تربية الأبناء في هذا الزمن الصعب، وكثيرًا ما نشعر أن ما نبنيه في نفوسه تهدمه ألف يد أخرى، وكثيرًا ما نشعر بخيبة الأمل، ونسيء الظن كثيرًا بأبنائنا، لكننا نتفاجأ في الأزمات أن لتربتنا ثمرات طيبة، وأن قلوب أبنائنا فيها خير كثير، وأنا واحدة من الأمهات التي لم تكتشف معدن ابنتها الغالي والنفيس إلا في أزمة المرض، فذات يوم مرضت بشدة لدرجة أنني خفت من الموت، فأخبرت ابنتي أن عليّ مبلغًا من المال، وطلبت منها لو حدث لي شيء أن تسدد عني هذا الدين، ووعدتني ابنتي والدموع على خديها بقضاء ديني، ومرت الأيام وشفاني الله تعالى، والعجيب أن ابنتي أخذت على نفسها عهدًا لا رجعة فيه أن تسدد ديني من مصروفها حتى بعد شفائي، ولقد صدقت في عهدها ونفذت قراراها، فقلت: سبحان الله؛ كم في أبنائنا وبناتنا من طاقات لكننا نستصغرهم ونظن بهم السوء، وتأتي الأزمات لتخرج ما في أبنائنا من خير، ولتعطينا الثقة في أن ما نغرسه في قلوب أطفالنا لا يضيع، سامحنا الله تعالى على سوء الظن بأبنائنا.

يا أمي.. أنت كسرتني:

أنا أم وأعمل وكيلة لمدرسة ثانوية، وذات يوم جاءني أحد المدرسين وقال لي: «الحقي بابنك (ثانية ثانوي) عند المدير وقد أثار الكثير من المشاكل، وأنصحك أن تترفقي به حتى لا يرفع صوته عليك ويقل أدبه»، فأثارتني كلمات هذا المدرس، وذهبت نحو حجرة المديرة متحفزة وثائرة وغاضبة على ابني، وفي ذهني أن أثبت للجميع أنني ربيت ابني وأنه مؤدب، وعندما وصلت هناك وجدت ابني يجادل المدير بحدة وسوء أدب، فما كان مني إلا أن خلعت حذائي وضربته به على وجهه، نعم فعلت ذلك، ومن هول الصدمة سكت

ابني وانفجر باكيًا، واكتشفت هول ما فعلت فبكيت لبكائه، وأخذته في حضني، حدث هذا الموقف منذ حوالي عشر سنوات، وابني هذا اليوم قد تخرج من كلية الطب وبدأ يمارس حياته العملية بنجاح واقتدار، ورغم مرور السنين غير أنه لم ينس ما فعلته به في غرفة المدير وأمام الجميع، وكلما جلس معي بكى وذكرني بهذا الموقف، إنه يقول لي دومًا: «يا ماما أنت كسرتني، إنني مهما كبرت أشعر أنني كسير أمام الناس»، وحتى يومنا هذا لا يريد أن يسامحني على ما فعلته به.

ابني الصغير يرد لي الجميل:

وفقني الله تعالى إلى معرفة بعض السنن النبوية الطيبة التي أفعلها عندما يمرض أحد أبنائي، فإذا مرض أحدهم أتصدق بنية شفائه، وأدعو له دعاء المريض المأثور عن النبي ﷺ[1]، وذات يوم مرضت ونمت في غرفتي لأستريح، وأنا نائم فوجئت بابني الصغير يدخل عليّ ومعه أخوه الكبير دون أن يشعر بهما أحد، وقاموا بتقبيل يدي ودعوا لي بالشفاء، وتوضأ وصليا ركعتين وسمعتهما بعض الصلاة يرفعان يديهما الصغيرتين ليدعوا الله لي بالشفاء، والله موقفهما هذا عندي أفضل من كل تفرد وشهادات الدنيا.

أولادي ومسرحية الأب المحبوب:

ذات يوم بعد العشاء قال لي أبنائي: لك عندنا الليلة مفاجأة، أنت معزوم على مسرحية رائعة، وأجلسوني مع أمهم على كرسيين في الصالة، وبدأت المسرحية، كان عنوانها الأب المحبوب، وأولادي هم الممثلون والمؤلفون والمخرجون، وكانت مسرحية فنية تدور حول الأب الذي يحبه أبناؤه والأب الذي يكرهه أبناؤه،والمقارنة بين الاثنين،

---

(١)روى البخاري عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا».
روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد! اشتكيت؟ فقال: «نعم» قال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك.
عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرار أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض» صحيح أبي داود ح ٢٦٦٣.

وبدءوا يقلدون حركاتي وكلماتي، وكانت رسالة جيدة منهم أوقفتني مع نفسي، ووصلتني رسالتهم، ووعدتهم بالتغيير نحو الأفضل.

أبنائي الصغار.. ومطالب أهل النار:

من فضل الله عليّ أن أبنائي يحبون حفظ القرآن الكريم، ويأتيهم شيخ في البيت ليحفظوا معه، وقبيل رمضان سألت أحد أبنائي سؤالًا بسيطًا في معنى آية يحفظها، فوجدته لا يعرف عنها شيئًا، وساعتها فكرت في كيفية ربط أبنائي بالقرآن فهمًا وعملا مع الحفظ، وأكرمني الله بالفكرة التالية، جمعت أبنائي وبناتي قبل رمضان بيوم وقلت لهم: نحن جميعًا بفضل الله نحاول ختم القرآن مرة في شهر رمضان، سنجعل ختمة هذا العام للفهم والتدبر، فقالوا: كيف ذلك؟ قلت: سنبحث معًا عن نعيم أهل الجنة، وكل واحد منا يجد آية تتحدث عن نعيم أهل الجنة وسعادتهم يسجلها، ونجتمع مساء ونرى ما جمعناه ونقرأ تفسير آية واحدة منها نتفق عليها جميعًا، وبفضل الله طبقنا الفكرة وكانت رائعة، ودارت الأيام، وأقبل رمضان العام التالي، فكان اقتراح أبنائي أن نبحث في رمضان هذا عن مطالب أهل النار بعد أن يدخلوها في الآخرة، فمن قرأ ربعًا أو جزءًا من كتاب الله على مدار اليوم يخرج ما فيه من مطلب أهل النار ويكتبه، وفي المساء نجتمع عشر دقائق لنرى ما وصلنا إليه، ولمن يفعل ذلك جوائز جيدة، ولأسرتنا جائزة كبرى في العيد إن أتممنا المهمة، وبدأنا المشوار وكم كان توفيق الله من نصيبنا، فقد جمعنا في نهاية شهر رمضان من القرآن الكريم ٩ مطالب لأهل النار، هي:

(١) طلب الفداء: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جميعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦]، وقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جميعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

(٢) طلب الخروج من النار: قال تعالى حكاية عن الكافرين: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال جل شأنه عن أهل

النار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

(٣) طلب العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات: قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام ٢٧، ٢٨]، وقال جل شأنه: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

(٤) طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء: قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم ٢١]، وقال جل شأنه: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۞ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

(٥) طلب الانتقام ممن أضلوهم: قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

(٦) طلب تخفيف العذاب: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۞ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

(٧) طلب سقيا الماء والطعام: قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

(٨) طلب النور: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

(٩) طلب القضاء عليهم: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۞ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۞ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ۞ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف ٧٤ - ٧٨].

كنا نجتمع كل مساء لنرى ما توصلنا إليه جميعًا، ونقرأ تفسيره ونتفكر في معانيه، ونقرأ تفسير آية واحدة نتفق عليها جميعًا، وكم تعلقت قلوبنا بالقرآن وتعاهدنا أن ندخل الجنة معًا بعيدًا عن أهل النار، وحصلنا جميعًا على جائزة الشهر القرآنية ولقد كانت جائزة قيمة وجديدة من نوعها أحبها الجميع وسعدوا بها.

سنين يصلي بلا وضوء:

كنت لسنين أصحب أولادي إلى الصلاة بالمسجد، وكنت أفترض أنهم يدركون من ملاحظتهم لي مبادئ الوضوء والصلاة، وذات يوم ونحن في طريقنا إلى المسجد سألت أحدهم: هل توضأت؟ فقال لي: «أنا لا أعرف كيف أتوضأ، أنا فقط أغسل وجهي ويدي ورجلي ورأسي»، كان عمره يومها عشر سنوات، فأصبت بصدمة كبيرة... ومن يومها لا آمر أبنائي بشيء إلا وأعلمهم كيفيته وثوابه.

خمسة أيام في الدنيا:

لا أنسى اليوم الأخير مع ابني قبل موته، ولد مريضًا وتوفي وعمره خمسة أيام، كنت أذهب إليه يوميًا في المستشفى رغم تعب الولادة، وتوفي في اليوم الوحيد الذي لم أذهب إليه، ودفن قبل أن أراه، جعله الله لنا ذخرًا في الآخرة، وعوضت هذا الفقدان مع بقية أبنائي، فهم قرة عيني ونور قلبي.

مشروع صيفي وفيه مكسب قرآني:

في بداية الإجازة الصيفية أخبرني ابني ذو العشر سنوات أنه يريد أن يخرج للعمل مع زملائه، وهذا الأمر أسعدني جدًا، لكنني كنت أتمنى أن يلتحق بمكتب تحفيظ القرآن ليواصل الحفظ، وأصبحت بين خيارين إما حفظ القرآن وإما العمل، وجلست مع ابني وزوجتي نفكر في الأمر، تحدثنا حول طبيعة الأعمال التي يمكن الاختيار منها، فوجدناها جميعًا تستوعب معظم الوقت ولن يتمكن ابني معها من حفظ شيء، ومع الحوار هداني الله تعالى لفكرة يجمع ابني من خلالها بين خيري الحفظ والعمل، فقلت لابني: «عندي لك اقتراح جميل، ما رأيك أن تنتظم في الحفظ وفي الوقت نفسه تعمل مثل الرجال من زملائك»، فقال: كيف؟ فقلت له: «سأحضر لك كمية من سوائل ومساحيق التنظيف تتاجر فيها وتبيعها على جيراننا، وهكذا لا يضيع منك حفظ للقرآن، واعلم يا بني أن الرزق مقسوم، بل إن الله تعالى الذي ستحرص على حفظ كتابه سيكرمك وسيوسع لك في رزقك»، واقتنع ابني بالفكرة، ومضينا في تنفيذها، كنت أراقبه وأشجعه وأرشده وأكافئه، وفي نهاية الإجازة الصيفية جلسنا معًا، فقلت له: «لترَ مدى نجاح مشروعك الصيفي، احسب ما ربحت من تجارتك، واسأل أصدقاءك عما جنوه من نقود خلال عملهم الصيفي»، فذهب ابني وغاب كثيرًا وعاد فرحًا مسرورًا، فلقد تفاجأ أن ما ربحه يساوي ما ربحه كل واحد من أصدقائه، لكنه زاد عنهم بحفظ القرآن، فالحمد لله منزل الكتاب ومقسم الرزاق العزيز الوهاب.

ابنتي الصغيرة والمرأة الفقيرة:

كنت يوميًا أصحب ابنتي الصغيرة من الحضانة بعد نهاية اليوم الدراسي، ونعود معًا إلى البيت، كانت تمسك في يدي بحب ومرح وسعادة، ويوميًا كنا نمر على امرأة مسكينة، فأعطي لابنتي ٢٥ قرشًا (ربع جنيه) لتعطيه لتلك المرأة الفقيرة، ومرت الأيام وتغيرت الأحوال وحرمتني مواعيد العمل من صحبة ابنتي اليومية، كانت ابنتي الحبيبة تأخذ

مصروفًا يوميًا قدره نصف جنيه (خمسون قرشًا)، وبعد سؤال ومتابعتها لكيفية إنفاقه، فوجئت بأنها يوميًا تنفق نصف ما تأخذه من مصروف، وتحتفظ بالباقي (ربع جنيه) حتى نهاية اليوم الدراسي، وفي طريق عودتها تعطي ما معها من مال للمرأة الفقيرة، لقد بقيت تفعل ما تعودت معي عليه، حفظك الله يا ابنتي، وأطلب منك أن تسامحيني، إذ لم أكن أعرف أن نفسك الطاهرة بها هذا الخير الكثير.

ابني الصغير واللقاء الأخير:

ذات يوم مرض ابني مرضًا شديدًا، فأسرعت به أنا وأمه إلى المستشفى، وهناك كان لا بد وأن يبيت ليحصل على الرعاية الطبية اللازمة، فظللت بجواره وقررنا أن تبقى أمه معه، وفي الواحدة مساء ودعته بعدما اطمأننت عليه وتركت أمه معه وانصرفت، وعند وداعي له قبلت رأسه وأخبرته أنني سأعود إن شاء الله في الصباح مبكرًا، فقال لي: «يا بابا، إنك ستعود الليلة إلى المنزل متأخرًا، فلا تأتيني إلا بعد صلاة الجمعة لتتمكن من النوم جيدًا»، فرجعت وسلمت عليه وقبلته ثانية وانصرفت، وفي الصباح الباكر استيقظت على صوت التليفون، وفوجئت بأمه تتصل لتخبرني أن ابني الحبيب في غيبوبة، فذهبت إلى المستشفى مسرعًا، ودخلت على ابني فوجدته صامتا على غير الحالة التي تركته عليها، جلست بجواره لعله يفيق ويبادلني الكلام والابتسام، لكنه ما لبث أن فارق الحياة وتركني وحيدًا، تركني ولم ينطق بكلمة بعد لقائي الأخير به، لقد فارق الحياة وهو في الحادية عشرة من عمره، لقد فارق الحياة وهو لا يريد أن يتعب أباه، كم كنت أتمنى أن يطول اللقاء الأخير بيننا، وكم كنت أتمنى أن أبيت معه تلك الليلة.

بالاستغفار جاءنا الطفل المغوار:

تزوجت وكلي شوق للإنجاب، ويشاء الله تعالى أنه كلما حدث حمل يحدث بعده إجهاض، استمر هذا الحال لسنين، وأخذت بكل الأسباب الدنيوية من طب وخلافه، ولم يفلح معنا علاج، فقررنا أنا وزوجي أن نلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فحافظنا على ورد

الاستغفار، وبعد شهور حدث الحمل ورزقنا الله بمصطفى، فكانت سعادتنا به لا توصف، ولما أتم مصطفى عامه الأول ابتلي بمرض الحمى الشوكية وكاد يموت، ذهبنا به إلى مستشفى كبير وقام الأطباء بعمل (بزل) له أكثر من مرة، وأحسسنا بأننا سنفقد مصطفى في أي لحظة؛ فلجأنا إلى الله سبحانه وتعالى حق اللجوء، وعدنا إلى ورد الاستغفار، فكان الشفاء والحمد لله، ومن يومها أصبح لأسرتنا حال عجيب مع قول الله تعالى:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

تسبيحات بعدد زروع حقلنا:

كنت أعمل مع ابني في الحقل في زراعة القطن، فوجدته فجأة يقول لي: «بابا، ما رأيك أنه كلما زرعنا حبة، أو قطعنا نبتة، أو جنينا ثمرة؛ نسبح الله تعالى، فيكتب الله لنا تسبيحات بعدد زروع حقلنا، ويكون لنا فيه من البركة الكثير»، فاحتضنته وشكرت الله تعالى أن رزقني بهذا الغلام الذي يساعدني على فعل الخيرات، ولقد نفذنا الفكرة معًا وكان عامًا مباركًا علينا جميعًا.

أبنائي وحكايات الماضي:

جلست يومًا مع أبنائي لأحكي لهم أيام طفولتي بحلوها ومرها، طبعًا أحكي فقط ما يصلح لكنني أحكي لهم الكثير من أخطائي ولا أخفيها حتى يتعلموا منها، وتكرر تلك الجلسات وكثرت الحكايات، ومن يومها كلما تذكرنا تلك المواقف ضحكنا معًا، وكثيرًا ما طلبوا مني تكرار تلك الحكايات لنضحك معًا على تلك المواقف ونأخذ منها العبرة والعظة، والله ساعتها أشعر أنهم لا يفتحون لي آذانهم بل يفتحون لي قلوبهم، ومن يومها زاد الحب بيننا.

طفلي ذو العام والنصف كيف ضربته؟

عندما بلغ ابني الصغير سنة ونصف، تركته أمه معي يومًا وخرجت لسبب مهم، كنت وحدي معه، وفجأة أخذ يبكى كثيرًا لدرجة أتعبتني، حاولت إسكاته مرارًا لدرجة أنني في النهاية ضربته على وجهه، نعم ضربته على وجهه فزاد صراخه، وأخذ ينظر نحوي نظرات الحائر الشاكي، لقد جعلتني نظراته أبكي أنا الآخر، ما الذي فعلته؟ ومن يومها والألم يعتصر قلبي، وأسأل الله أن يغفر لي ظلمي لطفلي، ومن يومها أحاول إكرامه والحنو عليه، وأحسب إن شاء الله أنها كانت المرة الأولى والأخيرة التي أمد يدي فيها عليه وأضربه، فقد نويت ألا أضربه أبدًا بعد ذلك، وعمره الآن ١٥ سنة ولم أضربه من يومها، وأؤدبه برفق وحزم وحب، والحمد لله هو من خيرة شباب شارعنا، أما زوجتي التي تركته معي عندما كان طفلًا ولم أحتمل بكاءه، فقد عرفت لها حقها وقدرت صبرها مع أولادي، فاختلف حالي معها كثيرًا، وعاهدت ربي أن أخفف عنها ما تلاقيه من متاعب الأولاد، وهي تشهد أنني نجحت في ذلك.

وحمدت الله أنني لم أظلمك يا حبيبي:

عندما كان ابني في الصف الأول الابتدائي، فوجئت ذات يوم بالمدرسة تتصل بي وتطلب مني سرعة الذهاب إلى المدرسة في أمر عاجل، فذهبت على الفور إلى المدرسة، وتوجهت نحو فصل ابني، وهناك دخلت على المدرسة ووجدتها تشرح للأطفال، فلما رأتني قطعت شرحها وأخذت تصيح في قائلة: «ابنك كاد يفقئ عين زميله ويضع فيها القلم الرصاص»، فتركتها حتى هدأت، ثم سألت ابني في هدوء: ما الذي حدث يا بني؟ فقال: «يا بابا، الذي حدث أنني رأيت عين زميلي واسعة ولا تطرف وثابتة على وضعها هذا، فأخذت القلم حتى أقربه من عينه لتتحرك، ولست قاصدًا أن أؤذي عينه أو أضع القلم فيها، وإنما أردت أن أجعل عينه تطرف نتيجة اقتراب القلم منه ليستريح، وهنا رأتني المدرسة فظنت أنني أريد أن أفقئ عينه»، فسألت زميله عن تلك الرواية فأكد صدق

كلام ابني، وسمعت المدرسة هذا الحوار ونظرت نحوها فقالت: ابنك طفل جيد وتفكيره جميل، سامحني على تسرعي في الحكم عليه، لقد عدت يومها للبيت وأنا أحمد الله تعالى أنني لم أتسرع في عقاب ابني ظلمًا وعدوانًا.

تفوقت في رعاية أمي.. فتفوقت ابنتي:

كانت ابنتي في الصف السادس الابتدائي الأزهري، وكانت والدتي مريضة جدًا وتحتاج لمن يرعاها ويمرضها على مدار الساعة، وللأسف تهرب إخوتي من رعاية أمهم، فقررت أنا وزوجتي – حفظها الله – أن نريح الجائزة ونرعى أمي، وبدأنا رحلة الصبر والثواب والأجر، كانت ابنتي من المتفوقين في السنوات الماضية، وكنا نأمل هذا العام في تلك الشهادة أن تكون من الأوائل على مستوى المحافظة، لكننا انشغلنا عن مذاكرتها برعاية جدتها، ومن شدة تقصيرنا في متابعة مذاكرة ابنتنا قالت لنا يومًا: «لا تنتظروا مني تفوقًا هذا العام»، فأوكلنا الأمر كله لله، وطلبنا منها بذل الجهد والباقي على الله، ومر العام الدراسي وظهرت النتيجة، ولم تحرز ابنتي تفوقًا على مستوى المدرسة ولا الإدارة ولا المحافظة، بل أحرزت المركز الثالث على مستوى الجمهورية، ويومها قالت ابنتي: هذا كله ببركة جدتي.

عنوان الفيلم.. «ادع لي يا غالية»:

لي ثلاثة أبناء ذكور، أوسطهم هو أكثرهم إتعابًا لي، كثيرًا ما يسبب المشاكل للجميع، وهو على هذا الحال منذ صغره، عاش حياته متعبًا لي وللجميع، ورغم ذلك فالحب بيننا موجود والود موصول إلى حد ما، عشت معه سنين على هذا الحال، وذات يوم وهو في الجامعة قررت مقاطعته حتى ينصلح حاله، وكم أوجعه ذلك، وبعد يومين من الخصام فوجئت برسالة تقول: إذا أردت أن تعرفي ابنك جيدًا، فافتحي الكمبيوتر وشاهدي فيلم «ادع لي يا غالية»، فتوجهت نحو الكمبيوتر، وفتحته وأنا متوقعة لمصيبة قد فعلها أحدهم، وفتحت الملف وبدأ الفيلم، إنه فيلم لحياتي مع ابني الذي خاصمته، لقد جمع صوري معه منذ أيام الطفولة وصنع منها فيلمًا وجعل في الخلفية أغنية عن أم حنونة، وجعلني أشاهده

طالبًا مسامحته والعفو عنه، وجعل عنوان الفيلم «ادع لي يا غالية»، كم بكيت وأنا أشاهد، فمع كل صورة ذكرى لا تنسى، وانتهى الفيلم وأطفأت الكمبيوتر وانطفأ معه غضبي، ومن يومها تغير قلبي نحوه تمامًا، وشعرت كم أحبه، وصالحته ووعدني بتعديل حياته، ولقد تغيرت حالتنا معًا وتحسن حاله، لقد تحسنت أحوالنا لما رأيت كم يحبني وكم أن قلبه ملىء بعواطف نبيلة.

نصيحة الجدّ.. اعتذر لابنك فورًا:

ضربت ابني ذات يوم ضربًا شديدًا لسبب تافه، وتركت البيت غاضبًا وذهبت لأزور والدي، ووجدني أبي حزينًا فقال لي: ما لكَ؟ فقصصت عليه ما حدث، وكيف أنني قسوت على ابني بلا داعٍ، فقال لي: اذهب إلى البيت فصالحه حالا، فقلت له: سأكتفي بالتليفون، واتصلت بابني على الفور، ولما سمعت صوته لم تطاوعني نفسي على الاعتذار له، فقلت له: «أنا عند جدك وتعبان بعض الشيء وأحتاج إليك»، فإذا به يأتي مسرعًا جدًّا بأسرع مما توقعت، جاء متلهفًا مشفقًا مع أن آخر موقف بيننا هو ضربي له وظلمي الشديد له وخطئي في حقه، وفور أن رأيته، قمت إليه وعانقته وقلت له: لا تحزن مما فعلته معك وسامحني، فدمعت عيناه وقال: «يا بابا أنا أحبك والموقف لم يكن يستحق منك كل هذه القسوة، وأنا سامحتك»، ومن يومها أصبحت حذرًا في معاقبة هذا الابن الحبيب.

واكتشفت أنني أضربها أكثر مما أحضنها:

قالت ابنتي يومًا لي: «يا ماما، على فكرة أنا أحب خالتي أكثر منك»، فهزتني كلماتها وأصابتني بحزن شديد، ومكثت أفكر فيها أيامًا، ما الذي يميز خالتها حتى تحبها أكثر مني؟ ألست أمها والمفروض أن تحبني أكثر، وبعد طول بحث اكتشفت أنني كثيرًا ما أركز على عيوبها، ولا أحاول رؤية ما فيها من خير، كما اكتشفت أنني أضربها أكثر مما أحضنها، ومن يومها قررت أن أكتشف ما في ابنتي من خير، وأصبحت أحضنها أكثر مما أضربها، ودارت الأيام وجاءتني لتقول: «أنا أحب ماما الجديدة جدًّا، رجاء لا تعودي لماما القديمة أبدًا».

ذو السبع سنوات كيف عاقبته على السرقة:

عندما كان ابني عمره سبع سنوات، اكتشفت أنه يسرق نقودًا من البيت كما يسرق أشياء أخرى. فحاولت علاج ذلك المرض حتى لا يكبر وهو به، فعلت ذلك بعدة وسائل وفشلت، فلجأت إلى الضرب ولم يحقق نتيجة، وذات يوم اكتشفت أنه قد مد يده على مبلغ بسيط، فبلغ غضبي ذروته إذ كيف أربي في بيتي سارقًا، وفجأة رأيته يخرج من الحمام عريانًا ليس عليه ملابس، فانتهزت الفرصة وتوجهت نحوه وبلا مقدمات ضربته بالحزام على جسده العاري بشدة وعنف، لقد أفزعته فعلتي وصدمته قسوتي، فسقط على الأرض باكيًا منكسرًا حزينًا، لم يكن ساعتها مدركًا لسبب اعتدائي المفاجئ عليه، فهو لا يزال طفلًا مسكينًا، والله لم أرحم حينها صراخه أو اعتذاره، وكم ظل كسيرًا بعدها لأسابيع، كانت نظراته منكسرة حزينة خائفة، كأنه يتوقع مني الغدر والضرب في أي لحظة، لقد جعلته يعيش خائفًا مني دون أن أدري، ومرت السنوات وابني هذا الآن عمره ١٥ سنة، ولا يزال ما فعلته به يومها حاضرًا في ذاكرته وذاكرتي لا يمكن نسيانه، وكم أحاول جاهدًا تعويضه وإصلاح آثار الذكرى الأليمة، وإلى أن أنجح يومًا أسأل الله أن يسامحني.

أمي.. لا تموتي:

كنا نستعد للذهاب إلى المستشفى لزيارة حماتي (أم زوجي)، ولأننا لم نكن نريد أي إزعاج من الأطفال هناك، فقد قلت لابني: ابق أنت هنا في بيت جدتك، فرفض وصمم أن يأتي معنا، ومع إلحاحه اضطر الأقارب أن يذهبوا ويتركوني بسبب طفلي العنيد، فأخذته مع أخته ورجعت إلى البيت وأنا غضبي جدًا ودماغي يغلي، وما إن دخلت الشقة حتى بدأت أضرب فيه بصورة عنيفة، لقد ضربته بكل ما أملك من قوة، لقد ضربته باليد وبكل ما وقع تحت يدي من أحذية وعصي، حتى إنني لم أفكر في أي مكان أضربه في الوجه أو الرأس أو غيرها، وظللت أضربه حتى تعبت وانهارت قواي ونمت على الأرض وضربات قلبي تكاد تتوقف من شدتها، وبعد لحظات من الصمت نظر ابني المسكين

نحوي وقال: «قومي يا ماما، ردي علي، مش عاوزك تموتي»، وخرج ليطرق على أبواب الجيران قائلا: «شوفوا ماما مش عاوزها تموت»، فما كان مني إلا أن أخذته في حضني وبكيت على غبائي، فمن أجل خوفي على منظري أمام حماتي والأقارب كدت أقتل صغيري المسكين الذي يحبني بالرغم مما فعلته به، ومن يومها تعلمت أن أضع أبنائي رقم واحد ثم يأتي الناس في المرحلة الثانية أو الثالثة لا يهم.

بنت الثمانية أعوام اكتشفت السر:

زوجي كثير السفر وليست لديه خبرة في الشراء، فكنت أنزل السوق قبل عودته من السفر، وأشتري للأولاد ملابس وهدايا وأضعها في شنطة السيارة؛ حتى يحضرها هو للأولاد عندما يرجع؛ فيسعدوا بعودته معتقدين أنها هدايا من البلد التي أتى منها أبوهم، وذات يوم اكتشفت حيلتي ابنتي الوسطى (٨ سنوات) وهي شديدة الفطنة، وواجهتني بالأمر وكنت حينها في غاية الإحراج، ومن يومها تعلمت ألا أستخف بعقول الأولاد ولا أحاول خداعهم أبدًا.

ماما.. أنت ستدخلين النار:

عندما كانت ابنتي في الصف الأول الابتدائي، عادت من المدرسة يومًا باكية حزينة، فاستقبلتها بين أحضاني وقلت لها: ماذا يبكيك؟ قالت كلمات لم أفهم ما هي من شدة بكائها، لكنها أخيرًا هدأت وقالت: «ماما.. أنت.. ستدخلين النار»، فصدمتني كلماتها وتمالكت أعصابي بصعوبة وقلت لها: لماذا؟ فقالت: «إن المدرسة قالت لنا اليوم؛ إن الذين يغشّون ويخلطون الحليبَ بالماء سيدخلهم الله النار، وأنت يا أمي في كلّ صباح تضيفين للحليب المجفّف الماء، أرجوك يا أمي ما عدتُ أريدُ حليبًا بعد اليوم، فأنا أحبك كثيرًا ولا أريدك أن تصبحي مثلَ هؤلاء الغشّاشين وتدخلي النار»، فضممتها نحو صدري وهدأت أعصابي، وشرحت لها الفرق بين ما يصنعه الغشاشون وبين ما نصنعه نحن، ودعوت الله أن يجعل قلبها هكذا طاهرًا نقيًّا على مرّ السنين.

أبي.. لن أتناول العشاء بدونك :

عنفت ابني يومًا بطريقة غير طبيعية على شيء لا يستحق، ثم خرجت من البيت متضايقًا وأحسست أنني قد أخطأت في حقه، وفي غمرة الأحزان جاءتني رسالة على الموبايل، ففتحتها فإذا هي رسالة من ابني هذا الذي ظلمته يقول فيها: «أعتذر يا أبي، ولن أتناول طعام العشاء إلا عند حضورك»، فوجدتني أبكي، ولا أدري هل أبكي حزنًا على ما فعلته معه، أم فرحًا بأدبه وحسن صحبته لي، إننا قد نعيش مع أبنائنا سنين ولا نكتشف قدر ما في قلوبهم من حب نحونا، بل إننا قد لا نخرج ما في قلوبنا من حب، ومن يومها قررت أن أعيش مع ابني هذا أجمل قصة حب بين ابن وأبيه، وقد كان بفضل الله.

أبي.. لا تجعلني أكره تناول الطعام معك :

أنا أب كثير الأشغال كثير الأسفار، والوقت شبه الوحيد الذي أقابل فيه أبنائي هو على طعام الغداء وربما العشاء، وجبة واحدة يوميًا قد أقابلهم أثناء تناولها في البيت، وطبعًا لأنني أريد تربيتهم، فقد كنت أجعل هذا الوقت للمتابعة والتعنيف والتقويم والعتاب، وهكذا تحول وقت تناول الطعام معهم إلى وقت متابعة وعقاب، فأرسل لي ابني الكبير رسالة يومًا يقول فيها: «أبي، كم نشتاق للجلوس معك وسماعك لأخبارنا وسماعنا لأخبارك، لكنك تملأ وقت رؤيتنا لك بالعتاب والسباب، فأرجوك لا تجعلني أكره تناول الطعام معك، فرجاء لا تجعله وقتًا للعتاب، بل اجعله وقتًا للقاء الأحباب»، ومن يومها أخذت عهدًا على نفسي ألا أعاتب على الطعام، وجعلته وقتًا للحب والحوار، وقررت أن أتفرغ في وقت آخر لمتابعة أبنائي وتقويم أخطائهم.

هل أبناؤك أحب إليك من الريموت كنترول؟

لسنين كثيرة عندما كنت أجلس لتناول الطعام، أتعمد أن يسكت الجميع، هذا لأنني أشاهد القنوات الإخبارية أثناء تناول الطعام، فوقتي محدود وثقافتي واسعة، هذا في وقت الغداء، أما في المساء وعلى العشاء فأشاهد البرامج الحوارية وأتابع الحوارات بجدية،

وهكذا انقسمت حياتي نصفين، نصف أقضيه خارج البيت في العمل والكفاح، والنصف الثاني أقضيه في البيت بين المشاهدة والانتباه، إلى إن حدث ما لم أكن أتوقعه، لقد أرسل لي ابني الصغير يومًا برسالة من تليفون والدته يقول لي فيها: «بابا، منذ سنين أتمنى أن تترك الريموت كنترول وتنظر لي عندما أكلمك، فهل تحقق لي تلك الأمنية؟»، لقد صدمتني تلك الرسالة، وجعلتني أفيق من الغيبوبة التلفزيونية التي كنت أعيش فيها، ومن يومها أصبح أبنائي أحب إلي من الريموت كنترول.

طفلي كيف يرجع ما سرق؟

عندما بلغ ابني ست سنوات، جلست معه يومًا أحدثه عن الحلال والحرام، وأحكي له قصصًا وحكايات عن الأمانة والسرقة، فوجدته يقول لي: «في يوم من الأيام أخذت بسكويتًا من السوبر ماركت دون أن يشعر بي أحد، وأكلته دون أن أخبرك أيامها بشيء، كان هذا من فترة طويلة»، فضممته نحو صدري وقلت له: «إن الله يحبك لأنه جعلك تتذكر الخطأ الذي فعلته حتى تصلحه في الدنيا»، ثم جعلته يأخذ ثمن البسكويت ويذهب به إلى السوبر ماركت، ويترك تلك النقود هناك دون أن يشعر به أحد، حتى يجدها صاحب المكان فيأخذها تعويضًا عن ثمن البسكويت، وكم عاد سعيدًا بما فعل فشكرته وكافأته.

ضربتها.. فمسحت العرق عن وجهي:

كنت أضرب ابنتي، وفجأة امتدت يدها نحو وجهي، وتجمدت الدماء في عروقي، هل تحاول لطمي على خدي كما فعلت معها، وكانت المفاجأة أنها - وبكل لطف - أخذت تمسح العرق عن وجهي، ومن يومها عادت لي الأمومة التي ضاعت مني في زحمة الحياة، ومن يومها لم أضربها، فهي حبيبتي وقرة عيني.

تقدمت نحوه من شدة الغضب.. وحضنته:

كنت في هايبر ماركت في الإسكندرية مع أبنائي الثلاثة، وأعطيت ابني الأول (٧

سنوات) كيسًا ليحمله، وكذلك فعلت مع أخيه الثاني (٤ سنوات ونصف) ليساعداني في حمل الأغراض، وانطلقنا عائدين، وبينما نحن جالسون ننتظر على محطة الترام، أعطاني الولد الثاني كيسه بما فيه من بضائع، وظل الكبير يحتفظ بالكيس معه، وعندما ركبنا الترام فوجئت بابني الكبير يسألني في لهفة: «أين الكيس الذي كان معي؟ أنا لا أجده»، فنظرت على المحطة حيث كنا جالسين فلم أجد شيئًا، نزلت في المحطة التالية ودخلت عربة الرجال وسألت عن الكيس - لأن ما كان بداخله مهم جدًّا - فلم أجده، وتيقنت ساعتها أن الكيس قد ضاع، فماذا فعلت مع ابني لحظتها؟ في غضب شديد تقدمت نحوه وقلت: «قدر الله وما شاء فعل»، وحضنته، فبكى بحرارة، وعندما نزلنا من الترام أعطيته كيسًا آخر مليئًا بالبضائع وقلت له: أنا واثقة أنك رجل ولن تضيعه، فقال لي: شكرًا يا ماما.

أبي.. اترك الغضب خارج المنزل:

دخلت منزلي يومًا وأنا غضبان، وأخذت أصيح بهذه البنت وأصرخ في ذاك الولد، دون سبب، فإذا بابنتي الصغيرة (٥ سنوات) تقول لي: «بابا، انظر من أغضبك بالخارج واترك الغضب هناك، لا تدخل علينا غضبان، اترك غضبك في الشارع»، فأوقفتني كلماتها مع نفسي وقررت من يومها أن أترك الغضب والحزن خارج البيت قبل أن أدخل على أبنائي وأحبابي، وأصبحت قبل أن أدخل البيت أقف على الباب دقيقة، آخذ فيها نفسًا عميقًا وأقول: يا رب، أنت تعلم أنني قادم تعبان جدًّا ولا أكاد أرى أمامي، لكن المساكين بالداخل ليس لهم أب غيري، فيا رب قويني»، ثم أتنفس بعمق، وأترك الغضب على الباب، وأدخل البيت بحب.

لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرًا:

ابني الأوسط عندما ولدته، كان مريضًا جدًّا وشكله غير طبيعي مقارنة بأخيه الأكبر، فحدثتني نفسي ليته لم يأتِ، ومرت السنوات، وعندما كبر هذا الابن الحبيب كان هو أصلح إخوته وأكثرهم التزامًا وأجلهم شكلًا وأكثرهم اجتهادًا وتفوقًا والحمد لله، فنصيحتي لا تتسرعي في الحكم على أولادك فإنك لا تدري أيهم أقرب لك نفعًا.

أبي لا تتسرع فقد أكون مظلومًا:

كنت في العمل ذات يوم وجاءني اتصال من مدرسة ابني أن احضر فورًا لأن ابنك قد ضرب زميلا له، وقد أصابه في عينه لدرجة أنه لا يرى بها، فذهبت إلى المدرسة مسرعًا، وتوجهت نحو فصل ابني وتفحصت عين التلميذ المضروب، وسألته عما يراه، فبكى وقال: لا أرى شيئًا، فضربت ابني أمام الجميع، وبعد محاولات من ابني لتوضيح موقفه، اتضح أن هذا الولد يمثل وقد استطاع بموهبته (الفاسدة) أن يوهمني أن ابني تسبب في فقدانه الرؤية، فحزنت حزنًا شديدًا وقمت على الفور بأخذ ابني معي خارج المدرسة، وتوجهت نحو البيت واعتذرت له، وما زال في القلب مرارة وحزنًا كلما تذكرت كيف أنني تسرعت وكسرت ابني أمام زملائه ظلمًا وعدوانًا، سامحني الله تعالى.

هل أنا حقًّا أعزّ الناس؟

كنت كثيرًا ما أعاقب ابنتي بشدة خوفًا عليها، وذات يوم حدث موقف منها أغضبني، فقسوت عليها وعاقبتها وأخذت منها الموبايل الخاص بها، وجلست وحدي أقلب في أسماء من سجلتهم عليه، ومن يتصلون بها ومن تتصل بهم، وكانت المفاجأة أنها سجلت رقمي باسم «أعز الناس»، فوقفت مع نفسي وقلت: كيف أكون عندها أعز الناس وأفعل معها ما فعلته، ومن يومها أعاملها بما ينبغي أن يتعامل به معها أعز الناس.

وخرج طفلي مجاهدًا بماله وبنفسه:

هذا موقف مضحك حدث من ابني في سن السادسة، قلت له يومًا حديث النبي ﷺ: «ورجل خرج مجاهدًا بماله ونفسه فلم يرجع بشيء...»، ثم أعطيته جنيهًا واحدًا وقلت له: أنفق نصفه (خمسين قرشًا) وأعد لي نصفه (خمسين قرشًا)؛ حتى لا تكون من المبذرين... وعاد إلي البيت بعد فترة من الزمن وقد أنفق الجنيه كله، وقال لي عندما سألته: أين الباقي من الجنيه؟ فقال لي: افرح يا بابا، فقلت: لماذا؟ فقال: ألا تذكر الحديث «ورجل خرج مجاهدًا بماله ونفسه فلم يرجع بشيء...»، لقد فقدت المال ورجعت لك بنفسي.

يوم السور.. رجعت منصورًا:

عندما كان ابني في المرحلة الابتدائية من التعليم الأزهري، كان دائمًا ينسى كتبه داخل الفصل ويعود إلى البيت بدونها، حاولت معه بشتى السبل ألا ينسى كتبه وأغراضه هناك، فلم ينفع معه علاج، وهداني الله يومًا لفكرة، فانتظرته حتى عاد من المدرسة - كعادته - بدون كتبه، ولما تأكدت أنه تركها هناك، قلت له: أريدك معي في مشوار خارج البيت، وأخذته معي وأنا صامت تمامًا وتوجهت نحو مدرسته، وهناك قلت له: هيا أحضر كتبك، فنظر نحوي باستغراب وأشار نحو باب المدرسة المغلق.. فقلت له: «اقفز من على السور أو تصرف المهم لن نعود بلا كتب»، وبالفعل قفز من على السور بعدما نادى على الحارس كثيرًا، وفي النهاية أحضر كتبه، ومن يومها أصبح لا ينسى كتبه في المدرسة أبدًا، وكلما تذكرنا ذلك الموقف ضحكنا كثيرًا، حتى إنه أصبح بيننا كلمة سر وهي: "يوم السور.. رجعت منصورًا"، كان هذا منذ سنين ولا زال حيًا في ذاكرتنا كأنه بالأمس.

في نهار رمضان لماذا تفطرين يا أمي؟

عندما كانت ابنتي الكبرى في الصف الأول الإعدادي؛ تعمدت أن أتناول الطعام أمامها يومًا في نهار رمضان وذلك أثناء فترة العادة الشهرية، وطبعًا سألتني: هل أنت ناسية يا ماما؟ فقلت لها: لا أنا مفطرة، فقالت: «مستحيل، أكيد أنت تعبانة»، فاستغللت الحدث وشرحت لها بلوغ الفتاة وعلاماته، وطريقة الغسل والطهارة ببساطة، وقلت لها: لا تحكي ما حدث بيننا لإخوتك الصغار، فأنت كبرت وهم ما زالوا صغارًا، فسعدت جدًا بهذه الثقة، ومن يومها بدأت تخصني بأسراره، ومر حدث بلوغها بسلام وأمان.

ابنتي.. ورمضان الحمد:

كانت إحدى بناتي في الثانوية العامة، وكانت تذاكر خلال شهر رمضان وتسأل الله تعالى أن يكرمها بمجموع جيد يفرح والديها ويحقق حلمها، وكانت تتمنى أن تدخل كلية الطب، ومر ذلك العام ونجحت بتفوق، وأكرمها الله تعالى بمجموع أسعدنا جميعًا وسمح

لها بدخول كلية الطب، وجاء شهر رمضان التالي فقلت لها: «في رمضان الماضي كنت تخافين وتسألين الله التوفيق، وقد حدث بفضل الله تعالى ما تمنيت، فما رأيك أن نجعل رمضان هذا العام شهر الحمد؟»، فرحت ابنتي بالفكرة كثيرًا، وبدأت فورًا في التنفيذ، وذلك بأن قبلت يدي من باب الشكر والحمد.

كيف يحفظ القرآن وهو فرحان؟

كل الآباء يريدون لأبنائهم أن يحفظوا القرآن الكريم، ويسلكون في سبيل ذلك طرقًا شتى، ومن شدة حرص الوالدين على حفظ أبنائهم لكتاب الله، قد يلجئون إلى الضرب والتعنيف، لدرجة قد يهرب معها الطفل من مكتب التحفيظ ويكره الشيخ الذي يحفظ معه، حتى وإن حفظ بتلك الطريقة فإنه سريعًا ما ينسى، لأنه لم يحفظ بحب، والسؤال الآن: **ماذا تفعل حتى يحفظ ابنك القرآن وهو فرحان؟**

يقول أحد الآباء: كان ابني كثيرًا ما يتهرب من الذهاب إلى مكتب تحفيظ القرآن بسبب غلظة الشيخ، وطبعًا كان الشيخ يضربه كثيرًا لأنه لا يحفظ، وبدلا من الشيخ جربت معه خمسة شيوخ، كل هذا بلا نتيجة، والهروب من الحفظ يزداد يومًا بعد يوم، فهداني الله تعالى لفكرة مبدعة والحمد لله، فاشتريت دراجتين واحدة له والأخرى لي، واتفقنا على أن نخرج يوميًّا لمدة ساعة معًا كل على دراجته لنسير بين الحقول، وفي تلك الساعة بدأنا نحفظ القرآن معًا، والله خلال سنتين حفظ ابني القرآن الكريم كاملا، نعم ختم القرآن معي على الدراجة.

يقول أب آخر: اكتشفت أن ابني الحبيب عمر - حفظه الله - يحب ألعاب الكمبيوتر بصورة مفزعة، بدأت تلك العلاقة بينهما عندما بلغ من العمر ثلاثة أعوام، وكنا حينها نحفظ القرآن معًا، واكتشفت أنه يحفظ معي ثلث أو نصف ساعة بصعوبة، بينما يجلس مع صديقه الكمبيوتر ثلاث ساعات، فقلت: لماذا يأخذه الكمبيوتر مني، سأجلس مع صديقه

هذا لأعرف كيف يأخذه مني؟ وبالفعل جلسنا نلعب معًا، وهنا هداني الله لفكرة مبدعة، فقد جربت أن أغلق صوت اللعبة التي نلعبها وأجعل صوت الشيخ الحُصري - رحمه الله - في الخلفية يقرأ السورة التي نحفظ فيها، ونجحت الفكرة كثيرًا، بدأت تلك الفكرة منذ ثلاث سنوات وحتى يومنا هذا، وجربها غيري وأتت بثمار طيبة، وشكرًا لصديقنا الكمبيوتر.

ويقول أب آخر: كان ابني يتعبني كثيرًا في حفظ القرآن، وبدأ يكره وقت مراجعتي له، فقلت له: تعال نلعب رست (نمسك يد بعضنا ونثبتها في الوضع القائم ويحاول كل منا إنزال يد الآخر على الأرض)، وقلت له: من يغلب وينزل يد الآخر، هو من يستمع القرآن، فكنت أحاول جعله يربح حتى يسمع لي ما حفظ، وكان هو يحاول جعلي أكسب حتى لا يستمع، ومع مزيد من الألعاب والأفكار هداه الله وبدأ يستمتع بحفظ القرآن، لأن وقت تسميعه وحفظه أصبح ممتعًا.

يقول احد الآباء: عندما كان سن عمر ابني أربع سنوات، التحق بالكتاب ليحفظ القرآن، ذهب عند مربية فاضلة ليحفظ عندها، ولكي أشجعه وأشعره بحلاوة حفظ القرآن، كنت في كل ليلة أحكي له حدوتة قبل النوم، لم تكن حدوتة عادية، إذ كانت تدور حول فرحان الذي يحفظ القرآن، وفرحان هذا ولد مضحك لا يحفظ، ويكون دور عمر أثناء الحدوتة أن يصحح ما يقع فيه فرحان من أخطاء أثناء تلاوته لما حفظه اليوم في الكتاب، وفي كل يوم كنت أترك لعمر فرصة أن يختار اسم الشيخ الذي سيذهب إليه فرحان اليوم، كان هدف الحدوتة مراجعة ما حفظه عمر في جو مرح جميل، كانت الحدوتة تبدأ بقول فرحان في دلع ومرح: أنا فرحان (فلحان)، يحفظ قرآن (قلآن)، قرآن كريم، عند الشيخ (ما يختاره عمر من أسماء مضحكة)، وتبدأ الحكاية وتستغرق تقريبًا ربع الساعة، يراجع خلالها عمر مع فرحان ما حفظه ويصحح له أخطاءه، بل ربما يخاطبه فرحان ويحفظ معه آيات جديدة... لقد طبقت تلك الفكرة مع عمر لمدة عامين دون انقطاع، ولما كبر في سنه فكرت له في طرق أخرى تناسب مرحلته العمرية الجديدة.

الأب الناجح وقصة الصباح:

يوميًا أبدأ قبل ذهابي إلى صلاة الفجر بإيقاظ أبنائي بعد أن أكون قد جهزت لهم الماء الساخن للوضوء، ثم أبدأ بإيقاظهم بالأغاني والأناشيد والمناداة عليهم بأسماء غير أسمائهم الحقيقية، يعني أحمد أناديه صخر، وسلسبيل أناديها غزالة وهكذا، ثم أتركهم مع زوجتي لأداء صلاة الفجر ولما أعود من المسجد يكون برنامجنا علبًا يتكون من: قصة الصباح والأذكار وتجهيزهم للمدرسة، وأظل معهم حتى موعد ذهابي للعمل، وعندما أقوم بارتداء ملابسي فكل واحد منهم يحضر لي شيئًا من أغراضي (القميص – البنطلون – الجورب – الحذاء – فرشاة الشعر...)، وهذا حالنا منذ سنين.

وقتلت ابني في المنام:

تقول إحدى الأمهات: شاهدت ابني وأنا أقتله بيدي، كنت أنهال عليه ضربًا في منامي إلى أن مات بين يدي، وهذا نتيجة انشغال أبيه عنا طوال اليوم وضغطي النفسي، فقمت من منامي وأنا أصرخ وأبكي بكاء شديدًا، وذهبت إلى ابني فحضنته وقبلته، وحكيت لزوجي ما حدث، وفوجئت به يضحك ويبكي في الوقت نفسه، ومن يومها تغير حالنا جميعًا نحو الأفضل.

أبنائي.. وكراسة النعم:

جلست أنا وأولادي يومًا نتذاكر نعم الله علينا، وفكرنا لماذا لا نحضر كراسة نسميها «كراسة النعم»، ونسجل في كل صفحة نعمة من نعم الله علينا، وماذا نفعل لو كان الله تعالى قد ابتلانا بفقدها، وكيف نساعد من ابتلاه الله بفقدها، وكيف نشكر الله عليها، والله لقد أثمرت تلك الفكرة ثمرات كبيرة منها الرضا والشكر والسعادة، نفذنا تلك الفكرة معًا لمدة ثلاثة أعوام، بعدها كبر الأبناء وانشغلوا هنا وهناك، لكن كل واحد منهم لا زال يحتفظ بكراسته، وربما يضيف إليها، وفي وقت الأزمات والإحباط يفتحها ويقرأ فيها، فتعطيه الأمل والهدوء وربما السعادة.

معقول يا بابا؟!

ابني عمره عشرون عامًا، دخلت عليه يومًا حجرته فوجدته نائمًا؛ فقبّلته في جبينه، فقام من نومه وانتبه لما فعلته معه وقال لي: «معقول يا بابا، أنا لا أصدق». لا تتخيل مدى سعادته بما فعلت معه، وكان هذا سببًا في تجديد الحب بيننا والود والحوار بيننا.

وصارت ابنتي إمام أمها :

كانت ابنتي الكبرى (١١ سنة) تعاني من مشكلة في أداء الصلوات، لم تكن منتظمة في أدائها، فكان الحلّ أن أجعلها إمامًا لي في الصلاة، وقد اكتشفت من خلال هذه الفكرة أن ابنتي لا تعرف كيف تصلي جيدًا، فكان من حسنات هذه الطريقة أن ابنتي تعلمت معي فقه الوضوء والصلاة بصورة جيدة.

هل أنت راضية عني يا ابنتي؟

الطبيعي أن تجد كثيرًا من الآباء يبدون رأيهم فيما يخص الأبناء، ويطلقون عليهم الأحكام وينعتونهم بكثير من الأوصاف، ومن غير الطبيعي أن تجد أبًا (أو أمًا) يهتم بسماع رأي الأبناء في آبائهم..

وهناك طرفة تقول: أراد المسئولون عن الطاقة في الأمم المتحدة أن يعرفوا رأي الناس في انقطاع الكهرباء، فاختاروا ثلاثة أماكن ليسألوا الناس بها عن ذلك، فسألوا الناس في إفريقيا: ما رأيكم في انقطاع الكهرباء.

فأجابوا جميعًا: وما معنى كهرباء؟ لأنهم لم يروها من قبل، فانطلقوا إلى أمريكا وسألوا الناس: ما رأيكم في انقطاع الكهرباء؟ فقالوا جميعًا: ما معنى انقطاع؟ هذا لأنهم لم يروها تنقطع من قبل، وفي النهاية ذهبوا إلى الوطن العربي وسألوا الناس: ما رأيكم في انقطاع الكهرباء؟ فقالوا: وما معنى ما رأيكم؟ هذا لأن أحدا لم يسألهم من قبل ما رأيكم،

إنهم تربوا في بيوتهم على اسمع واسكت، لا تعارض، عندما يتكلم الكبار اسمع نفذ، نفذ ثم تظلم...

ومن هذا المنطلق جلست مع ابنتي يومًا وقلت لها: ما رأيك في أمك؟ هل أنت راضية عني؟ فقالت: أنا فخورة بك يا ماما.

ابني ورسومات الأم المتوحشة:

عندما كان ابني في الصف السادس الابتدائي (١٢ سنة)، ضربته يومًا ضربًا مبرحًا لم يتعود عليه مني قبل ذلك، وهو بطبعه رقيق وحساس جدًّا، فتأثر كثيرًا بما فعلته معه، وكتم الحزن في داخله، وبعد عدة أيام وجدته يرسم عدة صور، فتأملتها فكانت كالتالي: في الرسم الأول تظهر امرأة وبجوارها رجل يضربها بالعصا، وفي الرسم الثاني امرأة يشنقها رجل، وفي الرسم الثالث امرأة نائمة على الأرض، ففهمت فورًا أنه يرسمني أنا، ويخرج شحنات الغضب مني في هذه الرسومات، هو يتمنى أن يفعل بي ما رسمه في الصور، لقد كانت هذه الرسومات رسالة من الله تعالى؛ ومن ساعتها قللت من العنف وحل الحب مكان الضرب، ولا زلت أراقب رسوماته لأرى كيف سيرى أمه الجديدة.

ابني ورسومات الروضة:

كان ابني خالد ذو الخمس سنوات يذهب إلى الروضة بسلام، وفي تلك الأثناء رزقنا الله بأخيه محمد، فانشغلنا به والسهر معه ورعايته، وبعد شهور من قدوم المولود الجديد، فوجئت باتصال من مدرسة خالد تطلب مقابلتي بشدة، وهناك أحزنني ما رأيت، لقد وضعت تلك المدرسة كراسة في الفصل للرسم الحر، فكان خالد ممن يحبون الرسم، فرسم عدة صور لأسرته، في الصورة الأولى يظهر أب وأم ومعهما طفل كبير، وفي الرسم الثاني بدأ الطفل يبتعد قليلًا عن والديه ويظهر طفل رضيع تحمله الأم، وفي الصورة الثالثة بدأ الطفل الأكبر يبتعد كثيرًا، وفي الرسم الرابع لم يرسم الطفل الكبير، ألغاه من واقع الصورة وبقي الوالدان والطفل الأصغر، هكذا عبر ابني عن حرمانه من

الحب والحنان، وقد كان صادقًا فيما أحس به، ومن يومها أصلحنا ما أفسدناه في الشهور الماضية، والحمد لله.

لو رأى النبي ﷺ أمك ما قال هذا الحديث!

ابنتي الكبرى مسالمة طيبة، وابنتي الثانية عاقلة مشاكسة، وفي كل خير، وذات يوم ضايقت المشاكسة أمها، فقالت لها البنت الطيبة بكل رقة: لماذا تفعلين ذلك، إن النبي ﷺ قال: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك»[1]، فقالت المشاكسة: الوضع في بيتنا مختلف، في بيتنا: أبوك ثم أبوك ثم أبوك ثم أمك (تقصد أمك في النهاية لو كان عندك وقت لها)، فانفعلت الطيبة وقالت: لا تقولي ذلك، فقالت المشاكسة: اسمعي ما سأقوله جيدًا: لو كان النبي ﷺ حيًا ورأى أمك وما تفعله بنا؛ ما قال هذا الحديث أبدًا.

ابني ولعبة النبي ﷺ

قرأت يومًا الحديث التالي: عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان: رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعًا حسنًا أو حسينًا، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ، وهو يقول ﷺ: حزقة حزقة أرق عين بقه، فيرقى الغلام فيضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال ﷺ: افتح فاك، ثم قبله، ثم قال ﷺ: اللهم من أحبه فإني أحبه»[2]... فقررت أن ألعب تلك اللعبة مع ابني عمر اقتداء برسول الله ﷺ، وقلت لعمر هيا نلعب لعبة ﷺ، وفعلت معه ما كان يفعله النبي ﷺ ففرح جدًا، وصارت من عاداتنا أن نلعب تلك اللعبة المباركة، بل كانت تمر الأيام ويقول لي: بابا، منذ مدة طويلة لم

---

(١) جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (أمك). قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك). قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك). قال: ثم من؟ قال: (ثم أبوك).

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٧٩، وقيه أبو مرزد ولم أجد من وثقه وبقية رجاله رجال الصحيح، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح ر ٣٤٨٦، والحزقة: الضعيف المتقارب الخطو من ضعفه، وقيل القصير العظيم البطن، فذكرها له على سبيل المداعبة والتأنيس له، وترق: بمعنى اصعد، وعين بقة: كناية عن صغر العين، ومن المعروف أن النبي ﷺ توفي والحسن ثماني سنوات والحسين سبع سنوات، فهذه اللعبة كانت ما قبل سبع أو ثماني سنوات.

نلعب لعبة ﷺ، وصرت كلما أحب مكافأته زدت له عددًا من لعبة النبي ﷺ، وهكذا زاد حبنا - عمليًا - نبينا الكريم ﷺ.

هذا ما لك عندي يا أبي:

لي ابن في العاشرة من عمره، وهو وحيد على ثلاث بنات جميعهن أكبر منه، كنت أقسو عليه ظانًا أن القسوة تصنع رجلًا، وذات يوم أغاظني سلوكه الطفولي، فقرصته في فخذه بقسوة، فبكى وانصرف بعيدًا عني، فخجلت من فعلتي وناديت عليه، فأتاني حزينًا، فأجلسته بجواري وقلت له: أحمد، اقرصني كما قرصتك، فرفض، فألححت عليه، فقبلني في خدي وقال: «هذا ما لك عندي أما أن أقرصك فلا»، فأحرجني سلوكه ونويت من يومها أن أكون الأب الذي يحبه.

فكرة قبل النوم:

من أجمل الأفكار التي أطبقها في بيتي؛ أنني عودت أولادي ألا ينام أحدنا وهناك من هو غضبان منه، ولذلك ترانا في كل ليلة ندور على بعضنا بسؤال واحد: هل أنت زعلان (غضبان - حزين) مني؟ هل هناك من أغضبته ولم يسامحني بعد؟ فلا ينام أحدنا إلا والجميع مسامحه، ولهذا فالكل في بيتنا لا ينام حزينًا أبدًا، وهذا يبث الحب بيننا ويزيده، اللهم تقبل وثبتنا على فعل الخيرات الأسرية.

أنا فخور بك يا أبي؟

أنا أب مشغول جدًا، وذات يوم جلست ألعب مع ابني بعض اللعاب الإلكترونية، ففرح بذلك جدًا، وعندما انتهينا من اللعب قال لي: «أنا فخور بك يا بابا»، هذا فقط لأنني لعبت معه لفترة قصيرة، يا لك من ابن طيب يسعدك من أبيك القليل، أحسست ساعتها أنني أنا المحروم من الجلوس والاستمتاع بالحياة معه، فطفولة ابني لن تتكرر في حياته ثانية، وفرصة اللعب والمرح معه لن تتكرر كثيرًا، ومن يومها قررت أن أوفر وقتًا لأستمتع فيه بالحياة مع أبنائي.

ماذا أحضرت لنا يا بابا؟

هذا سؤال يتعرض له كل الآباء عندما يعودون من الخارج، وهذه هي عادة الأطفال في بلاد كثيرة، فالطفل يعلم أن أباه مصدر سعادته، لذلك لن يعود من الخارج خالي اليدين، فلن يدخل أبوه إلا والسعادة تأتي معه، ولمن يفعل ذلك من الآباء ثواب كبير، روى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل (إن عاش كفى، و إن مات دخل الجنة)؛ رجل خرج غازيًا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل»[1]. ولقد قال العلماء في معنى «دخل بيته بسلام» يعني: دخل وسلم على أهل بيته وجاء معه السلام والأمن والطمأنينة والسعادة... والآن: كيف تدخل بيتك؟ وكيف يستقبلك أبناؤك؟ وكيف تتعامل مع سؤال ماذا أحضرت لنا؟

يقول أحد الآباء: أحرص دائمًا على حسن ملاقاة أولادي وأنا عائد إلى البيت بعد العمل، وكلمتهم الدائمة لي: «يا بابا هات لنا معك شيئًا حلوًا»، ولذلك أنا حريص دومًا على أن يكون في جيبي شيءٌ حلو مثل: النعناع، الحلويات البسيطة، والله من حبي لأولادي وحرصي على إسعادهم؛ أخرج من البيت ومعي الهدايا التي سأعود بها لهم حتى لا أنسى، وفي سيارتي دومًا تجد أصناف الهدايا مخبأة للطوارئ، وهذا لكي لا أدخل عليهم يومًا ويسألون عن الحلوى فلا يجدون[2]...

---

(١) صححه الألباني في صحيح أبي داود ح ٢٤٩٤.

(٢) رأيت بنفسي أحد الشيوخ (حوالي ٧٠ سنة) يحمل في جيبه الحلوى باستمرار، وناولني بعضًا منها، فقال لي أقاربه وهم يبتسمون ويمدون أيديهم نحوه: لا بد وأنت تأخذ من حلوى الشيخ، فأخذت وأخذوا، والله كم وجدتها جميلة، فقلت له: شيخنا، منذ كم تحمل هذه الحلوى في جيبك وتنفذ تلك العادة الطيبة، قال منذ ٤٠ سنة، لم يفارق كيس الحلوى جيبي، فقلت له: ومن علمك ذلك؟ قال: أبي، فنحن أصلنا من أسوان صعيد مصر، ثم تركنا المدينة نحو الوجه البحري وذلك في طفولتنا، فكان والدي يرسل الخطابات لأقاربنا هناك ويضع في الخطاب عشرة قروش ورقية، فكنت أقول له: لماذا تفعل ذلك، فقال لي: يا بني، إنها فرحة من سيفتح الخطاب، فتعلمت من يومها أنني حللت محل الفرحة، بارك الله فيك يا شيخنا وأحسن الله استقبالك في الآخرة كما أحسنت استقبالنا، وقبل أن أفارق الشيخ قلت لنفسي: هل آكل هذه الحلوى الجميلة ولا آخذ لعمر معي شيئًا منها، فطلبت من الشيخ بعضها، والله أعطاني كيسين كبيرين منها...

يقول أب آخر: كان وصية ابني الدائمة قبل خروجي من المنزل «لا تنس أن تحضر لي شيئًا جميلًا»، وكنت بفضل الله أحرص على أن أحضر له شيئًا يفرحه، وخاصة عندما أسافر ليوم كامل، وذات مساء عدت إلى البيت وقد نسيت أن أحضر له شيئًا، وتذكرت ذلك وأنا أصعد السلالم، ودعوت الله كثيرًا أن يساعدني في هذه الورطة، لقد وعدته ولا أريده أن يحزن، وأكرمني الله بفكرة جميلة، دخلت فاستقبلني ابني كالعادة قائلا: ماذا أحضرت لي يا بابا؟ فقلت له: شيئًا جديدًا وجميلًا، فسأل: أين هو؟ فقلت له: لقد أحضرت لك «زغازيغ»، وبدأت أدغدغه في أماكن تجعله يغير، وهو يضحك بشدة وسعادة، لقد كانت هديتي له هي تلك اللعبة الجميلة، ومن يومها بدأت اللعب والأفكار هي التي أحضرها لطفلي أكثر من الأشياء والحلويات، وكم أعجبته تلك الطريقة.

يا أمي لقد قلت لي يومًا.. إنك فاشل:

عندما كان ابني في بداية التحاقه بالروضة في سن أربع سنوات، كان يرفض الذهاب ويتهرب من فعل واجبات الروضة (الحضانة) البسيطة، فعل ذلك في مستوى (K G 1)، فقلت له حينها بغضب: «إنك لن تكون متفوقًا وستكون سيئًا»، وبعد مرور عامين دخل ابني هذا الصف الأول الابتدائي، وذات يوم كنت أذاكر معه فشجعته قائلة: «أنت ستكون متفوقًا وممتازًا»، فقال لي: «ولكنك قلت لي يومًا غير ذلك»، وذكّرني بما قلته له منذ عامين وهو في الروضة (الحضانة)، فقلت له: مؤكد أنا كنت غضبى وقتها لكنك اليوم تحسنت، ثم رجعت إلى نفسي وحزنت جدًا على ما قلته له يومًا ولم ألق له بالا، ومن يومها أحاسب جدًا في كلماتي معه، لقد عرفت من تلك التجربة قيمة قوله ﷺ فيما رواه البخاري: - «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم»، وفي رواية الترمذي التي صححها الألباني: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه»...، فقد

يقول الأب أو الأم كلمة تحطم طفلها وتدمره مدى الحياة، مثل كلمات: غبي فاشل، وتخيل حجم المصيبة التي تحل بابنك لو صدق كلامك وأيقن أنه غبي أو فاشل.

كيف نجا ابني من حادث الاختطاف:

ذات يوم تعرض ابني لحادث اختطاف، لكن الله تعالى - بفضله وكرمه - نجّاه، وعندما جلس ابني الحبيب معنا ليحكي لنا مغامرته وملابسات الحادث؛ أدركت أن الله تعالى نجاه بمعجزة، كنت أجلس مذهولة وهو يحكي، وفجأة تذكرت أننا أثناء خروجنا صباحًا إلى المدرسة كنا نردد معًا أذكار الصباح، فقاطعت حديثه قائلة: ألا تتذكر أنك قلت الأذكار معي صباحًا في طريقنا إلى المدرسة؟ فقال: نعم، فقلت: والله لقد حفظك الله بسببها ولا شيء سوى ذلك، وحمدت الله تعالى، ومن يومها أصبح للأذكار في حياته وحياتنا منزلة عظيمة.

ليس المهم هو الحلق.. المهم هو الخُلُق:

عندما كانت ابنتي صغيرة في المرحلة الابتدائية، ضاع منها الحلق الذهب الخاص بها، وكذبت عليّ وأخفت عني خبر ضياعه بألوان شتى من الحيل، وفي النهاية ظهرت الحقيقة، واكتشفت أنه قد ضاع منها، فجلست معها وقلت لها: «يا ابنتي، ليس المهم هو الحلق، لكن المهم هو الخلق، إن ضياع الخلق لم يجزني، فهو سهل التعويض إن شاء الله، أما ضياع الصدق منك ولجوؤك إلى الكذب هو المشكلة»، ومن يومها أصبح الصدق هو مفتاح التعامل بيننا، ومرت السنوات والتحقت ابنتي بالجامعة، وما زالت تتذكر ما قلته لها وتذكرني به كثيرًا، «ليس المهم الحلق إنما المهم هو الخلق»، لم أكن أن أتخيل أن ما قلته لها منذ سنين سيبقى في ذاكرتها حيًّا طوال تلك الفترة، لكنني قلته يومها بقلب صاف صادق حنون.

كلمة السرّ التي أكسبتني احترام زوجي:

كان زوجي يراني دائمًا على قدر أقل من المطلوب في تربية أبنائنا، وذات ليلة سهر الولدان (٤ سنوات وسنة) إلى وقت متأخر جدًّا، فقرر زوجي أن نطفئ كل الأنوار فورًا،

ونترك الولد الكبير (٤ سنوات) في حجرته لينام، وندخل نحن غرفتنا لننام ونطفئ كل الأنوار، وفي حجرتنا سمعنا الولد يبكي بلا انقطاع، فذهب إليه أبوه وسأله: لماذا تبكي؟ فقال: لأنني أريد أن أقول لماما كلمة سرّ، فأدخله زوجي الحجرة عندي، وأقبل ابني نحوي وهمس في أذني «أنا بحبك يا ماما» وهدأ فورًا وذهب ونام خلال دقائق، فاستغرب زوجي مما حدث وسأل: ما هي كلمة السر؟ فأخبرته بما قاله ابني الحبيب، فحزن زوجي كثيرًا وقال: لماذا لم يقل لي أحبك مثلما قال لك؟ فقلت له: لأنني عودته كل ليلة قبل أن ينام أهمس في أذنه قائلة: «أريد أن أقول لك سرًّا.. بحبك جدًّا»، ومن يومها بدأ زوجي يحترم دوري التربوي مع أبنائي.

ابنتي الخائفة من يطمئن قلبها؟

كانت ابنتي في المرحلة الإعدادية تعاني من توتر وضيق شديدين، وكانت حالتها النفسية غير مرضية لدرجة أنها كانت تعاني من التبول اللاإرادي ليلا، وذات يوم جلست معها جلسة محبة بين أم وابنتها، وقلت لها صارحيني بما تعانين، فمهما كان سوف أقف بجوارك، فلما اطمأنت لي صارحتني بما في داخلها، فقالت: إنها تخاف من ربنا سبحانه؛ لأنها تكذب علينا وتخشى من عقاب الله تعالى لأنها لا تصلي كما نتصور بل هي تتظاهر أمامنا وفقط، كانت تحسب أن الله تعالى لن يغفر لها ولن يسامحها، فطمأنتها وفتحت لها أبواب الرحمة، وشرحت لها كيف يتوب الله تعالى على كل تائب صادق ويسامحه على كل ما فات، بل ربما يبدل سيئاته حسنات، وأخبرتها أن مكانتها بيننا لن تهتز أبدًا، وبعد جلسة المحبة تلك، تغير حال ابنتي، وتحسنت صلواتها، وهدأت نفسها، وودعت التوتر والضيق والبول اللاإرادي.

بكم تبيعون أباكم لنا؟

أنا أب أحاول الاقتداء بنبينا محمد ﷺ في تربية الأبناء، لذلك تجدني مع أولادي عطوفا رحيما أناديهم بأسماء الدلع وألعب معهم وآخذهم معي كلما سمحت الظروف، وهذا على عكس جاري هداه الله، فصوته دائمًا عالٍ، وصراخه في أبنائه لا يتوقف،

وضربه لهم لا ينقطع، وذات يوم قال لي أصغر أبنائي ٣ سنوات: إن أبناء الجيران يريدون أن يأخذوك ويعطونا أباهم ويعطونا نقودًا بدلا منك، لقد قالوا لي: بكم تبيع أباك؟ فقلت له: كم ستأخذ منهم؟ فقال وهو يحضنني: أنا لن أبيعك أبدًا يا بابا، بل إنه نادى على إخوته وقال: لا تلعبوا مع أولاد الجيران لأنهم يريدون شراء بابا منا، ثم التفت إلي سائلا: ماما من أين اشترتك يا بابا؟ فضحكنا جميعًا وقلت له: لماذا؟ فقال: حتى أقول لأبناء الجيران من أين يشترون أبًا مثلك.

من يضرب أبي.. سيخرج في رحلة على حسابي:

ذات يوم ضربت ابني الصغير بشدة، ولطمته على وجهه لسبب لا يستحق كل هذه القسوة، وبعد أن بكى كثيرًا، سكت وجلس يلعب، وظننت أن المسألة قد انتهت وأنه قد نسي، وبعدها بساعات جلس ابني هذا مع أمه وخاله فقال لهم فجأة: «لو قام أحدكم بضرب أبي» قلمين على وجهه «فسوف أكافئه برحلة على حسابي»، فلما بلغني الخبر جلست مع نفسي حزينًا وقررت أن أتغير.

هل وعدت ابنتك يومًا.. ولم توفِ بوعدك؟

كنت كلما طلبت ابنتي مني شيئًا أعدها قائلة: «إن شاء الله»، وكنت كثيرًا ما أخلف وعودي معها وأنسى طلباتها، فقالت لي يومًا: «ماما، من اليوم لا تقولي لي: إن شاء الله، لأنك كلما طلبت منك شيئًا تقولين إن شاء الله ولا تنفذيه، لقد جعلتني أكره تلك الكلمات الطيبة، سامحك الله يا أمي».

وفي المدينة المنورة فتحت الحقيبة

سافرت لأداء العمرة أنا وزوجي، وودعت أبنائي وتركتهم عند جدتهم في أمان وسلام، ووعدتهم بالدعاء وأجمل الهدايا، وعند وصولنا إلى المدينة المنورة فتحت حقيبتي لأخرج ما فيها، فوجدت ابنتي الوسطى «٨ سنوات» قد وضعت لي رسالة في داخل الحقيبة، لقد خبأتها تحت الملابس وكتبت فيها: «أنا أحبك جدًا يا ماما أنت وبابا،

سأفتقدك»، والله من قبل تلك اللحظة لم أكن أهتم بها كما ينبغي، كانت ضائعة بين أختها الكبرى التي أخذت حظها من الرعاية، وأختها الصغرى التي أخذت حظها من التدليل، ومن يومها تغير الحال وأصبحنا صديقتين.

أوقف سائق التاكسي ليسأله كم الساعة:

ابني الحبيب (١٥ سنة) له تصرفات مستفزة وغريبة كعادة الشباب في مثل سنه، ومن مواقفه التي لا أنساها، أنه ذات مرة أشار بيده لسائق تاكسي ليقف له، وكان الطريق مزدحمًا وسيارات التاكسي قليلة، وبمرور الوقت توقفت له أحد السيارات، وسأله السائق: إلى أين؟ فما كان من ابني – هداه الله – إلا أنه قال للسائق: لقد أوقفتك حتى أسألك كم الساعة معك؟ نعم لقد أوقف التاكسي ليسأل سائقه كم الساعة، وكادت مشكلة كبيرة تحدث بينه وبين السائق لولا لطف الله تعالى، كم أتمنى أن تمر تلك المرحلة بسلام، وحتى يحدث ذلك أتحلى بالصبر الجميل، لكن لي سؤال: لماذا فعل ابني ذلك؟ ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني وفعل ابنك مثلما فعل ابني؟

من الإذاعة المدرسية إلى الإمامة المسجدية:

أذكر أول مرة خرج ابني فيها إلى المسجد لإمامة الناس في الصلاة، كان عمره وقتها عشر سنوات، وكنت أصلي خلفه مع النساء وأنا أبكي قائلة: «الحمد لله، الشجرة بدأت تؤتي ثمارها»، كان يقرأ يومها بسورة الرحمن، وبمرور السنوات بدأ يصعد المنبر ليخطب الجمعة، واليوم أسمع خطبة الجمعة منه وأحللها معه وأناقشه فيها، وأحمد الله أن جعلني سببًا في تعلمه الخطابة وقوة الشخصية وحبه للعلم الشرعي، فقد كنت أحرص دومًا على أن يشارك في الإذاعة المدرسية منذ طفولته الأولى، وخلال مرور ابني هذا بمرحلة المراهقة شككت أنه يمارس العادة السرية، فقمت بجمع الكتب وتجميع محاضرة كاملة عن أضرار هذه العادة دينيًا وطبيًا، وقدمتها له قائلة: «أعلم أن هناك من زملائك في المدرسة من يفعل هذه العادة، وأنت لا يمكن أن تكون مثلهم، ولا بد أن تعلمهم وتكون قائدهم إلى الخير»، فقام بإلقاء المحاضرة على زملائه في الفصل، هذا بعد أن علمته كيف يتناول

الموضوع معهم، وكيف يستعمل المؤثرات الحسية والعقلية والعاطفية، وبالفعل نجح حتى إن أحد المدرسين استمع إليه ومن شدة إعجابه طلب منه إلقائها على المرحلة الثانوية كلها في مدرسته، وبفضل الله امتنع هو عن هذه العادة، وقد أخبرني بهذا السر بعدها بسنين، وهو الآن في المرحلة الجامعية أسأل الله تعالى أن يحفظه وأن يديم عليه فضله وهدايته.

أنت يا أبي من جلب تلك المصيبة:

قلت لابني (ثماني سنوات) عند قدوم الدراسة: ارحمني يا بني فالمصاريف كثيرة، ارحمني في أخذ النقود مني، فقال لي: «أنت من أنجبني، أنت من أحضر لنفسه تلك المصيبة، ولا بد وأن تكمل طريقك معي للنهاية»، هذه الكلمات قالها لي وهو في الصف الثاني الابتدائي.

الشهوة الجنسية وفاتح الشهية:

اكتشفت يومًا أن ابني المراهق يشاهد فيلمًا إباحيًا، وأفزعني ما رأيت، لقد رأيته دون أن يراني فاحترت في أمري، هل أخبر أباه؟ أم أواجهه؟ أم ماذا أفعل؟ وهداني الله تعالى لفكرة جريئة فنفذتها على الفور، لقد توجهت نحوه في صباح اليوم التالي وكنا وحدنا فقلت له: يا بني، ما رأيك في إنسان جوعان ماذا يفعل حتى يشبع؟ قال: يشتري طعامًا ويأكله، فقلت له: وإذا لم يكن يملك المال فماذا يفعل؟ فصمت قليلا وبدأ يفهم رسالتي، فقلت له: فما رأيك في هذا الشخص الجوعان الذي لا يملك مالا إذا تناول فاتحًا للشهية أو جلس يشاهد من يأكلون أو جلس بجوار مطعم يشاهد الدجاج وهو يشوى؟ فقال: أكيد سيتعب نفسه أكثر وسيجوع أكثر، أكيد هو مجنون إذ كيف يتناول فاتحًا للشهية وهو لا يملك مالًا لشراء الطعام؟ فقلت له: أتراه مجنونًا يا بني؟ فقال: نعم، فقلت له: أنت تفعل مثل هذا المجنون يا بني، فقال: لماذا يا أمي؟ فقلت له: لأنك ترى ما يفتح شهيتك للنساء، فسكت خجلًا وحياء مني، فأكملت كلامي قائلة: يا بني أنت مجنون أكثر منه، فهو فتح شهيته لطعام لا يملك ثمنه، لكن ما فعله ليس بحرام مع أنه تصرف غير عاقل،

أما أنت ففتحت شهيتك بفعل حرام لا يتناسب مع قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾، أنا أعلم يا بني أن فيك خيرًا كثيرًا وأنك سوف تهزم الشيطان، وأنا على يقين أنك لن تفعلها ثانية، وستحافظ على شهيتك هادئة حتى تشبعها بالحلال إن شاء الله.

ابني علمني أربعين يومًا:

ذات يوم سمع ابني الصغير - وهو في المرحلة الابتدائية - من أحد مدرسيه حديث النبي ﷺ: «**من صلى أربعين يومًا الصلوات في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين: براءة من النفاق، وبراءة من النار**»[1]، وبدأ ابني الحبيب في السباق وتحدي شيطانه ليحضر تكبيرة الإحرام في كل الصلوات أربعين يومًا، وكان حريصًا جدًّا على الفوز، حتى إنه ذات يوم كان مع أمه عند الطبيب لعلاج والدته من مرض بسيط ألم بها، وجاء موعد صلاة الظهر وسمع الأذان، فترك والدته وظل يجري إلى المسجد حتى لحق بتكبيرة الإحرام، وظل مثابرًا مجتهدًا حتى وفقه الله لإتمام المهمة، لقد انتصر على شيطانه وجاهد نفسه رغم صغر سنه، وكان موقفه دافعًا لي شخصيًا في الحرص على تكبيرة الإحرام في المسجد، ومن يومها أصبحت أتنافس معه في الحفاظ على تكبيرة الإحرام في المسجد، أسأل الله تعالى أن يكتب لي معه ومع زوجتي وأولادي براءتين: براءة من النفاق وبراءة من النار، اللهم آمين.

أبنائي الثلاثة ولغز الزجاج المكسور:

ذات يوم منعت أولادي الثلاثة (٢ إعدادي- ٦ إبتدائي - ٤ إبتدائي) من اللعب بالكرة داخل الشقة لأنهم كسروا المصباح (اللمبة) بالكرة، وارتفع صوتي عليهم نهرًا

(١) الحديث أخرجه الغزالي في الإحياء وقال عنه الحافظ العراقي في التخريج رجال إسناده ثقات، وجاء في سنن الترمذي بلفظ: (من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق) الترمذي برقم ٢٤١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ح ر ٣٤١ والسلسلة الصحيحة ح ر ٢٦٥٢، وهذا الحديث ضعفه أيضًا جماعة من العلماء المتقدمين وأعلوه بالإرسال، وحسنه بعض المتأخرين. انظر تلخيص الحبير ٢/ ٢٧.

وتوبيخًا، وبعدها بأيام خرجت مع أمهم من البيت وتركتهم وحدهم فيه، فلعبوا بالكرة في البيت ثانية، وهذه المرة كسروا زجاج أحد الأبواب، فأحضروا أوراق جرائد ولصقوها فوق الزجاج المكسور، وأطفأوا نور الغرفة حتى لا أراها، ولما سمعوا صوت المفتاح في الباب واحسوا بقدومي، تظاهروا بالنوم، فلما دخلت البيت واكتشفت الخبر ورأيت الزجاج المكسور، مشيت نحوهم وهم نائمون ومختبئون تحت اللحاف، وتكلمت كلامًا فيه مزاح وضحك مما فعلوه (لا بد وأن الهواء كان قويًا لدرجة أنه كسر الزجاج، يبدو أن نوعه كان سيئًا فانكسر وحده)، فهبوا من تحت اللحاف في صوت واحد قائلين: الحمد لله.. خلاص.. أنت ضحكت.. والله لا تضربنا، نستحلفك بالله ألا تضربنا، فقلت لهم في هدوء لا أدري من أين جاءني: سامحتكم لكن آخر مرة، فقال كبيرهم لإخوته: ألم أقل لكم؟ ألم يكن كلامي صحيحًا؟ ما قلته لكم قد حدث.

فقلت لهم: ماذا قال لكم؟ وماذا فعلتم؟

قالوا: لما كسرنا الزجاج، قال لنا: بابا سيقتلنا من الضرب، بالأمس كسرنا المصباح (اللمبة) واليوم زجاج الباب، لكن عندي حل لكم، فقلنا: ما الحل؟ فقال: نتوضأ ونصلي ركعتين وندعو الله أن بابا لا يضربنا، وبالفعل توضأنا وصلينا ركعتين ودعونا الله.

فقلت لهم: هل فعلتم ذلك فعلا؟

قالوا: نعم.

فقلت لهم: والسعادة تغمرني وقد احتضنتهم فرحًا: أنا قد سامحتكم، وأعطيت كل واحد منهم مكافأة مادية مبلغًا من المال لأنهم لجأوا إلى الله بالصلاة والدعاء في أزمتهم، وهكذا تعلموا وعلموني معنى اللجوء إلى الله تعالى وقت الضيق.

سيسامحنا.. هكذا وجدناه:

لي ولدان سمعتهما يومًا يقولان لبعضهما وقد عصياني في أمر ما: بابا طيب، سوف يسامحنا.. هكذا وجدناه... ففرحت بكلامهم كثيرًا...والسؤال الآن: أنت كيف وجدك أبناؤك؟ وما رأيهم فيك؟

قبل أن يكره ابنك الصلاة:

لي ولد يبلغ من العمر اثنى عشر عامًا، كثيرًا ما ضربته على الصلاة وعنفته على تأخيرها، لم أشجعه كثيرًا على أدائها، ولم أستخدم معه المكافآت والتحفيز إلا نادرًا، وفي المقابل عاقبته كثيرًا على تركها، لدرجة أنه بدأ يربط الصلاة بالضرب واللوم والتعنيف، فالصلاة عنده = إكراه + ضرب + توبيخ + تعنيف + ترك لما يحب مشاهدته + السير نحو مكان يضربه فيه الكبار ويصرخون في وجهه إن أخطأ، وكانت النتيجة المفجعة أنه ذات يوم قال لأمه: «أنتم لا تعرفون سوى الضرب على الصلاة، والحل الوحيد الذي سيريحني أن أصبح نصرانيًا، فصلاتهم أسهل من صلاتنا»، كم صدمتنا كلماته وكنا نظنها كلامًا عابرًا، لكنه بدأ يبحث في النصرانية ويقرأ في الإنجيل، وأصبح طفلي على مفترق طرق، أي الصلاتين سيختار؟ وانتهزت الفرصة وبدأت معه رحلة البحث عن الحقيقة، عن الدين الصادق ومعانيه الجميلة، وانتهت رحلتنا بعد سنين بأن عرف معنى الصلاة وأدرك روحها وأصبح من الداعين لها، لقد كنت على وشك أن أفقد ابني بالعنف والضرب الدائمين، لكن الله أنقذني وإياه بالرفق، والسؤال الآن: هل نحرص كآباء على أن يحب أبناؤنا الصلاة؟ أم فقط نحرص على أن يؤدوا حركاتها ويتمتموا بشعائرها؟

صورة أبي هل تعوض غيابه؟

كان زوجي مرتبطًا بأولادنا جدًّا حنونًا عليهم رفيقًا بهم، وذات يوم سافر لأداء فريضة الحج وتركني مع الأولاد، وهنا بدأت مشاعر أبنائي تجاه والدهم تظهر، فالجميع يفتقده ويتذكر ما كان يفعله معه، كم كان البيت حزينًا بدونه، وكان من عادة زوجي قبل سفره أن يتناول الإفطار مع طفلنا الأوسط على سريره وفي حجرته، وبعد سفر زوجي فوجئت بطفلي هذا يحضر صورة والده، ويضعها بجوار سريره، وكل يوم صباحًا يتناول الإفطار على سريره ناظرًا إلى صورة والده ومتحدثًا معها، لقد وضع الصورة ليفطر معها تعويضًا عن والده المسافر، هكذا فعل الطفل المحب مع والده الغائب.

- سافر زوجي لثلاثة أيام إلى القاهرة، وابني الصغير يسأل عنه، ثم فاجأني بالسؤال التالي: هل أبي سوف يتركك لكي تربينا بمفردك؟ فشعرت بقيمة أبيه في حياتنا، ومن يومها تغيرت مقاييسي في التعامل مع أبيه.

- كنت أضرب ابني كثيرًا منذ طفولته، وذات يوم قال لي (وكان عمره ٦ سنوات): أتمنى لو أنني أبوك وأنت ابني، فقلت لماذا؟ قال: والله كنت سأربيك.
- تعرضت ابنتي أسماء لحادث سيارة ودخلت المستشفى، وعندما عاد إخوتها من المدرسة وعلموا الخبر حزنوا كثيرًا، وفجأة جمع ابني الأكبر (في الصف الخامس الابتدائي) إخوته وقال لهم: هيا نصلي ركعتين وندعو لأختنا أسماء، فشعرت عندها أن تربيتنا لن تضيع إن شاء الله.
- ظلت ابنتي الصغيرة ذات الأربع سنوات كلما جلست لأقرأ الورد القرآني اليومي، تأتي هي لتجلس في حجري وتسترخي أثناء التلاوة، وعندما نسيت يومًا أن أقرأ الورد؛ جاءتني ابنتي لتذكرني قائلة: ماما، هاتي المصحف واقرئي لأجلس في حجرك، فحمدت الله كثيرًا.
- ابني أغضبني ذات مرة، فاكتفيت بخصامه كعقاب لفترة من الزمن، فذهب إلى غرفته وقام بكتابة رسالة اعتذار لي، وجاء ووضعها بين يدي برفق وقال: «سامحيني»، وقرأت رسالته وبكيت، فالرسالة كانت عبارة عن شخبطة وخطوط وعلامات، فابني كان يومها لا يجيد القراءة والكتابة بعد، ولم يلتحق حتى بالحضانة، لقد كتب رسالة الاعتذار بقلبه ولم يكتبها بقلمه.

أين الضجيج العذب والشغب.. قصيدة أب:

أفضل شيء أختم به هذه الذكريات الجميلة التي صنعها الأبناء والبنات في قلوب

آبائهم وأمهاتهم، هي قصيدة الشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري[1] رحمه الله، والتي كتبها بمناسبة انه كان في إحدى مصايف لبنان (مصيف قرنايل) ومعه أطفاله وأسرته، فلما فتحت المدارس أبوابها في سوريا، سافرت الأسرة كلها إلى حلب حيث دراستهم، وبقي الشاعر وحده منزعجًا من وحشته فكانت هذه القصيدة الرائعة التي كتبها لما عاد للبيت الذي كان يقيم فيه مع أولاده، ورأى نفسه بعد رحيلهم وحيدًا بين بقايا ذكريات أولاده...

قصيدة أب

أين الضجيجُ العذبُ والشَّغَبُ؟ أين التَّدارسُ شابَهُ اللعبُ؟
أين الطفولة في توقُّدها؟ أين الدُّمى، في الأرض، والكتبُ؟
أين التَّشاكسُ دونما غَرَضٍ أين التشاكي ما له سببُ؟
أين التَّباكي والتَّضاحُكُ، في وقتٍ معًا، والحُزْنُ والطَّربُ؟
أين التسابق في مجاورتي شغفًا، إذا أكلوا وإن شربوا؟
يتزاحمون على مُجالَستي والقرب منِّي حيثما انقلبوا
يتوجهون بسوق فطرتهم نحوي إذا رهبوا وإن رغبوا
فنشيدهم «بابا» إذا فرحوا ووعيدهم «بابا» إذا غضبوا

---

(١) عمر بهاء الدين الأميري ولد في سنة ١٩١٨م في حلب بسوريا، درس الأدب وفقه اللغة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة السوربون في باريس، والحقوق في الجامعة السورية في دمشق، عمل في التدريس، ثم مارس المحاماة ثم سفيرًا لسوريا لدى الباكستان ثم المملكة العربية السعودية، دُعِيَ إلى المغرب عام ١٣٨٦هـ أستاذًا لكرسي «الإسلام والتيارات المعاصرة»، في دار الحديث الحسنية بالرباط، واستمر في العمل خمسة عشر عامًا، كما درّس الحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، دُعِيَ أستاذًا زائرًا ومحاضرًا في جامعات الرياض، والإمام محمد بن سعود الإسلامية، والملك فيصل، والملك عبد العزيز في السعودية، وجامعات الأزهر، والجزائر، والكويت، وصنعاء، وقطر، والجامعة الأردنية في عمان، وجامعة الإمارات العربية في العين، وعدد من الجامعات الإسلامية في باكستان، وتركيا، وأندونيسيا، من دواوينه الشعرية: مع الله - ألوان طيف - أب - أمي - من وحي فلسطين - أشراق وإشراق - ملحمة النصر - حجارة من سجيل - قلب ورب - رياحين الجنة - الزحف المقدس - نجاوى محمدية - أذان الفجر. توفي في الرياض ٢٢/ ١٠/ ١٤١٢هـ عن عمر ناهز الثالثة والسبعين.

وهتافهم «بابا» إذا ابتعدوا ... ونجيُّهمْ «بابا» إذا اقتربوا

بالأمس كانوا ملءَ منزلنا ... واليومَ -ويح اليومِ- قد ذهبوا

ذهبوا، أجل ذهبوا، ومسكنهمْ ... في القلب، ما شطّوا وما قَرُبوا

إني أراهم أينما التفتت ... نفسي، وقد سكنوا، وقد وثبوا

وأُحِسُّ في خَلَدي تلاعُبَهُمْ ... في الدار، ليس يناهم نصبُ

وبريق أعينهمْ إذا ظفروا ... ودموع حرقتهمْ إذا غُلبوا

في كلِّ ركنٍ منهمُ أثرٌ ... وبكل زاويةٍ لهم صَخَبُ

في النَّافذاتِ، زُجاجها حَطَموا ... في الحائطِ المدهونِ، قد ثقبوا

في البابِ، قد كسروا مزاجه ... وعليه قد رسموا وقد كتبوا

في الصَّحن فيه بعض ما أكلوا ... في علبة الحلوى التي نهبوا

في الشَّطر من تفّاحةٍ قضموا ... في فضلة الماء التي سكبوا

إنّي أراهم حيثما اتَّجهتْ ... عيني، كأسرابِ القَطا، سربوا

بالأمس في «قرنايلٍ» نزلوا ... واليومَ قدْ ضمتهمُ «حلبُ»

دمعي الذي كتَّمتُهُ جَلَدًا ... لَمّا تباكَوْا عندما ركبوا

حتى إذا ساروا وقد نزعوا ... منْ أضلعي قلبًا بهمْ يَجِبُ

ألفيتُني كالطفل عاطفةً ... فإذا به كالغيث ينسكبُ

قد يَعجبُ العُذَّالُ من رَجُلٍ ... يبكي، ولو لم أبكِ فالعَجَبُ

هيهات ما كلُّ البُكا خَوَرٌ ... إنّي - وبي عزم الرِّجال - أبُ

***

الفصل الثالث

القواعد الذهبية في صناعة الذكريات الأسرية

تمهيد

نحن اليوم نصنع مع أبنائنا ذكريات الغد ولكي تحسن صناعة تلك الذكريات تحتاج إلى:

أعظم قلب في الدنيا، قلب الأبوة الحاني، وأنت بفضل الله تملكه.

وقت لتكتب خلاله في صفحات قلوب أبنائك البيضاء ما تختاره من ذكريات، وهذا تستطيع توفيره.

قواعد وأفكار وتجارب تضيء لك الطريق، وهذا ما نقدمه لك في هذا الفصل (قواعد صناعة الذكريات الأسرية)...

في البداية ستبكي مع فكرة اللقاء الأخير...

ثم تتعرف على لغز الاتصال الذي غير حياة الكثيرين...

ومن ثم تنتقل إلى بنك العواطف الأسرية لتودع فيه من خلال ١٩٠ فكرة تربوية...

وبعدها نقدم لك ٢٠ فكرة مبدعة تساعدك على أن تكون أبًا مبدعًا...

وفي النهاية مسك الختام، سنن المحبة التربوية، تلك السنن النبوية التي تغرس في القلوب أجمل الذكريات...

والآن لم يعد لك عذر، انطلق للتعرف على تلك القواعد، فأبناؤك بانتظارك وكلهم شوق ليصنعوا معك أجمل ذكريات العمر.

***

القاعدة الأولى

احذر اللقاء الأخير

كان ابني – ذات صباح – يرى من وجهة نظره أن السروال الجينز التقليدي لم يكن ملائمًا للمدرسة، ولهذا فقد أراد أن يرتدي السروال المتسخ الذي كان في المغسلة، ثار بيننا جدل في هذا الشأن. وأصررت أن يرتدي السروال النظيف الذي لا يروق له. وهكذا وأسرع وقد انتابه الغضب ليلحق بأتوبيس المدرسة، ولم تتح لي فرصة معانقته مودعة إياه كعادتنا في كل صباح. كنت أشعر بشيء من الضيق من جراء هذا الاختلاف في وجهات النظر، ولكنني شعرت بالفخر بابني البالغ من العمر عشر سنوات لأنه يملك إرادة قوية.

كنت قد تأخرت على موعد عملي، وبينما أنا أتهيأ للخروج رن جرس الباب، ففتحت فإذا بفتاة صغيرة تخبرني بأن ابني قد صدمته سيارة، شعرت أن قلبي ينخلع من مكانه ووقفت مفزوعة، ثم اندفعت إلى الخارج وأسرعت نحو مكان الحادث. وما إن وصلت إلى منتصف الطريق رأيت ابني ممددًا في الشارع بلا حراك. انتابني الهلع من جراء ما قد ألاقيه مما دفعني إلى التباطؤ، ثم سمعته وهو يصرخ وينادي، فوجدت نفسي أعدو نحوه بسرعة فائقة كما لم أفعل من قبل في حياتي، كان ممدًا ورأسه إلى الأسفل وحقيبته المدرسية بجواره، بينما كان مغطى بملاءة كان قد أحضرها بعض الجيران، وعرفت حينها أن السيارة صدمته بقوة وألقت به على بعد عشرة أقدام على الأقل في الهواء، ثم دفعته المسافة بعيدة فسقط على ركبتيه وحقيبته المدرسية.

كان ابني واعيًا. وسمعت صوت صفارة الإنذار تنطلق من سيارة الطوارئ وتلتها سيارة الإسعاف. أظهر الكشف المبدئي عدم وجود إصابة في الرأس أو الظهر أو الذراعين، وقام رجال الطوارئ بقطع سرواله «الجينز» برفق للتأكد من سلامة العظام، عندها قال لي ابني متداعبًا: «يبدو يا أمي أنني لن أرتدي هذا السروال أبدًا». ضحكت وأحسست وهم يحملونه داخل سيارة الإسعاف أن سيكون بخير، لقد كان ابني محظوظًا إلى حد كبير، فقد أخبرني الضابط بالقسم أنها لمعجزة أن الطفل لم يصب بجرح خطير أو يلقى حتفه.

مكثنا في البيت في هذا اليوم وتحدثنا وبكينا على كثير من الأشياء، وتعلمنا أننا يجب أن نحرص على ألا نفارق أحبابنا ونحن غاضبون، وبينما كان ابني يأخذ قسطًا من الراحة، كنت أغسل سرواله المتسخ وكنت أتنهد وأنا أتفحص ما أصاب سرواله الجينز، انتابني شعور عميق ووعيت تمامًا كيف يمكن أن تتبدل حياتنا في لحظة خاطفة دون سابق إنذار، لقد حدث هذا منذ سبع سنوات، ومن يومها وحتى الآن حينما أشعر في معرفة الحياة على حقيقتها أو أشعر بحاجة إلى تذكر واستشعار للقيمة الثمينة لهذا الوقت الذي نقضيه معًا؛ أقوم باستخراج هذا السروال الجينز المقصوص بعناية[1].

حكايات وآهات.. وعبر وعظات:

كثيرًا ما أسأل من يحضرون ندواتنا حول تربية الأبناء: هل يوجد من بينكم من ابتلاه الله تعالى بوفاة أحد أبنائه أو بناته؟ وأصمت لحظات لأتصفح وجوه الحضور، وعادة ما ألمح في عيون أحدهم أو إحداهن الدموع، فأعرف على الفور أنني قد وجدت ضالتي، وهنا أبدأ بالاعتذار عن فتح هذا الموضوع، سائلا الله تعالى أن يرزقنا جميعًا الصبر والأجر، ثم أسأل أصحاب الدموع: هل تذكرون آخر اللحظات مع أبنائكم قبل الفراق؟ حدثونا عن آخر كلمات، آخر نظرات، آخر همسات... كيف كان اللقاء الأخير بينكم؟ وهنا يحبس الجميع أنفاسه ليسمعوا مشاعر الأبوة الصادقة عند فراق الأحبة...

يقول أحد الآباء: لي جار كنت أحترمه وأقدره، عاد ابنه ذو الخمس عشرة سنة للبيت يومًا، وفي فمه رائحة السجائر (الدخان)، فقال الوالد منفعلا: شربت السجائر؟ فقال الابن: لا، رد الوالد: والله رائحتك دخان لقد شربت، فقال الابن: والله لم أشرب، فانفعل الوالد وضرب ابنه على وجهه قائلًا: يا كذاب، وصدمت المفاجأة الشاب، وما إن استفاق منها حتى خرج من البيت مسرعًا، وأسرع والده خلفه ليلحق به، فتح الشاب باب بيته وخرج باكيًا حزينًا، وهناك صدمته سيارة مسرعة، فلفظ أنفاسه الأخيرة على باب بيته أمام عيني والده والدموع لا تزال على خديه، وهكذا كان اللقاء الأخير بينهما، لم

(١) شوربة دجاج لحياة الأمهات (١٠١ قصة لرقة وصفاء روح الأمهات)، ص ١٨٦ – ١٨٨ (بتصرف).

يتحمل الوالد الصدمة، فانهارت أعصابه وهو إلى اليوم يعالج بأحد المستشفيات...

وذات يوم في إحدى الندوات: جاءنا الخبر أن ابن أحد الحضور (في الصف الثالث الإعدادي) قد غرق في حمام السباحة، فقام مدير الندوة بإبلاغ ذاك الأب، وواسيناه وخرج بصحبة بعض الحضور ليتسلم جثمان ابنه من المستشفى، ومرت عدة أيام وقابلت ذاك الأب في الطريق، فوجدت عليه علامات الرضا والصبر، فقلت له: البقاء لله، أراك بفضل الله صابرًا محتسبًا، فحدثني عن لقائك الأخير بابنك رحمه الله، فقال: سأحكي لك، قبل أن يموت ابني (أنس) بثلاثة أيام ضربته، بعدها بيوم صالحته ورضيته، وفي اليوم التالي (تحديدًا ليلة وفاته) كنت أسير في الشارع، فمررت بأحد المحلات، ورأيت نوع شيكولاتة كان يحبه، فاشتريت له واحدة منها وعدت للبيت، قابلته مبتسمًا وأعطيته الشيكولاتة قائلا: وأنت صغير كنت تحب هذه الحلوى، فأحضرتها لك اليوم، صحيح هي خسارة فيك، لكني أحبك، فدمعت عيناه وقال: يا بابا، والله أنا لست سيئًا، فاحتضنته وقبلت رأسه وأنا أقول: أعلم ذلك، فسامحني لأني ضربتك منذ يومين، وانهمرت الدموع من عيني، ولأول مرة منذ سنين أشعر بحلاوة أخذه بين أحضاني، وبعدها افترقنا، وهذا كان اللقاء الأخير بيننا، إذ لم أره بعد ذلك حيًا، رأيته مستلقيًا على فراش المرت في المستشفى، وهناك أخذته ثانية بين أحضاني، ولأول مرة أشعر كم هو قاسٍ أن تنظر لابنك نظرة الوداع، رحمك الله يا بني، كن على يقين أنني لن أنساك في دعائي يومًا، عسى أن نلتقي في جنة الخلد...

في إحدى المحاضرات: سألت هل من بين الحضور من مات أحد بنيه؟ فأشار أحد الآباء بيده قائلا: لقد ماتت ابنتي (سمية) سبع سنوات، فقلت له: رزقنا الله وإياك الصبر، سامحني إن كنت قد جددت أحزانك، لكن هل تستطيع أن تحكي لنا لقاءك الأخير بابنتك قبل وفاتها؟ فانهمرت دموع الرجل وقال: لن أستطيع، فاحترمت مشاعره وسكت... وإذا بمفاجأة عجيبة، كانت زوجته بين الحضور فقامت قائلة: أنا أمها وسأحكي لقاءنا الأخير بحبيبتنا سمية، في اليوم الذي توفيت فيه – رحمها الله – كنت ذاهبة للقاهرة، واتفقت مع أخي على أن يحضر ليأخذها لتلعب مع بناته حتى أعود، وبالفعل حضر

بسيارته وانتظر تحت العمارة التي نسكن بها، وأخذ يستعجل نزولنا ببوق السيارة، وطبعًا استعجلت سمية، وكانت مشغولة بجمع أغراضها وأدوات التزيين الخاصة بها، فقلت لها: اتركيها الآن فهي لن تطير وأكملي ما تفعلينه بعد عودتك، وأنا لا أعلم أنها لن تعود ثانية، المهم نزلت أنا وسمية بعد معركة لطيفة، وما إن ركبت هي السيارة حتى صاحت: لقد نسيت شيئًا، ونزلت مسرعة نحو البيت لتصعد إلى شقتنا في الدور الرابع، وناديت عليها أن توقفي لكنها أكملت طريقها مسرعة، وما هي إلا دقائق حتى نزلت من جديد مبتسمة فرحانة، ودارت حول السيارة لتركب، وفجأة صدمتها سيارة مسرعة، فماتت في الحال... تكمل الأم ودموعها على خديها: جهزناها للدفن، ولاحظت أن والدها يجلس بأحد أركان البيت بلا كلام، فقلت له: إنك لم تشاهد سمية، هيا سلّم عليها قبل أن ندفنها، فبكى وقال: لن أستطيع، وفشلت محاولات الجميع في إقناعه بالسلام على سمية قبل دفنها، ووسط استغراب الجميع دفناها دون أن يراها أبوها، وبعد أن هدأت النفوس سألته: لماذا لم تسلم على سمية؟ فأجابني والدموع تخنق كلماته: عندما صعدت سمية وتركتكم عند السيارة، فتحت باب الشقة فوجدتني جالسًا كما تركتني مشغولا بإنهاء بعض الأعمال الكتابية، فقالت سمية: بابا، ألم تنسَ شيئًا؟ قلت لها: لا، قالت: لقد نسيت شيئًا، نسيت أن تعطيني قبلة، لكن أنا أسامحك، خذ مني أنت قبلة، وأعطتني قبلة حانية على الهواء وانصرفت، وكان هذا هو اللقاء الأخير بيننا، إنني لم أرد على قبلتها إلا بابتسامة، لم أعطها حتى قبلة على الهواء، فكيف كنت أستطيع ردّ قبلتها وهي ميتة، إنني لم أستطع مشاهدتها مرة ثانية... ليتها تعود لآخذها بين أحضاني وأعطيها قبلة حانية... رحمك الله يا سمية، ورحم والديك ورزقهما الصبر والثبات...

قالت لي إحدى الأمهات: أرسلت ابني أحمد (ذا الخمس سنوات) يومًا ليشتري لي شيئًا من البقالة، وذهب راضيًا وعاد مسرعًا، وبعد لحظات طلبت منه النزول ثانية لشراء شيء آخر، فاعترض قائلا: لماذا أنزل ثانية، أرسلي أختي هذه المرة، إنني أريد أن أذهب للعب مع أصحابي، فقلت له: ما رأيك أن تذهب أنت وتشتري هذا الشيء وسأجعل أختك تنتظرك في مدخل البيت؛ لتعطيها ما اشتريت وتذهب أنت للعب، وهنا وافق وهم

بالمغادرة، فناديته قائلة: هل أنت غضبان من ماما؟ فقال: لا، فقلت: هيا أعطِ ماما قبلة وحضنًا، فقبلني وأعطاني حضنًا على عجل وانصرف، واشترى ما أردته وأعطاه لأخته وهي بدورها أحضرته لي، وبعد دقائق سمعت صراخا في الشارع، فانتفضت لأرى ما حدث، وإذا بالمفاجأة، لقد وقع أحد أسلاك الكهرباء على ابني أحمد فمات، ألجمتني الصدمة ووهبني الله تعالى الصبر، والحمد لله أن آخر شيء بيننا كان تسامحًا وحبًّا... فقلت هذه الأم: الحمد لله أن اللقاء الأخير بينكما كان رقيقًا هكذا، ولكن ما هو إحساسك لو كان آخر شيء فعلته مع أحمد هو ضربه والصراخ في وجهه؟ فبكت الأم، ولاذت بالصمت...

يقول أحد الآباء: كنا جلوسًا ذات يوم حول مائدة الطعام، نضحك ونأكل ونتسامر، كان ابني عليّ (١٨ سنة) يجلس إلى جواري، هادئًا مبتسمًا يأكل بسكينة ورقي، وأخذ بيده لقمة ورفعها لفمه، فطلبها منه أخوه، فأخرجها من فمه وأعطاها لأخيه، وهذه كانت عادته الطيبة، كان مصدر الرحمة بين إخوته، وبعد انتهاء الطعام دخل عليّ غرفته ليستريح، وعند أذان المغرب دخل أخوه ليوقظه فوجده ميتًا، لقد فارق الحياة وكان لقاؤنا الأخير به على مائدة الطعام، لقد أخرج اللقمة من فمه وبها أدخل حبه في قلوبنا جميعًا، فمن يومها لا نترك الدعاء له، ونجتمع متذكرين له سائلين الله تعالى أن نلقاه في جنة الخلد...

وتقول إحدى الأمهات: أغضبتني ابنتي زينب (١٦ سنة)، فشددتها من شعرها وضربتها، فبكت كثيرًا واشتكت لوالدها عند عودته للمنزل، وهو بدوره تكلم معي وأرشدني لخطئي، وكان مما قال: هل تقبلين بأن تكوني سببًا في إدخال الحزن على ابنتك، وتجعليها تنام الليلة ودموعها على خدها؟ فرق لها قلبي، ودخلت عليها غرفتها ووجدتها لا زالت تبكي، فقلت لها: زينب، هل ما زلت غضبانة مني؟ فلم ترد علي، فقلت: سامحيني لقد أخطأت في حقك، ودمعت عيناي، وهنا فقط ارتمت زينب في حضني وعلا بكاؤنا، فدخل والدها مبتسمًا وقال: الحمد لله، دخلت أمك لتتوقف عن البكاء فبكت هي الأخرى، لا بد وأنها عدوى تصيب من يدخل هذه الحجرة، سأسرع في الخروج قبل أن

تصيبنا العدوى وأبكي، وهنا قالت لي زينب: ماما، أنا والله أحبك، ومشتاقة منذ سنين للحديث معك، فأرجوك اجلسي معي نتكلم، فقبلتها واعتذرت لها بأني متعبة ووعدتها أن نتحدث في الصباح، ونام الجميع تلك الليلة هادئ البال مطمئن الفؤاد، وعند الفجر ذهبت لأوقظ زينب، فلم ترد عليّ ناديت بصوت أعلى.. زينب.. زينب.. حركتها فلم تتحرك، لقد فارقت الحياة، فارقتنا قبل أن نجلس معًا لنتحاور كما وعدتها، ومرت أيام، ووجدت دفترًا كانت تسجل فيه يومياتها، وكانت المفاجأة أن آخر ملحوظة كتبتها كانت تقول: أنا الليلة سعيدة جدًا، لقد أخذتني أمي في حضنها، ووعدتني أن نجلس معًا لنتحاور كأيام زمان، الحمد لله الذي أعاد لي أمي التي أحبها وأعادني لحضنها...

يقول أحد الآباء: أصيبت ابنتي هاجر (٧ سنوات) بالسرطان، وطوال عام كامل كنت أتردد بها على المستشفى لتأخذ العلاج، وما أقساه من علاج، كم بكيت من صراخها وكم زلزلتني دموعها، عام كامل من الصبر والاحتساب نسأل الله القبول، ومن العجائب أن هاجر لم تكن تستريح إلا وهي راكبة على رقبتي ورجلاها عند صدري، وذات يوم كنت أحملها بهذا الوضع وأدور بها في أروقة المستشفى، وتناولت علاجها وذهبنا عند سريرها فقالت لي: «نزلني يا بابا على السرير، كده كفاية»، فأنزلتها برفق، ونامت على السرير وعينها تنظر لي، وفاضت روحها الطاهرة على هذه الحال، كان وجهها مليئًا بالرضا وعينها تشعرني بالطمأنينة، لن أنسى أبدًا نظرتها الأخيرة، رحمها الله...

يقول أحد الآباء: مرض ابني ذو الثلاثة أعوام بمرض في القلب، مكثت أمه معه بالمستشفى أشهرًا طويلة، كنت أتردد عليه للزيارة كل حين، وذات يوم ذهبت لزيارته، وجلست بجواره وقبلته وتعجلت في الرحيل، وكانت نظراته تتبعني حيثما أذهب، فقالت لي زوجتي: الولد ينظر إليك ومشتاق لأن تجلس معه، فقلت: عندي عمل، مرة ثانية، وذهبت لزيارته بعد أيام فوجدت حالته غير مستقرة، ونحن عنده توقف القلب، فأخرجنا الأطباء مسرعين وأسعفوه فعاد قلبه يعمل، وتكرر هذا الموقف يومها ست مرات، وفي النهاية فارق الحياة، أنهينا الإجراءات واستلمنا جثته لدفنها، ونحن عائدون في الطريق قالت لي زوجتي: أتذكر يوم أن قلت لك اجلس معه، لقد كانت فرصتك

الأخيرة، ولقد أضعتها... والله ما زلت أذكر نظرته، وأحاول اليوم أن أعوض خطئي بالجلوس أكثر مع إخوته، لأشبع أنا منهم أولًا قبل أن يشبعوا هم مني، إنني مشتاق لأن أعيش ذلك المشاعر مع أبنائي من جديد...

يقول أحد الآباء: كان ابني مريضًا جدًّا فذهبت به أنا وأمه إلى المستشفى، وظللت بجواره وودعته في الواحدة مساء عندما اطمأننت عليه وتركت أمه ترافقه، وعند وداعي له قبلت رأسه وأخبرته أنني سأعود إن شاء الله في الصباح مبكرًا، فقال لي: يا بابا لا تأتي حتى تصلي الجمعة لأنك ستعود إلى المنزل متأخرًا، فسلمت عليه وقبلته ثانية وانصرفت وليتني ما تركته، فقد اتصلت أمه بي صباحًا لتخبرني أنه دخل في غيبوبة، فذهبت إليه مسرعًا فوجدته صامتًا على غير الحالة التي تركته عليه، جلست بجواره لعله يفيق ويبادلني الكلام والابتسام، لكنه فارق الحياة وتركني وحيدًا، تركني ولم ينطق بكلمة بعد لقائي الأخير به، لقد فارق الحياة وهو في الحادية عشرة من عمره، كم كنت أتمنى أن يطول اللقاء الأخير بيننا، وكم كنت أتمنى أن أودعه...

تقول إحدى الأمهات: كان طفلي الرضيع كثير البكاء نتيجة لحقنة طبية أخذها عن طريق الخطأ، كان كثيرًا ما يزعجني بكاؤه، وذات يوم فقدت القدرة على التحمل فقلت له بالنص: ربنا يريحني منك، يومها بدأ الولد ينام وينظر نحوي ويمسك إصبعي بيده، وكانت الصدمة أنه لم يكن ساعتها ينام بل كان يموت، نعم والله فارق الحياة وإلى يومنا هذا – بعد سنين – لم أنس نظرات ابني وهو يفارق الحياة ويمسك بيدي، والله هذا هو أشد موقف تعرضت له في حياتي...

وتقول أم أخرى: ابني عبدالرحمن كان يقول لي دائمًا: سأموت صغيرًا وسوف تحزنين عليّ، كان يقول ذلك لي عندما أقسو عليه وأحزنه، والله لقد توفي صغيرًا، وحزنت عليه كثيرًا، ولم أنسه يومًا، رحمه الله.

وفي إحدى الندوات سألت الحضور: هل من بينكم من فقد أحد أبنائه، فقال أحدهم والدمع يترقرق في عينيه، أنا فقدت ابني عمارًا ١٦ سنة، قلت له: هل يمكنك أن تحكي لنا لقاءك الأخير به؟ فاستجمع قواه وقال: نعم. وبدأت الحكاية، يقول هذا الوالد

الكريم: كان عمار ابني من أكثر إخوته إتعابًا لي، كان كعادة المراهقين جامحًا نشطًا لا تحتمل تصرفاته، وكنت كثيرًا ما أغضب منه وتشاركني في هذا والدته، وذات يوم وقع أثناء اللعب على ظهره فانكسرت الفقرة الثانية من العمود الفقرى، وبتوفيق الله أجرى له الأطباء عملية تثبيت ناجحة في الإسكندرية وشفاه الله تعالى خلال شهور، وبعدها بستة أشهر وقع على نفس المكان؛ فانكسرت الفقرة الثانية للمرة الثانية، وهذه المرة توجهنا إلى القاهرة لإجراء الجراحة التي نتج عنها شلل تام فلم يتحرك عند عمار إلا لسانه، يكمل الأب والدموع تنساب على خده: احتاجت حالة عمار إلى التواجد الدائم في العناية المركزة، ظللنا هناك تسعة أشهر كاملة، كانت محنة كبيرة ونعمة في ظاهرها ابتلاء، وبدأت رحلة الحب مع عمار، فقد انتقلنا جميعًا للعيش معه في القاهرة، استأجرت شقة ونقلت مكان عملي وتغيرت حياتنا تمامًا، في بداية الشهور التسعة كنت أجلس كثيرًا مع عمار وأحنو عليه وأترفق به، ففاجأني يومًا بقوله: أنا لم أكن أتخيل أنك أب حنون لهذه الدرجة، قال ذلك لأنه لم يكن يراني كثيرًا، وعندما يراني لا يرى إلا العتاب والعقاب، كم كنت محرومًا من التمتع بالحياة معه ومع إخوته، ذات يوم دخلت عليه وهو يحدث أخاه عني، فوقفت خلف ستار فسمعته يقول: «أتذكر من سبع سنوات يوم أن سافر أبي لمدة شهور، لقد سافر في شهر ٩ مساء، أنا كلما أتى شهر ٩ بعدها لا أعرف طعم النوم خوفًا من سفر أبي ثانية»، لقد آلمتني كلماته كثيرًا، إذ كيف يحبني كل هذا الحب وأنا أدعو عليه؟! المهم سارت تلك الشهور التسعة مليئة بالدمع والتعب ولطف الله، في الشهر الأخير بدأ عمار يصاب بقرح الفراش، فكان لا بد من تحويله للنوم على جنبه بدلًا من ظهره، كان الأطباء ينصحوننا بفعل ذلك بإلحاح، وكلما قلت لعمار لا بد وأن تنام على جنبك، يقول لي: أنت لا تشعر بالألم الذي بداخلي مع وجود كل هذه الأجهزة بداخله، نادِ على ماما فهي تعاملني برفق، فأخرج وأنادي أمه التي تساعده – برفق – على النوم على جانبه، وذات مساء قالت الطبيبة: لا بد لعمار أن ينقلب للنوم على جنبه، فطلبت منه ذلك فقال: نادِ لي ماما، فخرجت وناديت على أمه وقلت لها: عمار يريدك ولا بد أن ينام على جنبه أما أنا فذاهب إلى الشقة لأرى إخوته، وانطلقت خارجًا من المستشفى، وبعد ساعتين فوجئت باتصال من زوجتي يقول: تعال عمار دخل في غيبوبة، فذهبت مسرعًا، وما هي إلا

سويعات حتى مات عمار، يقول الأب والدمع منساب على وجهه: لقد رزقنا الله صبرًا جميلًا، فصلينا ركعتين شكرًا لله بجوار سريره، وجهزناه للدفن وحملناه لبلدتنا ليدفن بها، ونحن في الطريق قالت لي أمه كلمات أحزنتني بقية عمري، قالت لي: وأنت خارج من عند عمار بالأمس نادى عليك «بابا.. بابا» وأنت لم تسمعه، حزنت كثيرًا لأنني لم أسمعه، كم كنت أتمنى أن أعود لترديعه، يا ترى ماذا كان يريد، كنت أريد أن أنظر في عينيه نظرة أخيرة.

مكالمة واحدة ستغير حياتك:

عندما أتحدث في الندوات والمحاضرات حول فكرة اللقاء الأخير، وأروي للآباء والأمهات هذه القصص والمواقف التي لا تنتهي، أرى الحزن والتأثر في عيون الجميع، وعندما ترق القلوب وتذرف الدموع، أقول فجأة: تخيل أن ما حدث بينك وبين أبنائك قبل أن تحضر تلك الندوة ربما يكون هو اللقاء الأخير مع أحدهم، وهنا يعلو بكاء البعض ويسكت البعض الآخر من هول الصدمة... وبعد ثوانٍ من الصمت قد يظنها أحدهم ساعات، أقول: إننا سنسمح باتصال واحد، أحد الآباء والأمهات الحضور يشعر أنه بحاجة ماسة ليقوم الآن ليكلم أحد أبنائه، إنها فرصة لن تتكرر، ستكلم ابنك الآن أو ابنتك بمشاعر أنت لم تعشها من قبل كثيرًا، إنك غالبًا ما تتصل بابنك (أو ابنتك) لتتابعه أو تحاسبه إذا تأخر أو توبخه لأنه خرج بغير إذنك، أما اليوم فأنت ستحدثه لأنك تحبه... وهنا يرفع عدد غير قليل يده، ونجري بينهم القرعة، ويبكي من لم يصبه الدور، فنرق لحالهم ونسمح للجميع بالاتصال...

يذهب المتصل ليتكلم مع ابنه أو ابنته على انفراد، لا نسمع ما يقول، يعود الجميع من الاتصال وعلي وجوههم علامات الراحة وفي أعينهم قطرات الدمع، وبعد أن يهدأ الجميع ويستقر الأمر، أطلب ممن اتصلوا أن يحدثونا عن سبب اتصالهم وما دار بينهم وبين أبنائهم، وهنا نسمع حوار المشاعر الأبوية الصادقة...

فترى أحد الآباء يقول: قبل أن آتي لحضور الندوة اليوم، ضربت ابني (في الصف

الثاني الثانوي) على وجهه، وخرجت من البيت غاضبًا وتركته باكيًا، لذا قررت الاتصال به والاعتذار إليه، رن الهاتف،

رد خالد: السلام عليكم.

فقلت: وعليكم السلام.

خالد: نعم يا بابا...

قلت: هل أنت بخير؟.

خالد: نعم يا بابا أنا بخير.

قلت له بروح لم أعشها من قبل: يا خالد، بخصوص ما حدث بيننا قبل أن أخرج، أرجو أن تسامحني لم أقصد إهانتك.. وخنقتني الدموع... وانفجر خالد في الطرف الآخر باكيًا وهو يقول: أين أنت يا بابا؟ هل حدث لك أمر؟ قل لي أين أنت آتيك الآن... فأنهيت الحوار بلطف، ولأول مرة أشعر أن خالدًا يحبني بصدق، لأول مرة أشعر أنني لم أفشل في تربية خالد، ربنا يسامحني على معاملتي السيئة معه... وبعد فترة قابلت هذا الأب فقال: من يوم هذا الاتصال وأنا وخالد صديقان، لقد تغير حاله لما غير الله حالي، ما أجمل أن أحب ابني خالدًا ويحبني...

ويقول أب آخر: قبل أن آتي للندوة ضربت ابني (ذا العشر سنوات)، وشعرت أنني نادم على ذلك، فما فعله لم يكن يستحق كل تلك الثورة، فاتصلت به وقلت له: سامحني، فرد قائلا: لا، لن أسامحك، حتى تعود، ونتفق معًا، ولا تنس أن تحضر لي معك ما يساعدني على مسامحتك، ويبتسم هذا الأب ويضحك معه الحضور...

وذات مرة: قام أحد الآباء بعد حديثنا عن اللقاء الأخير ليكلم أبناءه، وعاد الرجل باكيًا، وعندما سألته عما دار بينه وبين أبنائه من حوار قال: إنني لم أكلم أبنائي، لقد تحدثت مع زوجتي، فمنذ شهر مضى كنت قد عزمت على تطليق زوجتي، وبالفعل أرسلتها مع بناتي لبيت أهلها، والله منذ ذلك اليوم وأنا مصمم على الفراق، لكن فكرة اللقاء الأخير أحيت الأبوة في قلبي، فاتصلت بزوجتي معتذرًا وهذا كان قبل ذلك مستحيلًا، وطلبت

منها العودة لبيتها الليلة، والله لقد كنت أخفي مشاعري، بعد فراق بناتي للبيت لم أكن أستطيع الجلوس فيه وحدي، كم أشتاق الآن لزوجتي وأبنائي...

أيها الأب الكريم، أيتها الأم الحنون، إن كل لحظة فراق بيننا وبين أبنائنا يحتمل أن تكون هي اللقاء الأخير، فلا تترك ابنك ينام باكيًا، ولا تجعل ابنتك تخرج للمدرسة حزينة، ولا تخرج من البيت تاركًا ابنك يبكي، وليس معنى ذلك أن تطيع كل رغبات أبنائك وتتراجع عن كل قراراتك التي قد تغضبهم، ولا نقصد أبدًا أن نلغي العقاب من حياة أطفالنا، إن ما نقصده هو مساعدتك على ألا تندم يومًا لفراق أحد أبنائك بصورة لا ترضيك، نعم ستحتاج للعقاب لكن أتبعه بالصلح والمؤانسة، ولو اتخذت يومًا قرارًا مهما أغضب ابنك وجعله يبكي فلا تتراجع عنه، فقط وضح له أنك تحبه وافترق عنه بمحبة... ولقد حكى لي كثير من الآباء والأمهات أن فكرة اللقاء الأخير غير حياتهم وحسن علاقاتهم بأبنائهم، وأنا شخصيًا غيرت فكرة اللقاء الأخير حياتي، فلا أفارق ابني عمر – حفظه الله – إلا وأنا أنظر في عينيه مباشرة، وأحرص على إسعاده قبل فراقنا حتى لا أندم يومًا لسوء فراقه، وأنا على يقين أنك تحب أبناءك أكثر من نفسك، ومن اليوم سيغير اللقاء الأخير حياتك إلى الأبد...

اللقاء الأخير في حياة محمد ﷺ:

كان لقاء النبي ﷺ الأخير بأصحابه ونسائه وأبنائه كله حب وشوق وصفاء، فعن معاذ بن جبل -رضى الله عنه- قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال ﷺ: يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري، فبكى معاذ لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال ﷺ: إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا[1].

هكذا كان اللقاء الأخير بين النبي وبين سيدنا معاذ، كان مليئًا بالعواطف والمشاعر

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٥، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح ر ٥١٥٥.

والحب الصادق، كانت لحظات وداع أخيرة بين حبيب وحبيبه، في سياج من الدمع ولوعة الفراق، ولأنه قد يكون اللقاء الأخير فقد دمعت عينا سيدنا معاذ حزنًا لفراق النبي، وانطلق الركب وغادر سيدنا معاذ وقلبه معلق بحبيبه، وقد كان ما قاله النبي، إذا لم يلق معاذًا بعدها، وظل هذا اللقاء الأخير علامة بارزة في حياة معاذ، رواه بعد موت النبي ﷺ، محبة له وشوقًا للقياه، بل وروى لنا آخر كلمات دارت بينهم؛ فقال: إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله»[1]

وقبيل موت النبي ﷺ كان لقاؤه بابنته فاطمة جميلا يحمل الدمع والابتسام في الوقت نفسه، روى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ دعا فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيها، أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: (مرحبًا بابنتي). ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثًا فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها، فقالت: أسر إلي: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي»، فبكيت، فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة أهل الجنة، أو نساء المؤمنين» فضحكت لذلك.

وكما حرص محمد ﷺ أن يحسن اللقاء الأخير مع أحبابه، حرص أصحابه على أن يختموا حياتهم بلقاء أخير جميل معه ﷺ، ففي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستل (خرج) من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني (اجعلني أقتص منك وأفعل معك مثلما فعلت معي)، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: استقد، فاعتنقه سواد فقبل بطنه ﷺ، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر

(١) الترغيب والترهيب ٢ / ٣٢٦، وصحيح الترغيب للألباني ١٤٩٢.

ما ترى (من الحرب والشهادة) فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له: استو يا سواد[١].

سنن الفراق.. ومراسم اللقاء:

عندما نفارق أبناءنا - لسفر أو لغيره - يحتمل ألا نراهم ثانية، لذلك يجب أن نفارقهم بحب، وعند فراق الأحبة تتنوع المشاعر بين الحزن والخوف والأمل في العودة بسلام، ويخشى الجميع من الفراق ويكرهه، وهنا يرشدنا النبي ﷺ إلى كيفية التعبير عن مشاعرنا عند فراق من نحب من أبنائنا وآبائنا...

فعند الفراق يتصافح الأحبة، ويعبر المقيم لحبيبه المسافر عن مشاعره ويودعه قائلا: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك؛ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا ودع أحدًا قال: «**أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**»[٢]، روي الترمذي عن سالم أن ابن عمر - رضي الله عنهما - كان يقول للرجل إذا أراد سفرًا: ادن مني أودعك كما كان رسول ﷺ يودعنا فيقول: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»[٣]...

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني ٦ / ٨٠٨.

(٢) مسند أحمد (٢ / ٣٥٨) والحديث صححه الألباني، أنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٥١ ح ر ١٦.

(٣) سنن الترمذي (٥ / ٤٩٩) والحديث صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٤٨ ح ر ١٤

... ومعنى أستودع الله دينك أي: أستحفظ وأطلب منه حفظ دينك وأمانتك، قال الخطابي الأمانة ها هنا أهله ومن يخلفه منهم وماله الذي يودعه ويستحفظه أمينه ووكيله ومن في معناهما، وجرى ذكر الدين مع الودائع لأن السفر موضع خوف وخطر وقد يصيبه فيه المشقة والتعب فيكون سببًا لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين، فدعا له بالمعونة والتوفيق فيها، وقال في فتح الودود قوله: أمانتك أي ما وضع عندك من الأمانات من الله أو من أحد من خلقه أو ما وضعت أنت عند أحد أو ما يتعلق بك من الأمانات ، وخواتيم عملك جمع خاتم أي ما يختم به عملك أي أخيره والجمع لإفادة عموم أعماله... وقال في تحفة الأحوذي: وأمانتك أي حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر إذ قد يقع هناك خيانة، وقيل أريد بالأمانة الأهل والأولاد الذين خلفهم، وقيل المراد بالأمانة التكاليف كلها كما فسر بها قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ الآية، وآخر عملك أي في سفرك أو مطلقًا والأظهر أن المراد به حسن الخاتمة لأن المدار عليها في أمر الآخرة وأن التقصير فيما قبلها مجبور بحسنها» عون المعبود ٧ / ١٨٧، وتحفة الأحوذي ٩ / ٢٨٤، ولسان العرب ١٣ / ٢٥.

ويبادل **المسافر** حبيبه الدعاء فيقول: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، روى النسائي في سننه (٦- ١٣٠) عن موسى بن وردان قال: أتيت أبا هريرة أودعه لسفر أردته، فقال أبو هريرة: ألا أعلمك يا ابن أخي شيئًا علمنيه رسول الله ﷺ أقوله (كمسافر) عند الوداع؟ قلت: بلى. قال: قل: «أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه»[(١)].

وهنا **يدعو المقيم** لحبيبه المسافر قائلا: «زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ورزقك الخير حيثما كنت»، روى الحاكم والترمذي وابن خزيمة عن أنس ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد سفرًا فزودني[(٢)]، قال ﷺ: زودك الله التقوى، قال: زدني، قال ﷺ: وغفر ذنبك، قال: زدني بأبي أنت وأمي، قال ﷺ: ويسر لك الخير حيثما كنت»[(٣)]...

وكم أحب أثناء حديثنا مع الآباء والأمهات حول فكرة اللقاء الأخير، أن يخرج والد وابنه أو أم وابنتها، ليمثلا معًا مشهد الوداع، ويقولا لبعضهما ما ورد من سنن الفراق، ونحن بدورنا نعطي لكل منهما ورقة صغيرة مكتوب فيها الأدعية الواردة ليقرأ الطرفان منها، وهنا تفيض المشاعر وقد ترى الدموع والعبرات بعد التلعثم والارتباك...

ولقد قالت لي إحدى الأمهات يومًا: إن ابني يستغل فكرة اللقاء الأخير ليحصل مني على ما يريد، إنه يستغل مشاعري فيقول لي إذا رفضت له طلبًا: يا ماما، أعطيني ما أريد فربما لا تقابليني ثانية، وافقي على ما أطلب فربما لا تشاهديني ثانية، فماذا أفعل؟ وهنا ابتسمت قائلا: ما أروع تفكير أبنائنا، إنهم رادار يرصد تحركاتنا العاطفية والمادية والأخلاقية، ويدرسون شخصيتنا جيدًا، ومن ثم يخططون جيدًا للحصول على ما يريدونه منا، فمن يستغل أمه عاطفيًا يعلم جيدا أنها ستستجيب له، ولقد جرب مع أمه مرارًا ونجح، لذلك فإنني نصحت هذه الأم الحنون أن تبتسم عندما يقول لها ابنك ذلك،

---

(١) والحديث رواه ابن ماجة في سننه (٢ / ٩٤٣) والإمام أحمد في مسنده (٢ / ٤٠٣) وحسنه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ١٠٢، ح ر ٢٥٤٧.

(٢) يعني أعطني زادًا ينفعني في رحلتي وادع لي دعاء يكون بركته معي في سفري.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢ / ١٠٧، وصحيح ابن خزيمة ٤ / ١٣٨، وسنن الترمذي ٥ / ٥٠٠ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وتقول له: يا بني إني أحبك، لذلك فإنني عندما أفارقك سنطبق بيننا سنن الفراق، وسأستودعك الله تعالى، ولن يضيع الله شيئًا استودعته إياه سبحانه؛ روى ابن حبان والنسائي عن مجاهد قال: خرجت إلى العراق أنا ورجل معي فشيعنا عبد الله بن عمر، فلما أراد أن يفارقنا قال: إنه ليس معي شيء أعطيكما، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا استودع الله شيئًا حفظه، وإني أستودع الله دينكما وأمانتكما وخواتيم عملكما»[1]..

وكما افترق الأحبة عند السفر برحمة ودعاء ومحبة، يلتقون عند عودة المسافر بحب وفرح، وهنا يتبادلون الأحضان وقبلات المودة وعبارات السعادة، ولقد جلست كثيرًا أتأمل حال النبي ﷺ مع أهل بيته عند العودة من السفر، وهنا زاد إيماني بالنبي ﷺ وحبي له، فهناك ترى رقي مشاعر النبي ﷺ مع أهل بيته، إذ كان ﷺ إذا رجع من غزو أو سفر خرج أهل بيته يستقبلونه ويأخذون معهم صبيانهم، ويتنافس الصبيان حول من يصل للنبي ﷺ أولًا، إنه لقاء الحبيب بحبيبه، فيُحسن النبي ﷺ استقبالهم ويركب الصغار معه على الدابة أمامه وخلفه، فيا له من مشهد رائع يفيض بأجمل المشاعر، روى الإمام مسلم عن عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر يلتقي بصبيان أهل بيته، قال وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه قال فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة»، وفي رواية أبي داود: عن عبد الله بن جعفر قال: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر استقبل بنا (أي استقبله أولياؤنا بنا نحن صغار أهل بيته)، فأينا استقبل أولا جعله أمامه، فاستقبل بي فحملني أمامه، ثم استقبل بحسن أو حسين فجعله خلفه فدخلنا المدينة وإنا لكذلك»[2].

قال الإمام النووي: هذه سنة مستحبة أن يتلقى الصبيان المسافر، وأن يركبهم وأن يردفهم ويلاطفهم[3]... ومن مراسم استقبال المحب لحبيبه حين عودته من السفر أن يحتضنه ويقبله؛ روى الطبراني أن أصحاب النبي ﷺ كانوا إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا

---

(١) صحيح ابن حبان ٦ / ٤١٠، والسنن الكبرى للنسائي ٦ / ١٣١، وقال الألباني: إسناده جيد، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ١٠٢، ح ر ٢٥٤٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٢ / ٤٨٨، ح ر ٢٢٣٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥ / ١٩٧.

قدموا من سفر تعانقوا»[١]... و لما قدم جعفر بن أبي طالب ﷺ من الحبشة عانقه النبي ﷺ وقبله، روي عن الشعبي: أن النبي ﷺ استقبل جعفر بن أبي طالب حين جاء من أرض الحبشة، فقبل ما بين عينيه وضمه إليه (وفي رواية واعتنقه)، وزاد ابن أبي شيبة أنه قال: ما أدري بأيهما أفرح؟ بقدوم جعفر، أو بفتح خيبر»[٢]...

ترطيب الأكباد عند فقد الأولاد

لا يعلم مقدار المعاناة لفقد الابن إلا من مر بتلك التجربة وأصيب بتلك المصيبة، وهنا يكون الثواب كثيرًا على قدر المشقة والألم، بشرط واحد هو الصبر والاحتساب، روى البخاري في صحيحه (٥ - ٢٣٦١) أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا، ثم احتسبه؛ إلا الجنة»[٣]... وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « **بخ بخ، خمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والداه**، وفي رواية: والولد الصالح يموت للرجل فيحتسبه»[٤]... وروى ابن حبان والترمذي (واللفظ له) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع (أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون) فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد»[٥]...

وانطلاقًا من هذا الثواب الجزيل صبر الصالحون على فقدان حبات قلوبهم وثمرات

---

(١) المعجم الأوسط ج ١ ص ٣٧، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ٣٠٣، ح ر ٢٦٤٧.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ٣٣٢، ح ر ٢٦٥٧.

(٣) قال ابن حجر: «وهذا يدخل فيه الواحد فما فوقه وهو أصح ما ورد في ذلك وقوله فاحتسب أي صبر راضيًا بقضاء الله راجيا فضله " فتح الباري ٣/ ١١٩.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ٤٤٣، ٥ / ٢٥٣، والحديث صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الثالث ٣ / ٢٠٢، ح ر ١٢٠٤.

(٥) صحيح ابن حبان ٧/ ٢١٠، وسنن الترمذي ٣/ ٣٤١، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ / ٣٩٨، ح ر ١٤٠٨.

أفئدتهم، وعلى رأس الصابرين محمد ﷺ، إذ كان يحب ابنه إبراهيم محبة غامرة، وكان إبراهيم يقيم في شهوره الأولى عند مرضعة له في عوالي المدينة، ولشدة حب النبي ﷺ لإبراهيم كان يذهب مع صحابته ليسلم على الرضيع ويقبله ثم يعود، يقطع ﷺ هذه المسافة من أجل قبلة ابنه الرضيع، روى مسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: ما رأيت أحدًا أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم ابنه مسترضعًا في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن وكان ظئره قينًا (كان زوج المرضعة حدادًا)، فيأخذه فيقبله»، وعند لقائه الأخير بابنه إبراهيم رق قلبه وفاض دمعه وأعلن عن صبره.

روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين (الحداد) وكان ظئرًا (زوج المرضعة) لإبراهيم عليه السلام، أخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه (روحه تخرج)، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «يا بن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» وتوفي إبراهيم - عليه السلام- وهو ابن ثمانية عشر شهرًا...

وروي أن عبد الله بن عباس نعي له بنته (أخبروه بوفاتها) وهو في سفر، فحمد الله واسترجع، وقال: عورة سترها الله، ومؤمنة كفاها الله، وأجر ساقه الله، ثم تنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف إلى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة[1]... ولما دفن عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - ابنه عبدالملك وكان من أعوان أبيه على الخير، وقف عمر أمام القبر متوجهًا نحو القبلة وأحاط به الناس فقال: رحمك الله يا بني، لقد كنت بارًا بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسرورًا بك، ولا والله ما كنت قط أشد بك سرورًا ولا أرجى بحظي من الله فيك منذ وضعتك في هذا المنزل الذي صيرك الله إليه، فرحمك الله وغفر لك ذنبك، وجزاك بأحسن عملك، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من

(١) تفسير القرطبي ١ / ٣٧٢.

شاهد أو غائب، رضينا بقضاء الله، وسلمنا لأمر الله، والحمد لله رب العالمين، ثم انصرف[١]... وبعد أيام كتب عامل له يعزيه عن ابنه، فقال عمر لكاتبه أجبه عني، فأخذ الكاتب يبري القلم فقال عمر للكاتب: أدق القلم فإنه أبقى للقرطاس وأوجز الحروف واكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن هذا الأمر أمر قد كنا وطنا أنفسنا عليه، فلما نزل لم ننكره، والسلام[٢]...

والزمن في المصائب جزء من العلاج، قال عباد بن مخاشن: استشهد لي ابنان، فقال له رجل: ثم ماذا؟ فقال: كان جرحًا فبرأ... وقال علي بن أبي طالب للأشعث بن قيس وهو يعزيه في ابن له: إن تجزع على ابنك فقد استحقت ذلك عنك الرحم، وإن تصبر ففي الله الخلف، يا أشعث، إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور... ووقف أبو ذر الهمذاني على قبر ابنه ذر فقال: شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، فيا ليت شعري ما قلت وما قيل لك، ثم قال: اللهم إني وهبت لك إساءته فهب لي إساءته إليك، فلما انصرف التفت إلى قبره وقال: يا ذر قد انصرفنا وتركناك، ووالله لو أقمنا معك ما نفعناك[٣]...

* * *

(١) حلية الأولياء ٥ / ٣٥٦، ٣٥٧.
(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٧١.
(٣) محاضرة الأدباء ٤ / ٥٠٨.

القاعدة الثانية:

إفتح حسابًا
في بنك العواطف الأسرية

حساب بنك العواطف يمثل نوعية علاقتك بأبنائك وبناتك، ويشبه هذا الحساب حساب البنك المعروف في أنك يمكنك أن تودع فيه أو تسحب منه، وبنك العواطف يمكنك أن تودع فيه من خلال المبادرة بفعل ما يحبه ابنك ويسعده، كما أنك تسحب من رصيدك كلما أسأت إلى ابنك أو أحزنته بدون وجه حق...

طرق الإيداع في بنك العواطف	طرق السحب من بنك العواطف
• المعاملة اللطيفة.	• التحدث بلهجة ينقصها الاحترام.
• الاعتذار.	• التصرف بطريقة وقحة ينقصها الاحترام
• الولاء للغائب.	• الإحجام عن قول آسف عند الخطأ.
• قطع العهود والوفاء بها.	• الانتقاد والتحدث عن الآخرين سلبًا أثناء تغيبهم.
• الهدية.	• عدم الوفاء بالوعد.
• الصفح والمسامحة.	• استخدام أغراضهم بدون إذن.
• إعارته ما يريد.	• دخول حجرتهم دون استئذان.
• إسعاده.	• التحدث عن الغائب بصورة سيئة.
• مدح الأخ بصدق.	
• حفظ الأخ في غيبته.	

وإذا كان حسابك مع أحد أبنائك عاليًا، فذلك يعني أنه سيذكرك بالخير دومًا، وإذا حدث خطأ من جانبك في حقه، فسوف يعوض رصيدك العاطفي عنده هذه الزلة...

يقول أحد الآباء: كنت رجلًا ناجحًا في عملي وفي علاقاتي بزوجتي وأبنائي، باستثناء ابننا خالد الذي يبلغ من العمر أربعة عشر عامًا، كثيرًا ما بذلت محاولات عقيمة لإصلاح علاقتي معه، كانت جميعها تبوء بالفشل، وفي كل مرة كنت أحاول علاج خلافاتنا، كانت

تزيد الطين بلة، ثم سمعت فكرة حساب بنك العواطف، فسألت نفسي: هل وجودك في المنزل يجعل أفراده يشعرون بسعادة أكبر؟ واضطررت لأن أقول الصراحة: كلا، إن وجودي قد زاد الأمور سوءًا بالنسبة إلى خالد... وكاد هذا الخاطر يحطم قلبي...

وبعد هذه الصدمة، اكتشفت أنني لا بد أن أبدأ بتغيير نفسي، كان عليَّ أن أحب خالدًا بصدق، وأتوقف فورًا عن توجيه النقد واللوم له، والتزمت أمام نفسي بأنني – لمدة ثلاثين يومًا قادمة – سوف أضع إيداعات يومية في حساب بنك العواطف مع خالد، ولن أسحب منه أي شيء...

كاد حماسي يغلبني، وكدت أذهب لخالد، كي أخبره بما تعلمته، لكنني شعرت أن الوقت ليس مناسبًا للكلام، لقد حان وقت العمل، للإيداع... وبدأت في نفس اليوم، فعندما عاد خالد من المدرسة استقبلته بابتسامة دافئة، وسألته: كيف حالك؟ وجاء رده مقتضبا: «الحمد لله» ثم تركني وانصرف... فأمسكت أعصابي وسكت...

وعلى مدى الأيام التالية، اجتهدت في الوفاء بالتزامي، حرصت على التخلي عن توجيه اللوم له باستمرار، رغم أنه لم يكن بالأمر الهين، حيث إنني اعتدت معاندته، ودون جهد يذكر بدأت أقدم له أشياء بسيطة تعبر عن حبي له، عدت يومًا فقبلت رأسه وربَّت على كتفه وانصرفت صامتًا، وفي يوم آخر دعوت له أمامه بصوت مسموع: ربنا يحقق لك ما تتمناه، وفي يوم ثالث أحضرت له الحلوي التي كان يحبها وهو صغير... وبعد أسبوعين تقريبا نظر إليّ خالد مستغربًا وسألني: أبي، هناك شيء مختلف فيك، فما الذي يحدث؟

قلت له: لقد أدركت أنني بحاجة إلى تغيير بعض تصرفاتي معك، إنني سعيد لأنني أصبحت قادرًا على التعبير عن حبي لك من خلال التعامل معك بالأسلوب الذي كان ينبغي أن أتعامل به معك من قبل...

وبعدها بدأنا في الجلوس وقتًا أطول معًا، نتحدث وننصت لبعضنا البعض، ومر شهران حتى الآن، وأصبحت علاقتنا أعمق وأكثر إيجابية، لم تخل من العيوب، لكننا قاربنا الوصول إلى علاقة حانية، قل الألم الذي كنا نسببه لبعضنا، وازداد الحب والثقة فيما بيننا، كل ذلك بسبب فكرة الإيداع في بنك العواطف، ولم تكن الفكرة فقط، بل التطبيق المتقن

والصادق، وأنا واثق أنك لو سألت ابني عني الآن، سيقول لك فورًا: «أبي، لقد أصبحنا أصدقاء، لقد أصبحت أحبه وأثق فيه»...

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون؛ لماذا نعامل أصدقاءنا خارج البيت باحترام ومودة، ثم نعود لبيوتنا وقد فرغت منا طاقة المودة والاحترام؟ فنستخدم مع أبنائنا طاقة..... و.....، أعرف رجلا أدرك أهمية التعامل بحنان ورقة مع أفراد أسرته، تعلم هذه السلوكيات من خلال عمله في فندق، حيث يتعامل طاقم العمل مع الضيوف من خلال ثقافة متأدبة مهذبة، وأدرك كم يكون شعور الآخرين جميلا عندما تعاملهم معاملة راقية، كما أنه أدرك كم يكون سعيدًا عندما يتصرف بهذه الكياسة واللياقة، وفي يوم من الأيام، حاول تطبيق هذا الأسلوب في بيته ومع أسرته، بدأ في إنجاز بعض الخدمات البسيطة لأفراد أسرته، وبدأ يستخدم لغة إيجابية عندما يتعامل مع أبنائه وزوجته. فيقول كما يقول في العمل: هذا من دواعي سروري، يا رب تكون مرتاحًا، سعدنا بلقائك... يقول هذا الرجل: لقد تغيرت حياتنا جميعًا داخل البيت، وبدأت مرحلة جديدة من التعامل الراقي داخل الأسرة...

وهنا نقول إحدى الأمهات: أبرز شيء يحتفظ به عقلي من فترة المراهقة هو شعوري بأني محاصرة من كل جانب، أتذكر الضغوط التي عانيت منها؛ كي أتفوق في دراستي، وأتذكر انضمامي لفريق المناظرة في المدرسة، واشتراكي في ثلاثة أو أربعة أنشطة أخرى في الوقت نفسه... وأحيانا كنت أعود إلى المنزل لأجد غرفتي نظيفة ومرتبة، وكنت أجد ورقة تقول: «مع خالص حبي، الجنية المخلصة»، وكنت أعلم أن أمي تبذل كل ما في طاقتها، كي أتقدم، لأنني كنت محاصرة بكثير من الضغوط... وكانت هذه اللفتة تزيح عني الكثير من العناء، فقد كنت أدخل غرفتي وأهمس قائلة: «آه، شكرًا لك يا أمي»[1]...

والآن حان دورنا، ليختر - كل أب وكل من أحب - واحدًا من الأبناء أو البنات: ويستحسن الابن (أو البنت) الذي تشعر أن العلاقة بيننا ليست على ما يرام، ثم نطبق معه فكرة حساب بنك العواطف لمدة شهر، ونشاهد النتيجة بأنفسنا...

---

(١) انظر: العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٥٤ - ٨٣.

صفحة الإيداع		صفحة السحب	
نوع الإيداع	وقته وتاريخه	نوع السحب	وقته وتاريخه

أيها الوالد الكريم، أيتها الم الحنون، لكي تنجح فكرة حساب بنك العواطف لا بد وأن نشارك نحن فيه بفاعلية، فلا يمر يوم إلا وقد أودعنا فيه شيئًا في حسابنا العاطفي لدى أبنائنا، واحذر من أن تسحب كثيرًا من رصيدك في قلب ابنك فتخسره، فلقد سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد، فقال: يا أمير المؤمنين - أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول عند كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبّوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك فيتمنّوا موتك ويكرهوا قربك. فقال له معاوية: لله أنت! لقد دخلت عليّ وإني لمملوء غيظًا على يزيد، ولقد أصلحت من قلبي له ما كان فسد...

حبيبنا محمد ﷺ وبنك العواطف:

قال رسول الله ﷺ: «أحبّ الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه دينًا، أو يطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني: مسجد المدينة) شهرًا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له (يعني حتى يقضيها له)؛ أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام»[1]، إن أحب الأعمال إلى الله تعالى سرور (إيداع عاطفي) تدخله على قلب مسلم، وأول مسلم تدخل عليه السرور هو ابنك

(١) حديث حسن، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ٢ / ٥٧٤.

أو ابنتك، وطرق إدخال السرور عليهم كثيرة؛ كأن تكشف عنه كربة فلا ينام حزينًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا بأكلة يحبها، أو تستر خطأ فعله فلا تفضحه، أو تكظم غيظك عنه حينما يسيء، أو تمشي معه لقضاء حاجة يحبها في مدة سته أو غيرها.

لقد كان حبيبنا محمد ﷺ حريصًا على الإيداع العاطفي مع المسلمين عامة ومع أبنائه وبناته خاصة؛ فنراه ﷺ كلما قابل ابنته الحبيبة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - قبّلها في جبينها وأودع حبًا في حساب العاطفة لديها؛ روى أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: ما رأيت أحدًا كان أشبه سمتًا وهديًا ودلا[1] برسول الله ﷺ من فاطمة كرم الله وجهها، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها (قال العلماء: على رأسها أو بين عينيها) وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته (قال العلماء: الظاهر أنه تقبله في يده الشريفة) وأجلسته في مجلسها»[2]، وعند السفر كان للنبي ﷺ مع ابنته فاطمة حال جميل. روى الحاكم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - «أن النبي ﷺ كان إذا سافر؛ كان آخر الناس عهدًا به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهدًا فاطمة رضي الله عنها»[3].

ولتعرف رصيد النبي ﷺ في قلب السيدة فاطمة تأمل معنا الموقف التالي: خرج أبو بكر باهاجرة، فسمع بذلك عمر فخرج، فإذا هو بأبي بكر فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال أخرجني والله ما أجد من حاق الجوع في بطني، فقال: وأنا والله ما أخرجني غيره، فبينما هما إذ خرج عليهما النبي ﷺ فقال: ما أخرجكما هذه الساعة؟ فقالا: أخرجنا والله ما نجد في بطوننا من حاق الجوع، فقال النبي ﷺ: وأنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره، فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري وكان أبو أيوب ذكر لرسول الله ﷺ طعامًا أو لبنًا فأبطأ يومئذٍ فلم يأتِ لحينه فأطعمه أهله وانطلق إلى نخله يعمل فيه، فلما أتوا

---

(١) دلا: الدل هو حسن الحركة في المشي والحديث وغيرهما، وسمتا هو حسن المنظر في أمر الدين، والهدي هو الهيئة والمنظر والصفات... وهذه الألفاظ (سمت وهديا ودلا) متقاربة المعاني فمعناها الهيئة والطريقة وحسن الحال.

(٢) الحديث صححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود ح رقم ٥٢١٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٦٩.

باب أبي أيوب خرجت امرأته فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ وبمن معه، فقال: لها رسول الله ﷺ: فأين أبو أيوب؟ قالت: يأتيك يا نبي الله الساعة، فرجع رسول الله ﷺ فبصر به أبو أيوب وهو يعمل في نخل له، فجاء يشتد حتى أدرك رسول الله ﷺ فقال مرحبا بنبي الله ﷺ وبمن معه، فقال: يا رسول الله ليس بالحين الذي كنت تجيئني فيه فرده فجاء إلى عذق النخلة فقطعه فقال رسول الله ﷺ: ما أردت إلا هذا؟ قال: يا رسول الله أردت أن تأكل من رطبه وبسره وتمره وتذنوبه، ولأذبحن لك مع هذا، قال ﷺ: إن ذبحت فلا تذبحن ذات در، فأخذ عناقًا أو جديًا فذبحه وقال لامرأته اختبزي وأطبخ أنا فأنت أعلم بالخبز، فعمد إلى نصف الجدي فطبخه وشوى نصفه، فلما أدرك الطعام وضعه بين يدي رسول الله ﷺ وأصحابه، فأخذ رسول الله ﷺ من الجدي فوضعه على رغيف ثم قال: يا أبا أيوب أبلغ بهذا إلى فاطمة؛ فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام»[1].

يا له من موقف كريم من نبي وأب كريم، تخيل نفسك معزوم عند صديقك وهناك طعام طيب لم تأكله ابنتك من زمن، هل تأكل وحدك وتفرح بطعام لم تذقه ابنتك؟ إن الأب المحب لا يفعل ذلك، والنبي ﷺ لم يفعل ذلك، بل أرسل قبل أن يأكل لابنته ليأكلا في الوقت نفسه، إنه تواصل القلوب ورصيد المحبة بين الأب المحب وابنته...

وعندما أراد زوجها سيدنا علي ﷺ خطبة ابنة أبي جهل ليتزوجها على السيدة فاطمة، وقف النبي ﷺ على المنبر مدافعًا عن ابنته التي غضب لغضبها وحزن لحزنها، وأعلنها صريحة بيضاء مشرقة: «**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**»، روى البخاري أن عليًّا خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ، فسمعته حين تشهد يقول: «**أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد**»، وفي رواية قال ﷺ: إن فاطمة بضعة مني، و أنا أتخوف أن تفتن

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ١٠ / ٣٢٠ وقال عنه: فيه عبد الله بن كيسان المروزي وقد وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب ح ر ١٣٠٣.

في دينها، وإني لست أحرم حلالًا، و لا أحل حرامًا، و لكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبدًا[١].

وقبيل رحيل النبي ﷺ عن الدنيا إلى الرفيق الأعلى، لم يترك سره مع أبي بكر ولا عمر، وإنما تركه مع ابنته الحبيبة السيدة فاطمة رضي الله عنها. روى البخاري ومسلم عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – قالت: إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده جميعًا (في مرضه الأخير)، لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة -عليها السلام- تمشي، ولا والله لا تخفى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ، فلما رآها رحّب وقال: (مرحبًا بابنتي). ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارّها، فبكت بكاء شديدًا، فلما رأى حزنها سارّها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك رسول الله ﷺ بالسر من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: عم سارك؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره، فلما توفي، قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني، قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني، قالت: أما حين سارني في الأمر الأول، فإنه أخبرني: أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، (وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك)، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية، قال: (يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة) قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت. وفي رواية للبخاري: فقالت سارني النبي ﷺ: «أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته يتبعه، فضحكت»... ولقد توفيت السيدة فاطمة – رضي الله عنها – بعد وفاة رسول الله ﷺ بستة أشهر[٢]...

* * *

(١) صحيح الجامع للألباني، ح ر ٢١١٥.
(٢) مجمع الزوائد ٩ / ٢١٤، وقال: روى بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.

١٩٠ فكرة للإيداع في بنك العواطف الأسري[١]:

١) قل لابنك أحبك بلغات مختلفة (إنجليزي – فرنساوي – تركي – هندي...).

٢) أظهر لطفلك – عمليًا – أنه أهم من عملك.

٣) استمتع مع طفلك بمشهد غروب الشمس.

٤) احتفظ بنسخة من إحدى الصحف التي صدرت في يوم ميلاد طفلك وقدمها له كهدية في عيد ميلاده وهو مراهق.

٥) تتبع مع طفلك شجرة العائلة.

٦) العب مع طفلك بالرمال على الشاطئ.

٧) ابتسم لابنك ولابنتك عندما تراهم صباحًا أو مساء بدون سبب لأنك تحبهم.

٨) اكتب قصيدة عن حبك لأبنائك أيًا كان مستواها، واقرأها على أبنائك بعد العشاء.

٩) خطط لترك العمل باكرًا في يوم من الأيام لكي تقضي المزيد من الوقت مع أبنائك، ولا تجعله وقتًا للنكد واللوم والعتاب.

١٠) شاهد مع الصغار أفلام الرسوم المتحركة صباح يوم العطلة.

١١) زين حجرة نوم طفلك بالرسومات والصور.

١٢) قم بإخفاء بعض الحلوى تحت وسادة ابنك وابنتك.

١٣) اشترِ لنفسك ولابنك (أو لابنتك) فيشارًا، وتناولوه معًا في نزهة جميلة، أو اصنعه وتناوله معه بالمنزل.

١٤) اكتب خطابات مدح وتشجيع لمعلم طفلك.

١٥) اشترِ هدية لابنك (أو أبنائك) لا لسبب إلا لأنك تحبه.

---

(١)هذه النصائح مستقاة بعناية من كتاب: ٢٠٠٢ طريقة لاظهار حبك لأطفالك، وكتاب: ٥٠١ طريقة لتعزيز ثقة الطفل بنفسه، مع بعض التعديلات والإضافات حتى تناسب أبناءنا وبناتنا.

١٦) أرسل بطاقة تهنئة لأعز أصدقاء طفلك في مناسباتهم السعيدة وواسهم في مناسباتهم الحزينة مهما كانت من وجهة نظرك بسيطة.

١٧) امنح ابنتك الصغيرة دمية (عروسة) جميلة بدون مناسبة؛ فسوف تظل تذكرك بها.

١٨) ضع صورة ابنك (أو أبنائك) بكل فخر أمامك على المكتب أو في الكمبيوتر أو في الهاتف النقال (الجوال).

١٩) وقع خطاباتك إلى طفلك برموز تعبر عن حبك الشديد له.

٢٠) تنزه مع أبنائك على الأحصنة أو الحمير أو الجمال أو غيرها.

٢١) استرجع مع أبنائك ذكريات العائلة السعيدة.

٢٢) خصص صندوقًا لاقتراحات أفراد العائلة.

٢٣) ضع بداخل الهدايا التي تقدمها لأبنائك هدايا أخرى؛ حتى تجعلها أكثر متعة عندما يتلقاها أبناؤك.

٢٤) أقم حفل شواء عائليًا ولا تنهه بخلاف وشقاق ورفع للصوت، واحرص أن يكون ذكرى لا تنسى.

٢٥) قم بإخفاء هدايا خاصة لأبنائك في المنزل، واجعلهم يبحثون عنها ليجدوها.

٢٦) أخبر أصدقاء ابنك أو ابنتك بأشياء جيدة عنه.

٢٧) اصطحب أبناءك في نزهة بالسيارة في عطلة نهاية.

٢٨) اشترك مع أبنائك في إعداد مفاجآت جميلة لشريك حياتك (زوجك أو زوجتك).

٢٩) بدلا من أن تنام إلى وقت متأخر في صباح يوم عطلتك الأسبوعية؛ اقضِ هذا الوقت في نشاط مع أبنائك.

٣٠) احرص على التقاط الصور العائلية، واكتب اسم كل شخص على ظهر الصورة الخاصة به وتاريخ التقاطها، فإن أبناءك سيسعدون بذلك بعد مرور السنين.

٣١) أعط أبناءك مجموعة من الكوبونات المغلقة ليختاروا منها، اكتب فيها: تناول وجبة الغداء مع الأم في المطعم الذي تفضله، غسل الأطباق مع جائزة فورية، اللعب مع الأب، التسوق مع الأم والحصول على هدية، زيارة إلى منزل الأجداد، عزومة لصديقك المفضل على حساب والدك...

٣٢) قدم إلى كل واحد من أبنائك قائمة بها ١٠ أو ٢٠ أو ٥٠ أو ١٠٠ طريقة استطاع أن يدخل بها البهجة والسعادة إلى حياتك أو قلبها لهم شفويًا.

٣٣) اكتب قائمة بها عشر صفات تريد أن يجدها طفلك فيك، واحتفظ بتلك القائمة كخريطة لمشاعرك وتصرفاتك معه، واقرأها وراجعها كثيرًا.

٣٤) علم طفلك السباحة فقد تنقذ حياته يومًا ما.

٣٥) دع طفلك يرسم صورتك؛ فسوف تعلم الكثير عن الطريقة التي يراك بها طفلك.

٣٦) اجعل طفلك يسمعك – عرضًا – وأنت تمدحه أمام صديق أو على الهاتف، بشرط أن يكون مدحك صادقًا وغير مبالغ فيه.

٣٧) اكتب اسم كل شخص على ظهر الصورة الخاصة به وتاريخ التقاط الصورة، فإن طفلك سيسعد بذلك بعد مرور الزمن.

٣٨) أمسك بلافتة تعبر عن حبك لأبنائك وبناتك والتقط لنفسك صورة وأنت تمسك بها.

٣٩) تنزه مع ابنك (أو ابنتك) على شاطئ أحد الأنهار أو البحار أو البحيرات؛ فهذا منظر جميل وسيحبه ابنك.

٤٠) بمعاونة زوجك وأبنائك اختر أنشودة لك ولأفراد عائلتك لتكون النشيد الرئيسي للعائلة، وعن طريقها يتذكر أحدكم الباقين عند سماع ذلك النشيد.

٤١) أعلن عن حبك لأبنائك ودعائك لهم في أحد الإعلانات المبوبة أو في القنوات الفضائية.

٤٢) قم بعمل رحلة عائلية تمثل علامة فارقة في حياتكم، كأن تركب البالون الهوائي أو مركبًا في البحر أو النهر أو غيرها...

٤٣) ترقب عند باب مدرسة أبنائك في اليوم الأول من العام الدراسي لتقابل معلميهم وتستقبلهم بسرور

٤٤) اخرج أنت وزوجتك فقط وتمتعا بسهرة رومانسية أو بتمشية عاطفية أو بعشاء ودي، فهذا سيعود على أبنائك بالنفع الكثير، ويمكنك أن تترك أبناءك عند أهلك أو في رعاية أسرة أحد أصدقائك المأمونين، وربما ترد له الجميل يومًا باستضافة أبنائه عندك لينفذ المشروع نفسه...

٤٥) استلق مع أبنائك على الحشائش وراقب معهم حركة السحاب، أو استلق مع أبنائك على سطح المنزل أو في مكان مناسب وراقبا النجوم معًا.

٤٦) اصطحب ابنك أو ابنتك إلى: حديقة الحيوان – السيرك – رحلة نهرية – الملاهي...

٤٧) اصطحب طفلك في جولة لمكان عملك.

٤٨) العب مع طفلك بعض الألعاب القديمة مثل: الغميضة، نط الحبل، البولينج – الشطرنج – السلم والثعبان – بنك الحظ...

٤٩) بدلًا من إزعاج ابنك (أو ابنتك) بالإلحاح عليه للقيام بعمل يكرهه أو يمثل ثقلاً عليه، اترك له ملحوظة لطيفة تذكره بما ينبغي فعله.

٥٠) ابدأ يومك بدعاء تردده مع أطفالك.

٥١) اتفق مع طفلك على قواعد محددة وعادلة لطفلك حول طريقة تصرفه مع أصدقائه في بيتك.

٥٢) علق في بيتك لافتة تقول: «ما أحلى التواجد بالمنزل!».

٥٣) تبارِ مع أبنائك في أمسية لحل الفوازير والأحاجي.

٥٤) لا تنم غاضبًا من طفلك، ولا تجعله ينام حزينًا.

٥٥) قم بتسجيل حوار لك مع طفلك في وجود العائلة على شريط فيديو أو بواسطة الهاتف المحمول (الجوال) واحتفظ به للذكرى، واغتنم الفرصة والتقط الكثير من المشاهد العائلية...

٥٦) كلم أبناءك عن أصدقاء طفولتك، وكيف سارت بهم الحياة، وأين هم الآن سكنًا وعملًا وأبناء، وإن استطعت أن تعرف أبناءك عليهم فافعل...

٥٧) اطلب من والديك أن يصنعا لعبًا قديمة الطراز لطفلك مهما كانت بسيطة، أو يلعبا معهم بعض الألعاب القديمة التي كانوا يلعبونها وهم صغار...

٥٨) اجمع مع أبنائك كل الصور الخاصة بالعائلة، ورتبوها في ألبوم خاص ليكون كنزًا للأجيال القادمة، هذا طبعًا مع حكاية بعض الذكريات المتعلقة بتلك الصور، وإن كنتم من منفذي الفكرة مسبقًا فاستمتعوا معًا بمشاهدة الذكريات العائلية... وأجمل ما في هذه الصور أنها ستذكر الحي بالميت فيدعو له بالرحمة والمغفرة.

٥٩) احكِ لطفلك حدوتة قبل النوم.

٦٠) احكِ لطفلك قصة زواجك وكيف تعرفت على زوجك (زوجتك).

٦١) قم مع طفلك بمساعدة أحد الأقارب أو الجيران المسنين.

٦٢) حدد وقتًا كل أسبوع للعب مع طفلك مهما كان عمره.

٦٣) قل لطفلك: «يرحمكم الله» عندما يعطس.

٦٤) حدد موعدًا أسبوعيًا ثابتًا لتقابل فيه أحد أبنائك أو بناتك على انفراد، بشرط أن تكون نشيطًا ومستعدًا وتغير من شكل اللقاء باستمرار، وضع علامة حمراء على هذا الموعد في جدول مواعيدك، واقضِ مع طفلك بعض الوقت في مكان يحبه.

٦٥) تعارك مع ابنك أو ابنتك بطريقة ودية باستخدام المخدات أو أوراق الشجر أو السيوف الخشبية الرقيقة أو بغيرها... أو العب معهم لعبة خفيفة تنوي من

خلالها ربطهم بك حبًا وشوقًا ومودة، حتى يطيعوك فيما تأمرهم به من خير بعد ذلك، فالمحب لمن يحب مطيع...

٦٦) وزن كل الأشياء الجميلة التي فعلتها وأنت معك أثناء تربيتها لك وكافئها على صواب، وحاول أن تدمجها داخل طريقة تربيتك لأبنائك، مع مراعاة تغير ظروف أبنائك وأحوالهم...

٦٧) اكتب قائمة بكل الأشياء التي كنت تود معرفتها وأنت صغير، وأخبر ابنك بها.

٦٨) خذ إجازة «حرة» مع أبنائك لتبادل الزيارات مع أشقائك أو والديك أو أصدقائك.

٦٩) قم بغرس شجرة عندما يولد طفلك، يذهب إلى المدرسة، يتزوج، يصبح والدًا.

٧٠) اشترِ بعض العرائس وأقم لأبنائك عرضًا لمسرح العرائس المنزلي، واجعلهم يشتركون معك.

٧١) أحضر الإفطار لأبنائك على ضوء الشموع في صباح أحد أيام الشتاء الباردة بالغيوم.

٧٢) مارس تمرينات الصباح مع كل أفراد البيت، وجهز قبلها باقة متنوعة من التمرينات، وأضف لها بعض السهات أثناء التنفيذ.

٧٣) ضع لطفلك ليلًا في أحد كتب المدرسة عند الدرس الذي سيدرسه ورقة مكتوبًا فيها: أحبك، وربنا يوفقك، وبانتظارك على شوق، مع توقيعك في نهايتها.

٧٤) احرص على الانضمام إلى مجلس الآباء بمدرسة طفلك.

٧٥) اطلب من طفلك أن يعانقك كثيرًا.

٧٦) اصطحب ابنك أو ابنتك في جولة إلى: الحي الذي نشأت فيه، مدرستك، أقاربك.

٧٧) اسأل طفلك عما يراه في نومه من رؤيا طيبة واحكِ له أنت أيضًا.

٧٨) أقم مباراة عائلية تتسابقون فيها على قذف لب البطيخ من أفواهكم لمسافات بعيدة.

٧٩) شاهد طفلك وهو نائم، وستشعر أنك تحبه كثيرًا.

٨٠) اصطحب طفلك إلى عاصمة بلدك ليشاهد معالم وطنه.

٨١) احتفظ بقائمة فيها أسماء أصدقاء ابنك أو ابنتك، على أن يكون بها: أسماؤهم، أرقام هواتفهم، عناوينهم... وأحسن التواصل معهم.

٨٢) اصطحب ابنك أو ابنتك لتناول الآيس كريم.

٨٣) ضع صورة ابنك (أو ابنتك) الحالية مع صورته عندما كان رضيعًا في إطار واحد وأهدها له.

٨٤) احتفظ بكل الأشياء التي تذكرك بالمناسبات التي شهدتها مع طفلك، وامنحها له في يوم عيد ميلاده السادس عشر.

٨٥) أرسل لابنك (أو لابنتك) رسائل الحب على الموبايل أو على الإيميل الخاص به.

٨٦) استأجر درّاجة ذات مقعدين (أو دراجتين) لتتنزه بها مع أحد أبنائك.

٨٧) اشتر مصباحا جيد الإضاءة وضعه على مكتب ابنك أو ابنتك.

٨٨) ضع خطابًا يحمل عبارات الحب لطفلك داخل بالونة، وفرقعها أمامه.

٨٩) شغّل لطفلك أشرطة فكاهية أو أناشيد يحبها في السيارة وهو معك.

٩٠) تأمل نجوم السماء مع ابنك أو ابنتك (وربما أبنائك جميعًا) هذه الليلة، وتحدث معه فيما يحبون، ثم عبر لهم عن سعادتك بهذا الجو الأسري الرائع...

٩١) لا تكثر من الحديث عن التضحيات التي بذلتها من أجل أبنائك، وتحدث معهم عن المتعة التي تشعر بها عندما تراهم سعداء وأصحاء وغير مهمومين...

٩٢) اصطحب ابنك أو ابنتك في جولة إلى: مكان عملك، الحي الذي نشأت فيه، مدرستك القديمة، بيت العائلة القديم، مكان كنت تفضله وأنت صغير، مكان

يرتاح الجلوس فيه اليوم، وهذا للتقارب ومد جسور الحب بينكما...

٩٣) الأسرار بين الأحباب تقوي العلاقة وتزيدها ارتباطًا، لذلك اخرج مع ابنك أو ابنك وتمتعا معًا وقل هذا سر بيننا، أو كلا معًا أكلة شهية أو اشربا شيئًا طيبًا أو غيرها وقل: هذا سر، او اعطه هدية أو منحة مالية او اخبره بخبر شيق أو غيرها وقل: هذا سر بيننا...

٩٤) جهز لأبنائك بعض الفوازير البسيطة المرحة وفاجئهم بها، واجعلهم يتنافسون ويضحكون، ويستمتعون معًا بنعمة اجتماع العائلة، أدامه الله على الجميع...

٩٥) امتنع اليوم عن مشاهدة التلفزيون، وخصص وقت المشاهدة للاهتمام بأبنائك والحديث معهم.

٩٦) حد هدية من الصراخ والانفعال والتشنج، وقرر ألا ترفع صوتك في البيت لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع، مهما حدث من أبنائك، حاول أن تظهر الغضب دون رفع للصوت، وراقب نفسك وأعلم زوجك وأبناءك بنيتك، وإذا نجحت كافئ نفسك بما تحب، فنجاحك في حد ذاته مكافأة لأبنائك...

٩٧) اشترِ هدايا جميلة ويحبها أبناؤك مهما كانت بسيطة (بدون مناسبة)، وبعد أن يناموا ضعها في حجرتهم حتى يفرحوا بها حينما يستيقظون من نومهم.

٩٨) اكتب إلى إحدى الشخصيات البارزة واطلب منه أن يبعث ببرقية تهنئة وتشجيع لطفلك في يوم مولده، أو في أي مناسبة تراها.

٩٩) اصطحب أبناءك في نزهة لتناول المثلجات (آيس كريم وغيرها) واستمتع بجو المرح.

١٠٠) خطط لقضاء ليلة اكتمال القمر مع جميع أفراد العائلة، في فناء البيت أو الهواء الطلق أو في الحديقة أو سطح المنزل وغيرها.

١٠١) أحدث تغييرًا هائلًا في حياة طفلك وذلك بأن تحسن علاقتك بزوجتك.

١٠٢) فاجئ أبناءك برحلة ممتعة ومناسبة لظروفهم دون تخطيط مسبق، وإن لم تستطع

فاشترِ لابنك أو ابنتك شيئًا يحمل أول حرف من اسمه.

١٠٣) في يوم ميلاد ابنك أو ابنتك علق لافتات في أرجاء المنزل تتمنى لهم فيها عمرًا مديدًا وعملا صالحًا مقبولا.

١٠٤) اطلب من ابنك (أو ابنتك) أن يصف لك ما يحلم أن يكون عليه والداه، واستمع له بأذن صاغية وصدر رحب، واستخدم المعلومات الجديدة لتحسن مهاراتك التربوية.

١٠٥) ضع صورة ابنك الحالية مع صورته عندما كان رضيعًا في إطار واحد وأهدها له.

١٠٦) نافس أبناءك في إحدى مباريات الألعاب على الكمبيوتر أو البلاي ستيشن.

١٠٧) جرب رمي الحصى في الماء مع ابنك.

١٠٨) علق لوحة بالقرب من الباب الخلفي للمنزل أو عليه؛ حتى يتسنى لك أن تكتب عليها آية رسائل إلى أبنائك، ولتكن أول رسالة: أنا فخور أنكم أبنائي...

١٠٩) عندما تكون خارج المنزل اتصل بابنك (أو ابنتك) وقل له: إنك تفتقده.

١١٠) اصطحب طفلك لزيارة الكثير من الجامعات لتحفزه على الاستذكار وليكتسب الكثير من المعلومات عن الجامعات.

١١١) سجل أول يوم لطفلك في المدرسة بكاميرا الفيديو أو بالجوال (المحمول)؛ لأن ذلك اليوم هو أحد الأيام المهمة في حياته.

١١٢) اهمس في أذن ابنتك (أو ابنك) أحيانًا؛ لأن ذلك يجعلها تشعر أنها قريبة منك ولديها أسرار مشتركة معك.

١١٣) خطط لترك عملك مبكرًا في الغد لكي تقضي المزيد من الوقت الممتع والمرح مع طفلك.

١١٤) عندما تغيب عن المنزل عدة أيام، اترك لابنك (أو لابنتك) مجموعة علب بعدد أيام غيابك؛ بحيث يفتح علبة كل يوم ليجد بها إحدى المفاجآت.

١١٥) خذ أبناءك ليشاركوك شراء ملابسك فيختاروا معك الألوان ورابطات العنق والأقراط والموديلات.

١١٦) قم أنت وابنك باحتساء الشاي في أحد الفنادق أو المقاهي العريقة.

١١٧) خصص جلسات عمل أسرية؛ فالكد والعرق يبنيان أسرًا وأجسادًا قوية.

١١٨) قل لابنك (أو لابنتك) أنا أحبك مستخدمًا لغة الإشارة (بطريقة تتفقون عليها) وذلك عندما تكونون في أماكن عامة فيها آخرون.

١١٩) ناقش مع أبنائك «كيف نكون أسرة أفضل»؟

١٢٠) أعطِ ابنك قائمة بالهدايا ليختار من بينها في بعض المناسبات الخاصة.

١٢١) ساعد ابنك (أو ابنتك) على أن يقيم حفلًا أو عزومة لأصدقائه في بيتكم.

١٢٢) اغرس لطفلك شجرة يرعاها بنفسه.

١٢٣) تحدث مع ابنك (أو ابنتك) عن سبب تسميته بهذا الاسم.

١٢٤) امنح طفلك المزيد من التشجيع والعطف أثناء الأوقات العصيبة التالية:

- الأسبوع الأول له في المدرسة.
- عندما يرحل عنه أحد أصدقائه المقربين.
- عند اشتراكه في الاختبارات في النادي أو المدرسة
- عندما تعاني أنت وزوجتك عثرات من أي نوع.
- عندما تنتقل العائلة من منزل إلى آخر.
- عند موت أحد الأقارب.
- عندما يمرض أحد أفراد العائلة مرضًا شديدًا.
- عندما يموت الحيوان الأليف الخاص بالعائلة.

١٢٥) اكتب لطفلك رسالة حب بخط جميل وضعها في إطار زجاجي وعلقها على

حائط غرفته أو ضعها على مكتبه.

١٢٦) أخفِ ملحوظة تعبر عن حبك لطفلك في الكتاب الذي يقرؤه.

١٢٧) اضبط طفلك وهو يقوم بأعمال جيدة.

١٢٨) التقط صورة لطفلك في أول كل عام دراسي.

١٢٩) عانق طفلك بمرح بعد أي جدال معه وبعد أي نقاش حاد.

١٣٠) كن لبقًا واضبط أعصابك عندما تتحاور مع: آباء أصدقاء طفلك، معلميه، مدربيه، مدرسيه، زملائه بالمدرسة.

١٣١) اكتب إهداء كبيرًا لطفلك في كل كتاب تمنحه إياه.

١٣٢) ابتكر إشارات خاصة بك لتقول بها لطفلك أحبك؛ كأن: تقبله في الهواء، تصنع له إشارة بيدك، تصافحه بحرارة...

١٣٣) امنح نفسك فترة انتقالية – قصيرة – بعد عودتك لمنزلك من العمل قبل أن تمارس واجبك كوالد.

١٣٤) لا ترهق نفسك كثيرًا ولا تعد للبيت جثة هامدة؛ لأنه إذا كنت سعيدًا ومرتاحًا فهذا يزيد من فرص أن يكون طفلك سعيدًا.

١٣٥) قم بإخفاء ورقة تحمل عبارات التشجيع والحب في جيب ملابس طفلك التي سيرتديها وهو ذاهب للمدرسة صباحًا.

١٣٦) وفر في بيتك جوًّا منزليًّا يشجع طفلك على إحضار أصدقائه إليه وذلك بأن: تجعل بيتك نظيفًا ومرتبًا، تقدم وجبات خفيفة، تكون ودودًا، تسمح له بقدر مناسب من الخصوصية.

١٣٧) إذا كنت ستطلق على طفلك لقبًا؛ فاختر له لقبًا يبعث على الفخر والسعادة والأمل.

١٣٨) أعلن عن حبك لطفلك في أحد الإعلانات المبوبة أو في مجلات الإعلانات المحلية.

١٣٩) أطلق اسم طفلك على أحد النجوم التي في السماء.

١٤٠) اهمس في أذن طفلك وطفلتك أحيانًا، لأن ذلك يجعلها تشعر أنها قريبة منك ولديها أسرار مشتركة معك.

١٤١) لا تجعل معاملتك لصديقك أفضل من معاملتك لطفلك.

١٤٢) اطلب من طفلك أن يكتب لك قائمة بالأشياء التي تجعله يشعر بأنه محبوب.

١٤٣) عندما يكون ابنك (أو ابنتك) على موعد لتناول العشاء أو الغداء عند أحد أصدقائه، اجعله يأخذ معه علبة حلوى بسيطة أو باقة ورد أو هدية صغيرة لمضيفه.

١٤٤) لا تجعل طفلك يسمعك وأنت تنتقده أمام أحد أبدًا (مدرسه – جده – زميله...).

١٤٥) لا تتخلص من ألعاب طفلك القديمة إلا بعد موافقته وإقناعه بحب.

١٤٦) قم بتوصيل أطباق الطعام مع طفلك إلى الأسر المحتاجة.

١٤٧) عندما تكون خارج المنزل اتصل بابنك (أو ابنتك) وقل له: إنك تفتقده (وحشتني) وأنك أردت سماع صوته.

١٤٨) ضع لافتة مكتوبًا عليها: «مرحبًا بعودتك» في بيتك عند عودة ابنك من معسكر أو رحلة.

١٤٩) ليكن في حسبانك أن ابنك لن يجلب لك المدح دومًا، فإذا أردت أن تنال شرف نجاح ابنك، فكن مستعدا أن تنال قسطًا من اللوم عند فشله.

١٥٠) اجعل طفلك يخطط لعمل شريط فيديو عن العائلة.

١٥١) قل لابنك «أنا معجب بما فعلت»؛ فإنها تختلف عن جملة «أنا أحبك»، لكنها تتساوى معها في أهميتها لابنك في أي عمر.

١٥٢) دع طفلك يساهم في رعايتك عندما تكون مريضًا (وعندما لا يكون مرضك معديًا بالطبع).

١٥٣) حاول أن تتعلم شيئًا من طفلك وتخبره بذلك.

١٥٤) قدم طفلك للآخرين في المناسبات الاجتماعية، ولا تتصرف وكأنه غير موجود.

١٥٥) إذا كان طفلك مرتبكًا وخجولًا؛ فصافحه بين الناس وعانقه في المنزل.

١٥٦) عندما تحصل على مكافأة أو ترقية؛ احرص على الاعتراف بالدور الذي لعبه أفراد عائلتك – ومنهم طفلك – في تحقيق هذا الانجاز.

١٥٧) استقبل طفلك بذراعين مفتوحين دومًا.

١٥٨) اكتب الأشياء المضحكة التي يقولها طفلك والمواقف الممتعة التي يفعلها طفلك؛ لأن ذلك سيكون مصدر متعتكما في السنوات القادمة.

١٥٩) جرب عادة رمي الحصى في الماء مع طفلك.

١٦٠) علق رسومات ابنك أو ابنتك في أماكن واضحة بالمنزل، إن حجرة الاستقبال مصنوعة لهذا الغرض.

١٦١) اغمز بعينك لابنك لو كان بينكما سرًا مشترك.

١٦٢) جرب أن تغسل سيارتك بمساعدة طفلك، افعل ذلك بمرح وسعادة، ولا تنهيه بخناقة.

١٦٣) حاول تخصيص وقت لكل ابن من أبنائك وبناتك كل على حدة.

١٦٤) ازرع شيئًا مع ابنك أو ابنتك.

١٦٥) لا تجعل فرقًا كبيرًا بين معاملتك لابنك (أو ابنتك) في بيتك ومعاملتك له على الملأ.

١٦٦) اصطحب طفلتك لتصفيف شعرها على أحدث صيحات الموضة في صالون (كوافير) لتصفيف الشعر.

١٦٧) أعطِ ابنتك وردة عنوانًا محبة.

١٦٨) اقتنِ برطمانًا به عبارات مدح لطفلك؛ يستطيع الرجوع إليه مرارًا وتكرارًا، كل ما

عليك فعله ببساطة هو أن تكتب على الأقل أفضل ٢٥ صفة في طفلك وتضعها في صندوق مخصص لذلك، مما يمكنه من الرجوع إليه في أي وقت يحتاج فيه للابتهاج.

١٦٩) عندما يكون ابنك (أو ابنتك) مندمجًا في القيام بأحد الأعمال الشاقة؛ أوقفه في تلك الأثناء واشكره وامدحه وربما تعانقه.

١٧٠) إذا كان عندك حديقة فازرع أشجارًا معمرة تتوارثها أجيال عائلتك.

١٧١) اطلب من الأجداد أن يحكوا لطفلك عن تلك الأيام القديمة الرائعة.

١٧٢) تحقق يوميًا من بعض الأمور التي قد فعلتها مع طفلك: هل تبادلت الحديث مع طفلك؟ هل تناولنا معًا وجبة واحدة على الأقل؟ هل صليتا معًا؟ هل قمت بمعانقته؟ هل ضحكنا معًا؟

١٧٣) لا تقلق بشأن ملابسك أو تسريحة شعرك عندما يقوم طفلك باللعب معك.

١٧٤) أخبر طفلك دومًا أنك تشكر الله على أن رزقك إياه.

١٧٥) لا تجعل طفلك يسمعك أبدًا وأنت تقول: إنك سعيد لأنه سيعود إلى المدرسة، سيذهب بعيدًا في معسكر، سيذهب لزيارة أقاربه خارج المدينة.. لأنه بحاجة للشعور بأن جميع من حوله يريدونه دائمًا.

١٧٦) اذهب في نزهات طويلة سيرًا على الأقدام مع ابنك أو ابنتك وفي جو جميل.

١٧٧) شارك طفلك في بناء أي شيء نافع.

١٧٨) حاول أن ترى إيجابيات ابنك (أو ابنتك) كما يراها الآخرون، فإن ذلك قد يزيد من احترامك له.

١٧٩) اشتر لابنك (أو ابنتك) شيئًا مكتوبًا عليه الأحرف الأولى من اسمه.

١٨٠) خصص جلسات عمل أسرية، فالكد والعرق يبنيان أسرًا وأحسادًا قوية.

١٨١) تذكر أسماء: معلمي طفلك، زملائه في الفصل، أصدقائه... فهذا يسعده.

١٨٢) تبرع بالكتب (ولو مجموعة قصص) لمكتبة مدرسة طفلك، وليكن التبرع باسم طفلك.

١٨٣) احتفظ بكيس مملوء بالهدايا الصغيرة وقم بإخفائه حتى يتسنى لك إخراج إحدى الهدايا منه لتقديمها لطفلك كمكافأة على ما بدر منه من سلوك استثنائي رائع.

١٨٤) اصطحب طفلك إلى مكان يحبه لم يذهب إليه من قبل.

١٨٥) ادعُ أصدقاء طفلك لتناول الحلوى في بيتك بدلا من دعوتهم على العشاء؛ فهذا سيكون أكثر سهولة بالنسبة إليك،وطفلك سيسعد لاستضافة أصدقائه.

١٨٦) تناول مع طفلك حلوى غزل البنات.

١٨٧) أغلق التلفاز أثناء: تناول الطعام، الاجتماعات العائلية، الحوار مع أحد أبنائك.

١٨٨) التقط صورًا لطفلك في جميع أرجاء قريتك أو مدينتك، فإنها ستكون ذات قيمة ثمينة إلى الأبد.

١٨٩) خذ ابنك أو ابنتك في رحلة لصيد السمك.

١٩٠) ادعُ الله – تعالى – أن يؤلف بينكم ويرزقكم الحب والمودة.

١٩١) اطرح هذا الكتاب دائمًا واذهب وعانق طفلك.

بـ ١٠ طرق.. يصبح رصيدك صفرًا:

الهدم أسهل بكثير من البناء، والسحب من الرصيد أسهل بكثير من الإيداع، ورصيدك في بنك العواطف لدى أبنائك يمكنك أن تجعله صفرًا؛ وذلك باستخدام الطرق العشر التالية:

(١) سافر وابتعد عنهم كثيرًا:

قديماً أراد الحطيئة الشاعر السفر، فقالت له زوجته: متى الرجوع؟ فأنشدها يقول:

عدي السنين لغيبتي وتصبري ودعي الشهورَ فإنهنَّ قصارُ

فردت عليه بالشعر قائلة:

اذكر صبابتنا إليك وشوقنا وارحم بناتك إنهنَّ صغارُ

فما كان منه إلا أن نزل من على ناقته، وحطَّ رحله، ولم يسافر، وهكذا زاد رصيد المحبة في قلب زوجته وبناته.

وها هو الأعشى يقول في فاتحة معلقته:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعًا أيها الرجل؟

هناك بعض الآباء يطيق وداعًا وبعدًا عن أبنائه، بل إن بعضهم قد يسعده ذلك ويفرحه، ونسي المسكين أنه كلما ابتعد أكثر خسر من رصيد الحب في قلوب أبنائه.

(٢) لا تجتمع معهم على طعام:

روى ابن ماجة عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا جميعًا ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة**»[١]. و من هنا حرص الصحابة الكرام على تناول الطعام مع أبنائهم؛ فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: أعتم رجل ثم (عند) النبي ﷺ ثم رجع إلى أهله، فوجد الصبية قد ناموا، فأتاه أهله بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها؛ فليأتها وليكفر عن يمينه**»[٢]. فهذا أحد الصحابة الذين يجالسون النبي ﷺ حتى عتمة الليل، و يقومون على شؤون الأمة في أشد أوقاتها خطورة، لا يمنعه ذلك كله من تعاهد أطفاله عند عودته للبيت فيأكل معهم و يجالسهم كما يجالس أمثاله هو خارج البيت، و في اليوم و الليلة التي تأخر فيها عن أطفاله حتى ناموا، ففاته وفاتهم تلك الجلسة العائلية المعتادة؛ حزن –رضي الله عنه– فحلف لا يأكل، كأنه يعاقب نفسه على إهماله ذلك الواجب اليومي[٣]... و ثمر

(١) سنن ابن ماجة ٢ / ١٠٩٣.
(٢)صحيح مسلم ٣ / ١٢٧١.
(٣)العشرة الطيبة مع الأبناء و تربيتهم.

السنون، و بعد أربعة عشر قرنًا نقرأ الخبر التالي في جريدة الأهرام المصرية: أكدت دراسة إسبانية أن جمع شمل الأسرة حول مائدة الطعام يعزز استقرار الصحة النفسية والعقلية لدى الأبناء، و توصلت الدراسة التي نشرت في دورية «علم الأوبئة وصحة المجتمع» إلى أن الأبناء في سن المراهقة الذين يشاركون آباءهم في تناول الطعام يتمتعون بحالة نفسية جيدة، وأن تناول الوجبات اليومية التي تضم جميع أفراد الأسرة - ولأكثر من خمس مرات في الأسبوع – له أثر جيد على الصحة النفسية للأبناء[١]...

(٣) إن أحسنوا لا تشكر وإذا أساءوا لا تغفر:

روي الطبراني عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة من الفواقر**[٢]؛ إمام (مدير أو أب أو غيرهما): **إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء: إن رأى خيرًا دفنه، وإن رأى شرًّا أذاعه، وامرأة: إن حضرتك آذتك، وإن غبت عنها خانتك**»[٣]... فكن هذا الأب الذي يكسر ظهر أولاده بعدم شكر ما أحسنوه وعدم مغفرة ما أساءوه؛ تخسر رصيدك في قلب ابنك وابنتك.

(٤) اضربهم على وجوههم:

رواه الإمام مسلم وأحمد وابن حبان و الترمذي عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: مر حمار برسول الله ﷺ قد كوي في وجهه يفور منخراه من دم فقال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من فعل هذا**» ثم نهى عن الكي في الوجه والضرب في الوجه، وفي رواية لأبي داود قال ﷺ: أما بلغكم أني قد لعنت من وسم البهيمة في وجهها أو ضربها في وجهها؛ فنهى عن ذلك[٤]، ولقد قال الإمام النووي معلقًا على هذا الحديث: وأما الضرب في الوجه فمنهي عنه في كل الحيوان المحترم من الآدمي (يعني الحيوان الأليف)

---

(١) جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر يوم الجمعة الموافق ١٨ / ١ / ٢٠٠٢ ميلادية.

(٢) ثلاثة من الفواقر أي الدواهي، واحدتها فاقرة، كأنها تحطم فقار الظهر، كما يقال قاصمة الظهر، انظر: لسان العرب ٢ / ٦٤.

(٣) رواه الطبراني بإسناد لا بأس به، انظر الترغيب و الترهيب ٣ / ٢٤٣، و المعجم الكبير للطبراني ١٨ / ٣١٨، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح ر ٢٥٣٦.

(٤) الترغيب و الترهيب ٣ / ١٥٤.

كالحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها، لكنه في الآدمي أشد لأنه مجمع المحاسن مع أنه لطيف يظهر فيه أثر الضرب، وربما شانه وربما آذى بعض الحواس[١].

(٥) ادعُ عليهم:

روى الإمام مسلم و ابن حبان و أبو داود (و اللفظ له) عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»[٢].

وروى الإمام مسلم عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره. فأغمضه. ثم قال «إن الروح إذا قبض تبعه البصر». فضج ناس من أهله. فقال «لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير. فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون». ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين. واغفر لنا وله يا رب العالمين. وافسح له في قبره. ونور له فيه». وفي رواية: «واخلفه في تركته» وقال: «اللهم! أوسع له في قبره» ولم يقل: «افسح له»، وفي رواية لابن ماجة: «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح، و قولوا خيرًا، فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل البيت»[٣].

(٦) تمنى الموت بسببهم:

«يا رب أموت حتى أستريح منكم»، يا ترى ما هو إحساس الولد أو البنت عندما يسمع هذه الكلمات من أمه، روي البخاري أن رسول الله ﷺ: «لا يتمن أحد الموت لضر نزل به (و في رواية: لا تدعوا بالموت ولا تتمنوه)، فإن كان لا بد متمنيًا الموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي».

(٧) اشتمهم كثيرًا:

تشير دراسة تربوية حديثة إلى أن الفرد بداية من طفولته إلى أن يصل إلى عمر المراهقة

---

(١) نيل الأوطار ٨ / ٢٥٠.
(٢) سنن أبي داود ٢ / ٨٨ صحيح ابن حبان ١٣ / ٥٢، وصحيح مسلم ٤ / ٢٣٠٤ .
(٣) صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ١١٩٩، وصحيح الجامع ح ر ٤٩٢.

يكون قد سمع ما لا يقل عن ستة عشر ألف كلمة سيئة، ولكنه لا يسمع إلاّ بضع مئات من الكلمات الحسنة، وكلما سمع المسكين تلك الشتائم من أبيه قل رصيد الحب في قلبه، إذ كيف تحب من يشتمك حتى لو كنت مخطئًا، إن البيت يكون جنة إذا رحلت عنه الشتائم ولم يسمع الأبناء من والديهم لفظًا قبيحًا، إن من جمال الجنة و روعتها أنك لا تسمع فيها كلمة جارحة أو لفظة مؤذية، والدليل علي ذلك قوله تعالي في سورة الواقعة: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥] قال بعض العلماء: معنى هذه الآية أن سكان الجنة لا يسمعون فيها شتمًا ولا كذبًا ولا مأثمًا[١]، ويؤكد هذا المعني قوله تعالي في سورة الغاشية: ﴿لاَ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] و اللاغية هنا معناها الشتم و السب[٢]

(٨) افضحهم أمام الناس:

روى الإمام النسائي وأحمد والبيهقي وأبو داود (واللفظ له) عن نعيم بن هزال قال: كان ماعز بن مالك يتيمًا في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي، فقال له أبي (لما أخبره ماعز): ائت رسول الله ﷺ فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرجًا (لم يرد فضحه أمام أحد) فأتاه فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم عليَّ كتاب الله، فأعرض عنه، فعاد فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم عليَّ كتاب الله، حتى قالها أربع مرار، قال ﷺ: إنك قد قلتها أربع مرات فبمن؟ قال: بفلانة، قال: هل ضاجعتها؟ قال: نعم، قال: هل باشرتها؟ قال: نعم، قال: هل جامعتها؟ قال: نعم، فأمر به أن يرجم فأخرج به إلى الحرة فلما رجم فوجد مس الحجر جزع فخرج يشتد فلقيه عبد الله بن أنيس وقد عجز أصحابه فنزع له بوظيف بعير فرماه به فقتله، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه[٣].....

و لم تنتهِ القصة هنا، لأن النبي ﷺ لما قابل هزال الذي يعتبر ولي أمر ماعز بن مالك

---

(١)تفسير القرطبي، ١٧، ٢٠٦.

(٢)فتح الباري ٨ | ٧٠٠.

(٣)سنن أبي داود ٤ / ١٤٥، و السنن الكبري للنسائي ٤ / ٣٠٥، وسنن البيهقي الكبري ٨ / ٢١٩، ومسند أحمد ٥ / ٢١٧، والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود ح ر ٤٤١٩، وصحيح الجامع ح ر ٧٠٤٢، وقال عنه ابن حجر في التلخيص الحبير (٤ / ١٣٧٢) إسناده حسن .

لأنه كان يتيمًا في كفالته ويتربى في حجره، عاتبه الرسول ﷺ عتابًا شديدًا؛ وذلك لأنه أشار على ماعز أن يأتي النبي ﷺ ويحكي قصته و يفضح نفسه، فقال عليه الصلاة والسلام لهزال: والله يا هزال لو كنت سترته بثوبك كان خيرًا مما صنعت به[1].

فما رأيك أيها الوالد الكريم وأيتها الأم الحنون فيما نقوله عن أبنائنا وبناتنا أمام الناس؟! ما رأيك في معاملتنا لهم أمام الناس عامة وأمام أصدقائهم خاصة؟ هل هذه الطريقة تزيد من رصيدنا في قلوبهم؟

(٩) لا تعتذر لهم ولا ترضهم عندما تخطئ في حقهم:

عبدالله عمرو بن قيس المعروف باسم ابن أم مكتوم صحابي جليل ، كان مكفوف البصر، ولكنه كان مفتح البصيرة مشرق القلب ، و في يوم من الأيام مكة المكرمة قبل الهجرة جاء إلى رسول الله ﷺ يسأله في أمر من أمور الدين، والرسول منشغل في مناقشة عدد من زعماء قريش ودعوتهم إلي دين الله الخاتم ، لعل الله - تعالى- أن ينصر بهم هذا الدين الذي كانوا يقفون منه موقف المعاداة والصد، وفي هذه المعمعة كان ابن أم مكتوم يلح في توجيه أسئلته ، والرسول ﷺ يتمني لو انتظر قليلًا حتى يتمكن من الوصول إلى قناعة مع هؤلاء النفر من رءوس قريش ، ولكن ابن أم مكتوم استمر في إلحاحه بالسؤال ، فعبس وجه رسول الله ﷺ وتجهم وتولى عنه؛ فأنزل ربنا- تبارك وتعالى- وحيه يعاتب فيه سيد المرسلين عتابًا شديدًا بخطاب الغائب أولا، ثم بتوجيه الخطاب إليه مباشرة[2]؛ فقال جل شأنه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَن جَاءَهُ الأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ۞ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۞ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى ۞ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۞ وَهُوَ يَخْشَى ۞ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۞ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۞ فِي صُحُفٍ

---

(١) مسند أحمد ٥ / ٢١٦، والسنن الكبرى للنسائي ٤ / ٣٠٥، وسنن أبي داود ٤ / ١٣٤، وسنن البيهقي الكبرى ٨ / ٢١٩، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢ / ٢٠١، وموطأ مالك ٢ / ٨٢١، وقال عنه الذهبي في المهذب ٧ / ٣٣٥١: صحيح على شرط مسلم.

(٢) الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، د. زغلول النجار، جريدة الأهرام المصرية، العدد رقم ٤٢٦٠٢، الإثنين ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ، الموافق ٢٨ يوليو ٢٠٠٣ م.

﴿مُكَرَّمَةٍ ۞ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۞ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١-١٦].

ولقد أصاب العتاب قلبًا رقيقًا ونفسًا عظيمة؛ إذ أصلح النبي ﷺ الخطأ الذي وقع فيه - عن غير قصد - علاجًا رائعًا، فبعد نزول هذه الآيات كان رسول الله ﷺ يكرم ابن أم مكتوم كلما رآه، قال سفيان الثوري: كان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول: «**مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي**»، ويقول: «**هل من حاجة؟**»، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما[1]، وعن الشعبي قال: دخل رجل على عائشة وعندها بن أم مكتوم وهي تقطع له الأترج (نوع من الفاكهة) يأكله بعسل، فقالت: ما زال هذا له من آل محمد ﷺ منذ عاتب الله فيه نبيه ﷺ، وإنما أرادت أم المؤمنين -رضي الله عنها- نزول سورة عبس وتولى[2]... وهكذا زاد رصيد النبي ﷺ في قلب ابن أم مكتوم رضي الله عنه، أما أنت أيها الوالد الكريم إذا أردت أن يصبح رصيدك في قلوب أبنائك قليلا؛ فلا تعتذر لهم أبدًا إذا أخطأت في حقهم، ولا ترضه إن ظلمتهم.

(١٠) لا تكن من آباء الدقيقة الواحدة:

بعض الآباء يوقف ابنه أمامه ساعة أو أكثر ليقدم له النصيحة، ويكرره كلامه ونصائحه مرات ومرات، وابنه واقف أمامه يتمنى اللحظة التي ينتهي فيها والده من موعظته، والبعض الآخر من الآباء ينصح ابنه كلما رآه، فلا تمر مقابلة بينهما إلا وفيها وعظ من الأب و إرشاد، وبعضهم لا تخلو لهم النصائح إلا على الطعام؛ لدرجة أن أحد الأبناء قال لأبيه يومًا: لا تجعلني أكره تناول الطعام معك بسبب توبيخك ومحاضراتك كلما جلسنا لتناول الطعام، بل إن بعض الآباء يتعمد إحراج ابنه أمام أصدقائه ويمطره بوابل من الكلمات القاسية أمامهم، ومع تكرار التوبيخ والتعنيف والمحاضرات يقل رصيد الأب أو الأم في قلوب أبنائهم، أما آباء الدقيقة الواحدة فينصحون أبناءهم بطريقة مختلفة؛ فنصائحهم قصيرة وموجزة، كما أنهم يختارون الوقت والمكان المناسب لها، و هذا

(١)تفسير القرطبي ١٩ / ٢١٢، ٢١٣، و تفسير الجلالين ١ / ٧٩٢

(٢) الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣ / ٧٣٥، و حلية الأولياء ج:٩ ص:٢٣٣.

ما فعله الأنبياء الكرام والصحابة الكرام والمعلمون الأخيار؛ أورد البخاري ومسلم عن بن مسعود ﷺ قال: كان النبي ﷺ يتخولنا (يتعهدنا) بالموعظة في الأيام (يعني: يعظهم أيامًا وبنة كيف أيامًا أخرى) كراهة السآمة (الملل) علينا»[1]..... و مع أن النبي ﷺ أفصل الناس حديثا وأعذبهم لسانا؛ إلا انه لم يعط صحابته الكرام يوميًا خشية أن ينفروا منه، ولقد فهم صحابته الكرام الدرس جيدًا؛ فرفضوا وعظ التابعين كل يوم، وحددوا للموعظ يومًا في الأسبوع حتى لا يمل الناس؛ روى الإمام مسلم وابن حبان عن شقيق أبي وائل قال: ثم كان عبد الله يذكرنا كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إنا نحب حديثك ونشتهيه ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم، فقال: ما يمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا[2]... ولقد قيل لأنس بن مالك يومًا: ألا تحدثنا؟ قال: «يا بني، إنه من يُكثر يهجر»[3]...

* * *

(١) صحيح البخاري ١ / ٣٩، و صحيح مسلم ٤ / ٢١٧٢. المراد انه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يعظهم كل يوم خشية الملل، انظر: فتح الباري ١١ / ٢٢٨.
(٢)صحيح مسلم ٤ / ٢١٧٣، وابن حبان ١٠ / ٣٨٣.
(٣)سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٠٣.

القاعدة الثالثة:

كن مربيًا مبدعًا..

واليك الطريقة

الأفكار المبدعة تبقى حية رغم مرور السنين..

وكما يبقى أصحاب الفكرة المبدعة حيًّا في ذاكرة من انتفعوا بفكرته..

فإن صاحب الفكرة التربوية المبدعة يبقى حيًّا في قلوب من تأثروا بفكرته.

والفكرة التربوية المبدعة التي تنفذها مع طفلك أو طفلتك؛ تظل حية في ذاكرته على مدى السنوات، وتسكن في قلبه رغم مرور الأيام، وقد ينسى أفعالا أخرى كثيرة طيبة قد صنعتها معه لكنه يقاوم نسيان تلك الفكرة المبدعة، فقد تتعب مع أبنائك طوال عمرك لتطعم وتلبس وتعلم، تنفق في تلك المهمة معظم حياتك، ورغم أهميتها فإن أبناءك قد لا يتذكرون شيئًا من ذلك، باعتباره شيئًا عاديًّا وواجبًا على كل أب والجميع يفعلونه، وقد يوفقك الله تعالى يومًا لفكرة مبدعة تنفذها مع أحد أبنائك؛ فلا ينساها أبدًا مع أنها قد تحتاج إلى وقت وجهد قليلين، وكلما كانت لك أفكارًا تربوية مبدعة مع أبنائك، كلما كانت لك معهم ذكريات جميلة لا تنسى.

لا تكن الأب العادي:

الآباء ثلاثة أصناف...

الصنف الأول: هو الأب العادي (والأم العادية)، الذي يمارس أبوته بطريقة عادية، فهو مثل جميع الآباء يسعى بحثًا عن الرزق، ويوفر لأبنائه السكن، ويلحقهم بالمدارس على قدر استطاعته المادية، ومع أنه يحب أبناءه جدًّا، ويعيش معهم سنين، إلا أنك عندما تسأل أبناءه بعد موته عن ذكرياتهم مع هذا الوالد، فسيخبرونك أن أباهم كان طيبًا عظيمًا، غير أنهم لا يذكرون الكثير من الذكريات معه، وهؤلاء أقابلهم كثيرًا في المحاضرات والندوات، فعندما أوزع ورقًا لكتابة الذكريات مع الآباء والأمهات، تأتيني

الكثير من الأوراق الفارغة، أو التي تحمل عبارات مثل: لا أتذكر الآن، أبي كانت كل مواقفه جيدة، عشت مع أبي بلا ذكريات...، مع أن أقل واحد من هؤلاء الآباء (والأمهات) قد عاش مع أبيه وأمه ما لا يقل عن عشرين سنة (في المتوسط).

الصنف الثاني: هو الأب قليل الإبداع (الأم قليلة الإبداع)، والذي يبدع طوال حياته (مع أبنائه) مرة واحدة أو مرات قليلة، فهو ينفذ مع أبنائه كل ما يفعله الأب العادي من ضرورات الأبوّة، وبالإضافة إلى ذلك يطبق بعض الأفكار المبدعة مع أبنائه لكنها تكون قليلة، ففي طفولة أبنائه قد ينفذ فكرة أو فكرتين، وفي مراهقتهم ينفذ واحدة أو اثنتين، وفي شبابهم كذلك، وهذا النوع من الآباء يتذكره أبناؤه بعدد تلك المواقف المبدعة في حياته.

الصنف الثالث: الأب المبدع (الأم المبدعة)، وهذا الصنف من الآباء والأمهات لا يهمل أساسيات الحياة ويلبي جميع احتياجات أبنائه، وبالإضافة لذلك فإن حياته مع أبنائه مليئة بالمواقف والتجارب والأفكار المبدعة، وهذا أب لا يمكن لأبنائه نسيانه حتى ولو حاولوا ذلك.

كيف تصبح أبًا مبدعًا؟

إن الإبداع في تربية الأبناء سهل جدًّا، كل ما تحتاج إليه هو:

(١) قلب محب لأبنائك (وهذا تمتلكه).

(٢) وقت تفكر فيما ستفعله معهم (وهذا بين يديك).

(٣) فكرة يرزقك الله تعالى بها (والله ذو الفضل العظيم).

(٤) تطبيق للفكرة مع أبنائك وبناتك، مع واحد منهم فرديًّا أو معهم كلهم جماعيًّا، في وقت مناسب وبطريقة جميلة.

ولأنك أب طيب وأم حنون، ولأنك قد فرغت نفسك الآن لتقرأ هذا الكتاب، ولأنك تحاول صادقًا أن تكون أبًا مبدعًا، فإننا فيما يلي نقدم لك عشرين فكرة مبدعة، نفذها قبلك آباء وأمهات، وآتت ثمارها الطيبة بإذن الله...

(١) الختام قبل المنام:

اعتادت إحدى الأسر – والتى لديها ابن في الخامسة وابنة في الثامنة من عمرها – أن تمارس بعض الطقوس الخاصة كل ليلة قبل أن يأوي الأبناء إلى فراشهم، فبدلا من أن يقرأ الأب أو الأم على الطفلين إحدى القصص، كانا يسترجعان معهما أحداث يوميهما، ومع نهاية القصة، يخبران أبناءهما بأفضل ما حدث في ذلك اليوم بالنسبة إليهم، ثم يسألان كل واحد منهما: ما أفضل ما وقع لك اليوم؟ وينصتان إلى ما يقوله الأبناء بمنتهى العناية، ثم يقبلانهما قبل النوم... إنها طريقة جميلة لإنهاء اليوم وهو نوع من البرمجة القوية للطاقة لتوجيهها نحو الإيجابيات، وذكرى جميلة سيتذكرها الأخوان في المستقبل وربما يمارسانها معًا ومع أبنائهما (الأحفاد)، إن الأطفال يخزنون هذه اللحظات السحرية التي تجمعهم مع الأب و الأم، وفي الأوقات الهادئة وأثناء اللقاءات العائلية في المستقبل، سوف يلعب أبناؤك لعبة «هل تتذكر عندما...؟»، إنهم سوف يتذكرون الأوقات الطيبة التي قضوها – معًا – في هذا المكان وذاك، ومثل هذه الأوقات هي التي تبني حس الانتماء لديهم، وتزيدهم حبًا وترابطًا، والآن هل تستطيع أن تتذكر تلك اللحظات السحرية من أيام طفولتك؟؟؟ [1]... وأذكر أن والدي – حفظه الله – قد عودنا لسنين ألا ننام كل ليلة قبل أن يحضر لنا الختام، فبعد صلاة العشاء كل يوم، نقول له: هيا نحضر الختام، فيعطينا ما تجود به نفسه من مال، لنشترى شيئًا حلوًا نأكله، كالآيس كريم، أو قصب السكر، أو اللب، أو الحلوى، أو غيرها، هكذا لسنين لا ننام قبل أن نستمتع معًا بالختام، ومع أن هذا الحدث كان يستغرق منا دقائق، إلا أن استمراره لسنين جعله محفورًا في قلوبنا وعقولنا، وكم تحدثت مع إخوتي حول تلك الأيام الجميلة، وتمنينا لو عادت يومًا...

(٢) اقرأها عندما تكون بمفردك:

كنت في الثالثة عشرة من عمري، وكنت قد دخلت في طور المراهقة وتملكتني نزعة تصادمية، كنت غاضبًا وثائرًا ولا أهتم بنصائح

(١) سر الطفل السعيد، ص٢٢١، ٢٢٢، بتصرف...

أبي وأمي، وكنت شأني في ذلك - شأن كل المراهقين الآخرين - أعتبر نفسي «عبقري»، في غنى عن النصح والإرشاد، وكنت أرفض التجاوب مع أي مشاعر عاطفية صريحة من قبل أهلي حتى أنني كنت في الواقع أغضب من ذكر كلمة حب صريحة من أمي.

وفي ليلة من الليالي وبعد يوم عصيب، اقتحمت غرفتي وأنا ثائر وأغلقت الباب وأويت إلى فراشي، وبينما كنت أغوص في الفراش مددت يدي تحت الوسادة، فوجدت خطابًا فجذبته وإذا بهذه العبارة مدونة على المظروف «اقرأه عندما تكون بمفردك»، وبما أنني كنت وحيدًا في الغرفة، فقد فتحت المظروف، وكان هذا مضمون الخطاب:

ابني...

أنا أدرك أن حياتك تبدو عصيبة في الوقت الراهن، وأعلم أنك تشعر بالإحباط، وأعلم أننا لسنا على دراية بكل أمورك، كما أعلم أيضًا أنني أحبك بشدة، وأن هذا الحب لن يبدله أي تصرف أو قول يصدر منك، أنا هنا من أجلك إن شعرت أنك بحاجة للحديث، لكن إذا لم ترغب في ذلك فلا بأس، ولكنك يجب أن تعلم فقط أنك أينما ذهبت ومهما فعلت في حياتك فسوف أحبك دائمًا وسوف أفخر بأنك ابني، أنا هنا من أجلك، أحبك وهذا لن يتغير.

مع حبي... أمك..

كان هذا أول خطاب من سلسلة خطابات «اقرأها عندما تكون بمفردك» التي كنت أجدها طوال سنوات تحت وسادتي، والجميل أنه لم يتحدث أحد من والدي عن تلك الخطابات إلا بعدما كبرت.

أما الآن فأنا أجوب أنحاء العالم كي أساعد الآباء والأمهات، وبينما كنت يومًا ألقي محاضرة قامت أم وقالت: إنها تواجه صعوبة في التعامل والتواصل مع ابنها المراهق، فحكيت لها عن حب أمي الفياض، وعن فكرة سلسلة خطابات «اقرأها عندما تكون بمفردك»، وبعد عدة أسابيع؛ تلقيت من تلك السيدة بطاقة تخبرني فيها بأنها قد كتبت أول خطاباتها لابنها.

وفي هذه الليلة عندما أويت إلى فراشي وضعت يدي تحت الوسادة، وتذكرت ذلك الشعور المريح الذي كنت أحس به في كل مرة كنت أجد فيها خطابًا، لقد كانت هذه الخطابات هي البلسم الشافي الذي كان يهدئ من روعي في ذروة سنوات المراهقة الصعبة، ويؤكد لي بأنني سأبقى محبوبًا على الرغم من كل ما أفعله، وليس بفضل كل ما أفعله، وقبل أن أستسلم للنوم حمدت الله على أن منَّ علي بأم واعية، استطاعت أن تدرك احتياجاتي كمراهق غاضب، واليوم عندما تعصف بي رياح الحياة أدرك أن هناك تحت الوسادة يوجد هذا الشعور بالاطمئنان الذي يؤكد الحب الدائم، وأن هذه العاطفة غير المشروطة التي لا تطلب مقابلا قادرة على تغيير الحياة[1].

(٣) أسرار أطفالنا المخفية تحت الماء:

يقول أحد الآباء:

جلست مع زوجتي ذات مساء لنتكلم في أمور الأبناء، وفكرنا كيف نجعل أطفالنا يحكون لنا أسرارهم مدى الحياة، حتى وإن كذبوا علينا كيف يعودون لمصارحتنا، تناقشنا في تلك المسألة حتى وقت متأخر، واتفقنا في النهاية على ما سنفعله.

في اليوم التالي وأثناء تناول العشاء، قلت لابني وابنتي: أنني ووالدتهما نريد أن نتحدث إليكما بشأن أمر ما، وقلت: هل تتذكران ما قاله رجل الدين في الأسبوع الماضي بشأن الكرة؟ لقد تحدث عن الكرة (كرة الشاطئ أو الكرة العادية الخفيفة التي يلعب بها الأطفال) حيث ذكر أنها خفيفة وأن ريحًا بسيطة يمكن أن تدفعها بعيدًا، ولقد طلب منا أن نفكر في الغوص في الطرف العميق من حمام السباحة أو في البحر، وأن نحاول الاحتفاظ بالكرة بين سيقاننا تحت الماء، يمكنكم بالتأكيد أن تفعلوا ذلك لمدة قصيرة، ولكن بعد أن تنجحوا لفترة في ذلك، يمكن أن يحدث احتمالان: إما أن تشعروا بالتعب فتنزلق الكرة وتصعد نحو السطح، أو هناك احتمال آخر سيئ وهو أن تشعروا بالتعب وتقرروا الاستمرار في الاحتفاظ بالكرة فتغرقون في الماء.

---

(١) شوربة دجاج لحياة الأمهات، ص ٤٠، ٤١ (بتصرف).

لقد طلب منا رجل الدين أن نفكر في الكرة في مثل هذا الموقف على أنها تشبه المشكلة أو الكذبة أو فعل ارتكبناه ولا نريد أن يعرفه أحد، إننا نحاول أن نخفيها جميعًا، إننا نستخدم كل قوتنا ونركز كل اهتمامنا على الكرة محاولين إخفاءها، إنها تجعل حياتنا صعبة، ولكن إذا تركنا الكرة تصعد نحو السطح، إلى ضوء النهار، فإنها تصبح مجرد قطعة من البلاستيك تذهب بعيدًا.

وهنا لاحظت أن الطفلين يريدان التساؤل عن الهدف المقصود من هذه القصة، فقلت لهما: إننا نواجه مواقف يكون لدينا فيها الكرة التي نخفيها، وبعد نقاش جميل قلت لهما: إنه عندما يكون لديهما شيء يخفيانه ويشعران أنهما لا يستطيعان إخبارنا به، فيجب عليهما أن يأتيا ويقولا: «إن لدينا كرة بلاستيك»، وأعطيت أنا وأمهما وعدًا بأن رد فعلنا سيكون بشيء واحد هو أن نستمع لمدة ٢٤ ساعة بلا صراخ ولا أحكام ولا نصائح، علينا فقط الاستماع والتفكير، وبعد ٢٤ ساعة يمكننا التحدث إليهما بشأن كيفية خروجهما من الموقف المحرج الذي يكون أحدهما فيه، المهم أنه عندما يكون لديهما كرة يخفيانها سنكون موجودين للاستماع لهما ومساعدتهما.

وعلى مر السنين، واجهنا كثيرًا من الكرات التي قدمت لنا، وعادة في وقت متأخر من الليل، كان بعضها مزعجًا أكثر من البعض الآخر، وكان بعضها مضحكًا، لدرجة أننا كنا نحاول ألا نضحك ونحن نسمع، وبعضها لم يصل إلى آذاننا، بل وصل إلى آذان أصدقائنا الذين يثق بهم طفلانا، وكنا دائمًا نلتزم بالـ ٢٤ ساعة أشد الالتزام، ولم نتراجع عن كلامنا مهما كان حجم ردود أفعالنا تجاه ما يقولانه لنا.

إن كليهما أصبح ناجحًا الآن، وأنا على يقين من أنهما سيواجهان كرات من وقت لآخر، فكلنا نواجه ذلك، ولكنهما يعرفان أننا ما زلنا موجودين للاستماع إليهما، وكل الأمر أنها كرة بلاستيكية خفيفة.. قليل من البلاستيك الخفيف الذي يطير بعيدًا عندما نطلق سراحه[١].

(١) شوربة دجاج لحياة الآباء ٢، ص ٢٨٦ – ٢٨٨ (بتصرف).

(٤) جدار الذكريات:

يقول أحد الآباء: منذ عدة سنوات غطت زوجتي أحد الجدران حتى الأرض بصور الأسرة في جميع مراحل حياتها، صور خاصة بالآباء، والأمهات، والأجداد، والجدات، صور بالأبيض والأسود بعد زواجنا مباشرة، وصور لأبنائنا وبناتنا في سنوات مختلفة، صور وهم أطفال رضع ثم يافعون، صور المدرسة، والكلية والزفاف، وصور لي وأنا مازالت هنالك بقية من شعر في رأسي...

أرادت زوجتي من هذه الصور العائلية أن يرى كل أفراد الأسرة بعضهم البعض وكيف كانت لهم ذكريات مشتركة جميلة، جمعتهم في حب ومرح، كم ضحكوا منها وكذلك بكوا جميعًا، وعندما نظرت أنا لابننا البالغ من العمر ٣٠ عامًا، والذي لديه أربعة أطفال، رأيته وعمره ٤ سنوات، وتراه وعمره ١٢ سنة، وكذلك وعمره ١٧ عامًا ثم وعمره ١٩، ثم وعمره ٢٢ عامًا وهو مسافر سنتين للخارج، ثم وهو مع عروسه في عمر ال ٢٤، وبعدها بعام وهو يعانق طفله الأول...

كان مدهشًا أن أرى كيف انجذب كل من زارنا لجدار الصور (الذكريات) وكيف استعاد أبناؤنا ذكرياتهم الجميلة معًا، فسمعناهم يشاهدون الصور ويقولون:

« انا أتذكر هذا الفستان الحمر فلقد كان المفضل لديّ».

« أتذكر يوم هذه الرحلة لقد وقع العصير على ثوبي وأنت أسرعت لتحضر لي الماء لأنظفه».

« انظر.. لقد كنت في هذه الصورة بدون أسناني الأمامية».

« أخذت هذه الصورة لنا في فرح عمتي، كم كان اجتماعنا جميلا».

« لقد كنت في هذه الصورة مع أمك تحملك».

إن أبناءنا وأحفادنا يجتمعون حول هذه الصور ويتسامرون بشغف قائلين: «انظر كانت ملابسي جميلة»... «كانت عضلات أبي قوية وهو صغير لأنه كان يتدرب باستمرار»... «كنت دائمًا تحب إثارة أختك ومضايقتها كم كنت مشاغبًا»... «كنت تعطي

إخوتك كثيرًا داخيك في هذه الصورة يرتدي حذاءك كان مستعيره منك»...

إنني أجلس بجوار جدار الذكريات وأرى فيلم حياتنا الماضية، ثم أرى الحياة وهي تستمر... أرجو أن أرى بالتالي جيلي، كي يزيد جدار الذكريات الذي بين أبنائي وبناتي، وإذا أردت اليوم حل مشكلة بين أي اثنين منهم نجلس بجوار الجدار، وكم أتمنى أن يجلس أبنائي بجوار الجدار وهم يوزعون الميراث بعد رحيلنا عن هذه الحياة[1]...

(٥) الأحضان لعلاج الأحزان:

حينما كانت ابنتي الصغيرة في العاشرة من عمرها، وجدت نفسي شديدة القلق عليها؛ فقد كانت ابنتي معزة للغاية بجدها وجدتها اللذين كانا - بدورهما - شديدي التعلق بها، إلا أنهم توفيا واحدًا تلو الآخر في فترة زمنية قصيرة.

ولقد كانت هذه الخسارة الفادحة شديدة الوقع على أي شخص حساسة على طفلة، إلا أنها أثرت بشكل خاص في ابنتي بسبب طبيعتها الحساسة المحبة، فمنذ ذلك الحين وحتى بلغت العاشرة من عمرها كانت قد غرقت فيما يمكن أن أطلق عليه حالة من الاكتئاب، فعلى مدى عام كامل لم تبتسم إلا نادرًا، وكأنها تمضي في الحياة بلا هدف.

لم أكن أدري كيف أتصرف، وفي يوم من الأيام بعدما غادرت ابنتي إلى المدرسة، جلست في غرفة العائلة فوق أحد المقاعد الوثيرة، وتذكرت تلك الأحضان الدافئة التي تميزت بها عائلتي، فحينما كنت طفلة كان أبي وأمي وأجدادي وأعمامي وعماتي قد دأبوا على جذب الأطفال وإغراقهم في تلك الأحضان الدافئة، ومنذ أن تركت منزل العائلة وعند مصادفة أية مشكلة أستشعر هذا الدفء الذي كان يغمرني به أبي وأنا بين أحضانه، فتمتمت قائلة: «آه يا أبي ما الذي يمكن أن أفعله كي أساعد ابنتي؟» كدت أصحك بصوت مرتفع حينما داهمتني هذه الفكرة، فقد قرأت مؤخرًا عن أثر الأحضان في علاج الأمراض، أيمكن أن يكون هذا هو الحل؟ العلاج بالأحضان؟ وهل سينفع هذا العلاج مع ابنتي؟

---

(١) العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٢٢٤ (بتصرف).

وبما أنه لم يكن قد بقي أمامي سوى هذا الحل، فقد قررت أن أحتضنها قدر المستطاع، ولكن دون أن أشعرها أنني أتعمد ذلك.

وبدأت حالة ابنتي تتحسن شيئًا فشيئًا على مدى الأسابيع التالية؛ إذ بدت أكثر هدوءًا وابتهاجًا، وبدأ الابتسام يعرف طريقه إلى وجهها، ذلك الابتسام الحقيقي الذي كان يضيء عينيها وفمها، وبدأت تعمل وتلعب بمزيد من الحماس، ولم تمضِ إلا شهور قليلة حتى هزمت الأحضان الاكتئاب.

إنني لم أصرح يومًا لابنتي أبدًا عن تلك الإستراتيجية، لكنها أدركت بمنتهى الوضوح مدى أهمية هذه الأحضان، فكانت كلما شعرت بالارتباك أو عدم الثقة أو بشيء من الإحباط تأوى إلى أحضاني، كما أنها كلما لاحظت أنني حزينة أو متوترة تبادرني قائلة: «يبدو أنك بحاجة إلى حضن»، وهكذا كنا نزلل كل الصعاب، ونواجه كل الأوقات العصيبة[1].

(٦) لعبة المساء التي صنعت مبدعًا؟

«جوتة» هو شاعر ألمانيا الكبير، عندما كان صغيرًا اعتادت والدته أن تحكي له حكاية قبل النوم، لكن عندما تصل القصة إلى ذروة التشويق تتوقف الأم عن سرد بقية الأحداث، ثم تتركه مع مربيته، وتظل المربية تستمع من الطفل، وتحاوره، وتستحثه على التخيل والابتكار والإبداع إلى أن يصل معها إلى خاتمة القصة.

ثم تذهب المربية إلى الأم وتحكي لها ما وصل إليه الصبي وكيف تخيل نهاية أحداث الحكاية قبل أن ينام.

وفي الصباح يطلب الطفل من أمه أن تكمل له قصة الأمس، فتكملها على نحو قريب جدًا من النهاية التي قد وصل إليها هو نفسه.

وكم كان الطفل يمتلئ ثقة في نفسه وثقة بقدراته، فيتلهف إلى سماع قصص أخرى

(١) شوربة دجاج لحياة الأمهات، ص ٤٨، ٤٩ (باختصار وتصرف).

ليؤلف لها بنفسه نهايات جيدة.

ويقول «جوتة» في مذكراته: إن هذه «اللعبة» التي كانت والدته تلعبها معه كل مساء، وتشجيعها الدائم له لكي يفكر بنفسه ويتخيل ويبدع بنفسه، كانت أكبر ما فجر فيه العبقرية والإبداع[1].

(٧) عبارات الحب في غداء المدرسة:

منذ أن بدأ أبنائي في الذهاب إلى المدرسة، بدأت بدوري أعد لهم وجبة الغداء التي يتناولونها هناك (في الفسحة)، وكنت أكتب لهم عبارات أرفقها مع كل وجبة أقوم بتغليفها، وكانت العبارة إما شكر لموقف خاص، أو تذكرة لحدث سعيد قضيناه معًا، أو عبارة تشجيع لاجتياز اختبار ما أو حدث رياضي.

وكان الأبناء وهم في المراحل الدراسية المبكرة يحبون هذه العبارات، وكانوا يعلقون عليها حينما يعودون من المدرسة، وحينما عدت إلى عملي كمدرسة، كانوا يقومون بدورهم بتدوين بعض العبارات ويرفقونها بوجبة غذائية، ولكن عندما وصل ابني الأكبر إلى مرحلة الدراسة الثانوية، أخبرني بأنه لا يريد المزيد من تلك الرسائل اليومية، فكان ردي أن هذه العبارات تعني لي أكثر مما تعني له، مهمة لي أكثر مما هي مهمة له، وأنه يستطيع أن يتجاهلها إذا كان يريد ذلك، أما أنا فما زلت أشعر برغبة في كتابتها، وهكذا واصلت عادتي هذه حتى تخرج ابني من الثانوية.

وبعد أن تخرج ابني من الثانوية التحق بجامعة بعيدة عنا ثم ابتعد عامين آخرين لظروف عمله، لقد عاش مدة هذه السنوات الست بعيدًا عنا، إذ اقتصرت زياراته على بعض العطلات القصيرة، وفجأة جاءني صوته على الهاتف يقول: إنه سيأتي ليقيم معنا في المنزل لمدة شهرين، ولقد شعرت بسعادة غامرة لعودته إلى البيت.

وبعد مرور أسبوعين على عودته إلى البيت كان قد قضاها في الاسترخاء والتجميع

---

(١) حوار مع الحفيد، ص ٢٨، ٢٩ (بتصرف).

والكتابة، بدأ عمله حيث كان قد اختير للقيام بحملة دعائية، وبما أنني كنت ما زلت أعد الغداء لأخيه الصغير، فقد أعددت له غداء هو الآخر يأخذه معه، وكم كانت دهشتي حينما اتصل بي ابني البالغ من العمر ٢٤ سنة ليشكو من غذائه...» هل صدر مني خطأ ما؟ ألست ما زلت ابنك؟ أما عدت تحبينني يا أمي؟ وهكذا أخذ مارك يستفسر وأنا أسأله ضاحكة عن سبب هذه الاتهامات، فأجابني قائلا: «العبارة يا أمي؛ أين عبارتي يا أمي؟».

وهذا العام قد وصل ابني الأصغر إلى السنة النهائية في المرحلة الثانوية، وأعلن بدوره أنه لا يريد المزيد من تلك العبارات، ولكنني – كما هو الحال بالنسبة إلى أخيه وأخته – سوف أواصل كتابتها يوميًّا إلى أن يتخرج من الثانوية، كما أنني سأرفقها أيضًا مع أي غداء أعده له فيما بعد[1].

(٨) يا أمي.. هاتي المكافأة أولاً:

كنت أرى ابني البالغ من العمر عشر سنوات يرتكب الكثير من الأخطاء، فكان لا يطيعني فيما أطلبه منه، ويكذب ويتخلف عن صلواته ويرمي ملابسه وغيرها، وكم حاولت جاهدة علاج تلك الأخطاء، جربت المحاضرات والمواعظ المطولة والضرب والتوبيخ والحبس والتعنيف، كل هذا لم يفلح، فجلست مع نفسي يومًا واكتشفت أنني أرتكب خطأين:

الأول: أنني أعالج كل الأخطاء مجتمعة، ولذلك يتشتت جهدي وينفد صبري ولا أرى على ابني أي تقدم يذكر، لذلك قررت أن أحدد فترة زمنية أعالج فيها أكثر أخطائه خطرًا، وأكتفي مع بقية الأخطاء بتلميحات بسيطة وبعض التغافل، إلى أن يحين دورها، وفي البداية قررت أن أبدأ بمسألة التخلف عن الصلوات، وبدأت أفكر كيف أجعل ابني يحب الصلاة وينتظم فيها؟ وكيف أجعله يصلي بانتظام؟

الثاني: اكتشفت أنني نادرًا ما أكافئ ابني إن هو أحسن، فإن حدث يومًا وأطاعني أو صلى جيدًا أو كان صادقًا، لأنني لا أمدحه ولا أكافئه، والسلوك الذي لا نعززه ونكافئه

(١) شوربة دجاج لحياة الأمهات، ص ٦١، ٦٢ (بتصرف).

يخبو ويموت، ولذلك قررت أن أمتدح ابني وأكافئه كجزء من خطة علاج تخلفه عن الصلاة، ورزقني الله فكرة جميلة بدأت أطبقها معه وهي فكرة «المكافأة أولًا».

جلست معه يومًا وقلت: لك عند مفاجأة، وناولته كيسًا به مبلغ من المال (١٥٠ جنيهًا) مقسمة إلى جنيهات، وقلت له: هذه ملكك، فنظر لي مستغربًا متشككًا وقال: بأي مناسبة؟ فقلت: إنها ملكك ولكن ليس اليوم، إنها ستصبح كلها لك بعد شهر، بشرط واحد، وهو أنك ستصلي، وكل صلاة لن تصليها في المسجد أو تؤخرها عن وقتها بغير عذر، سآخذ جنيهًا من الكيس، وما يتبقى في نهاية الشهر فهو لك، ولقد فرح ابني كثيرًا بتلك الفكرة، وأخذ كيس النقود وانصرف، وبدأنا في تنفيذ الاتفاق، ولا أدري ما هذا الذي تفعله النقود في النفوس، لقد تغيرَّ ابني تمامًا، لم يفقد جنيهًا واحدًا، ومرّ الشهر وقد تحول ابني إلى ولد آخر، لقد انتظم في صلواته كما لم يفعل من قبل، وقد استحق المكافأة عن جدارة، ولقد أقمت له حفلًا أسريًا بهذه المناسبة، وقلت له يومها: لقد صليت من أجل الجنيهات، فما رأيك أن تصلي من أجل الجنات، وبدأت أحدثه عن الجنة وما فيها من نعيم، وسألته: كيف تحب أن أذكرك بأداء الصلاة؟ واتفقنا على طريقة ترضيه وترضيني، وانتقلت بعدها للتركيز على علاج خطأ آخر بطريقة كيس النقود، دون أن أهمل متابعة أداء الصلوات.

(٩) كيف تقول لابنك «المراهق».. أحبك؟

بعضنا يضرب ابنه المراهق لأنه يحبه، لكنها ليست الطريقة الصحيحة لتخبره أنك تحبه.

بعضنا يكثر من الأوامر والنواهي ويراقب تحركات ابنه المراهق لأنه يحبه، لكنها ليست الطريقة الصحيحة لتخبره أنك تحبه.

بعضنا يكثر من إلقاء المحاضرات على مسامع ابنه المراهق لأنه يحبه، لكنها ليست الطريقة الصحيحة لتخبره أنك تحبه.

فما هي الطريقة الجيدة التي نخبر بها ابننا المراهق أننا نحبه؟ لعل الموقف التالي يجيب

عن هذا السؤال...

كان جاسم في العام الأول لقيادته السيارة يريد الانطلاق هنا وهناك، وكان والده يخاف عليه جدًا لأن أخاه الأكبر كاد يتعرض لحادث ميت في أول أيام قيادته للسيارة، وذات يوم قال جاسم لوالده إنه يستعد لمغادرة المنزل مستخدمًا السيارة، فما كان من الأب إلا أن حذره قائلًا: عليك أن تقود السيارة بحرص، فاستدار جاسم وقال وفي عينيه نظرة حزن وضيق: لماذا تقول لي ذلك دائمًا؟

قال الأب: أقول ماذا؟

أجاب جاسم: تطلب مني أن أقود السيارة بحرص وكأنك لا تثق في قيادتي.

فشرح له والده الموقف قائلا: لا يا بني، ليس الأمر كذلك على الإطلاق، إنها طريقتي كي أقول «أنا أحبك».

قال جاسم: حسنًا يا أبي، إذا كنت تريد أن تقول إنك تحبني قلها مباشرة، وبهذه الطريقة لا يختلط الأمر علي.

قال الأب وهو متردد: لكن... ماذا لو أن أصدقاءك كانوا هنا معك؟ لو أنني قلت إنني أحبك فإنك قد تشعر بالإحراج؟

قال جاسم: في هذه الحالة وأنت تودعني قائلًا مع السلامة، ضع يدك قريبة من قلبك وهذا معناه أحبك انتبه لنفسك، وأنا سوف أرد عليك بنفس الطريقة بالإشارة لا بالكلام.

فرح الأب كثيرًا وقال: اتفقنا.

بعد بضعة أيام كان جاسم يستعد للمغادرة ثانية ولكن هذه المرة مع أحد أصدقائه، فقال لأبيه: هل تسمح لي بمفاتيح السيارة يا أبي؟ فأجاب الأب: بالتأكيد أسمح إلى أين تذهبان؟ قال جاسم: إلى وسط المدينة، فألقى له والده بالمفاتيح وقال له بعد أن سكت قليلًا: جاسم.. وقتًا سعيدًا مع السلامة ووضع يده قرب قلبه، وفعل جاسم الشيء نفسه وقال: إن شاء الله يا أبي، وغمز الأب بعينيه ردًا على كلام جاسم، فعاد جاسم لوالده وهمس له قائلًا: إن الغمزات لم تكن جزءًا من الاتفاق، وتوجه جاسم نحو الباب

لينصرف وقال: حسنًا يا أبي، إلى اللقاء، وقبل أن يغلق الباب استدار إلى الخلف و.. غمز بعينيه[١].

(١٠) تبادل الأدوار عندنا في الدار:

عندما كان عمري سبع سنوات، طلب مني والدي أن نلعب لعبة «تبادل الأدوار»، قال لي: هيا يا ماجد، ستكون أنت بابا، وأصبح أنا ماجدًا، ما رأيك؟

أسعدتني اللعبة وقلت: موافق، أنا بابا وأنت ماجد.

وبدأ والدي الذي أصبح ماجدًا يقول لي: بابا، أريد مصروفي خمسة قروش، وكان لزامًا علي أن أتابع اللعب، فقمت مرغمًا وفتحت حصالتي وأحضرت له الخمسة قروش، فتناولها مني ووضعها في جيبه وهو فرحان، ورأيت من حقي أن أستخدم دوري أنا أيضًا في ممارسة الأبوة، فقلت لبابا (الذي أصبح ماجدًا) بسرعة يا ماجد أحضر لي كوب ماء وإياك أن تسكب الماء على نفسك، فنظر والدي نحوي في دهشة، لكن كان لزامًا عليه أن يتابع اللعبة هو أيضًا، فقام مرغمًا وأحضر لي كوب الماء.

لعبنا هذه اللعبة مرات عديدة، فأصبحت أنا بعدها أكثر فهمًا لأقوال وتصرفات أبي معي، وأعتقد أن أبي أصبح هو أيضًا قادرًا على أن يفهمني أكثر من ذي قبل[٢].

(١١) العائلة الشبح :

تقول إحدى الأمهات: في إحدى الليالي العائلية كنا نتحدث مع أبنائنا حول نوعية الأسرة التي نتمنى أن نكون عليها، وسجلنا ذلك تحت عنوان «رسالة أسرتنا»، وتناولنا موضوع خدمة الآخرين، وأهمية خدمتنا لبعضنا داخل البيت، ثم الجيران، ثم المجتمع...

لذلك في الليلة العائلية التالية (بعد أسبوع) استأجرت جهاز فيديو وشاهدنا فيلمًا عن رجل ثري كان السبب في حادث سيارة نتج عنه إصابة فتاة بالعمى، مما سبب له

(١) شوربة دجاج لحياة الآباء ٢، ص ٢٣١، ٢٣٢ (بتصرف).
(٢) حوار مع الحفيد، ص ١٢ (بتصرف).

الإحساس بالذنب لأن إهماله قد غير حياة الفتاة للأبد، فأراد أن يعوضها عن ذلك ويساعدها على التأقلم مع وضعها الجديد، لذلك قام باستشارة صديق له طيب القلب، فبدأ يتعلم منه كيف يقوم بخدمة الناس ومساعدتهم سرًّا، في البداية كانت لديه صعوبة في فهم أسباب القيام بذلك، ولكنه تعلم أثناء ذلك كيف يبحث عن حاجات الناس، ومواقفهم، والدخول إلى حياتهم، ومحاولة إحداث التغيير الإيجابي فيها...

وبينما نحن نشاهد هذا الفيلم؛ تحدثنا عن جيراننا في حيِّنا وكيف نقدم لهم بعض الخدمات، فكوّنا مجموعة أطلقنا عليها اسم «العائلة الشبح»، ولمدة ثلاثة أشهر، في كل ليلة عائلية، كنا نقوم بإعداد شيء مثل الفيشار أو الحلوى أو الكيك أو ما شابه ذلك، وكنا نزور الأسرة التي سنقوم بخدمتها، ثم نضع الطعام على مدخل بيتها، ونترك معه ورقة نعبر فيها عن مدى إعجابنا بهم وتقديرنا لهم ونوقع باسم «العائلة الشبح»، ثم نقرع جرس الباب ونجري بسرعة الريح...

وكنا نفهم الشيء نفسه كل أسبوع، ولم يكتشفنا أحد، وبسرعة كان جميع الجيران يتحدثون عن العائلة الشبح، وعلمنا بذلك وكأننا لا نعرف شيئًا ولكننا كنا نتساءل من عساها أن تكون تلك العائلة الشبح، وكانت هناك شكوك لدى بعض الناس، وفي إحدى الليالي وجدنا طعامًا على باب بيتنا وبجانبه ورقة تقول: «إلى العائلة الشبح، من جيرانكم المحبين»...

كان لهذه القصة أثرها الكبير في حياتنا، فقد ساعدتنا جميعًا على تعلم المزيد عن مبدأ الخدمة السرية، وقد وجدنا أن كل فكرة في رسالة أسرتنا من الممكن أن تكون أساسًا كبيرًا لمناقشات الأسرة وأنشطتها، مما يساعدنا على ترجمة الرسالة إلى لحظات من الحياة الأسرية، وطالما أننا نجعل منها متعة وإثارة؛ فبإمكان كل فرد منا أن يتعلم ويستمتع، وبوضع الرسالة والعمل من أجلها تستطيع الأسر أن تبني بالتدريج السلطة الأخلاقية في الأسرة نفسها، أي أن نغرس المبادئ في بنية الأسرة وثقافتها عمليًّا، ويدرك الجميع أن المبادئ هي جوهر الأسرة وهي التي تجعلها قوية ومتحدة على مدى الأيام[1]...

(١) العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ١٧٠، ١٧١ (بتصرف).

(١٢) الاحتفال بيوم الإخفاق:

ذات يوم، عدت إلى المنزل لأجد في انتظاري إخطارًا «غير مهذب» لدفع فاتورة الغاز. كما وجدت أبنائي الثلاثة في حالة إحباط...

كان ابني البالغ من العمر ١١ عامًا مكتئبًا؛ لأن قصة شعره الجديدة لم ترق له، أخبرني بأن المعلم في المدرسة قد انتزع منه غطاء الرأس قائلا: «إنه لا يليق بالرجل المهذب أن يرتدي قبعة داخل الفصل»، كما أنه لم يكف عن إبداء ملاحظاته السخيفة على مدار اليوم الدراسي قائلا: «يا أقرع» و «يا حليق الرأس»، كان ابني يحكي وهو يغطي رأسه بكلتا يديه.

أما ابنتي فخرجت من الدورة الثانية لمسابقة الهجاء (في اللغة الإنجليزية) لأنها أخفقت في هجاء كلمة خائف (Afraid)، وبالطبع كان موقفها مثيرًا للسخرية.

أما ابنتي الصغرى والتي كانت في الصف الأول الابتدائي، فقد عوقبت لأنها ضحكت بصوت مرتفع في حصة القراءة، كما أن زميلاتها سخروا منها عندما تعثرت في قراءة إحدى العبارات.

ماذا تفعل لو حدث لك هذا يومًا؟ وكيف تداوي جراح الجميع وتريح نفوسهم؟

هنا قلت: «حسنًا يا أبنائي، إنه يوم الإخفاق الكامل، هيا بنا نحتفل بهذه المناسبة»، أخرجت المفاجأة أبنائي من ذهولهم فبدءوا يرقبونني في حيرة، فقلت: لقد دأبت جدتي على القول بأننا نتعلم من الفشل أكثر من النجاح، فكلما كان الطريق متعثرًا أمامي قفزت إلى مسافة أبعد، هيا بنا نذهب إلى مطعم للاحتفال بأول عيد إخفاق.

وقد كانت هذه الحفلة بداية لسلسلة من «حفلات إخفاق»، لقد تعلمنا جميعًا كيف نحتفل بها استخلصناه من المواقف العصيبة بدلًا من الاكتفاء بالنحيب، أتمنى أن أكون قد زرعت في نفوس أبنائي بذور تلك الحكمة التي ورثتها عن أمي وجدتي، كما أتمنى أن تؤتي هذه البذور ثمارها في حدائقهم يومًا ما[1].

---

(١) شوربة دجاج لحياة الأمهات، ص ٦٦، ٦٧ (بتصرف).

إنها حقًا فكرة مبدعة تصلح للأفراد وللعائلات وللفرق وللصغار ولكبار...

(١٣) كيف تعالج عصبية طفلك بالمسامير؟

أحد الآباء كان ابنه عصبيًا جدًا، دائمًا ينفعل لأتفه الأسباب، وأي شيء مهما صغر يمكن أن يغضبه، وكثيرًا ما حاول هذا الأب أن يعالج ابنه من عصبيته، ويفهمه أنها ستدمر حياته، لكن بدون فائدة، وذات يوم وجد هذا الأب فكرة مبدعة لعلاج عصبية ابنه...

قال لابنه: لقد أحضرت لك علبة مسامير وشاكوشًا (مطرقة)، وعندما تشعر بالغضب والعصبية والانفعال، خذهم واذهب إلى سور حديقتنا، ودق هذه المسامير في الحائط، وعندما ستفعل ذلك ستهدأ كثيرًا وستفكر أفضل بدون انفعالات.

وقرر الولد أن يسمع كلام أبيه، وبدأ في تنفيذ الفكرة، وكلما انفعل من شيء وأحس بدمه يفور، أخذ المعدات وانطلق نحو سور الحديقة، ويظل يدق في المسامير ويثبتها في الجدار إلى أن يهدأ، في أول مرة دق ٣٠ مسمارًا، وفي الثانية ٢٠، وبدأ عدد المسامير يقل شيئًا فشيئًا، ومع التكرار بدأت أعصابه ترتاح وتعلم كيف يهدأ.

ذهب الولد لأبيه ليشكره على تلك الفكرة الجميلة التي عالجت عصبيته، وكم فرح الأب بابنه، وقال له: الآن آن الأوان لتذهب لتخلع كل المسامير التي ثبتها في الحائط، وعلى الفور ذهب الولد وخلع كل المسامير، وبعد أن انتهى جاء الأب وقال لابنه:

ماذا ترى على الحائط؟

قال الولد: لم يعد هناك حائط، المسامير شوهته.

فابتسم الأب وقال: أترى ماذا فعلت عصبيتك في الجدار المصنوع من حجارة وأسمنت، يا ترى ماذا كانت ستفعل عصبيتك في جسمك وهو مصنوع من لحم ودم[1]؟

---

(١) الوجبة المفرحة، الحيط والمسامير، عمر طاهر، جريدة الدستور المصرية، العدد ١٠٢٩، الجمعة، ٩-٧-٢٠١٠، ص ١٤.

(١٤) سؤال العشاء اليومي:

تم إخراج أبي من المدرسة عندما كان في الصف الخامس الابتدائي، على الرغم من اختراقه مدرسيه، حيث كان بالنسبة إليهم شابًّا ذا طاقة عالية لتلقي التعليم، وذهب أبي للعمل في مصنع قريب من القرية، وهي نفس القرية التي تقابل فيها مع أمي فيما بعد، وبالنسبة إلى أبي أصبحت الدنيا هي المدرسة التي يتعلم فيها كل شيء، كان مهتمًّا بتعلم كل ما يدور حوله، فقام بقراءة كل الكتب والمجلات والجرائد التي تقع تحت يديه، لقد انتقل اهتمام أبي الكبير وشغفه بالتعلم، وكذلك شوقه لمعرفة العالم الخارجي، معه عبر لسنوات وانتقل فيما بعد إلى أسرته، كان أبي مصممًا على ألا يحرم أحدًا من أطفاله من التعليم ما دام هذا بمقدوره.

كان أبي مقتنعًا أن أكبر خطيئة يمكن ارتكابها هو الذهاب إلى السرير ليلًا دون أن نكون قد أضفنا إلى معلوماتنا شيئًا جديدًا خلال اليوم، وكان أبي يكرر هذا الشعار كثيرًا حتى تأثرنا به جميعًا، كان يقول دائمًا: «هناك الكثير الذي يمكن تعلمه، وأننا ولدنا جهلاء والأغبياء فقط هم من يبقون على هذا الحال»، وكي يتأكد أن أيًّا من أطفاله لن يسقط في شرك الرضا عن الذات، كان يصر دائمًا على أن نتعلم كل يوم شيئًا واحدًا جديدًا على الأقل، وكان أبي يشعر أنه لا توجد حقيقة تافهة أو غير مهمة، وأن أي قدر من المعرفة يزيد من قدرتنا كبشر ويبقى الملل والركود بعيدًا.

ولتحقيق ذلك قام أبي بابتكار تقليد خاص بنا، بما أن وقت العشاء هو وقت تجمع العائلة، حيث لا يتغيب أحد إلا للضرورة القصوى، فكان يعد اجتماعًا مثاليًّا لاقتسام الأشياء الجديدة التي نتعلمها كل يوم، وبالطبع كأطفال كنا نعتبر هذا جنونًا تامًّا، فدون شك عند مقارنة اهتمامات أبي باهتمامات آباء أصدقائنا يبدو أبي شخصًا غريبًا وغير عادي، ومع ذلك لم يخطر لنا أن نرفض لوالدي أي طلب، لذا فكنا لا نجرؤ على الجلوس على مائدة العشاء دون أن نعثر أولًا على حقيقة ما في الموسوعة التي كثيرًا ما نستخدمها ونرجع إليها قبل الجلوس مع أبي على المائدة.

كان وقت العشاء هو وقت مراجعة الأنشطة التي قمنا بها طوال اليوم، وكان وقتًا للأحاديث الودية والتعليقات الإيجابية من أبي وأمي، وكان ينتهي حوار ليبدأ آخر، كانت لحظات الصمت نادرة على وقت العشاء، ثم تأتي الخاتمة الكبرى لكل وجبة، اللحظة التي نخشاها جدًا، اللحظة التي نتقاسم فيها الجديد الذي تعلمناه خلال اليوم، إن ذكرى تلك الجلسات تمر بسرعة أمامي وهي لا تزال قوية وواضحة.

في ذهني، كان أبي يجلس على رأس المائدة، ويقوم بسحب كرسيه للخلف قليلا، ويبدأ في التطلع لأسرته، ويظل ناظرًا نحونا متصفحًا لوجوهنا، وبين الحين والآخر كان يقوم بتفسير تصرفه هذا ويخبرنا لِمَ يقضي وقتًا في النظر إلينا، يقول إننا قد نكبر سريعًا وتفوته رؤيتنا ونحن نكبر أمامه، لذا فهو يحملق في وجوهنا الواحد تلو الآخر.

وأخيرًا يستقر بصره على أحدنا فيقول لي مثلا: أخبرني ماذا تعلمت اليوم؟ فأقول: «تعلمت أن مساحة نيبال تبلغ.....»، وبعد أن أنهي كلامي يصمت أبي قليلا ويفكر فيما قلت، وتمر فترة صمت، كان هذا دائمًا يدهشني، وكان يدفعني للتفكير أن والدي شخص مجنون، حيث لم يكن هناك شيء أقوله ويبدو تافهًا بالنسبة إليه، كان يفكر بصوت عالٍ فيما أقوله وكأن فيه إنقاذًا للعالم، وتسمعه يقول: «كثافة نيبال.. هذا جيد»، وقد ينظر أبي بعد ذلك باتجاه أمي ويسألها قائلا: هل كنت تعرفين هذا من قبل؟ ودائمًا تكون إجابات أمي مذهلة وتخفف الجو المهيب المحيط بالجلسة، حيث ترد أمي قائلة: «نيبال، إنني لست فقط لم أكن أعرف مساحتها، بل إنني لم أكن أعرف أين تقع هذه البلاد»، وبالطبع هذا يروق لأبي؛ حيث يجد فرصة لتعليمنا شيئًا جديدًا فيقول لي: اذهب لإحضار الأطلس حتى نستطيع أن نوضح لوالدتك أين تقع نيبال.

وتتكرر هذه التجربة يوميًا، ويأتي الدور على كل أفراد الأسرة، لم يمر عشاء بالمنزل أبدًا دون أن نتعلم خلاله عدة حقائق، وكأطفال كنا غير مهتمين بتعلم كل هذه الأشياء، لم نكن نأبه بطريقة تنمية معارفنا، كنا لا نستطيع الانتظار حتى انتهاء فترة العشاء حتى نتمكن من الذهاب للعب مع أصدقائنا من ذوي الثقافات البسيطة، وأدركت فيما بعد قيمة ما كان يفعله أبي، كنا كعائلة نكبر سويًا، ونتقاسم الخبرات مع بعضنا البعض

ونشارك في تعليم بعضنا البعض، كان أبي دون أن يدري يمنحنا الشعور بالكرامة وذلك عن طريق استماعه لنا واحترامه لآرائنا، وتقديره لما نتعلمه، كان أبي دون شك أكثر المعلمين تأثيرًا فينا، وقد قررت امتهان التدريس في بداية التحاقي بالجامعة، وخلال التدريب الذي كنت ألقاه مع بعض أشهر المعلمين في البلاد، وبعد أن تخرجت وعملت في الميدان، اكتشفت أن أبي كان معلمًا ناجحًا.

لقد أفادني أبي في حياتي كلها، والآن عندما أعود للمنزل مجهدًا في أغلب الأحيان بعد يوم عمل شاق، وقبل أن أضع رأسي على الوسادة، أسمع صوت أبي يدوي في رأسي وهو يسألني: ماذا تعلمت اليوم؟ في بعض الأيام، لا يمكنني تذكر ولو شيئًا واحدًا تعلمته طوال اليوم كله، حينئذٍ أخرج من سريري مرة أخرى، وأبدأ في النظر ناحية أرفف الكتب بحثًا عن شيء جديد أتعلمه، وبعد أن يتم لي هذا، يمكنني حينئذٍ أنا وأبي أن نستغرق في نوم عميق، وكلنا ثقة أن اليوم لم يذهب هباء دون تعلم شيء جديد[1].

(١٥) اترك منزلنا وارحل.. كيف تقولها لابنك؟!

هناك أبوان قررا أن سلوك ابنهما قد تدهور إلى درجة أصبح معها بقاؤه في المنزل يشكل تهديدًا للأسرة؛ وأصر الأب في إحدى الليالي أن يخبر ابنه بهذا القرار، وأن عليه أن يتصرف بالطريقة المناسبة، وإما أن يترك المنزل في اليوم التالي، وأثناء انتظاره عودة ابنه، جلس الأب وقرر أن يتناول ورقة فارغة ويكتب فيها قائمة بالتغييرات المطلوب من الابن القيام بها، كي يبقى في المنزل، وانتهى من كتابة القائمة، وفي هذه الحالة الشعورية المؤلمة، وبينما هو رابض ينتظر ابنه؛ قلب الورقة، وكان ظهرها خاليًا من الكتابة، فقرر أن يكتب قائمة بالتعديلات التي سيجريها في سلوكه وسلوك الأسرة إذا وافق الابن على القيام بالتغييرات المطلوبة منه، وانهمرت دموع الأب وهو يكتب القائمة التي اتضح له أنها طويلة، بل وأطول من قائمة ابنه... وبتلك الروح استقبل ابنه بهدوء عند عودته، وأخذا يتحدثان طويلا، وبدأ الأب حواره بالجانب الذي يخصه من الورقة والذي سيغيره مع

(١) شوربة دجاج لحياة الآباء (قصص حب وتعلم وأبوة)، ص ١٧٥ - ١٧٩ (بتصرف).

أفراد أسرته، وكان اختياره البدء بهذا الجانب هو ما حقق كل الفرق[١]...

(١٦) أبي.. وقلب الشجرة:

في يوم من أيام شهر يونيه من صيف السنة الأولى من المرحلة الثانوية، وقعت في خلاف كبير مع أبي، كان لدى أبي مزرعة حيث يربي الماشية، ولديه بعض الخيول، وفي هذا الصيف قرر أبي أن يوسع المرعى وأن يمد السور المحيط بالحقل، وهذا ما تسبب في المشكلة بيني وبينه.

كنا جالسين تحت شجرة الجميز على حافة المرعى، كان أبي مشغول الفكر وهو يبري قطعة من الخشب بسكين حاد كان معه، وأشار إلى مكان على بعد ثلاثمائة ياردة وقال:«من هنا إلى هناك، سيكون امتداد السور، إن حفر مائة وعشر حفرات بعمق ثلاثة أقدام لن يأخذ وقتًا طويلًا»، قلت بصوت مكتوم: لماذا لا تستأجر من يقوم بذلك؟ فقال والدي: لأن من نؤجرهم لن يتعلموا شيئًا من هذا العمل، ونحن نريد من سورنا أن يعلمنا شيئًا أو شيئين»... كان أكثر ما أثار غيظي هو الطريقة التي قال بها «نريد من سورنا...»، فأنا ليس لي علاقة بهذا الموضوع، إن المشروع مشروعه، وما أنا إلا شخص مجبر على العمل وليس ذلك من العدل في شيء.

لقد كنت معجبًا بوالدي، ولكنني في ذلك الوقت كنت سريع الاستثارة حتى في أبسط الأمور، وفي إحدى الأمسيات عندما كنا نتفقد الماشية، كان انتباه أبي مركزًا على شجرة البتولا ذات الأغصان المتساقطة والقائمة على الجزء الشرقي من مزرعتنا، كان جذع الشجرة هو مكاني المفضل حيث أريد أن أختلي بنفسي، أسند إليه ظهري وأمد ساقي إحداهما فوق الأخرى، وبهذا الوضع المريح كنت أنظر إلى السماء وأقرأ أو أتظاهر بذلك، فقال أبي: «أنا أتذكر أنك كثيرًا ما كنت تلجأ إلى هذه الشجرة عندما كنت صبيًا، والآن لا تفعل ذلك سوى نادرًا»، فسمعتني نفسي أقول له: «يا للعجب، وما شأنك أنت؟»، ثم جريت إلى مخزن الغلال، وجلست وأنا أحاول بكل جهدي ألا أنخرط في البكاء، وبعد

(١)العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٥٢ بتصرف.

قليل جاء أبي وجلس أمامي على مقعد قديم، وقال: «سأتحدث معك كطبيب، إنك تشعر بشيء غريب في جسدك، وكأن أعضاءه لا تعمل بنفس الكفاءة السابقة، فهي الآن أبطأ من ذي قبل، أنت أيضًا تشعر بألا أحد آخر يشبهك، وتعتقد أنك تعيش في أرض سيئة لا تساوي شيئًا، وتعتقد أنني قاسٍ عليك، وتتعجب لما يتوجب عليك العيش وسط هذه العائلة»... لقد فاجأتني كلماته، إذ كيف يعلم بتلك الأفكار التي تهجم علي كل ليلة؟

أضاف أبي: «إن الأمر يتلخص يا بني في أن جسدك يحدث فيه تغيرات، وقد ازدادت كمية الهرمونات الذكرية في دمك، ودعني أخبرك بشيء آخر، حتى الرجل البالغ لا يستطيع أن يتحمل أو يتعامل مع ما تعانيه عندما تكون في الرابعة عشرة من عمرك، وعلى الرغم من ذلك عليك أن تتعلم كيف تتعامل مع هذه التغيرات، إنها هي التي تجعل عضلاتك تكبر وشعرك ينمو في أماكن معينة، بل تعطي صوتك خشونته، إنك ستتحول إلى رجل ناضج ولكنك الآن كل ما تفكر فيه هو أنك تعاني من أنه لا أحد يفهمك».

لقد كان على صواب، ففي الشهور القليلة الماضية راودني التفكير في أنه لا يعرف أحد عني شيئًا، وكنت أشعر بالخجل وعدم الارتياح والحزن بلا سبب، ولأنني لم أستطع الحديث في هذا الشأن؛ بدأت أشعر بأنني وحيد ومعزول، إنني لم أعد صبيًا ولكنني أيضًا لم أصبح رجلًا مكتملًا، لا أستطيع حقًا أن أصف حياتي.

بعد برهة، قال أبي: «إن أكثر ما يساعدك على تجاوز هذه المرحلة؛ هو أن تعمل عملا شاقًا»، ولكنني شككت في هذا الكلام، هل هي خدعة من أبي حتى يبقيني طوال الصيف أنجز أعمال المزرعة؟ لا.. ولكن ليست هذه طبيعة أبي، إنه عندما يرغب في قول شيء يقوله بشكل مباشر.

بدأت فصل الصيف بحفر الأماكن التي ستنصب فيها أعمدة السور، عملت طوال الصباح وكل يوم، ظللت أحفر بالفأس حتى تقرحت يداي، ولاحظت عند الاستحمام أن كتفي صار أكبر حجمًا إلى حد كرهت معه العمل، ولكن الغضب الذي كنت أشعر به تلاشى وتساقط على الأرض مع ضربات الفأس، وبدأت أشعر بالتحسن نسبيًا.

خلال هذا الصيف أبديت اهتمامًا كبيرًا بالقيام بمهام المزرعة اليومية، اهتممت جديًا

بالمزرعة، وبدأت أشعر بأنني قادر على التلاؤم مع وجودي هناك، بدأ جسدي في النمو، وكذلك شعر لحيتي بدأ في الظهور، وكبر مقياس قدمي درجة كاملة، ربما أصبح هناك أمل، وقرب نهاية هذا الصيف، توجهت للجلوس تحت شجرتي المفضلة، كان ذلك يمثل الزيارة الأخيرة لعالم الطفولة، لم يعد المكان الذي اعتدت الجلوس فيه يتسع لي، وكان عليَّ أن أتسلق فوقها ثمانية أقدام لأجد مكانًا مناسبًا لحجمي الجديد، وعندما وضعت قدمي على أحد الفروع وضغطت انكسر، فذهبت وأحضرت المنشار وقطعت الشجرة كلها إلى قطع تصلح لنار المدفأة.

في اليوم الذي أنهيت فيه العمل في سور أبي، رأيته جالسًا هناك فتوجهت نحوه، كنت أعلم أنه يفكر، وجلست بجواره، وبعد حوار حول حشائش المزرعة قال أبي: «لقد قمت بعمل جيد في إقامة السور الخاص بنا، ويا له من عمل رائع متقن»، فقلت: «شكرا لك يا والدي»، لقد غمرني الإحساس بتقديره، وابتسمت أكبر ابتسامة في حياتي، فقال: «لقد أصبحت رجلًا بالفعل، ولكن هذا لا يعني أن تترك خلفك كل ما كنت تحبه في صباك»، عرفت ساعتها أن هذا الكلام ناتج عن قيامي بقطع شجرتي المفضلة، فنظرت إلى وجهه الذي بدا أكبر في السن، فوضع يده في جيبه، وسحب قطعة من الخشب في ورقة الكوتشينة، وقال: «لقد صنعت هذا لك»، ثم أعطاني هذه القطعة الخشبية المصنوعة من قلب جذع شجرتي المفضلة، لقد قام بتشكيلها على شكل قلب، ورسم على سطحها الشجرة الذي جاءت منها، وحفر في الناحية الأخرى كلمة «شجرتنا»، ولأول مرة أشعر بالسعادة الحقيقية لهذا التعبير[1].

(١٧) عشاء أستاذي المفضل:

أحد الأشياء التي تمتعت بها فعلا في بيتنا، كان عشاء (أستاذي المفضل)، فأبي وأمي كانا مهتمين للغاية بتعليمنا، وكانا يعرفان كل المدرسين الذين يدرسون لنا، وكان والدي

(١) شوربة دجاج لحياة المراهقين ٢ (١٠١ قصة إضافية عن الحياة والحب والمعرفة)، ص ١٨٥ – ١٩٠ (بتصرف).

يريد أن يشعر المدرسين كيف أننا نقدرهم، لذلك ففي كل عام كانت أمي تسأل كل واحد منا: من هو مدرسك المفضل هذا العام؟ وتقوم بإعداد قائمة طعام شهية، ويرسل أبي دعوة رسمية لهم لتناول العشاء في منزلنا، وكانت أمي تستخدم أفضل أطقمها الصينية، وكانت تجعل هذه الدعوة متميزة فعلا، وكان كل منا يجلس بجانب معلمه، ونتناول العشاء معًا، وصار الأمر طريفًا بعد ذلك، لأن المدرسين في مدارسنا علموا بهذا العشاء، وصار أمل كل منهم أن يكون هو المدرس المفضل.

وأتذكر أنه في أحد الأعوام دعونا مدرسة اللغة الإنجليزية، وكنت أبلغ من العمر ٢١ عامًا، ولقد احتفينا بها كثيرًا، حيث إنها كانت مدرسة للعديدين منا، وقام كل منا بقول ما فعلته معه، وعندما جاء دوري قلت: إنني تخصصت في الإنجليزية بسببك لقد أثرت علي، وبسبب أفعالك معي وحبي لك، ولقد تأثر المدرسون الذين تم دعوتهم لهذا الاحتفال؛ لأنهم عادة لا يلقون مثل هذا النوع من التقدير[1].

(١٨) كيف تتحدث مع طفلك بعد أن تموت؟

كنا زوجين ناجحين جدًا في الحياة العملية، ورزقنا الله بابنة جميلة، كان العمل يسير على ما يرام والنجاح حليفنا، وفجأة أصيبت زوجتي بمرض السرطان، هذا التحول المفاجئ في سير الأحداث جعلنا نفكر مليًا في إعادة تقييم أولوياتنا، في بداية الأمر كان كل شيء كسابق عهده، وظلت زوجتي تحافظ على عملها مع تلقي العلاج، ولكن بعد مرور عامين أصيبت زوجتي بعدوى خطيرة، وأخبرني الطبيب أنها قد تموت قريبًا، ربما خلال أربع وعشرين ساعة، وتم حجزها في غرفة بالمستشفى وظللنا بجوارها، كنت أجهز نفسي لوفاتها في أية لحظة، ما كان يقلقني هو ابنتي التي ستصبح بلا أم، ماذا إن سألتني فيما بعد عن لون أمها المفضل؟ عن طعامها المفضل؟ أسئلة كثيرة قد تطرحها عن أمها، ولم أجد إجابة لمعظمها، وأصبت بالهلع وأنا أفكر: يا إلهي، إن لم أعرف الإجابة فمن غيري يعرفها إذن؟

---

(١) العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٣٢٦، ٣٢٧ بتصرف.

وبدأت ألجأ إلى الله، وبدأت حالة زوجتي تتحسن، إن التجربة التي مرت بها زوجتي في غرفتها بالمستشفى قد غيرتها لتصبح شخصًا ينصب كل تركيزه واهتمامه على الحب، وكانت تريد أن تزرع هذا المبدأ في قلب ابنتنا قبل أن تموت بسبب السرطان، لذلك فقد تركت عملها وجعلت أمومتها شغلها الشاغل، كان لدينا الكثير لنناقشه حول مستقبل ابنتنا، وتساءلنا: ما الذي يمكن أن نقدمه لها كي نساعدها لتكون أفضل ما يمكن؟ حينها أدركنا أننا نريد تنمية صفاتها الشخصية وثقتها بنفسها... وغيرها، وهنا أدركنا أننا لم نفعل معها شيئًا من هذا بعد، وهكذا وضعنا خطة لكي نترك لابنتي ميراثًا من حب أمها، وقمنا بالأمر على أنه مشروع الهدف منه جمع أكبر قدر ممكن من الرسائل التي ستمنحها غذاء من الحب طيلة حياتها، كانت زوجتي تريد أن تطمئن إلى أن ابنتنا ستظل تحظى برعاية وحب وإرشاد أمها وأبيها طيلة مراحل نموها، حتى لو لم تكن أمها موجودة معها بجسدها.

وهكذا بدأت زوجتي بتصوير نفسها على أشرطة فيديو، كل شريط يختص بموضوع معين موجه إلى ابنتها في مرحلة ما من مراحل عمرها، أو في وقت من أوقات حياتها، وأحيانًا كان هذا الأمر يمثل صعوبة شديدة، فينتابها البكاء قبل أن تنطق بكلمة واحدة، ولكنها كانت تفكر سريعًا في الحب الذي تكنه لابنتها، وكيف ستساعدها هذه الأشرطة في المستقبل، فتتملكها الشجاعة لتبدأ التسجيل، في أحد الأشرطة حدثت ابنتها عن الزواج، وآخر عن أسس الطبخ، وكان آخر حديثها عن تقنيات التزيين، وهكذا غطت معها العديد من الموضوعات التي قد تحتاج فيها أي فتاة صغيرة إلى نصيحة أمها وحكمتها، وكما أنني قمت أيضًا بتصوير أشرطة من أجلها، لأعطيها وجهة نظر الأب في كثير من الموضوعات.

وبرفق بدأنا نتحدث مع ابنتنا عن الموت والفناء، ونريها أشياء عملية تموت، وهي تسأل ونحن نجيب، مضى على ذلك أربع سنوات منذ أن تم تشخيص مرض زوجتي، وبدأت حالتها الصحية في الانحدار، وذات صباح رحلت زوجتي عن الحياة، تاركة لابنتها ميراثًا من الحب[1].

(١) شوربة دجاج لحياة الآباء (قصص حب وتعلم وأبوة)، ص ٢٤٨ – ٢٥٣ (بتصرف).

(١٩) كيف تحارب عدوك بالحب؟

انتظم أشقائي الصغار في نادي الرواد، وهو نادٍ تعليمي وبرنامج أسبوعي للصغار ضمن أنشطة مدينتنا. كان أحد إخوتي في التاسعة والثاني في السابعة، أما أنا ووالدي فكنا معلمين في نفس البرنامج، وخلال إحدى فترات البرنامج اشتكى شقيقاي من أحد الفتية حيث كان يضايقه.

كان ولدًا مكفولًا (يتيمًا ويربيه آخرون) في الحادية عشرة من عمره، وكان في الفصل الذي يقوم أبي بتعليمه، وكان من نوع الصبية الذين يعانون دومًا من المشاكل، والأسوأ أنه لم يكن يدرك أن تصرفاته هي ذاتها المشكلة، وبدلًا من ذلك اعتقد أن أبي (معلمه) هو الذي يضايقه، وبناء على ذلك كان يسعى لمضايقة إخوتي لينتقم من أبي. كان يخطف قبعاتهم، أو يسبهم، أو يضربهم ويجري بعيدًا، وهكذا، حتى أنا شخصيًا نلت نصيبي منه مثلهم، كنا جميعًا نرى أنه صداع.

عندما سمعت أمي بالمشكلة؛ ذهبت إلى سوق المدينة وعادت بلفافة من الحلوى، وأعطتها لشقيقيّ قائلة: هذه للفتى الذي يضايقكم... لمن؟ تعجبنا جدًا من كلامها، فشرحت لها كيف يمكن قهر العدو بالشفقة عليه.

كان من الصعب جدًا لأي منا أن يتفهم أو يتخيل أن يكون مشفقًا على هذا الفتى فقد كان مزعجا، ولكن في الأسبوع التالي ذهب شقيقاي إلى نادي الرواد ومعهما كيسان من الحلوى، واحد لها وواحد لعدوهما، وبينما كنت متوجهًا إلى فصلي، أخبرني شقيقي عن رد فعل الفتى المزعج قائلا: بدا مندهشًا لما أعطينا الحلوى له، ثم قال شكرًا وأكلها.

في الأسبوع التالي عندما وجد أخي الفتى يجري نحوه، أمسك بقبعته متوقعًا أن يخطفها منه وتأهب لصد هجومه المعتاد، لكنه بدلا من ذلك توقف أمام أخي وقال: هل لديك حلوى أخرى؟ نعم، ثم وضع يده في جيبه وأعطاه قطعة حلوى، وعلى مدار الأسابيع التالية، كان الفتى دائمًا يسأل عن الحلوى، وفي كثير من الأحيان كان أخي يحضر معه الحلوى، واحدة له وواحدة لعدوه.

وفي الوقت هزمت أنا أيضًا عدوي بطريقة أخرى، خلال مروري بالقاعات صادفت الفتى المؤذي، ورأيت على وجهه علامات الاستهزاء، وقبل أن يفتح فمه ليطلق السخرية كعادته، بادرت بالتحية: مرحبًا بك كيف حالك؟ وابتسمت له ابتسامة كبيرة قبل أن يأخذ أي فرصة للحديث، وتحت تأثير المفاجأة؛ أطبق فمه، وأكملت سيري، ومنذ هذه اللحظة كنت كلما رأيته أبادره بالتحية قبل أن تواتيه الفرصة ليقول أي شيء معيب، بل كان يرد التحية بمثلها.

بعد فترة لم يعد الفتى يضايق إخوتي، ولم يعد غليظًا معي، بل إن والدي شعر بمدى التغير الذي حدث للفتى، لقد أصبح أكثر أدبًا وأفضل بكثير من العام الماضي، وفي اعتقادي أنه تغير لما وجد شخصًا يعطيه الفرصة لذلك، لم يكن الفتى وحده الذي تغير، بل تعلم أفراد عائلتي معنى أن تحب عدوًا، والشيء الغريب في هذه التجربة أننا كسبنا هذا العدو الذي تمت هزيمته بالحب الذي لا يمكن أن يفشل أبدًا[1].

(٢٠) هدية خاصة للمراهقات:

عندما عادت ابنتي - التي دخلت في سن المراهقة حديثًا - من مدرستها، أهديتها في ذلك اليوم ثلاثة أشياء: كيس بالونات، ومجموعة سهام خاصة بالقذف على الجدران والتصويب، ولعبة تسمى لايف أو الحياة وهي تشبه بنك الحظ، وبينما كانت تفتحها شرحت لها مقصدي من هذه الهدايا قائلة:

البالونات تشبه ما يعتري حياتك من اضطرابات، فكلما اضطربت انفخي واحدة وفرقعيها ربما ترتاحين، والسهام لتقذفيها وتصوبي بها على صورتي كلما أغضبتك؛ فذلك سيكون أقل إيلامًا من قذفها إلى قلبي بسوء معاملتك لي، أما اللعبة فلتعلمك أن الحياة ليست لعبة[2].

---

(١) شوربة دجاج لحياة المراهقين ٢ (١٠١ قصة إضافية عن الحياة والحب والمعرفة)، ص ١١١ - ١١٣ (بتصرف).

(٢) شوربة دجاج لحياة الآباء (قصص حب وتعلم وأبوة)، ص ٢٦٠ (بتصرف).

(٢١) اللقاء الأسري:

قدم أحد الباحثين رسالة دكتوراه وكان موضوعها «تأثير عقد لقاءات أسرية على نظرة الطفل لنفسه»، ورغم أن الدراسة أظهرت مدى التأثير الإيجابي لهذه اللقاءات على الأبناء، فقد أظهرت نتيجة أخرى لم تكن متوقعة، وهي: التأثير الإيجابي لهذه اللقاءات على الآباء أيضًا

وهناك امرأة سويدية شاركتنا هذه القصة:

حينما كنت بين الخامسة والسادسة من عمري، تحدث والدي ووالدتي إلى أحد الخبراء ينبههم على أهمية عقد لقاءات أسرية على أساس دوري، وهكذا بدآ في تطبيق الأمر في منزلنا...

وأتذكر أول مرة جلس فيها والدي معنا، كي يشاركنا مبادئ الحياة، كان لذلك تأثيره الجلي علي، فقد كانت أول مرة في حياتي أرى والدي في رداء المعلم والموجه، وتأثرت كثيرًا، فلقد كان والدي رجل أعمال مشغولًا دائمًا بعمله وناجحًا فيه، ولم يكن لديه متسع من الوقت يقضيه معنا، أتذكر كيف أنني شعرت بالتميز والأهمية، لأن والدي قرر ترك عمله ليجلس معنا، ليكسبنا مهارات الحياة ويسمع آلامنا وآمالنا...

كما أنني أتذكر إحدى الأمسيات عندما دعا والدي جراحًا مشهورًا لبيتنا، كي يشاركنا «وقتنا الأسري»، وطلب منه أن يطلعنا على تجاربه الطبية، وكيف أنه ساهم في علاج كثير من الناس في كل أرجاء العالم، وأخبرنا الجراح كيف أن قرارات معينة اتخذها في حياته جعلته يصل إلى أهدافه، بل وجعلته يصل أبعد مما كان يحلم، ولم أنس كلماته لنا ونصيحته لنا بمواجهة صعوبات الحياة بشيئين هما: الابتسامة والدعاء...

أما اليوم، فأنا لدي خمسة أبناء، وتقريبًا كل شهر نقوم بدعوة أحد «الضيوف» إلى منزلنا، كي نتعرف عليه ويشاركنا تجربته، ونتعلم منه، إنني أعلم أن ما أفعله هو نتيجة مباشرة لما رأيت والديَّ يفعلانه في المنزل وأنا صغيرة، ففي أعمالنا ومدارسنا تسنح لنا

الكثير من الفرص للتعرف على أناس من بلدان أخرى، شخصيات مؤثرة وفاعلة والجلوس معها كله فوائد ومنافع، وقد أثرت زيارة هؤلاء الأشخاص في حياتنا، ونتج عنها تكوين صداقات وطيدة لنا في بلدان كثيرة[1]...

وبالإضافة للأفكار السابقة، فإنك ستجد في ثنايا الفصلين الأول الثاني من هذا الكتاب الكثير من الأفكار المبدعة الواقعية الجميلة، يحكيها الأولاد والبنات كذكريات جميلة فعلها معها أبوهم أو أمهم ولم ينسوها، أو يحكيها الآباء والأمهات كتجارب نفذوها مع أبنائهم وبناتهم ولاقت استحسانًا كبيرًا.

* * *

(١) العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ١٦٦ - ١٦٩ (بتصرف).

القاعدة الرابعة:

حياتك أجمل..
بالسنن التربوية

ما تكرّر.. تقرّر:

أعمال ثابتة متكررة + حب ومودة = ذكرى لا تنسى ودعاء لا يتوقف.

السنن النبوية التربوية هي أعمال ثابتة متكررة، نمارسها مع أبنائنا بحب ومودة، وبمرور الزمن تصبح أجمل ذكرياتهم.

سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أدومها وإن قل». وقال: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون»[(١)].

القبلة رحمة وتجلب الرحمة:

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا (وفي رواية أحمد: ما قبلت أحدًا منهم قط)، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم؛ لا يرحم»[(٢)].

إن القبلة من الوالد لولده ومن الجد لحفيده؛ هي علامة رحمة ورمز محبة، من فعلها كان أهلا لنزول رحمة الله عليه، وعندما استغرب الأقرع بن حابس من النبي ﷺ أن قبّل الحسن بن علي رضي الله عنهما، وذكر أنه لم يقبّل واحدًا من أولاده العشرة، فرد النبي ﷺ عليه بأبلغ رد وأحسنه، وبين له أن تقبيل الولد إنما يكون للشفقة والرحمة[(٣)]، ومن كانت

---

(١) الراوي: عائشة، المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: ٦٤٦٥.
(٢) صحيح البخاري ح ر ٥٩٩٧، ومسند أحمد ١٣ / ١١.
(٣) فتح الباري (١٠ / ٤٣٠). بتصرف.

الرحمة من قلبه منزوعة كانت قبلات الرحمة منه معدومة، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**»[١]، فعدم تقبيل الأبناء هي من علامات نزع الرحمة من قلب الإنسان، ومن قلت الرحمة في قلبه قل تعرضه لرحمة ربه، ومن حرم ولده من رحمته حرمه الله تعالى من رحمته.

إن الرحمة في اللغة تعني: الرِّقَّة والتَّعَطُّف، وتعني: المغفرة، وعلى هذا فالرحمة كأنها مقسومة قسمين، القسم الأول: يفعله الأب مع أبنائه وهو الرقة والعطف بالقبلة واللمسة والنظرة الحانية، وهذا لينال القسم الثاني من الرحمة وهو مغفرة الله تعالى، فإذا أردت أن تعرف كم أنت مستعد لتنزل رحمات الله عليك؛ فانظر مقدار عطفك وحنانك على أبنائك وبناتك، وإذا وجدت قلبك مليء بالرحمة على الصغار والشفقة على الضعفاء، فستنال قمة الرحمة الإلهية وتكون من أهل الجنة العالية، قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**»[٢].

ولأن النبي ﷺ رحمة للعالمين، فحياته مع أبنائه وأحفاده- بل والمسلمين عامة والناس كافة - مليئة بلمسات الرحمة الحانية، روى الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتا ودلا[٣] وهديا برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت: وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها (قبل جبهتها أو رأسها) وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها، فقبلته، وأجلسته في مجلسها[٤]، ما أروع هذا الاستقبال النبوي الكريم، إنه ﷺ يقوم مستقبلًا ابنته كلما دخلت عليه، مهما كان منشغلًا ومهما كان جالسًا مع آخرين، فحق ابنته ﷺ من الرحمة لا يهضم أبدًا.

ولم تكن القبلة الحانية من نصيب السيدة فاطمة وحدها، بل شملتها مع زوجها

---

(١)صحيح البخاري ح ر ٥٩٩٨.
(٢) صحيح مسلم ح ر ٢٨٦٥.
(٣)ودلا بفتح المهملة والتشديد أي سيرة وحالة وهيئة، فتح الباري ٧ / ١٠٣.
(٤)سنن الترمذي ح ر ٣٨٧٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ح ر ٣٨٧٢.

وابنيها عليهم رضوان الله؛ فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يومًا، إذ قال الخادم: إن عليًا وفاطمة بالسرة، فقال لي ﷺ: قومي فتنحي لي عن أهل بيتي، فقمت فتنحيت في البيت قريبًا، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين، وهما صبيان صغيران، فأخذ ﷺ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما، واعتنق عليًا بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى، فقبل فاطمة، وقبل عليًا، فأغدق عليهم خميصة سوداء، فقال: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي، فقلت: وأنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: وأنت»[1].

وانطلاقًا من هذه المواقف النبوية الرائعة؛ قال الإمام النووي في الأذكار (ص ٢٩٤): أما تقبيل الرجل خد ولده الصغير، وأخيه، وقبلة غير خده وأطرافه ونحرها على وجه الشفقة والرحمة والتلطف ومحبة القرابة فسنة، والأحاديث فيه كثيرة صحيحة مشهورة، وسواء الولد الذكر والأنثى، وكذلك قبلته ولد صديقه وغيره من صغار الأطفال، على هذا الوجه، وأما التقبيل بالشهوة فحرام بالاتفاق، وسواء في ذلك الوالد وغيره، بل النظر إليه بالشهوة حرام بالاتفاق على القريب والأجنبي.

ولأن أبناءنا يحتاجون إلى تلك القبلات الحانية الرحيمة كثيرًا، فقد كان لها في حياة النبي ﷺ مناسبات وأنواع متعددة منها:

(١) قبلة المحبة الدائمة:

كان النبي ﷺ يقبل ابنته فاطمة كلما دخلت عليه، فهذه قبلة المحبة الدائمة، تتجدد مع كل لقاء، ولا تدع للشيطان فرصة لينزغ بين نفوس المحبين، ولقد انطلق عبدالله بن عمر ينفذ تلك الفكرة المبدعة مع ابنه سالم[2]، فكان عبدالله بن عمر حينما يلقى ابنه سالمًا يقبله، وكان عبدالله بن عمر يلام في حب سالم، فكان يقول:

يلومونني في سالم وألومهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

---

(١) مسند الإمام أحمد ٦ / ٢٩٦.

(٢) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب؛ قال عنه الإمام مالك: لم يكن في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين، في الزهد، والقضاء، والقصد في العيش.

وإنما قصد بقوله «جلدة بين العين والأنف سالم»: قربه منه ومحله عنده، ولقد دارت السنون وكبرت سن سالم، فكان أبوه يقبله ويقول: شيخ يقبل شيخًا[١].

(٢) قبلة الحنان والشفقة:

عندما يمرض الأبناء يحتاجون إلى دعوات الآباء وقبلاتهم، وهذا ما فهمه الصحابي الجليل أبو بكر الصديق ﷺ وطبقه أجمل تطبيق؛ فقد روى أبو داود عن البراء بن عازب ﷺ قال: دخلت مع أبي بكر أول ما قدم المدينة، فإذا عائشة ابنته مضجعة قد أصابتها حمى، فأتاها أبو بكر فقال لها: كيف أنت يا بنية، وقبل خدها»[٢]، قبل خدها أمام البراء راوي القصة ولم يكن محرجًا من أحد، لأن الجميع في عهد النبوة تعلموا معنى الرحمة على البنين والبنات الصغار والكبار.

(٣) قبلة الإعجاب والشكر:

وعندما يحسن الأبناء و يفعلون الخير يمكن أن نكافئهم بضمة ودودة وقبلة حانية، وقدوتنا في ذلك خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى؛ لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، خطب في الناس خطبة جامعة، ثم نزل من على المنبر فدخل بيته ليستريح وقت الظهيرة، فأتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال: يا بني، أقيل، قال ابنه: تقيل ولا ترد المظالم إلى أهلها، فقال عمر: إني سهرت البارحة في أمر سليمان (في تجهيزه و دفنه) فإذا صليت الظهر رددت المظالم، فقال له ابنه: ومن لك أن تعيش إلى الظهر، قال عمر: ادن مني أى بنى، فدنا منه، فقبل عمر بين عينيه (جبين ابنه) وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، ثم قام وخرج وترك القيلولة، وأمر مناديه فنادى ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، وجلس يقضي في المظالم

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات (١٥ / ٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٤ / ٤٦٠)، وصفة الصفوة (٢ / ٩٠)، ولسان العرب (٥ / ٣٤٣).

(٢) سنن أبي داود ٣٥٦، و سنن البيهقي الكبرى ٧ / ١٠١، و المعجم الكبير للطبراني ٢٣ / ١٨٣ والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود ح ر ٥٢٢٢.

وتتابع الناس في رفع المظالم إليه، فما رفعت إليه مظلمة إلا ردها، وظل مستيقظًا ولم ينم خوفًا من الموت[١] ولقد روي أن خالد بن الوليد استشار أخته، فأشارت عليه، فقبلها»[٢]

(٤) قبلة الشوق:

روى البخاري في صحيحه (ح ر ٢١٢٢) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: خرج النبي ﷺ في طائفة النهار (قطعة منه)، لا يكلمني ولا أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، (ثم ذهب) فجلس بفناء بيت فاطمة، فقال: أثم لكع، أثم لكع[٣]، فحبسته (أمه فاطمة) شيئًا (من الوقت)، فظننت أنها تلبسه سخابًا أو تغسله[٤]، فجاء يشتد (جاء الحسن يجري شوقًا لجده) حتى عانقه ﷺ وقبله، وقال: «اللهم أحبه وأحب من يحبه».

وفي رواية مسلم (ح ر ٢٤٢١) عن أبي هريرة قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه، حتى جاء سوق بني قينقاع، ثم انصرف حتى أتى خباء فاطمة، فقال: أثم لكع أثم لكع، يعني حسنا، فظننا أنه إنما تحبسه أمه لأن تغسله وتلبسه سخابًا، فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه».

قال الإمام النووي معلقًا على هذا الحديث: فيه استحباب ملاطفة الصبي ومداعبته

---

(١) البداية والنهاية ٩ / ٢١٢، ٢١٣، بتصرف، المنتظم ج:٧ ص:٥٨، ٥٩.

(٢) القبل والمعانقة والمصافحة، ص ٥٠ (بتصرف).

(٣) يقصد أين الحسن ينادي عليه، قال الخطابي اللكع على معنيين أحدهما الصغير والآخر اللئيم، والمراد هنا الأول والمراد بالثاني ما ورد في حديث أبي هريرة أيضًا يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع، وقال ابن التين زاد ابن فارس أن العبد أيضًا يقال له لكع انتهى ولعل من أطلقه على العبد أراد أحد الامرين المذكورين، وقال بلال ابن جرير التميمي، واللكع في لغتنا الصغير وأصله في المهر ونحوه وعن الأصمعي اللكع الذي لا يهتدي لنطق ولا غيره مأخوذ من الملاكيع وهي التي تخرج من السلا قال الأزهري، وهذا القول أرجح الأقوال هنا لأنه أراد أن الحسن صغير لا يهتدي لنطق . فتح الباري ٤ / ٣٤١، ٣٤٢.

(٤) السخاب بكسر السين المهملة وبالخاء المعجمة كم سخب وهو قلادة من القرنفل والمسك والعود ونحوها من اخلاط الطيب يعمل على هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان واجواري وقيل هو خيط فيه خرز سمي سخابا لصوت خرزه ثم حركته من السخب بفتح السين والخاء يقال الصخب بالصاد وهو اختلاط الأصوات، وفي هذا الحديث جواز القلائد والسخب ونحوها من الزينة واستحباب تنظيفهم لا سيما ثم لقائهم أهل الفضل واستحباب النظافة مطلقا " فتح الباري ٤ / ٣٤٢.

وتقبيله رحمة له ولطفًا واستحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم[١].

(٥) قبلة الاعتذار والترضية:

في حادثة الإفك، تحكي السيدة عائشة أنه لما نزل عذرها (إنصافها وبراءتها من عند الله تعالى) قبل أبو بكر رأسها (وفي رواية: قام إليها أبو بكر وقبل رأسها) فقالت: «ألا عذرتني؟[٢] فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت ما لا أعلم»[٣]، لقد قام أبو بكر يعتذر لابنته لأنه لم يدافع عنها رغم ثقته فيها وفي دينها وخلقها الطيب.

(٦) قبلة لقاء المسافرين:

ومن الأوقات التي يحتاج فيها الأبناء إلى قبلات الآباء عند قدومهم من السفر، وخير دليل على ذلك ما رواه البيهقي وأبو داود والطبراني (واللفظ له) عن الشعبي قال: لما أتى رسول الله ﷺ حين فتح خيبر، قيل له: قد قدم جعفر من ثم (عند) النجاشي، فقال النبي ﷺ: «لا أدري بأيهما أنا أشد فرحًا بقدوم جعفر أو فتح خيبر، فقبل ما بين عينيه» و في رواية أبي داود: «أن النبي ﷺ تلقى جعفر بن أبي طالب فالتزمه (فضمه) وقبل ما بين عينيه»[٤]...

(٧) قبلة الوداع الأخيرة:

هذه أصعب أنواع القبلات، إنه قبلة المحب لحبيبه بعد وفاته، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «رأيت رسول الله ﷺ قبّل (عثمان) ابن مظعون (وهو ميت) بين عينيه، حتى رأيت الدموع تجري على خده»[٥]، وعن جابر بن عبدالله قال: لما قتل أبي يوم أحد، أتيته

---

(١)شرح النووي على صحيح مسلم ١٥ / ١٩٣.

(٢)عذرتني يعني أنصفتني من كلام الناس ونصرتني عليهم ورددت قولهم الزور.

(٣)فتح الباري ٨ / ٤٧٧، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٣) وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٤)المعجم الكبير للطبراني ٢ / ١٠٨، و سنن البيهقي الكبرى ٧ / ١٠١، و سنن أبي داود ٣٥٦.

(٥)أخرجه أبو داود والترمذي، والحاكم، وقال الشيخ الأرناؤوط: الحديث حسن بشاهده عند البزار (٨٠٦) من حديث معاذ بن ربيعة، وقال الألباني في أحكام الجنائز (ح ر ٣٢) له شاهد حسن ثم تبين أن فيه ضعيفين.

وهو مسجى (مغطى بثوب) فجعلت أكشف عن وجه أقبله، والنبي ﷺ رآني ولم ينهني»[١]، وروي الإمام أحمد أن أبا بكر ﷺ كشف عن وجه النبي ﷺ وهو ميت برد حبرة كان مسجى عليه، فنظر إلى وجه النبي ﷺ، ثم أكب عليه فقبله»[٢]، وروى البخاري أن أبا بكر ﷺ أقبل على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بترب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها»[٣].

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون، العجيب في قبلة الرحمة بأنواعها المختلفة؛ أن الله تعالى قد أمرنا بالعدل بين أبنائنا وأحفادنا في توزيعها، قال ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم، حتى في القبل»[٤]، وخير مثال على العدل في القبل، ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، يلثم (يقبل) هذا مرة وهذا مرة، حتى انتهى (وصل) إلينا، فقال رجل: يا رسول الله إنك لتحبهما قال ﷺ: «**من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**»[٥]، ومن هذا المنطلق كان الصحابة -رضي الله عنهم- وأهل العلم يستحبون أن يعدل الرجل بين ولده حتى في القبل[٦].

والآن هيا نجرب قبلة الرحمة مع أبنائك، ونتعلم كيف نطلق طاقة القبلة الرحيمة من داخل قلوبنا، ركز أولا على قلبك، ستجد أنه مليء برحمة أبنائك وحبهم، اذهب إلى عقلك وفكر في أنك ستطبق سنة، واستشعر أنك في اللحظة التي سترحم فيها طفلك

---

(١) إسناده ضعيف، ولكن صح الحديث بلفظ: " لما قتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه، وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ينهوني، وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي: تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعته " رواه البخاري ومسلم.

(٢) مسند أحمد (٥ / ١٥٧) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) صحيح البخاري (ح ر ٤٤٥٢).

(٤) ضعيف الجامع للألباني، ح ر ١٧١٢.

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣ / ١٨٢) وقال: صحيح الإسناد، ورواه أحمد (٢ / ٤٤٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٨٢) وقال: رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٦) سنن الترمذي (٣ / ٦٤٩) ومصنف ابن أبي شيبة ٦ / ٢٣٤، والتمهيد لابن عبدالبر (٧ / ٢٣٠).

بقبلة حانية، ستتنزل عليك رحمة الله سبحانه، انطلق الآن وجرب، وستجد هذه القبلة طعم آخر، ستسعدك كما ستسعد من تحب، جرب أن تتوجه نحو أكبرهم سنًّا، وتباغته بقبلة مفاجئة على رأسه، وانصرف دون أن تتكلم، وسترى النتيجة بنفسك.

* * *

سؤال للبنين والبنات

ماذا تشعر عندما يقبلك أبوك أو أمك في (خدك، على جبينك، على رأسك؟).

اسأله لأبنائك وبناتك وستكتشف أحد أسرار قبلة الرحمة

واسأل نفسك وزوجك: ما الذي نشعر به عندما نقبل أبناءنا؟

هل دخولك إلى البيت مصدر سعادة لأبنائك

أيها الأب الكريم، لحظة دخولك للبيت هي لحظة تنفتح فيها قلوب أبنائك، فتراهم يسرعون نحوك، يتعلقون بملابسك، هذا يريد أن تحمله، وهذا يريد أن تكلمه، وهذه تريد أن تشكو لك، الجميع ينتظرك ومشتاق لرؤياك، وهذه لحظة مثالية لوضع بصمات المحبة في قلوبهم المشتاقة، ولتحذر من أن تكسر قلب أحدهم قائلا: أنا تعبان، ابعدوا عني، لا أريد صوتًا... تخيل معي صورة طفل يجري نحو أبيه مسرعًا، وهو يتخيل أن هذا القادم المحب يبادله شوقًا بشوق، وما يكاد يصل عند أبيه متوقعًا قبلة حانية وحضنًا كبيرًا، يتفاجأ بمن يبعده عنه قائلا: لا تلمسني أنا متعب، وقد يزيحه أبوه قائلًا: ابتعد عني، هنا يبتعد الولد كسيرًا حزينًا، ولأنه طفل محب لا ييأس، بل يجري على أبيه في اليوم التالي بنفس الشوق، لكن أباه يصده ويبعده، ولقد جلست يومًا أحسب كم مرة قد يكسر فيها الأب قلب أحد أبنائه عند عودته من الخارج، فقلت: الطفل يجري على أبيه من سن سنتين وحتى ٨ سنوات تقريبًا، وخلال هذه السنوات الست لو أزاح الأب ابنه وكسر قلبه لحظة دخوله للبيت مرة في اليوم، يصبح عندنا في العام ٣٦٠ إزاحة، وفي ست سنوات حوالي ٢٠٠٠ مرة، ماذا تتوقع من طفل أزاحه أبوه ٢٠٠٠ مرة أبعده من أمامه وكسر قلبه ٢٠٠٠ مرة؟ من المؤكد أنه سيصل إلى مرحلة المراهقة ليزيح أباه من حياته، فلا يسمع كلامه ولا يطيع أوامره ولا يلبي طلباته، هذا إذا لم يستدرك الأب ما فات ويعوض ابنه عن لمسات الحب الضائعة.

كيف تدخل بيتك بسلام؟

روى أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل؛ رجل خرج غازيًا في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل**»[(١)].

وفي رواية ابن حبان وغيره: «**ثلاثة كلهم ضامن على الله، إن عاش رزق وكفي وإن مات أدخله الله الجنة، من دخل بيته فسلم فهو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله**»[(٢)].

إن كل واحد من هذه الأصناف الثلاثة مضمون له الأجر والثواب، والضامن هو الله تعالى، فإن مات أحدهم وهو يطيع ربه فهو في الجنة، وإن عاش رزقه الله وكفاه، فالمسلم إذا خرج في سبيل الله غازيًا فهو إما أن يحصل موتًا فيكون من أهل الجنة بسبب كونه قتل في سبيل الله، أو يرجع منتصرًا محصلاً أجرًا وثوابًا عند الله وغنيمة من الغنائم، والمسلم إذا خرج من بيته ماشيًا إلى المسجد ومات، فقد مات في سبيل الله لأنه خرج لعبادة الله ولطاعته سبحانه، وإن رجع فهو محصل أجرًا وغنيمة في الآخرة، وإن حصل له رزق بسبب هذا العمل الصالح فهو من الثواب المعجل الذي يحصله في الدنيا قبل الآخرة، والمسلم الذي يدخل بيته فيسلم على زوجته وأولاده، ويدخل معه السلام والأمن والطمأنينة والسعادة والسكينة، فثوابه مضمون عند الله تعالى فإن مات في بيته مربيًا مخلصًا مبتعدًا عن شرور الناس؛ كان في الجنة، وإن خرج من بيته خرج ومعه ثواب كبير وغنيمة هي محبة أبنائه له ورزق يسوقه الله لهم على يديه.

والملاحظ في الحديث أن النبي ﷺ يسوي بين قتال في معركة، وعبادة في مسجد، وتربية في بيت، لأنه لن يعبد في مسجد ولن يقاتل في ميدان إلا من تربى في بيته جيدًا،

---

(١) سنن أبي داود (٣ / ٧)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود باختصار السند ٢ / ٤٧٣، وفي مشكاة المصابيح ح ر ٦٩٤.

(٢) صحيح ابن حبان (٢ / ٢٥٢)، والترغيب والترهيب ١ / ١٧٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح ر ١٦٠٩.

وتخيل وأنت بين أبنائك أنك ضامن على الله تعالى إن مت دخلت الجنة، وإن خرجت منه خرجت ومعك أجر وغنيمة.

أيها المربي الكريم؛ إذا أردت أن تعرف إن كنت تدخل بيتك بسلام أم لا؟ فانظر كيف يستقبلك أبناؤك، إن كانوا يفرحون بقدومك ويهللون «بابا وصل.. بابا وصل» وتجدهم في انتظارك، ويجرون نحوك فتسلم عليهم وتقبلهم، فأنت ممن يدخلون بسلام، أما إن دخلت بيتك وسمعت أحدهم يقول: «اسكتوا بابا وصل» فإنهم يقصدون «اسكتوا فقاتل الفرحة وصل»، وإن كنت تبعدهم عنك قائلا: أنا تعبان، لا أريد صوتًا من أحد، فأنت بحاجة لأن تدخل بيتك بسلام.

ولكي تدخل بيتك بسلام بعد يوم عمل شاق ومجهد، لا تأتي من الخارج وتدخل بيتك مباشرة، لأنك إن فعلت ذلك ستدخل واهموم معك، فقط انتظر دقيقة أو دقيقتين على الباب، خذ نفسا عميقا، وقل لنفسك: يا رب، أنا فعلًا قادم تعبان ومهموم، لكن المساكين الذين في الداخل ليس لهم أب غيري، وهم في انتظاري، يا رب ساعدني وقويني، خذ نفسًا عميقًا آخر، وادخل الآن، وتأكد أن الرحمة والسعادة والسلام سيدخلون معك، لقد جرب الكثيرون تلك الوصفة، ونجحت معهم جدًا، لدرجة أن أحد الآباء حكى لي قائلا: أنا أسير على قدمي يوميًا مسافة ٣ كيلومترات حتى أصل إلى بيتي، ومع وزني الزائد وسني الكبير، أصل منهكًا وأدخل بيتي متعبًا، وهكذا لا أطيق حتى نظرة من أحد، أدخل ويدخل الصمت والسكون معي، وبعد أن سمعت تلك الفكرة، بدأت أطبقها وأجلس لأستريح دقيقتين قبل أن أدخل، والله لقد تغير حالي تمامًا، حتى أنا أصبحت سعيدا بدخولي نحو أولادي، لقد أصبحت أدخل مبتسمًا بعدما كنت أدخل مبتئسًا، أصبحت أسلم عليهم وأذهب نحوهم، بعدما كنت أبعدهم عني ولا أرد عليهم.

« وهناك أحد الآباء عندما يعود إلى منزله كل يوم، يجلس في سيارته قبل أن يصعد للبيت، أو يقف على الباب قبل أن يدخل، يفكر في أحوال أسرته، ويفكر فيما يفعله كل فرد داخل هذه الجدران، ثم يحدث نفسه قائلا: إن أسرتي هي أمتع وأبهج وأهم شيء في حياتي، سوف أدخل إلى بيتي وأشعر أسرتي بحبي لها».

وعندما يدخل من الباب، لا يفكر في البحث عن الأخطاء، ولا يوجه النقد لأحد، ولا يذهب لغرفته للاسترخاء وتلبية احتياجاته هو، بل يصيح عاليًا: «لقد وصلت، هيا أنا مستعد للأحضان والقبلات»، ثم يبدأ في التجول في أنحاء المنزل والتعامل بشكل إيجابي مع كل أفراد الأسرة، فيسلم على زوجته، ويتدحرج على الأرض مع الأولاد، أو يفعل أي شيء من شأنه أن يدخل البهجة والسعادة على البيت، كأن ينصت لهذا أو يساعد ذاك، وعندما يفعل ذلك يتسامى على همومه وعلى عثراته وعلى مشكلاته التي تواجهه في العمل»[(١)].

إن الكثير من الآباء يلتزمون بدعاء الخروج من البيت؛ طلبًا للبركة وصحبة الملائكة وطردًا للشياطين؛ روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال يعني إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان**»، وفي رواية ابن حبان: «**فيلقى الشيطان شيطانا آخر فيقول له: كيف لك برجل قد كفي وهدي ووقي**»[(٢)]، فنحن نحاول جاهدين الالتزام بهذا الدعاء ليتحقق لنا توفيق الله تعالى الذي نتوكل عليه، لكننا عندما نعود للبيت مجهدين متعبين قد ننسى دعاء دخول البيت، الذي لا يقل أهمية عن دعاء الخروج منه، قال رسول الله ﷺ: «**إذا ولج الرجل في بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله**»[(٣)]، تأمل معي كيف أن المسلم يتوكل على الله تعالى عند خروجه من بيته (توكلت على الله) لأنه خارج من البيت لأداء مهام حياتية كبيرة، وكذلك يتوكل على الله عند رجوعه ودخوله لبيته (وعلى الله ربنا توكلنا) لأن عنده مهام تربوية كبيرة تنتظره، وفي الحالتين يحتاج إلى عون الله تعالى وتوفيقه.

---

(١)العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ص ٤٣ (بتصرف).

(٢)سنن الترمذي (٥ / ٤٩٠)، و صحيح بن حبان (٣ / ١٠٤)، والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي ح ر ٣٤٢٦.

(٣)سنن أبي داود (٤ / ٣٢٥)، الحديث صححه الألباني في صحيح الجامع ح ر ٨٣٩، ثم حكم بانقطاعه وضعفه وقال: إسناده صحيح لولا أن فيه انقطاعًا، مشكاة المصابيح ح ر ٢٣٧٨، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية: إسناده حسن، الآداب الشرعية ١ / ٤٢٦.

الأب المحروم.. والأب المليونير:

مع تعب الحياة وشدة المعاملات، نعود إلى بيوتنا بأجساد متعبة وعقول مشغولة ونفوس مهمومة، وإذا دخلنا إلى البيت بهذه الحالة فسنحوله إلى ساحة معركة، وخير ما يعالج هذه الحالة الصعبة هي استقبال أطفالنا الجميل لنا، فإياك أن تحرم نفسك من تلك اللذة الرائعة، سلم عليهم باليد واللسان والأحضان والقبلات، وأنا على يقين أن حالتك النفسية ستتحسن كثيرًا، واسمع معي ما يقوله هذا الأب...

في يوم من الأيام، وأنا في طريقي إلى البيت عائدًا من العمل شرعت في إحصاء ثروتي.. منزلي المرهون، وسيارتي العتيقة، رصيد لا يذكر بالبنك، أثاث خشبي لا يتحمل سنة أخرى، وجهاز تلفزيون ذو شاشة بحجم طابع البريد حتى السجاجيد بليت، وهناك ثوبان لم يعودا يحملان إلا قليلا من الخيوط وحذاء لكل الأغراض ويحاجة إلى تصليح، وبكل حزن رأيت نكبتي فبعد عشرين عامًا من الكر والفر لا أملك من حطام الدنيا سوى الكفاف بما في ذلك بيتي وسيارتي وملابسي ورحت أقود السيارة كالمغشي عليه، وجدت نفسي قريبًا من البيت، فجأة سمعت صوت زوجتي وهي تصيح: «والدكم قد حضر» ورأيت طفليّ يندفعان نحوي حريًا فأخذتهما بين ذراعي ودفنت رأسي في شعرهما المجعد وحينها فقط أدركت أنني مليونير[1].

إنك عندما تدخل بيتك وتسلم على زوجتك وأبنائك، عندها تنزل البركات عليك وعلى أهل بيتك، روى الترمذي عن أنس ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بُنَيَّ؛ إِذَا دَخَلْتَ على أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، تَكُنْ (يكن سلامك) بَرَكَةً عَلَيْكَ وعلى أَهْلِ بَيْتِكَ»[2]، بل إنك عندما تذكر الله تعالى بدعاء الدخول والسلام بتحية من عند الله مباركة طيبة (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)؛ فإنك تمنع الشياطين من المبيت في بيتك، وعندها تنعم مع أبنائك بوقت أسري جميل، روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ -تَعالى- عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعامِهِ قالَ الشَّيْطانُ (لأعوانه وأتباعه) : لا مَبِيتَ

(١) ويليام ج. وود (ثورية دجاج لحياة الأباء) قصص حب وتعلم وأبوة، ص ١٩٢، ١٩٣.
(٢) سنن الترمذي ح ر ٢٨٤١، والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب ح ر ١٦٠٨.

لَكُمْ وَلا عَشاءَ، وَإذا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ -تَعالى- عِنْدَ دُخُولِه، قالَ الشَّيْطانُ(لأعوانه وأتباعه): أدْرَكْتُمُ المَبِيتَ؛ وَإذا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ -تَعالى- عِنْدَ طَعامِهِ قالَ: أدْرَكْتُمُ المَبِيتَ والعَشاء»

سفر الآباء.. وسنن التربية السبعة

قبل أن يغادر الأب الحبيب بيته يسلم على أبنائه ويودعهم؛ فيكون آخر الناس عهدًا به أبناؤه وفلذات كبده؛ روى الحاكم عن بن عمر - رضي الله عنهما - «أن النبي ﷺ كان إذا سافر، كان آخر الناس عهدًا به فاطمة، وإذا قدم من سفر، كان أول الناس به عهدًا فاطمة رضي الله عنها»[(١)].

وبعد أن يخرج الأب من بيته يدعو بدعاء السفر المأثور عن النبي ﷺ؛ روى الإمام مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، و اطو عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[(٢)]، وخلال هذا الدعاء يستعيذ بالله تعالى من سوء المنقلب (العودة) إلى بيته، فهو يرجو أن تكون عودته إلى البيت مليئة بالسعادة والفرح عليه وعلى أبنائه، ويستعيذ بالله تعالى من أن يرى بعد عودته إلى بيته ما يحزنه، كما يستعيذ بالله تعالى أن يصيبه في سفره ما يحزن أهله ويسوؤهم؛ وهذا معنى قوله: «وسوء المنقلب في المال والأهل»، وقبل هذا كله يترك الله تعالى خليفة على أهله وماله.

ولأنه أب محب، فهو دائمًا يشتاق لرؤية أبنائه كما أنهم ينتظرونه بفارغ الصبر، لذلك

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٦٩.
(٢) صحيح مسلم ٢ / ٩٧٨.

كانت وصية النبي ﷺ لكل أب مسافر أن يسرع بالعودة لأبنائه وأحبابه؛ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهمته (حاجته)؛ فليعجل إلى أهله**»[١]، والمقصود في هذا الحديث استحباب تعجيل الرجوع إلى الأهل بعد قضاء شغله، ولا يتأخر بما ليس له بمهم، والهدف من إسراع المسافر بالعودة إلى بيته ليريح نفسه ويفرح أهله، وفي هذا الحديث دليل على كراهة التغرب عن الأهل لغير حاجة، واستحباب استعجال الرجوع إلى الأهل و الأبناء ولا سيما من يخشى عليهم الضيعة بالغيبة»[٢]، ومن هنا كان على الأب الحبيب أن يسرع بالعودة إلى أبنائه إذا ما أنجز أعماله؛ مهما كانت الأماكن التي سافر إليها بمفرده جيدة والبقاع التي غادر بيته إليها طاهرة؛ فقد روى البيهقي والدارقطني عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قضى أحدكم حجه؛ فليعجل الرحلة إلى أهله، فإنه أعظم لأجره»[٣]..

ومن الأشياء التي تجعل الأب مشتاق للعودة إلى بيته ورؤية أبنائه؛ أن يحضر لهم هدية ولو بسيطة جدًا، فلقد استحب بعض الفقهاء أن يحمل المسافر هدية لأهله، واستشهدوا بالحديث الذي رواه الدارقطني عن عائشة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قدم أحدكم من سفر؛ فليهد إلى أهله وليطرفهم، ولو كانت حجارة**»[٤] (يعني: حجر الزناد الذي يوقد به كالكبريت أو الولاعة وغيرها)...

ولأن الأبناء ينتظرون أباهم بفارغ الصبر؛ فإنهم يخرجون لمقابلته عند عودته من السفر، فيذهبون إلى محطة القطار أو إلى المطار أو يقفون في شرفة البيت، كل هذا من أجل انتظار الوالد الحبيب، والجميل أن استقبال المسافر سنة مأثورة عن النبي ﷺ؛ فقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر؛ تُلقى

---

(١) صحيح البخاري ٢ / ٦٣٩، و صحيح مسلم ٣ / ١٥٢٦، والنهمة بفتح النون وإسكان الهاء هي الحاجة.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣ / ٧٠، و فتح الباري ٣ / ٦٢٣، ٦ / ١٣٩ (بتصرف).
(٣) سنن البيهقي الكبرى ٥ / ٢٥٩، وسنن الدارقطني ٢ / ٣٠٠، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح ر ١٣٧٩.
(٤) المجموع ٤ / ٣٤٢، وسنن الدارقطني ٢ / ٣٠٠، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح ر ١٤٣٦

بصبيان أهل بيته، (و في رواية أبي داود: فأينا استقبل أولًا جعله أمامه، يعني على الناقة)، قال: وإنه قدم من سفر (ذات يوم) فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه، فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة»[١].

وروى البيهقي عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: «أقبلنا من مكة في حج أو عمرة وأسيد بن حضير يسير بين يدي رسول الله ﷺ، فتلقانا غلمان من الأنصار كانوا يتلقون أهاليهم إذا قدموا»[٢]..

وعندما تتلاقى الوجوه تتقارب القلوب، ويندفع الأبناء بتلقائية ليرتموا في أحضان أبيهم، وهنا يغمرهم أبوهم بالود والحب والحنان، فيقبل خدودهم و جباههم ويأخذهم في أحضانه؛ روى أبو يعلى و الطبراني عن ابن عباس – رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر قبّل ابنته فاطمة[٣]، ولما أتى رسول ﷺ حين فتح خيبر، قيل له: قد قدم جعفر من ثم (عند) النجاشي، فقال النبي ﷺ: «**لا أدري بأيهما أنا أشد فرحًا بقدوم جعفر أو فتح خيبر، فقبل ما بين عينيه**» وفي رواية أبي داود: «أن النبي ﷺ تلقى جعفر بن أبي طالب فالتزمه (فضمه) وقبل ما بين عينيه»[٤].

وروى الطبراني عن أنس ﷺ قال: «كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا»[٥]..

ومن هنا قال بعض الفقهاء: «السنة معانقة القادم من سفر وتقبيله، ولا بأس للقادم من سفر بتقبيل ذوات المحارم (على الخد وعلى الجبهة بين العينين فقط) إذا لم يخف على نفسه فتنة»[٦]..

---

(١)صحيح مسلم ٤ / ١٨٨٥، و سنن أبي داود ٣ / ٢٧.
(٢)سنن البيهقي الكبرى ٥ / ٢٦٠.
(٣)مسند أبي يعلى ٤ / ٣٥٢، و المعجم الأوسط ٤ / ٢٤٨، وقال الهيثمي: رجاله ثقات وفي بعضهم ضعف لا يضر / مجمع الزوائد ٨ / ٤٥.
(٤)المعجم الكبير للطبراني ٢ / ١٠٨، وسنن البيهقي الكبرى ٧ / ١٠١، و سنن أبي داود ٣٥٦.
(٥)رواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح، انظر: الترغيب و الترهيب ٣ / ٢٩٠، والحديث قال عنه الألباني: إسناده جيد، السلسلة الصحيحة ح ر ٢٦٤٧.
(٦)روضة الطالبين ٧ / ٢٨، وكشاف القناع ٥ / ١٦ (بتصرف).

أبي.. لا تجعلني أكره تناول الطعام معك:

أحد الأبناء كتب لأبيه يقول: «أبي.. من فضلك لا تجعلني أكره تناول الطعام معك، هذا لأن وقت الطعام في بيتنا أصبح ساحة معركة، فعلى الطعام يحلو لك تربيخنا ومحاسبتنا، أعلم أن هذا هو الوقت الوحيد الذي ترانا فيه وتريد متابعة تربيتنا، لكننا نشتاق للحوار معك أكثر من توبيخك، نحتاج إلى توجيهك أكثر من تعنيفك، كم أتمنى أن أتمتع بتناول الطعام معك، فهل تحقق أمنيتي؟»

أمثال هذا الابن الشاكي كثيرون، لكنه أحسن حالا ممن يتناول طعامه دومًا بمفرده دون أبيه أو أمه، كلاهما مسكين ومحروم، أحدهما محروم من شخص أبيه فلا يراه يتناول الطعام معه، والثاني محروم من حب أبيه الذي يتمتع بتناول الطعام معه.

إن الاجتماع على الطعام ينزل البركة على أهل البيت جميعًا، روى ابن ماجة عن عمر ابن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا جميعًا ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة**»[1]، وقال سفيان الثوري: حدثني ابن عباس.. «إن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يجتمعون على طعامهم»، ولقد حرص الصحابة الكرام على تناول الطعام مع أبنائهم؛ فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: أعتم رجل ثم (عند) النبي ﷺ ثم رجع إلى أهله، فوجد الصبية قد ناموا، فأتاه أهله بطعامه، فحلف لا يأكل من أجل صبيته، ثم بدا له فأكل، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها؛ فليأتها وليكفر عن يمينه**»[2]، فهذا أحد الصحابة الذين يجالسون النبي ﷺ حتى عتمة الليل، و يقومون على شئون الأمة في أشد أوقاتها خطورة، لا يمنعه ذلك كله من تعاهد أطفاله عند عودته للبيت فيأكل معهم و يجالسهم كما يجالس أمثاله هو خارج البيت، وفي اليوم والليلة التي تأخر فيها عن أطفاله حتى ناموا، ففاته وفاتهم تلك الجلسة العائلية المعتادة؛ حزن ﷺ فحلف لا يأكل، كأنه يعاقب نفسه على

---

(١)سنن ابن ماجة ٢ / ١٠٩٣.
(٢)صحيح مسلم ٣ / ١٢٧١.

إهماله ذلك الواجب اليومي[١]... وتمر السنون، وبعد أربعة عشر قرنًا نقرأ الخبر التالي في جريدة الأهرام المصرية: أكدت دراسة إسبانية أن جمع شمل الأسرة حول مائدة الطعام يعزز استقرار الصحة النفسية والعقلية لدى الأبناء، وتوصلت الدراسة التي نشرت في دورية «علم الأوبئة وصحة المجتمع» إلى أن الأبناء في سن المراهقة الذين يشاركون آباءهم في تناول الطعام يتمتعون بحالة نفسية جيدة، وأن تناول الوجبات اليومية التي تضم جميع أفراد الأسرة - ولأكثر من خمس مرات في الأسبوع - له أثر جيد على الصحة النفسية للأبناء[٢]...

ومن شدة حرص النبي على تناول الطعام مع أسرته، أنه كان في بعض الأحيان عندما يدعى لطعام (عزومة) خارج البيت، كان ﷺ أحيانًا يرفض أن يذهب وحده، ويصمم على صحبة أهله، روى مسلم في صحيحه (ح ر ٢٠٣٧) أن جارًا لرسول الله ﷺ، فارسيًّا. كان طيب المرق. فصنع لرسول الله ﷺ، ثم جاء يدعوه، فقال ﷺ: وهذه؟ لعائشة (يعني وهذه تأتي معنا) فقال (الجار صاحب العزومة): لا، (ومشى الرجل)، فعاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: وهذه قال: لا (ومشى الرجل)، ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله ﷺ: وهذه، قال: نعم في الثالثة، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله»، هذا هو الحب الصادق، إذ كيف يطيب لأب أو لزوج أن يتنعم بتناول طعام جميل وحده دون من يحب من أهله؟ سيقول البعض أن هناك حالات اجتماعية وظروفًا تحكم على الرجل أن يتناول الطعام خارج بيته، وهذا صحيح، فكيف يتصرف الأب المحب في مثل هذا الموقف؟ وما هي سنة رسول الله ﷺ في مثل هذا الحدث؟

روى الإمام مسلم في صحيحه (ح ر ٢٠٣٨) أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر. فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟) قالا: الجوع يا رسول الله، قال (وأنا. والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا) فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلا،

---

(١) العشرة الطيبة مع الأبناء وتربيتهم.

(٢) جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر يوم الجمعة الموافق ١٨ / ١ / ٢٠٠٢ ميلادية.

فقال لها رسول الله ﷺ (أين فلان؟) قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء (يحضر ماء عذبًا)، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه. ثم قال: الحمد لله. ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، فانطلق فجاءهم بعذق (من النخل) فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية (السكين ليذبح لهم شاة) فقال له رسول الله ﷺ: (إياك والحلوب) فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، (وفي رواية: فلما أدرك الطعام (نضج)، ووضع بين يدي النبي ﷺ وأصحابه، أخذ من الجدي فجعله في رغيف، وقال: يا أبا أيوب (صاحب البيت) أبلغ بهذا فاطمة؛ فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام، فذهب أبو أيوب إلى فاطمة)[1] فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده! لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع. ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

هنا نسأل: يا ترى ما هو إحساس السيدة فاطمة - رضي الله عنها - لما جاءها أبو أيوب بالطعام الذي أرسله أبوها؟ إنك أيها الأب المحب إذا تناولت خارج بيتك ما يحبه أبناؤك أو لم يطعموه من مدة أو شيء جديد لم يروه، فلا تحرم نفسك من حمل هذا الخير لأبنائك، وخلال حملك لهذا الطعام مهما قل فإنك تحمل معه رسالة تقول: أنتم في قلبي دومًا حتى وسأظل أذكركم حتى ولو كنتم بعيدًا عن عيني، أنتم دائمًا تسكنون في قلبي.

أيها الأب الكريم؛ إنك عندما تتناول الطعام مع أبنائك تصنع معهم أجمل الذكريات، وستتعرفون على بعضكم أكثر، فيعرف كل منكم ما يحبه الآخر من طعام وشراب وغيره، روى ابن ماجة عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: بعثت معي أم سليم بمكتل فيه رطب إلى رسول الله ﷺ فلم أجده، وخرج قريبًا إلى مولى له، دعاه فصنع له طعامًا، فأتيته وهو يأكل، فدعاني لآكل معه، وصنع ثريدة بلحم وقرع، فإذا هو يعجبه القرع، فجعلت أجمعه فأدنيه منه، فلما طعمنا منه رجع إلى منزله ووضعت المكتل بين يديه، فجعل يأكل ويقسّم (على من حوله) حتى فرغ من آخره»[2]، وعل الطعام سيتعلم منك

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ١٧٤، وهذه الرواية ذكرها الألباني في ضعيف الترغيب ح ر ١٣٠٣.
(٢) صحيح ابن ماجة للألباني ح ر ٢٦٨٨، وإرواء العليل ٧/ ٤٦.

طفلك آداب تناول الطعام برفق ومحبة؛ روى البخاري عن عمر بن أبي سلمة – رضي الله عنه – قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»، فما زالت تلك طعمتي بعد، وفي كل مرة تنتهون فيها من تناول الطعام معًا؛ يزداد رصيد المحبة بينكم، وتتنزل عليكم بركات ربكم، وتفوزون بمغفرته سبحانه؛ قال رسول الله ﷺ: «**من أكل طعامًا ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا [الثوب] ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»[(١)].

وبعدما سبق يمكننا أن نقول:

إن من لا يتناول الطعام مع أحبابه من أبنائه وبناته.. أب محروم

أين تذهب.. خذني معك:

الطفل يتعلق قلبيًّا بأبيه وأمه، فهما عينا قلبه على الحياة، بهما يبصر الحقيقة ويعرف الخير من الشر، لذا تراه يحرص دوما على صحبتهما والخروج معهما، فطفلك دومًا يسألك: أين تذهب يا بابا؟ أين تذهبين يا ماما؟ ويتبع الإجابة عن هذا السؤال طلب متكرر وهو: خذني معك... وتتعدد ردود أفعال الآباء تجاه هذا السؤال، فبعضهم يرى أنه من غير اللائق اصطحاب أطفاله معه إلى أي مكان، فهم مجرد عيال صغار، ومكانهم دومًا مع أمهم، بل إن الأم قد تترك أطفالها في البيت كثيرًا ولا تأخذهم معها بحجة أنهم صغار، فلو ذهبت يومًا لزيارة جارتها في المستشفى، وطلب منها الصغير أن يذهب معها، ستجدها على الفور ترفض قائلة: أنت صغير ولن تلتزم الأدب هناك... والسؤال الآن: ما هو النهج النبوي التربوي السليم في مثل هذا الموقف؟ هل الأفضل ترك الصغار أم أخذهم وتحمل العواقب؟ ما هي سنة النبي ﷺ في مثل هذا الموقف؟

---

(١) الحديث صححه ابن حجر في الخصال المكفرة ١ / ٧٤، والألباني في صحيح أبي داود ح ر ٤٠٢٣، وصحيح الجامع ح ر ٦٠٨٦.

لقد كان ﷺ يصحب الأطفال والشباب معه في كافة الميادين، يأخذهم معه لأنه أب كريم ومعلم جليل، فتارة يصحب ابن عباس ويسيران في الطريق، وتارة يركب معه أطفال ابن عمه جعفر، وأخرى يصاحب أنسًا، وهكذا يصحب النبي ﷺ الأطفال والصبيان والمراهقين والشباب معه من غير تأفف ولا استكبار، ومن غير تعجرف ولا استعلاء، فمن حق الطفل أن يصحب الكبار، ومن حق الابن أن يصحب أبيه وأمه وجده وجدته؛ ليتعلم منهم فتتهذب نفسه ويتضح عقله وتتحسن أخلاقه[1].

روى البخاري عن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ ركب على حمار، على إكاف، على قطيفة فدكية، وأردف أسامة وراءه، يعود سعد بن عبادة، قبل وقعة بدر»، قبل وقعة بدر كان عمر سيدنا أنس حينها حوالي سبع سنوات، ومع ذلك يأخذه النبي ﷺ معه ليزور أحد سيدي الأنصار وهو مريض. ولقد صارت تلك الصحبة ذكرى جميلة حكاها سيدنا أسامة بكل تفاصيلها بداية من نوع إكاف (البردعة أو السرج) على ظهر الدابة، مرورا بالقطيفة (قطعة القماش التي توضع فوق السرج) وهي كانت فدكية (مصنوعة بفدك في الشام)، وانتهاء بمن زاروه ومتى كانت الزيارة.

ومن العجيب أن النبي ﷺ لم يكتف باصطحاب الصغار والكبار معه، بل بين لنا كيف نخرج مع كل أبنائنا دون أن نحرم أحدا منهم، فها هو أنس بن مالك – رضي الله عنه – يقول: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر أو غزا، أردف (أركب وراءه) كل يوم رجلا من أصحابه»[2]، فالأب يمكنه أن يأخذ في كل مرة أحد أبنائه بالترتيب، وهذه سنة نبينا الحبيب، ولو خرج الأب يومًا مع أبنائه جميعًا في السيارة، فيمكنه أن يجلس كل واحد منهم بجواره فترة من الزمن أو مسافة من الطريق، فالنبي قد قسم الركوب خلفه في حجة الوداع إلى مراحل، روى البخاري في صحيحه (٢ / ٥٥٩) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن أسامة ﷺ كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، فكلاهما قال: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة».

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل، ص ٣٤٤ (بتصرف).

(٢) مسند أبي يعلى ٧ / ٢٣٦، والتاريخ الكبير ٣ / ٤٨٠.

ولقد حرص الصحابة الكرام على اصطحاب أبنائهم معهم إلى مجالس النبوة وإلى ميادين الحياة، روى النسائي وغيره أن نبي الله ﷺ كان إذا جلس، يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير، يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه، فقال له النبي ﷺ: تحبه؟ فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، فهلك (مات الطفل)، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة، لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ، فقال: ما لي لا أرى فلانًا؟ فقالوا: يا رسول الله بنيه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ، فسأله عن بنيه؟ فأخبره بأنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: يا فلان، أيما كان أحب إليك: أن تمتع به عمرك، أولا تأتي غدًا إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟ قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها إلي، لهو أحب إليّ، قال: فذاك لك، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله جعلني الله فداءك ألّه خاصة أو لكلنا؟ قال: بل لكلكم»[1]، فهذا صحابي جليل يأخذ ابنه معه إلى مجلس النبي، فيكون أخذه سببًا في دخول أبيه معه إلى الجنة، ولم يتمتع الذكور وحدهم بصحبة آبائهم إلى مجالس النبوة، بل كان للبنات حظهن الوافر، روى البخاري عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص (رضي الله عنهما - قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي، وعليّ قميص أصفر، فقال رسول الله ﷺ: سنه سنه، قال عبد الله راوي الحديث: وهي بالحبشية حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة[2]، فزبرني أبي، فقال رسول الله ﷺ دعها، ثم قال رسول الله ﷺ: أبلي واخلقي، ثم أبلي واخلقي، ثم أبلي واخلقي» قال عبد الله راوى الحديث: فبقيت (حية) حتى ذكر (من طول بقائها)، لقد كان الصحابي الجليل خالد بن سعيد أبوها قد هاجر إلى الحبشة هو وأهله بمن فيهم ابنته أم خالد، ولقد أخذها معه الى مجلس النبي ﷺ وهي صبية، فالأمر لا يخص الصبيان فقط، ثم لا تهاب في المجلس من الصعب، بل تذهب فتلعب بخاتم النبوة المبارك الشريف، فيمنعها بزجر أبوها، فيقول له النبي ﷺ: دعها، بل يتوجه إليها ﷺ بالمداعبة

(١) قال الألباني في أحكام الجنائز ح ٢٠٥: إسناده صحيح وله شاهد، وفي السلسلة الصحيحة ٦ / ١٥٦ قال: إسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين.

(٢) خاتم النبوة الشريف: عبارة عن بضعة من اللحم بارزة تميل إلى الحمرة وعليها شعرات، في أعلى الظهر قريب من الرقبة المباركة.

والمباسطة ليذهب عن الصغيرة الحرج، ثم يدعو لها ثلاثًا بطول العمر والعافية، فتلبس الجديد مرات ومرات بعد أن يخلق الثوب الجديد، والسنة المباركة والسيرة الشريفة وتاريخ المسلمين مليء بالأمثلة على حضور الصغار – بنين وبنات – كل المجالس والأماكن مخالطين للكبار، وليس هناك أعلى من مجلس النبوة الشريفة في المسجد، وفي كل المواطن[١]، ففي بيعة العقبة الثانية، أخذ الأنصار -رضي الله عنهم- أبناءهم معهم رغم خطورة الموقف ليتشرفوا ببيعة النبي ﷺ، فعن جابر بن عبدالله بن حرام -رضي الله عنهما- قال: خرجنا إلى النبي ﷺ عام العقبة أربعون رجلًا وثلاثون غلامًا، مع الرجل ابنه، وكنت رديف أبي[٢]، وروى البخاري في التاريخ عن المغيرة بن حكيم سألت: عبد الله بن سعد بن خيثمة: هل شهدت بدرًا؟ قال: نعم والعقبة، ولقد كنت رديف أبي وكان نقيبًا[٣].

ومن حرص المنهج النبوي على صحبة الآباء لأبنائهم في مجالس المسجد وغيرها، ومن حرص الشرع على مشاعر الأبوة والبنوة؛ فإنه يكره التفريق بين الصغير ووالده في المجلس، لأن الطفل يأمن بجانب أبيه، والأب يشفق على الابن حينما يبعد عنه، لذلك روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس»، وهذا التوجيه يستهدى به في أنماط السلوك والمواقف المشابهة، كركوب الابن بجوار أبيه في المواصلات، أو عند استضافة الوالد وابنه، فلا نفرق في الجلسة بينهما[٤].

ولقد كان خلف النبي على الناقة مدرسة كبيرة، فمن تشرف بالركوب خلف النبي ﷺ تعلم واستمتع وفرح بدعوة كريمة وصحبة مباركة، وكذلك الحال معك أيها الأب الكريم، فعندما تأخذ ابنك أو ابنتك معك ستصنعا معًا أجمل الذكريات، فإذا تحدثت معه بقلب مفتوح وذكرت له سرًا، فإنه لن ينسى هذا يومًا؛ روى الإمام مسلم (١ / ٢٦٨) عن عبد الله بن جعفر – رضي الله عنهما – قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدًا من الناس»، وستتكلم مع ابنك عن مواهبه، روى

---

(١) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، ص ١٢٦.
(٢) الآحاد والمثاني ج ٣ ص ٣٩٤.
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٥٥.
(٤) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم، ص ٢٣٤ (بتصرف).

مسلم (٤ / ١٧٦٧) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يومًا، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئًا؟ قلت: نعم، قال ﷺ: هيه، فأنشدته بيتا، فقال ﷺ: هيه، ثم أنشدته بيتًا، فقال ﷺ: هيه، حتى أنشدته مائة بيت.

وفي مرة من المرات ستوصي ابنك بوصية لطيفة رقيقة؛ روى الحاكم والترمذي وأحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**»، وفي رواية الحاكم: أهدي إلى النبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى، فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني خلفه، ثم سار بي مليًّا ثم التفت فقال: يا غلام. قلت: لبيك يا رسول الله، قال: احفظ الله يحفظك...»[(١)].

وعندما تأخذ ابنك معك أو ابنتك، ستصبح أمامك فرصة لتصحح أخطاءه برفق وحكمة، فأنت قد أخذته معك لتسعده وتترفق معه، لا لتجعله يكره الخروج معك نتيجة لغلظتك وقسوتك، روى النسائي وغيره عن أبي المليح عن أبيه قال: كنت ردف رسول الله ﷺ، فعثر بعيرنا، فقلت: تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ: «**لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي، ولكن قل: باسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذباب**»[(٢)]، وروى البخاري في صحيحه (٥ / ٢٣٠٠) عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر».

وعندما تأخذ ابنك أو ابنتك ليخرجوا معك، فإنه سيراقبون الخير الذي تفعله ويتعلمون من فعلك أكثر من قولك؛ روى النسائي عن أسامة بن زيد قال: كنت ردف النبي ﷺ بعرفات، فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته فسقط خطامها، فتناول الخطام

---

(١) أحمد بن حنبل ١ / ٢٩٣، سنن الترمذي ٤ / ٦٦٧، والمستدرك على الصحيحين ٣ / ٦٢٣، ومسند الإمام ٣٠٣.
(٢) السنن الكبرى ٦ / ١٤٢، والمستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ٣٢٥، والمعجم الكبير ج ١ ص ١٩٤.

بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى [١]، وروى ابن ماجة عن الفضل بن عباس قال: كنت ردف النبي ﷺ (في حجة الوداع)، فما زلت أسمعه يلبي حتى رمى جمرة العقبة، فلما رماها قطع التلبية»[٢]، وعن زهرة بن حميضة قال: ردفت أبا بكر الصديق، فجعل لا يلقاه أحد إلا سلم عليه، وكان قليل الحديث»[٣]، وعن زيد بن وهب عن عمر قال: كنت رديف أبي بكر، فيمر على القوم فيقول: السلام عليكم. فيقولون: السلام عليكم ورحمة الله، ويقول: السلام عليكم ورحمة الله، فيقولون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال أبو بكر: فضلنا الناس اليوم بزيادة كثيرة[٤].

ويعتبر خروج أبنائك معك وركوبهم السيارة بجوارك فرصة جميلة لتعليمه الخير؛ روى البخاري في صحيحه (٣ / ١٠٤٩) عن معاذ - رضي الله عنه - قال: كنت رِدْف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، فقال ﷺ: يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا، فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا»، وروى أبو داود عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: كنت رديف رسول الله ﷺ وهو على حمار والشمس عند غروبها، فقال ﷺ: هل تدري أين تغرب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: فإنها تغرب في عين حامية»[٥].

وبعدما سبق.. هل ستتردد يومًا في أخذ أبنائك أو أحدهم معك؟

وفي النهاية نعرض لكم صورة مبهرة لكيفية اصطحاب النبي لأحفاده، روى البخاري عن البراء -رضي الله عنه- قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه

---

(١) السنن الكبرى ٢ / ٤٢٣.
(٢) سنن ابن ماجة ٢ / ١٠١١.
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ / ٨٥.
(٤) الأدب المفرد ١ / ٣٤٢.
(٥) سنن أبي داود ٤ / ٣٧.

يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»، والعاتق هو ما بين المنكب والعنق، وروى الحاكم في المستدرك (٣ / ١٨٦) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أقبل النبي ﷺ وهو يحمل الحسن بن علي على رقبته، فلقيه رجل فقال: نعم المركب ركبت يا غلام فقال رسول الله ﷺ ونعم الراكب هو.

اللعب النبوي خمسة أشكال

عندما تقتدي بحبيبك النبي وتسير على نهجه التربوي، ستجد أنك تمارس اللعب مع أبنائك بثلاث طرق:

(١) تضحك معهم وتمازحهم:

أبسط أشكال اللعب مع الأبناء والبنات هو المزاح، ومع بساطته إلا أنه يؤثر في النفس ويترك فيها شعورًا بالمحبة والسعادة، ولقد ذهب النبي ﷺ يومًا لزيارة أهل الصحابي الصغير محمود بن الربيع وكان عمره خمس سنوات، فأخذ النبي ﷺ كوبًا به ماء وشرب منه، ثم أخذ ﷺ في فمه بعضًا منه ونفخ الماء (بخّه أو رشه) على محمود الصغير، ليداعبه ﷺ ولتمسه البركة النبوية؛ روى البخاري ومسلم.

عن محمود بن الربيع ﷺ قال: «عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو»[(١)]، ومحمود رضي الله عنه ظل يحمل هذه الذكرى الجميلة في قلبه رغم صغر سنه (خمس سنوات)، وحكاها قائلا: عقلت يعني: حفظت، وقوله مجة هو إرسال الماء من الفم، ولا يسمى مجًا إلا إذا كان الرش عن بعد، وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة منه أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة[(٢)]، ويمرّ النبي ﷺ يومًا بعبدالله بن عباس يومًا وهو يلعب مع الصبيان، فيختبئ منه ابن عباس خلف باب، فيتوجه النبي خلف ابن عباس مداعبًا له، ويضرب بيده ﷺ على ظهر ابن عباس

(١)صحيح البخاري ١ / ٤١.
(٢)فتح الباري ١ / ١٧٢.

برفق ومحبة، ثم يرسله في حاجة له.

روى الإمام مسلم عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ، فتواريت خلف باب (وفي رواية أحمد: فاختبأت منه خلف باب)، فجاء ﷺ فحطأني حطأة، وقال: اذهب وادع لي معاوية»، وقوله حطأني حطأة: هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين وإنما فعل ﷺ هذا بابن عباس ملاطفة وتأنيسًا[١].

(٢) تلعب معهم وتجري المسابقات:

كان رسول الله ﷺ يلاعب حفيده الحسن لعبة جميلة، فكان ﷺ يقف أمام الحسن وجهًا لوجه، ثم يمسك بيديه يدي الحسن من الكفين، ثم يضع قدمي الحسن على قدميه ﷺ، ثم يقول ﷺ ارق يا حسن واصعد، فيصعد الصبي بقدميه على جده، بداية من قدميه صعودًا نحو الأعلى، والنبي ﷺ يشده نحو الأعلى، حتى يضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، وهنا يقول له النبي: افتح فمك، ثم يقبله ويقول: اللهم أحبه فإني أحبه؛ روى الطبراني وغيره عن أبي هريرة قال: ثم سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعًا حسنًا أو حسينًا، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ وهو يقول حزقه حزقه ارق عين بقة، فيرقى الغلام حتى يضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال له: افتح فمك، ثم قبله ثم قال: اللهم أحبه فإني أحبه[٢].

وكان النبي ﷺ يجري سباق الجري بين أبناء عمه الصغار، ويتلقاهم عند خط النهاية بحب وحنان؛ روى الإمام أحمد قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثيرًا من بني العباس، ثم يقول: من سبق إليَّ فله كذا وكذا، فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبلهم ويلزمهم[٣].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ١٥٥.
(٢) الأدب المفرد للبخاري ١ / ٩٦، والمعجم الكبير للطبراني ٣ / ٤٩، ومجمع الزوائد ٩ / ١٧٩، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح ر ٣٤٨٦.
(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ / ٢١٤، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح ر ٦٥٤٧.

(٣) تسمح لهم باللعب معك ومازحتك:

في بيتك وأمام الناس، ليست هناك مشكلة أن يمازحك أطفالك في حدود الأدب والذوق، روى ابن حبان وغيره عن أبي بكرة بنفيع بن الحارث -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ يصلي بنا وكان الحسن يجيء وهو صغير، فكان كلما سجد رسول الله ﷺ وثب على رقبته وظهره، فيرفع النبي ﷺ رأسه رفعًا رقيقًا حتى يضعه (وفي رواية: لئلا يصرع فعل ذلك غير مرة)، فقالوا: يا رسول الله: إنك تصنع بهذا الغلام شيئًا ما رأيناك تصنعه بأحد، فقال ﷺ: «**إنه ريحانتي من الدنيا، إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[(١)]، وروى النسائي والحاكم عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر، وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمني، فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي من بين الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجد وإذا الغلام راكب على ظهره، فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها أفشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني (ركب على ظهري) فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته (يعني من اللعب)[(٢)]، وروى البخاري عن أم خالد بنت خالد ابن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليّ قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ: سنه سنه قال عبد الله (بن عمر راوي الحديث) وهي بالحبشية: حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي، قال رسول الله ﷺ: دعها، ثم قال رسول الله ﷺ: أبلي واخلقي، ثم أبلي واخلقي، ثم أبلي واخلقي، قال عبد الله: فبقيت حتى ذكر يعني من بقائها...

---

(١) صحيح ابن حبان ١٥ / ٤١٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٣ / ١٩١ وإسناده حسن، والشوكاني في در السحابة ح ر ٢٢٤ وقال: رجاله رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة وقد وثق.

(٢) السنن الكبرى ١ / ٢٤٣، والمستدرك على الصحيحين ١ / ١٨١ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) تتحدث معهم عن ألعابهم:

عندما يجلس أحدنا مع ابنه أو ابنته ويسأله عن ألعابه وكيفية لعبها؛ فإنه يطبق سنة نبوية تربوية جميلة، يسعد بها ابنه ويرضي بها ربه ويزيد بها حصيلته من الخير: روى ابن حبان وغيره عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب (وفي رواية: قالت دخل علي ﷺ وأنا العب باللعب فرفع الستر) فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرسًا له جناحان من رقاع، فقال ﷺ: ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال ﷺ: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة، قالت: فضحك ﷺ حتى رأيت نواجذه»[1]، ولقد كانت السيدة عائشة -رضي الله عنها- في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكملتها أو جاوزتها أو قاربتها وأما في غزوة تبوك فكانت أكبر من ذلك، وفي الحديث جواز لعب البناذت بالعرائس وبيعها لهم لتدريبهن على الأمومة[2].

وروى البخاري ومسلم عن أنس – رضي الله عنه – قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال أحسبه فطيم، وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير ما فعل النغير» نغر كان يلعب به وفي مسند أحمد: عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يدخل على أم سليم، وها ابن من أبي طلحة يكنى أبا عمير، وكان يمازحه، فدخل عليه فرآه حزينا، فقال ﷺ: ما لي أرى أبا عمير حزينًا؟ فقالوا: مات نغره الذي كان يلعب به، فجعل ﷺ يقول: «**أبا عمير ما فعل النغير**»[3]، وفي رواية: فجعل يمسح رأسه ويقول «**أبا عمير ما فعل النغير**»[4]... قال ابن حجر -رحمه الله- معلقًا على هذا الحديث: الراجح

---

(١) صحيح ابن حبان ١٣ / ١٧٤، وسنن أبي داود ٤ / ٢٨٣ السنن الكبرى ٥ / ٣٠٦، وقال الأصمعي: السَّهوة كالصفّة تكون بين يدي البيت، وقال غيره من أهل العلم: السهوة شبيه بالرَّفّ والطاق يوضع فيه الشيء، قال أبو عبيد: وسمعت غير واحد من أهل اليمن يقولون: السهوة عندنا بيت صغير منحدر في الأرض وسمكه مرتفع من الأرض شبيه بالخزانة الصغيرة يكون فيها المتاع. الغريب لابن سلام ١ / ٥٠.

(٢) فتح الباري ١٠ / ٥٢٧ (بتصرف).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣ / ١٨٨، والأدب المفرد ١ / ٢٩٥.

(٤) فتح الباري ١٠ / ٥٨٣.

أن النغير طائر أحمر المنقار، ولقد عد بعض العلماء في هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستين وجهًا، وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة وتكرير زيارة الممزوح معه، وفيه ترك التكبر والترفع والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر أو في البيت فيمزح، وفيه جواز الاستدلال بالعين على حال صاحبها إذ استدل ﷺ بالحزن الظاهر على الحزن الكامن حتى حكم بأنه حزين فسأل أمه عن حزنه، وفيه التلطف بالصديق صغيرًا كان أو كبيرًا والسؤال عن حاله، وجواز لعب الصغير بالطير وقال القرطبي: الذي رخص فيه للصبي إمساك الطير ليلتهي به وأما تمكينه من تعذيبه ولا سيما حتى يموت فلم يبح قط، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح اللعب به، وجواز إنفاق المال فيما يتلهى به الصغير من المباحات، وجواز إمساك الطير في القفص ونحوه وقص جناح الطير إذ لا يخلو حال طير أبي عمير من واحد منهما، وفيه أن الكبير إذا زار قومًا واسى بينهم فإنه صافح أنسًا ومازح أبا عمير ونام على فراش أم سليم وصلى بهم في بيتهم حتى نالوا كلهم من بركته، وفيه مسح رأس الصغير للملاطفة[1].

(٥) تسمح لأصدقائهم باللعب في بيتك:

روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت ألعب بالبنات (العرائس) عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه (يهربن منه ويتخفين عنه ويدخلن وراء الستر) فيسربهن (يرسلهن) إليّ فيلعبن معي»، وفي رواية النسائي: عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كنت ألعب بالبنات، فربما دخل علي رسول ﷺ وصواحباتي عندي، فإذا رأين رسول الله ﷺ فررن، فيقول رسول الله ﷺ «كما أنت وكما أنتن»[2]، واستدل العلماء بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور (عرائس) البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن

(١) فتح الباري ج ١٠| ٥٨٤ - ٥٨٦.
(٢) السنن الكبرى ٥ / ٣٠٦.

على أمر بيوتهن وأولادهن [١].

وإذا دخلت على ابنك يومًا وهو مع أصدقائه، أو مررت به في الطريق أو النادي وهو يلعب معهم؛ فسلم عليهم جميعًا، روى مسلم عن أنس ﷺ قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا العب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة «لقد سلم النبي ﷺ على الصغار اللاعبين قبل أن يطلب من أنس ترك اللعب، فهو يحترمهم ويقر بحقهم في اللعب، وبالفرحة ابنك عندما تأتي لتناديه فتسلم على شركائه في اللعب ثم تدعوه لم تريد، فهذا سيشعر ابنك بالزهو وسيزيده مكانة وسط زملائه، بل سيكون هذا رباطًا بينك وبين أقران ابنك فيحترموك ويحبوك ويقدروك، وعندما تفعل ذلك سترى في عيني ابنك بريقًا يقول: هذا الرجل أبي الذي أحبه.

لا تحرمني من دعائك يا أبي

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[٢].

(١) الدعاء له قبل أن يولد:

إن الدعاء للأبناء هي سنة الأنبياء جميعًا، ولقد كانوا أكثر الناس دعاء لأبنائهم، حتى إنهم دعوا الله تعالى من أجلهم قبل أن يولدوا؛ فهذا سيدنا إبراهيم يرفع أكف الضراعة إلي الله تعالى، طالبًا منه سبحانه أن يرزقه أبناء صالحين مصلحين؛ قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] يعني ارزقني ولدًا صالحًا، و كانت الاستجابة من الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢] هو سيدنا إسماعيل عليه السلام..... وعلى نفس الطريق سار سيدنا زكريا عليه السلام؛ إذ دعا الله تعالى لأبنائه قبل أن يولدوا قائلا: ﴿...رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، كما دعا الله

(١) فتح الباري ١٠ / ٥٢٧.
(٢) الحديث حسن: صحيح الجامع للألباني، ح ر ٣٠٣٣.

تعالى أن يرزقه ولدًا صالحًا مرضيًا عند الله و عند الناس: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦] ، لقد طلب سيدنا زكريا ولدًا صالحًا يرث النبوة من آل يعقوب ويكون رضيًا ومرضيًا عند أهل الأرض وأهل السماء، واستجاب الله دعاءه وحملت الملائكة إليه البشرى بالولد و النبي الصالح: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

ولم يكتفِ الأنبياء الكرام بالدعاء لأبنائهم قبل ولادتهم؛ بل ظلوا يتعهدون أبناءهم بالدعوات الصالحة طوال حياتهم،، فها هو سيدنا إبراهيم – عليه السلام – يشعر بأهمية الصلاة في حياة المسلم؛ فيدعو الله تعالى قائلا: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، و لما ترك زوجته وأنه في مكة دعا الله لهم بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]... ولأن بيوت الأنبياء تعرف أهمية الدعاء؛ فقد اشترك سيدنا إبراهيم مع ابنه إسماعيل – عليهما السلام – في دعاء واحد وهما يبنيان الكعبة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧- ١٢٩]... ولأن الأبناء الصالحين يعرفون أهمية دعاء آبائهم لهم؛ فلقد طلب أبناء سيدنا يعقوب – عليه السلام – من والدهم أن يدعو الله لهم بالمغفرة على ما فعلوه بيوسف و أخيه، و هذا ما أخبرنا به القرآن الكريم؛ حيث قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧] ، و ما كان من الأب الحنون إلا أن استجاب لطلبهم، ووعدهم أنه سوف يدعو الله ويستغفره لهم: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨].

وعلى درب الأنبياء الكرام سار عباد الرحمن، فمن صفاتهم أنهم يدعون الله تعالى أن يخرج من أصلابهم ذرية صالحة، قال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. قال الإمام ابن كثير - رحمه الله- في تفسير هذه الآية: يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له، وفي معنى قرة أعين قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعنون»: «**من يعمل بطاعة الله فتقرّ به أعينهم في الدنيا والآخرة**»، وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال: أن يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمه طاعة الله لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدًا أو ولد ولد أو أخًا أو حميمًا مطيعًا لله عز وجل، والمعنى اللغوي لقرة أعين: قرة العين يحتمل أن تكون من القرار ويحتمل أن تكون من القر وهو الأشهر، والقرّ البرد لأن العرب تتأذى بالحر وتستريح إلى البرد، وأيضًا فإن دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن فمن هذا يقال: أقر الله عينك وأسخن الله عين العدو وقال الشاعر:

فكم سخنت بالأمس عين قريرة ... ثم وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

فعينك ستقر في برد جميل ويسيل منها دمع السرور البارد بما تراه من صلاح أبنائك في الدنيا والآخرة، قال الضحاك معنى: قرة أعين: أي مطيعين لك يا ربنا، فالإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله وعياله، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة، أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة معاونون على وظائف الدين والدنيا لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى فذلك حين قرة العين وسكون النفس[1].

(٢) الدعاء له يوم أن يولد:

وعندما يدعو الواحد منا أن يرزقه الله تعالى ذرية طيبة، ويهب الله له ولدًا أو بنتًا، تبدأ مرحلة جديدة من مراحل الدعاء للأبناء، فعند ميلاد ابنك أو ابنتك تبدأ سرعة الدعاء لهم

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٣٠، وتفسير القرطبي ١٣ / ٨٢، وتفسير الطبري ١٩ / ٥٢.

تزداد، وهذا ما كان الصحابة الكرام يفعلونه، فما يكاد أحدهم يرزق بمولود، إلا وأسرع نحو النبي لينال دعوة مباركة يبدأ بها مشوار حياته، روى البخاري عن السيدة عائشة - رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم»، وفي رواية مسلم: كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم (يدعو لهم بالبركة) ويحنكهم «ومعنى قولها: فيبرك عليهم أى يدعو لهم ويمسح عليهم، وأصل البركة ثبوت الخير وكثرته، وقولها فيحنكهم: قال أهل اللغة التحنيك أن يمضغ التمر أو نحوه ثم يدلك به حنك الصغير[1]، وروى البخاري عن أسماء بن أبي بكر - رضي الله عنهما - أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به رسول ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام، ففرحوا به فرحًا شديدًا، لأنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم.

ولا يتوقف طلبك الدعاء لأبنائك من الصالحين على يوم مولده فقط، بل يمتد طول حياته، روى الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: جاءت أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ، وقد أزرتني (ألبستني إزارًا) بنصف خمارها وردّتني (ألبستني رداءً) بنصفه، فقالت: يا رسول الله، هذا أنيس ابني أتيته بك يخدمك فادع الله له، فقال ﷺ: «**اللهم أكثر ماله وولده**». وفي رواية: «**وبارك له فيما أعطيته**». قال أنس: فو الله إن ولدى وولد ولدى ليتعادّون على نحو المائة اليوم.

(٣) تدعو له بظهر الغيب :

كثيرًا ما ستدعو لابنك أو ابنتك في سرك وفي سجودك دون أن يعرف، وهذا الدعاء يغيب عنه ولا يعرفه فهذا هو الدعاء بظهر الغيب، وفضله كبير واستجابته مضمونة إن شاء الله؛ وروى مسلم عن صفوان بن عبدالله بن صفوان بن أمية قال: قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده، ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام؟

(١)شرح النووي على صحيح مسلم ٣ / ١٩٤.

فقلت: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول «دعوة المسلم لأخيه، بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل. كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين. ولك بمثل»، ومعنى قوله ﷺ: «بظهر الغيب» فمعناه في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها[1].

ولقد دعا النبي لكثير من صحابته بظهر الغيب، منهم الغلام عبدالله بن عباس رضي الله عنهما؛ روى البخاري عن عبدالله بن عباس أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وضوءًا، قال: من وضع هذا. فأخبر، فقال: «اللهم فقهه في الدين»، وقوله ﷺ في ابن عباس اللهم فقهه فيه فضيلة الفقه واستحباب الدعاء بظهر الغيب واستحباب الدعاء لمن عمل عملًا خيرًا مع الإنسان[2]، ويستجيب الله تعالى لدعائه لابن عباس ويصير حبر الأمة وترجمان القرآن.

إن الدعاء بظهر الغيب يدخل ضمن صلة الرحم قال القرطبي رحمه الله: الرحم التي توصل عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، وأما الرحم الخاصة فتزيد النفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك الأقرب فالأقرب، وقال بن أبي جمرة تكون صلة الرحم بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالدعاء، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارًا أو فجارًا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم بشرط بذل الجهد في وعظهم ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى[3].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧ / ٤٩.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ٣٧.
(٣)فتح الباري ١٠ / ٤١٨.

(٤) تدعو له دعاء يسمعه:

الدعاء لابنك أمامه بصوت يسمعه، يرقق قلبه ويزيد المحبة بينكما، وهو سنة نبوية مباركة؛ روى الطبراني عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: أردفني النبي ﷺ مرارًا، ومسح برأسي، واستغفر لي ولذريتي عدد ما بيدي من الأصابع، وكم يكون جميلًا أن يسمعك طفلك تدعو له أمام الناس، روى البخاري عن البراء ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ والحسن ابن علي على عاتقه[1] يقول: «**اللهم إني أحبه فأحبه**».

(٥) تجمع أبناءك وأحفادك وتدعو لهم:

روى الإمام أحمد عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يومًا، إذ قال الخادم: إن عليًّا وفاطمة بالسرة، فقال لي ﷺ: قومي فتنحي لي عن أهل بيتي، فقمت فتنحيت في البيت قريبًا، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين، وهما صبيان صغيران، فأخذ ﷺ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما، واعتنق عليًّا بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى، فقبل فاطمة، وقبل عليًّا، فأغدق عليهم خميصة سوداء، فقال: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي، فقلت: وأنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: وأنت.

(٦) علم ابنك كيف يدعو:

علم ابنك كيف يرفع يديه بالدعاء، وكن مثل سعد بن أبي وقاص ﷺ الذي كان يعلم أبناءه كيف يرفعون أيديهم إلي السماء؛ يقول مصعب بن سعد بن أبي وقاص: كان سعد يعلمنا خمسًا يذكرهن عن النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أُرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر**»[2]، و عندما نتحدث عن تعليم الدعاء لأبنائنا وبناتنا، فإننا لا نقصد الكبار

---

(١) العاتق ما بين المنكب والعنق، والمنكب هو ما بين الكتف والعنق.

(٢) رواه أبو يعلي في مسنده (٢ / ٧٢) بسند صحيح.

منهم فقط، لأن تعليم الدعاء للصغير منهج تربوي أصيل، والدليل على أن الصغار يستوعبون الأدعية النبوية المباركة و يمكنهم أن يحفظوها ما رواه الترمذي (٢ / ٣٢٨) والنسائي (١ / ٤٥١) و أبو داود (٢ / ٦٣) و أحمد (٣ / ٧٢) عن الحسن بن علي - رضي الله عنه - أنه قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر (في قنوت الوتر): «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»... والمعروف أن النبي ﷺ قد توفي وعمر سيدنا الحسن بن علي - رضي الله عنهما - حوالي ثماني سنوات[1]، وهذا معناه أن تعليم النبي ﷺ قد تم في عمر يقل عن الثماني سنوات، وهذا يؤكد أن تعليم الدعاء للصغير منهج تربوي أصيل...

* * *

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٢٤٢، ٢٤٨.

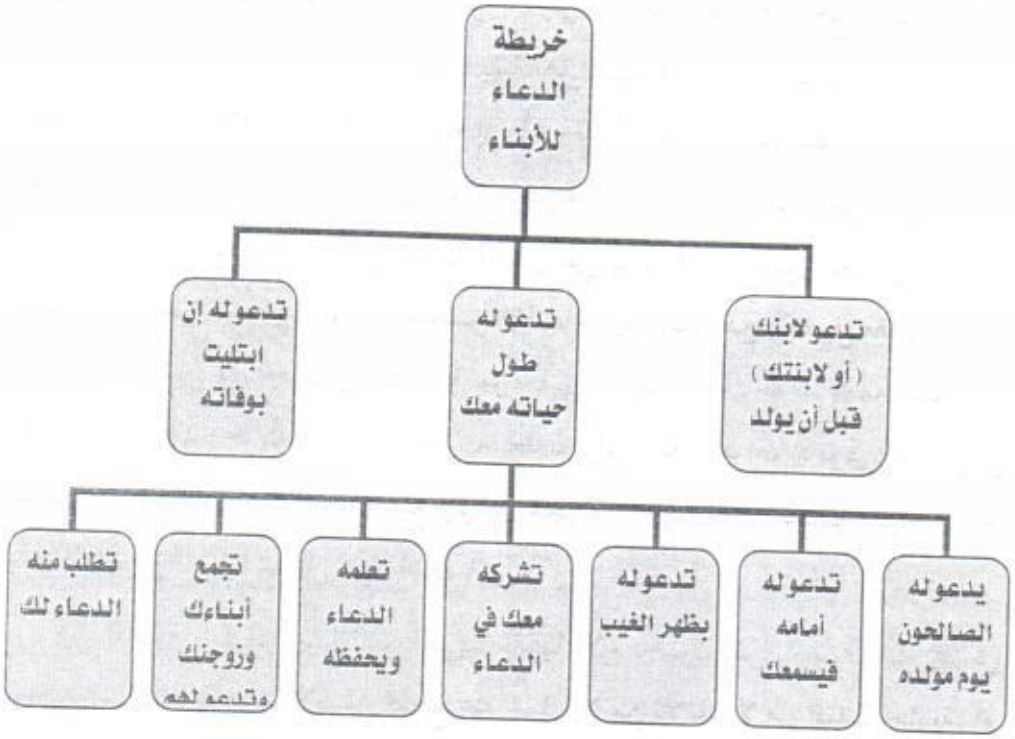

أيها الوالد الكريم، أيتها الأم الحنون؛ إن الدعاء للأبناء يصلح أحوالهم، ويجبر كسرهم، ويعالج أخطاءهم، ويحميهم من شرور الدنيا والآخرة، فهيا بنا نرفع أكف الضراعة لله عز و جل، وندعوه سبحانه أن يهديهم سواء السبيل، لعل الله يكرم أبناءنا كما أكرم عليّ بن الفضيل بن عياض رحمه الله؛ فلقد اجتهد والده في تربيته اجتهادًا كبيرًا، وكان يأمل أن يكون صالحًا ورعًا تقيًا، فدعا الله قائلا: اللهم إني اجتهدت أن أؤدب عليًّا فلم أقدر على تأديبه، فأدبه أنت لي، لقد بذل الوالد الحاني كل ما يستطيع – تقريبًا – في تربية ولده، واستعان بالله علي هذه المهمة الصعبة؛ فكان التوفيق منه سبحانه وتعالى، إذ أصبح عليّ بن الفضيل بن عياض إمامًا كأبيه في العلم والزهد، فقال الإمام النسائي عنه: ثقة مأمون، وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان من الورع بمحل عظيم، وقال عبد الله بن المبارك يومًا: خير الناس الفضيل بن عياض وخير منه ابنه عليّ، وعن سفيان بن عيينة قال: ما رأيت أحدًا أخوف من الفضيل وابنه.

لقد اجتهد الوالد في تربية ابنه و دعا الله أن يصلحه له، فاستجاب الله دعاءه، وأصبح

الفتي عونًا لأبيه علي التقي والزهد والورع؛ يخرجان معًا للصلاة والحج وأعمال الخير، يقيمان الليل و يصومان معًا، دون نسيان بقية أهل البيت، فلقد كان بيت خير و صلاح، وهكذا كانت العلاقة بين الابن و أبيه إلي أن جاء اليوم الموعود، فلقد فارق عليّ بن الفضيل الحياة في سنة ثلاث وثمانين ومائة هجرية، ولقد افتقده والده وحزن عليه كثيرًا، فها هو الفضيل بعد وفاة ابنه علي يقول: قال لي علي يومًا: أسأل الذي جمعنا في الدنيا أن يجمعنا في الآخرة ثم بكي فلم يزل منكسر القلب حزينًا، ثم بكى الفضيل فقال: حبيبي من كان يساعدني على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبي، شكر الله لك ما قد علمه فيك..... وهكذا ظل والده حزينًا عليه حتى لحق به بعد بحوالي أربعة أعوام، إذ توفي الفضيل بن عياض - رحمه الله - سنة مائة وسبع وثمانين هجرية، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته، وألحقنا نحن و أبناءنا بهم علي خير، اللهم آمين[1].

وفي النهاية نذكرك أيها الأب الكريم وأيتها الأم الحنون بقول رسول الله ﷺ في صحيح مسلم: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له**»، وفي رواية ابن خزيمة قال ﷺ: «**خير ما يخلف المرء بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له فيبلغه دعاؤه، أو صدقة تجري فيبلغه أجرها، أو علم يعمل به بعده**»[2]، ولن يدعو لك بعد موتك إلا من كنت تدعو له في حياتك، وعلى قدر ما يسمعه منك من دعوات سيصلك في قبرك من دعواته، فالدعاء هو خير ذكرى تتركها لأبنائك.

---

(١) للاستزادة من أخبار الفضيل بن عياض و ابنه علي انظر: البداية و النهاية ١٠ / ١٨٣، ١٠ / ١٩٨، وتهذيب الكمال ٢١ / من ٩٦ إلى ١٠٥، و حلية الأولياء ٨ / من ٢٩٧ إلى ٣٠٠، و سير أعلام النبلاء ٨ / من ٤٤٢ إلى ٤٤٨.

(٢) صحيح ابن خزيمة للألباني ح ٢٤٩٥.

المراجـــــع

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت ٦٧١ هـ، دار الشعب (القاهرة)، الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.

(٢) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ت ٣١٠ هـ، دار الفكر (بيروت) ١٤٠٥هـ.

(٣) **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ت ٧٧٤ هـ، دار الفكر(بيروت) ١٤٠١ هـ.

(٤) **الجامع الصحيح المختصر**، أحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ت ٢٥٦ هـ، دار ابن كثير(بيروت)، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.

(٥) **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٦) **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت ٣٥٤ هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤١٤ – ١٩٩٣، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٧) **صحيح ابن خزيمة**، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري ت ٣١١ هـ، المكتب الإسلامي (بيروت)، ١٣٩٠ – ١٩٧٠، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.

(٨) **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ت

٢٧٩ هـ، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين.

(٩) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ت ١٧٩ هـ، دار إحياء التراث العربي (مصر)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٠) سنن البيهقي الكبري، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨ هـ، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة)، ١٤١٤ – ١٩٩٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا.

(١١) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ت ٢٧٥ هـ، دار الفكر (بيروت)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(١٢) سنن البيهقي الكبري، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨ هـ، مكتبة دار الباز (مكة المكرمة)، ١٤١٤ – ١٩٩٤، تحقيق محمد عبد القادر عطا.

(١٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ت ٢٤١ هـ، مؤسسة قرطبة (مصر).

(١٤) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ت ٣٠٧ هـ، دار المأمون للتراث (دمشق) الطبعة الأولى ١٤٠٤ – ١٩٨٤، تحقيق حسين سليم أسد.

(١٥) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

(١٦) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ت ٢٧٥ هـ دار الفكر (بيروت)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٧) السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ت ٣٠٣ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت)، الطبعة الأولى ١٩٩١ م، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

(١٨) **سنن الدارقطني**، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي ت ٣٨٥ هـ، دار المعرفة (بيروت) ١٣٨٦ - ١٩٦٦، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

(١٩) **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد ت ٦٥٦، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٧ هـ، الطبعة الأولى، تحقيق إبراهيم شمس الدين.

(٢٠) **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، ٢ / ٥٧٤، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢١) **تلخيص أحكام الجنائز**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الثالثة - ١٤١٠ هـ.

(٢٢) **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

(٢٣) **صحيح سنن أبي داود باختصار السند**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

(٢٤) **صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(٢٥) **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف (الرياض)، ط ١ .

(٢٦) **ضعيف سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

(٢٧) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت ٨٥٢ هـ، دار المعرفة (بيروت) ٣٧٩١ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، محب الدين الخطيب.

(٢٨) **صحيح مسلم بشرح النووي**، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ت ٦٧٦

هـ، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.

(٢٩) تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم المباركفوري أبو العلا، ت ١٣٥٣ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).

(٣٠) عون المعبود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، ط ٢، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية (بيروت)

(٣١) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ت ٧٧٤، مكتبة المعارف (بيروت).

(٣٢) صفة الصفوة، عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، ت ٥٩٧ هـ، دار المعرفة (بيروت)، ط ٢، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: محمود فاخوري، د محمد رواس قلعة جي.

(٣٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ت ٧٤٨هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.

(٣٤) الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث (بيروت)، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى

(٣٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ، دار الكتاب العربي (بيروت)، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.

(٣٦) تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ت ٧٤٢ هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، الطبعة الأولى ١٤٠٠ - ١٩٨٠، تحقيق د. بشار عواد معروف.

(٣٧) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢ هـ، دار الجيل (بيروت)، ط ١، ١٤١٢ هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي.

(٣٨) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، ت ٢٣٠هـ، دار صادر (بيروت).

(٣٩) **المنتظم**، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، ت ٥٩٧ هـ، دار صادر (بيروت)، ط ١، ١٣٥٨ هـ.

(٤٠) **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥ هـ، دار الجيل (بيروت) ١٩٧٣م.

(٤١) **كشاف القناع عن متن الإقناع**، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار الفكر (بيروت) ١٤٠٢ هـ، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال.

(٤٢) **روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي**، المكتب الإسلامي (بيروت)، الطبعة الثانية ١٤٠١٥ هـ.

(٤٣) **القبل والمعانقة والمصافحة** للإمام المحدث أحمد بن محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت (٣٤٠هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن.

(٤٤) **العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم**، محمد حسن، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٤٥) **منهج التربية النبوية للطفل**، محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، مكتبة المنار الحديثة (الكويت)، الطبعة الخامسة ١٩٩٤ م.

(٤٦) **علمني أبي – مذكرات طفل**، عامر شماخ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

(٤٧) **حوار مع الحفيد**، يعقوب الشاروني، وزارة الإعلام سلسلة الثقافة لغة السلام للأطفال والنشء، ٢٠٠٦، ص ٢٨، ٢٩ (بتصرف).

(٤٨) **٢٠٠٢ طريقة لإظهار حبك لأطفالك**، سيندي هاينز، مكتبة جرير، ط ٢، ٢٠٠٦.

(٤٩) **٥٠١ طريقة لتعزيز ثقة الطفل بنفسه**، روبرت د. رامسي، مكتبة جرير، ط ٥، ٢٠٠٦.

(٥٠) **شوربة دجاج لحياة الأمهات (١٠١ قصة لرقة وصفاء روح الأمهات)**، جاك

كانفيلد، مارك فيكتور هانسن، جنيفر ريد هوثرون، مارسي شيموف، وآخرون، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٥.

(٥١) شوربة دجاج لحياة الآباء (قصص حب وتعلم وأبوة)، جاك كانفيلد، مارك هانسن، كيمبرلي كيربيرجر، رايموند آرون، وآخرون، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٢.

(٥٢) شوربة دجاج لحياة الآباء ج ٢، جاك كانفيلد، مارك فيكتور هانسن، جيف أوبري، مارك مونيللي، كريسي دونيللي، وآخرون، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٣.

(٥٣) شوربة دجاج لحياة المراهقين ٢ (١٠١ قصة إضافية عن الحياة والحب والمعرفة)، جاك كانفيلد، مارك فيكتور هانسن، كيمبرلي كيربيرجر، وآخرون، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٥.

(٥٤) نعم من فضلك شكرًا، بيني بالمانو، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٦.

(٥٥) سر الطفل السعيد، ستيف بيدولف وشارون بيدولف، مكتبة جرير، ط ١، ٢٠٠٤ م.

ومراجع أخرى مثبتة على هوامش الصفحات

***

الفهـــرس

الإهداء ٣
المقدمة ٥

الفصل الأول
ذكريات صنعها الآباء والأمهات

تمهيد ١٠
- نقود العائلة.. أكلتها العائلة ١١
- ومن يومها لم أرسب في امتحان ١٢
- واتفقت مع أبي في الكويت ١٢
- ونفعتني نصيحة أبي بعد عشرين سنة ١٣
- وعاد أبي للبيت عريانًا ١٤
- قلب الأب.. ودعاء الرب ١٥
- أبي كيف كان يودع ابنته؟ ١٥
- أبي.. كيف ربى رجلًا؟ ١٦
- وعدت راكبًا الحمار مثل الفاتحين ١٦
- كان أبي يراني.. أجمل عروسة ١٧
- يا ابنتي داري دموع العين ١٧
- سامحني يا بني فلا أملك أجرة التاكسي ١٨
- جاكت أبي.. دليل محبة ١٨
- هل للكلمات طعم؟ ١٩
- مشروع الأرانب من أجل الحبايب ١٩
- جاموسة أبي.. ولبن أطفالي ٢٠
- والد صديقي.. ليته والدي ٢٠

- لا تخش المرض.. فطعامنا حلال ٢١
- أنا وأبي.. وشيخ المسجد ٢١
- المدرسة خير من حقل أبي ٢٢
- كيس الرمل وشتائم زميلي ٢٢
- أبي.. وبناته التسع ٢٣
- وصية أبي في أول يوم بالكلية ٢٣
- أبي.. والبيوت الأربعة ٢٣
- تليفون بابا هذا موعده ٢٤
- ورحلت أمي قبل الفجر ٢٤
- بنت الخامسة والأربعين هل تشعر بقبلة أمها؟ ٢٥
- وعد أمي متى يتحقق؟ ٢٥
- وباعت أمي ثوبها من أجلي ٢٦
- أمي.. والبطة الحرام ٢٦
- وظل الباب مفتوحًا من أجلي ٢٧
- حلوى أبي.. تحت الوسادة ٢٨
- أمي.. كيف ربت يتيمًا؟ ٢٨
- أب ٦٥ سنة يا ترى كيف يصالح ابنته الطبيبة؟ ٢٩
- والدي.. والكوفية الصوف ٢٩
- أبي.. وطريق المعهد الأزهري ٣٠
- حفلة منزلية.. ونحن الضيوف ٣١
- نجاح وأبوه واللبس الجديد ٣١
- وعلى باب المدرسة بكى أبي ٣٢
- أبي تاجر البهائم.. كيف ربّاني؟ ٣٢
- برد الشتاء يذكرني دومًا بأمي ٣٣
- ألا تريد أن يرضى عنك قلبي قبل أن أموت؟ ٣٤
- وبعد الجامعة جاءني أبي معتذرًا ٣٤

- قلب أبي أكثر حبًا من قلبي..... ٣٥
- والدي والـ ٢٠٠ جنيه ٣٥
- لله يا ابنتي..... ٣٦
- ليت القيامة تأتي حتى أقابل أمي ٣٦
- نظرات أبي الأخيرة..... ٣٧
- هل عندكم مشروع إيماني كبير؟ ٣٧
- المعصية... ونظرات أمي الحانية..... ٣٨
- أمي.. والكتاكيت العشر ٣٩
- أبي يحبني أكثر من زجاج الشباك ٣٩
- كيف أترك بصمة حب في قلب أبي؟..... ٤٠
- أبي وسؤال العشاء اليومي ٤٠
- أم.. وبنتان.. ونصف فدان ٤١
- قراءة التشهد في المنام ٤٢
- ومن يومها لم يتحسن خطي..... ٤٢
- رسب أخي.. فصنع أبي له وليمة..... ٤٢
- وعلى صدري مات أبي ٤٣
- أمي لا تعرف المستحيل..... ٤٣
- وقبل الفجر خرج أبي مقترضًا ٤٤
- أبي.. وتاريخ الحب الطويل ٤٤
- لا أعرف كيف أسامح أمي ٤٥
- وسماني أبي وزير التموين ٤٥
- حكايتي مع سورة الفجر ٤٦
- أعطتني موزتين ورحلت عن الحياة ٤٦
- في حقيبة العروسة.. مفاجأة من أبيها..... ٤٧
- أمي.. والحذاء.. والطين..... ٤٧
- وتنازل أبي عن حلم حياته من أجلي..... ٤٧

- أمي.. والأرغفة العشرة ٤٨
- حكاية حجابي القصير ٤٨
- لم أقرضهم المال لأطالبهم فجأة ٤٩
- تناول الطعام في بيتنا قانون ٤٩
- واكتشفتُ أن أبي أكل فولًا ٥٠
- وعشت مع أبي بلا ذكريات ٥٠
- وجاءتني أمي لأنها أفضل مني ٥١
- أميّة.. لكنها أم تتحدى المتعلمين ٥١
- وقالت أمي: هذا يوم الوفاء بالوعد ٥٢
- وكنا يومها لا نملك العشاء ٥٢
- ليتني لم أُحزنك يومها يا أبي ٥٢
- وفعل أبي يومها ما انتظرته من أمي ٥٣
- مفاجأة أبي زواج سعيد ٥٤
- وفي زراعة الأرز دروس كثيرة ٥٤
- وعند البلاء يشكر الصابرون ٥٥
- أمي.. ساعي بريد بين الأحبة ٥٥
- وباع أبي ثوبه من أجلي ٥٦
- قد يغضب وجهي لكن قلبي يحبك ٥٦
- هات العصا التي تحب أن أضربك بها ٥٧
- خلافات الكبار كيف نبعد عنها الصغار؟ ٥٧
- مكائد الزملاء.. اختبار لثقة الأمهات ٥٨
- ومن يومها وملابسي في مكانها ٥٨
- ما أجمل أن ترحم طفلًا ضعيفًا ٥٩
- دروس في الحُب من فلاح يزرع الحَب ٥٩
- كسرت التلفزيون وجرحت المذيعة ٦٠
- هل في قلبك رحمة تسع أبناءك التسعة؟ ٦١

- من يدك يا أبي تحلو الهدايا ٦١
- وعلى دراجة أبي.. يحلو الاستغفار ٦٢
- أبي.. والصدقات الملفوفة ٦٢
- أمي.. والشهادة الجامعية الثانية ٦٢
- أمٌ.. بدرجة ممتاز ٦٣
- أبي يريد بيتا.. حتى يصلي ٦٣
- أرسل ما تحب إلى الجنة ٦٤
- طفل صغير محبوس في السرير ٦٥
- أبي.. ولغز السجائر العشر ٦٥
- سرقت من أبي فكافأني بزيادة المصروف ٦٦
- أبي.. وحذاء الجيش القاسي ٦٦
- ومن يومها لم أحفظ آية من كتاب الله ٦٧
- الملابس المتسخة ومعنى الرحمة ٦٧
- دعاء أبي الأخير ٦٨
- وكم تمنيت أن يوقظني أبي ٦٨
- اليد الصغيرة وصناديق الخير الكثيرة ٦٨
- أبي.. والطرطور الألماني ٦٩
- أخيرًا قرأتها يا أبا بكر؟ ٦٩
- أبي.. وحكاية العشرة آلاف جنيه ٧٠
- هل دعا عليك أبوك يومًا؟ ٧١
- أمنية أبي الأخيرة ليتني أعرفها ٧١
- الأذكار على السرير لها طعم خطير ٧٢
- خاطرة الفجر والابن المعلم ٧٢
- هذا الأب كيف أحبه؟ ٧٣
- من حبي لأبي أحببت الوطن ٧٣
- هدية أبي اليومية قراءتها فورية ٧٣

- أنت الولد الصالح الذي تركته بعدي ٧٤
- من حبّات الفول إلى أبواب الجامعة ٧٤
- من أجلك يا أبي سأكون رجلا ٧٤
- حفل ضرب جماعي ٧٤
- دوري الرحلات الأبوية ٧٥
- لم يكن أبي بل كان صديقي ٧٥
- رسالة من دار العلوم إلى أبي الحنون ٧٦
- فكرة في المصروف ٧٦
- اللهم أحسن استقبال أبي في الآخرة ٧٧
- ومن أبي تعلمت الورع ٧٧
- عن المغفرة كان أبي يبحث ٧٨
- المفاجأة كانت في محفظة أبي ٧٨
- ٣٠ كيلومترًا.. تشهد على محبة أبي ٧٨
- ومن يومها أشعر بحرارة النار كلما اقتربت من المعصية ٧٩
- ومن ساعتها لم أضع سيجارة في فمي ٨٠
- اللهم ارحم أبي.. فقد كان بنا رحيمًا ٨٠
- جاء ماشيًا لأعود راكبة ٨١
- لن أترك لأبنائي شيئًا غير دينهم وتعليمهم ٨١
- حب وخصام.. هل هذا كلام؟ ٨٢
- مدرستنا شاهدة على حب أبي ٨٢
- أبي.. دعني أشرب هذه السيجارة معك ٨٣
- ربما أمرض ابنك ليشفي لك قلبك ٨٣
- أبي.. وفنّ إذاعة الخبر ٨٣
- وعند العصر موعدنا ٨٤
- يا بني.. أطفئ الشر مبكرًا ٨٤
- أبي الفلاح معه قلبي يرتاح ٨٥

- جيراننا والخصان الميت ٨٥
- الأبّ المحبّ.. هل ينسى ما طلبه أولاده؟ ٨٦
- ومن يومها أحب النظر في السماء ٨٦
- وبعد القُبلة الثالثة.. مات أبي ٨٦
- ومن يومها أنهت أمي الحوار بيننا ٨٧
- كان يبدأ بأختي.. وكنت دائمًا الثانية ٨٧
- كلمات أبي الصباحية.. جميلة وزكية ٨٧
- كيف تحسن خط طفلك؟ ٨٨
- هل ما فعله أبي كان صوابًا؟ ٨٨
- أبي الفقير.. والطائرة التي تطير ٨٨
- إنه مسجل عند الله تعالى ٨٩
- وترك ابنه ميتًا.. ليصلي الظهر في جماعة ٨٩
- وتحسنت أحوالي لأجلس على مائدة المصلين ٩٠
- كلمات أبي الصادقة وكلمات الكذابين ٩٠
- لن أرمي شعر ابنتي في القمامة ٩١
- اسجدي ولا ترفعي رأسك حتى تشعري بالرضا ٩٢
- لدخول المطبخ مع أبي طعم آخر ٩٢
- دعاء الصباح.. ربنا يرزقك يا بابا ٩٣
- أبي.. ومسابقة أجمل صلاة ٩٣
- الحلوى في البلكونة.. من أبي ٩٤
- أبي.. والشجرة.. ومفتاح البيت ٩٤
- يا بنيّ.. أي لقمة ستشبعك ٩٥
- أفسدت كهرباء منزلنا.. فكافأني بشراء بطارية سيارة ٩٦
- أبي.. وسور المستشفى العسكري ٩٦
- القسط الشهري جعل أبي يظلمني ٩٧
- وأصبحت هذه الآية نورًا يضيء حياتي ٩٧

- عشرون عامًا.. من أجلك يا بني ٩٨
- يا بني.. ضع إصبعك في البحر ٩٩
- كيف توقظ طفلك بطريقة أبي المبدعة؟ ١٠٠
- وفي الحقل تحلو دعوات أبي ١٠١
- وفي الأتوبيس يزداد حب أبي ١٠١
- سرير واحد.. وقلب كبير ١٠٢
- كيف جعلني أبي أحب سيرة النبي ﷺ؟ ١٠٢
- في ضياع القلم.. قصص وحكم ١٠٣
- رسبت في الامتحانات فهل يعطيني أبي مكافأة؟ ١٠٤
- اللهم خذ أبي وأرسل لنا أبًا طيبًا ١٠٥
- ابتسامة أبي الأخيرة ١٠٦
- مظروف أبي السنوي ١٠٦
- ليعلم أبي في قبره أن له ابنًا يحبه ١٠٧
- رسالة أبي في علبة السجائر ١٠٨
- يا بني.. دع غيرك يأخذه ١٠٩
- لو مات أبي.. هل ستموت الحياة معه؟ ١١٠
- ١٥ سنة بين جدران المستشفيات ١١٠
- يا بني.. اقرأ القرآن حتى ترتوي ١١١
- ماذا تفعل لو كنت مكان أبي؟ ١١١
- أمي.. والجنيهات الأخيرة ١١٢
- الصلاة في المسجد وحلوى أبي ١١٣
- اللهم اقسم أجر هذا العمل بيني وبين أبي ١١٣
- ورحل أبي قبل أن أعطيه الدواء ١١٤
- هدية النجاح اشتراها أبي قبلها بعام ١١٥
- ناولتني كوب الشاي.. وسقطت ميتة ١١٦
- ابنة راسبة.. وأب حنون ١١٦

- ساعتها عرفت أنه أحسن أب ١١٧
- إذا مت.. فلا تضعني في قبري ١١٧
- عشاء أسرتنا لأصدقائي الضيوف ١١٧
- يا ابنتي.. ألقي شعرك في القمامة ١١٨
- هدية أبي السنوية.. قراءتها فورية ١١٨
- احترام أبي.. بين طفولتي وشبابي ١١٩
- كيس البونبون.. من أبي الحنون ١١٩
- أحب أن أسمع القرآن منك يا بني ١٢٠
- فوق كتفيك.. لن أتعب يا أبي ١٢٠
- كنا نحسد بعضنا على المرض ١٢١
- مذكرات طفل.. يكتبها رجل في الأربعين ١٢١
- من الهندسة إلى مصنع الخياطة ١٢٢
- هذا غفره الله.. وهذا تقبله الله ١٢٣
- أبي الحلاق.. وحذاء الصلاة ١٢٣
- يا أولادي.. تعالوا نؤمن بربنا ساعة ١٢٤
- كيف صنعت أمي مني داعية؟ ١٢٤
- ليت السيارة تصدمني.. لآخذ بعضًا من حبّ أبي ١٢٥
- حديث العشاء.. سطر واحد ١٢٥
- هل يمكنك أن تترفق بأمك؟ ١٢٦
- حضن أبي الأخير على محطة القطار ١٢٦
- لقد ربيناك لتكون مدرسًا ١٢٧
- هل القسوة على الأبناء مرض وراثي؟ ١٢٧
- الفرحة في عيون أبي.. جعلتني متفوقًا ١٢٨
- غسالة أتوماتيك.. وقلب محب ١٢٨
- أمي.. وبرميل المشاغبين ١٢٩
- أبي.. لقد أنجبت رجلًا ١٢٩

- لن أترك بيتك يا أبي ١٣٠
- اليوم هم أبناؤك.. وغدًا يصبحون إخوتك ١٣٠
- هذا الوقت مخصص لابني ١٣١
- بعد عشرين سنة عرفت أنه يحبني ١٣١
- كيف أخذ أبي دما غير دمي؟ ١٣٢
- والله ما نسيتها لك يا أبي ١٣٢
- بيت أبي.. واحة لذوي الأرحام ١٣٣
- وبقي مع أبي جنيه واحد ١٣٤
- يا بني.. لا تذهب حزينا ١٣٤
- أبي.. هل تريد أن تخبطني؟ ١٣٥
- أمي.. والنقود المعطرة ١٣٦
- غسل الصحون.. وأمي الحنون ١٣٦
- الصلاة تريح قلبي يا بني ١٣٧
- معني الرجولة.. تعلمته من أمي ١٣٧
- هل الدعاء وحده يحرك الكرة؟ ١٣٧
- لماذا لا أهاب التواجد بين الرجال؟ ١٣٨
- لماذا يفتش أبي في محفظتي؟ ١٣٩
- سبورة أبي خلف الباب ١٣٩
- أصدقاء السوء لن يبعدهم السوء ١٤٠
- وفي النهاية عدت إلى البيت ١٤٠
- أبي.. يمسك بصفارة الحكم ١٤٠
- اختبارات أمي للعريس ١٤١
- أبي.. ورحلة النجاح إلى الأقصر ١٤١
- ابصق على قبري لو نجحت ١٤٢
- رسالة أمي الأخيرة.. على الثلاجة ١٤٣
- ذكريات كثيرة وسريعة ١٤٣

الفصل الثاني
ذكريات صنعها الأبناء

تمهيد ١٤٩
- عمر.. وحفل الصلاة الأول ١٥٠
- رسب في الإنجليزية فتركته يلعب بحرية ١٥٢
- الختام قبل المنام ١٥٢
- وسمحت لابني بأن يهرب من المدرسة ١٥٢
- زيت الشعر ولمسة الحنان الضائعة ١٥٣
- لن تضرب ابني فهو في ذمة الله تعالى ١٥٣
- في أي شارع يقع منزلك يا أبي؟ ١٥٤
- سنرى القمر ونذكر بعضنا بالدعاء ١٥٥
- خطاب الحب يقرؤه كل من نحب ١٥٥
- لن أسامحك يا أمي على سوء ظنك بي ١٥٦
- من قال لك توقظني الآن يا حيوان؟ ١٥٦
- طفلي المسكين.. وكلمات المدرسين ١٥٧
- أبوكم في ضائقة مادية ١٥٧
- أبي.. بكم تبعني ساعة من وقتك ١٦٠
- هل يسمعك الجيران تدعين على أبنائك؟ ١٦٠
- تعلمت من أبي.. ألا أكون مثله أبدًا ١٦١
- في تقبيل يد الوالدين سر عجيب ١٦١
- الرمال ماذا تصنع في قلوب الصغار؟ ١٦٢
- هل أعطيك وردة.. ثم تضربني برجلك؟ ١٦٢
- حب جديد.. بين الجد والحفيد ١٦٣
- سر كراهية البنات لمطابخ الأمهات ١٦٣

- أطفالي الصغار وحضن الصباح ١٦٤
- هكذا تصبح ابنتك ذليلة ١٦٤
- ماما.. إشعال ذاتي ١٦٤
- ابني في الحلم يقتل أمه ١٦٥
- كلام الحب.. له طعم آخر ١٦٥
- موعد خاص مع طفلة الروضة ١٦٦
- تخيل الجنة مع الصغار.. ماذا يفعل فيهم؟ ١٦٦
- ابني ٧ سنين.. كيف أحب المساكين؟ ١٦٧
- سأضرب الوسادة بدلا منكم ١٦٧
- هكذا أحتفل مع ابني بصلاة التراويح ١٦٨
- لن أسافر أبدًا وابني نائم ١٦٨
- موقف أهجلني جدًا ١٦٩
- سأحبك يا بني كما أنت ١٦٩
- أسرار الماضي عندما يحكيها الشباب الصالحون ١٧٠
- اللعب بدلا من النقود ١٧١
- دورة تنمية بشرية لأبنائي فهل تنجح؟ ١٧١
- في بريطانيا هل ينفع الدعاء لطفلي؟ ١٧٢
- جمعية لتحقيق أمنيات الأطفال ١٧٢
- وفي السجود وجدت حل مشكلة ابنتي ١٧٣
- أنا سعيدة لأنك أبي ١٧٤
- بناتي.. ومنكر ونكير ١٧٤
- وعلى خد طفلي تزول الأحزان ١٧٤
- هل سأحمي ابنتي من النار حقًا؟ ١٧٥
- وأحسست بالذنب ستين يومًا ١٧٥

- الحُبّ في يوم الإجازة ١٧٦
- لمسة حنان غيّرتني ١٧٦
- رنة تليفون ابنتي.. يا رب صبرني ١٧٧
- عيون لا ترى غير الأخطاء ١٧٧
- وبعد النوم أعتذر لأبنائي ١٧٨
- طفل الثالثة كيف يحب أباه ١٧٨
- ابنتي بين كوب الذل وكوب المحبة ١٧٨
- لن أطيعك يا أمي إلا بضرب النار ١٧٩
- وفي الغيبوبة أفاقت روح ابني الطيبة ١٧٩
- بالحنان.. نجح ابني في الامتحان ١٨٠
- سؤالان.. للتواصل وفهم الأقدار ١٨٠
- وتمنيت أن ينطق ابني الرضيع ليقول لي «سامحتك» ١٨١
- ابنتي الخامسة.. حمل مرفوض ورزق مورود ١٨١
- الهروب من الكُتّاب إلى حظيرة الدجاج ١٨١
- لقد تعلمت.. ولكن أمه لم تتعلم ١٨٢
- حفلة منزلية وأسرة مثالية ١٨٢
- شراكة الصغار في تجارة الكبار ١٨٢
- أمي.. هل جئنا الدنيا لكي تذلونا؟ ١٨٣
- ربما أمرض ابنك.. ليشفي لك قلبك ١٨٣
- في أزمات الآباء.. تظهر تربية الأبناء ١٨٥
- يا أمي.. أنت كسرتيني ١٨٥
- ابني الصغير يرد لي الجميل ١٨٦
- أولادي ومسرحية الأب المحبوب ١٨٦
- أبنائي الصغار.. ومطالب أهل النار ١٨٧

- سنين يصلي بلا وضوء ١٨٩
- خمسة أيام في الدنيا ١٨٩
- بشروخ صيفي وفيه مكسب قرآني ١٩٠
- ابنتي الصغيرة والمرأة الفقيرة ١٩٠
- ابني الصغير واللقاء الأخير ١٩١
- بالاستغفار جاءنا الطفل المغوار ١٩١
- تسبيحات بعدد زروع حقلنا ١٩٢
- أبنائي وحكايات الماضي ١٩٢
- طفلي ذو العام والنصف كيف ضربته؟ ١٩٣
- وحمدت الله أنني لم أظلمك يا حبيبي ١٩٣
- تفوقت في رعاية أمي.. فتفوقت ابنتي ١٩٤
- عنوان الفيلم.. «ادع لي يا غالية» ١٩٤
- نصيحة الجدّ.. اعتذر لابنك فورًا ١٩٥
- واكتشفت أنني أضربها أكثر مما أحضنها ١٩٥
- ذو السبع سنوات كيف عاقبته على السرقة ١٩٦
- أمي.. لا تموتي ١٩٦
- بنت الثمانية أعوام اكتشفت السرّ ١٩٧
- ماما.. أنت ستدخلين النار ١٩٧
- أبي.. لن أتناول العشاء بدونك ١٩٨
- أبي.. لا تجعلني أكره تناول الطعام معك ١٩٨
- هل أبناؤك أحب إليك من الريموت كنترول؟ ١٩٨
- طفلي كيف يرجع ما سرق؟ ١٩٩
- ضربتها.. فمسحت العرق عن وجهي ١٩٩
- تقدمت نحوه من شدة الغضب.. وحضنته ١٩٩

- أبي.. اترك الغضب خارج المنزل ٢٠٠
- لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرًا ٢٠٠
- أبي لا تتسرع فقد أكون مظلومًا ٢٠١
- هل أنا حقًّا أعزّ الناس؟ ٢٠١
- وخرج طفلي مجاهدًا بماله ونفسه..... ٢٠١
- يوم السور.. رجعت منصورًا ٢٠٢
- في نهار رمضان لماذا تفطرين يا أمي؟ ٢٠٢
- ابنتي.. ورمضان الحمد ٢٠٢
- كيف يحفظ القرآن وهو فرحان؟ ٢٠٣
- الأب الناجح و قصة الصباح ٢٠٥
- وقتلت ابني في المنام ٢٠٥
- أبنائي.. وكراسة النعم ٢٠٥
- معقول يا بابا؟! ٢٠٦
- وصارت ابنتي إمام أمها ٢٠٦
- هل أنت راضية عني يا ابنتي؟ ٢٠٦
- ابني ورسومات الأم المتوحشة ٢٠٧
- ابني ورسومات الروضة ٢٠٧
- لو رأى النبي ﷺ أمك ما قال هذا الحديث ٢٠٨
- ابني ولعبة النبي ﷺ ٢٠٨
- هذا ما لك عندي يا أبي ٢٠٩
- فكرة قبل النوم..... ٢٠٩
- أنا فخور بك يا أبي؟..... ٢٠٩
- ماذا أحضرت لنا يا بابا؟..... ٢١٠
- يا أمي لقد قلت لي يومًا.. إنك فاشل ٢١١

- كيف نجا ابني من حادث الاختطاف؟ ٢١٢
- ليس المهم هو الحلق.. المهم هو الخُلُق ٢١٢
- كلمة السرّ التي أكسبتني احترام زوجي ٢١٢
- ابنتي الخائفة من يطمئن قلبها؟ ٢١٣
- بكم تبيعون أباكم لنا؟ ٢١٣
- من يضرب أبي.. سيخرج في رحلة على حسابي ٢١٤
- هل وعدت ابنتك يومًا.. ولم توفِ بوعدك؟ ٢١٤
- وفي المدينة المنورة فتحت الحقيبة ٢١٤
- أوقف سائق التاكسي ليسأله كم الساعة ٢١٥
- من الإذاعة المدرسية إلى الإمامة المسجدية ٢١٥
- أنت يا أبي من جلب تلك المصيبة ٢١٦
- الشهوة الجنسية وفاتح الشهية ٢١٦
- ابني علمني أربعين يومًا ٢١٧
- أبنائي الثلاثة ولغز الزجاج المكسور ٢١٧
- سيسامحنا.. هكذا وجدناه ٢١٨
- قبل أن يكره ابنك الصلاة ٢١٩
- صورة أبي هل تعوض غيابه؟ ٢١٩
- ضرب البنات هل يعطي حسنات؟ ٢٢٠
- ذكريات كثيرة وسريعة ٢٢٠
- أين الضجيج العذب والشغب.. قصيدة أب ٢٢١

الفصل الثالث

القواعد الذهبية في صناعة الذكريات الأسرية

تمهيد ٢٢٦

القاعدة الأولى: احذر اللقاء الأخير ٢٢٨

حكايات وآهات.. وعبر وعظات ٢٢٩
مكالمة واحدة ستغير حياتك ٢٣٦
اللقاء الأخير في حياة محمد ﷺ ٢٣٨
سنن الفراق.. ومراسم اللقاء ٢٤٠
ترطيب الأكباد عند فقد الأولاد ٢٤٣
القاعدة الثانية: افتح حسابًا في بنك العواطف الأسرية ٢٤٦
حبيبنا محمد ﷺ وبنك العواطف ٢٤٩
١٩٠ فكرة للإيداع في بنك العواطف الأسري ٢٥٣
بـ ١٠ طرق.. يصبح رصيدك صفرًا ٢٦٧
القاعدة الثالثة: كن مربيًا مبدعًا.. وإليك الطريقة ٢٧٥
لا تكن الأب العادي ٢٧٥
كيف تصبح أبًا مبدعًا؟ ٢٧٦
(١) الختام قبل المنام ٢٧٧
(٢) اقرأها عندما تكون بمفردك ٢٧٧
(٣) أسرار أطفالنا المخفية تحت الماء ٢٧٩
(٤) جدار الذكريات ٢٨١
(٥) الأحضان لعلاج الأحزان ٢٨٢
(٦) لعبة المساء التي صنعت مبدعًا؟ ٢٨٣
(٧) عبارات الحب في غداء المدرسة ٢٨٤
(٨) يا أمي.. هاتي المكافأة أولا ٢٨٥
(٩) كيف تقول لابنك «المراهق».. أحبك؟ ٢٨٦
(١٠) تبادل الأدوار عندنا في الدار ٢٨٨
(١١) العائلة الشبح ٢٨٨
(١٢) الاحتفال بيوم الإخفاق ٢٩٠

(١٣) كيف تعالج عصبية طفلك بالمسامير؟ ٢٩١
(١٤) سؤال العشاء اليومي ٢٩٢
(١٥) اترك منزلنا وارحل.. كيف تقولها لابنك؟! ٢٩٤
(١٦) أبي.. وقلب الشجرة ٢٩٥
(١٧) عشاء أستاذي المفضل ٢٩٧
(١٨) كيف تتحدث مع طفلك بعد أن تموت؟ ٢٩٨
(١٩) كيف تحارب عدوك بالحب؟ ٣٠٠
(٢٠) هدية خاصة للمراهقات ٣٠١
(٢١) اللقاء الأسري ٣٠٢
القاعدة الرابعة: حياتك أجمل.. بالسنن التربوية ٣٠٤
القبلة رحمة وتجلب الرحمة ٣٠٤
(١) قبلة المحبة الدائمة ٣٠٦
(٢) قبلة الحنان والشفقة ٣٠٧
(٣) قبلة الإعجاب والشكر ٣٠٧
(٤) قبلة الشوق ٣٠٨
(٥) قبلة الاعتذار والترضية ٣٠٩
(٦) قبلة لقاء المسافرين ٣٠٩
(٧) قبلة الوداع الأخيرة ٣٠٩
هل دخولك إلى البيت مصدر سعادة لأبنائك ٣١٢
كيف تدخل بيتك بسلام؟ ٣١٣
الأب المحروم.. والأب المليونير ٣١٦
سفر الآباء.. وسنن التربية السبعة ٣١٧
أبي.. لا تجعلني أكره تناول الطعام معك ٣٢٠
أين تذهب.. خذني معك ٣٢٣

اللعب النبوي خمسة أشكال ٣٢٩
(١) تضحك معهم وتمازحهم ٣٢٩
(٢) تلعب معهم وتُجري المسابقات ٣٣٠
(٣) تسمح لهم باللعب معك ومازحتك ٣٣١
(٤) تتحدث معهم عن ألعابهم ٣٣٢
(٥) تسمح لأصدقائهم باللعب في بيتك ٣٣٣
لا تحرمني من دعائك يا أبي ٣٣٤
(١) الدعاء له قبل أن يولد ٣٣٤
(٢) الدعاء له يوم أن يولد ٣٣٦
(٣) تدعو له بظهر الغيب ٣٣٧
(٤) تدعو له دعاء يسمعه ٣٣٩
(٥) تجمع أبناءك وأحفادك وتدعو لهم ٣٣٩
(٦) علم ابنك كيف يدعو ٣٣٩
المراجع ٣٤٣
الفهرس ٣٤٩

* * *

دار الطباعة والنشر الإسلامية

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية - العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية ب١ تليفاكس: ٠١٥٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

Printed in Egypt by ISLAMIC PRINTING & PUBLISHING Co. Tel.: 015 363314 - 362313

مكتب القاهرة - مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الاندلسي ت: ٢٠٢٤٠٣٨١٣٧ - فاكس: ٠٢٠٢٤١٧٠٤٣

usamataha.com

35
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

دار التوزيع والنشر
٢٥١ ش بور سعيد - السيدة زينب - القاهرة
ت. فاكس ٢٣٩١٧٩٥٦ ت. ٢٣٩١٧٩٥٠
d.eltwzea@gmail.com www.eldawabookshop.com

EA 352369